ثقافة الهند

Vol. XLIX No. 1 1998

المجلد ٤٩ العدد ١

١٩٩٨م

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٤٩ العدد ١

١٩٩٨م

المجلس الهندى للعلاقات الثقافية
آزاد بوان، نيو دلهي
الهند

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية انشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و ضمن برنامج مطبوعاته بنشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" و في الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" و في الاسبانية "Papeles de la India" و في الألمانية "Indien in der Gegenwart" في الهندية "Gagananchal" و كلها يصدر اربع مرات في السنة.

و المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى.

The Programme Director (Pub)

Indian Council for Cultural Relations

Azad Bhavan, Indraprastha Estate

New Delhi- 110002 (INDIA)

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس كالآتي :

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها و طبعها السيد هيمانيل سوم المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية - آزاد بوان، نيو دلهي ، الهند

طبعت في مطبعة سانتراك انمارميشنس برائيويت لميتيد

سي ٢، كانو شامبار، سانول ناغر، نيو دلهي ١١٠٠٤٩.

رئيس التحرير: البروفسور زبير أحمد الفاروقي

كلمة التحرير:

حاولنا في هذا العدد أيضاً تغطية مجال واسع من الموضوعات المتنوعة و من أهم ما يحتوي عليه العدد مقال كتبه د/ جلال السعيد الحفناوي تحت عنوان "الترجمة الأردية لسورة الفاتحة في ترجمان القرآن" لأبي الكلام آزاد استعرض فيه الكاتب الترجمات الأردية للقرآن الكريم في الهند و التي تختلف الآراء في عددها و على حد قوله قد وصلت الترجمات الأردية للقرآن الكريم إلى أكثر من ١٥٠ ترجمة. كما تناول بالبحث و النقد منهج آزاد في ترجمة القرآن و سماته البارزة.

كما يتضمن العدد مقالاً مستفيضاً آخر تحت عنوان "مساهمة علماء شمال الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين" يتضمن معلومات ثمينة حول الموضوع حيث يستعرض بوجه تفصيلي مساهمة العلماء في شمال الهند التي تمثلت في مؤلفاتهم في الأدب و النقد و الأدب الإسلامي و المعاجم و السير و التراجم و التفسير و الحديث و التاريخ و ما يتعلق به، و لهم حول هذه الموضوعات مؤلفات بعدد لا باس به.

يعد الفقه بين العلوم الإسلامية التي حظيت باهتمام خاص لدى علماء الدين في شبه القارة الهندية و قد اخترنا لهذا العدد مقالاً يحوي معلومات مفيدة عن مساهمتهم في مجال الفقه الإسلامي.

و معلوم أن الأدب العربي قديمه و جديده نثراً و شعراً حافل بذكر الهند و كل ما يتعلق بها و قد جذب هذا الموضوع عناية الكتاب على نطاق واسع، فتناولوه بجوانبه العديدة، و نقدم في هذا العدد مقالين حول هذا الموضوع تحت

عـنـوان "الهند و الهنود في الادب العربي" و "الاساطير و الآثار الهندية في الشعر العربي الحديث".

و فـي بـحـث عـلـمـي دقـيـق تـحت عنوان "كليلة و دمنة : النص الأصلي و الـتـرجـمة العربية" تتبع كاتبه د/ محمد نعمان خان تاريخ تراجم هذا الكتاب إلـى الـلـغات المختلفة، و ابرز ما هناك من أهمية للترجمة العربية لهذا الكتاب في نقله إلى بلدان مختلفة و لغات شتى.

أمـا شـخـصـيـة الـعـدد فهي شخصية الحكيم أجمل خان الذي كان يلقب بمسيح الملك و يعرف بخدماته العظيمة على صعيد حركة التحرير القومـــي و دقه نظره و مهارته الكبيرة في مجال الطب الشرقـي حيث أسس عدة مدارس و معاهد طبيه للأولاد و البنات.

د/ زبير أحمد الفاروقي

مجلة ثقافة الهند الفصلية

المجلد ٤٩ العدد ١

١٩٩٨م

محتويات العدد

شخصيات

الادب

الترجمة الأردية لسورة الفاتحة في "ترجمان القرآن"
لأبي الكلام آزاد : دراسة نقدية

بقلم : د/ جلال السعيد الحفناوي* (مصر)

مقدمة:

يدور محور هذا البحث حول الترجمة الاردية "لسورة الفاتحة" و التي قام بترجمتها مولانا أبو الكلام آزاد ضمن ترجمته للقرآن الكريم إلى الأردية و المعروفة بـ"ترجمان القرآن"، و ترجع أهمية هذه الترجمة إلى عدة أسباب منها أن سورة الفاتحة هي أم الكتاب و أم القرآن و هي بذلك تحتل مكانة بارزة بين سور القرآن، و أن آزاد ـ ذا الأصول العربية ـ يمتلك ناصيتى اللغتين المنقول عنها و هي العربية و المنقول إليها و هي الأرديةو و أن آزاد أفرد لسورة الفاتحة مجلدا كبيرا تناول فيه هذه السورة من جميع الجوانب اللغوية و الفقهية و التفسيرية مركزا كذلك على ناحيتى اللفظ و المعنى في هذه السورة التي تعد من وجهة نظره ـ ملخصا مجملا للقرآن الكريم.

و قد حاول آزاد أن يوفق في ترجمته بين مناهج الترجمات الأردية السابقة عليه، و جاءت ترجمته عصرية مواكبة للتطور العلمي و لذوق العصر و بلغة أردية سلسة و بسيطة و خالية من التعقيدات اللفظية التي كانت سمة

---

*كاتب هذا البحث مدرس اللغة الأرديه ـ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

بارزة في التراجم الأردية القديمة. لذلك فإن ترجمة أبو الكلام آزاد "ترجمان القرآن" يمكن أن تكون نموذجاً فذاً لترجمة القرآن الكريم إلى الأردية و من ثم يمكن أن نعتمد عليها في الرد على المستشرقين و أعداء الاسلام و الفرق المارقه كالقاديانية و البهائية وغيرها.

و سوف أتناول في هذا البحث أيضا نبذة مختصرة عن حياة "أبو الكلام آزاد" صاحب الامامتين : الإمامة في السياسه و الإمامة في الدين. و كتابه "ترجمان القرآن" و سأسبق ذلك بتمهيد للترجمات الأردية للقرآن الكريم و الصعوبات و العقبات التي اعترضتها و رأى الفقهاء في ترجمة القرآن و معانيه، و منهج آزاد في ترجمة القرآن و كيف أن المترجمين الأوائل كانوا يستعملون كلمه "معاني القرآن" عند الحديث عن ترجمة القرآن فيقولون : ترجمه معاني القرآن بينما اكتفى المحدثون بقولهم، "ترجمة القرآن" و هم يقصدون ترجمه معاني القرآن، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين فهو لا يترجم و إنما معانيه هي التي تترجم.

بعد ذلك انتقل إلى ترجمة سورة الفاتحة و أهم الآراء النقدية التي وجهت لآزاد ثم أختم بحثي بالنتائج التي توصل إليها البحث و التي نادى بها آزاد و تحقق منها الكثير في العصر الحاضر.

الترجمات الأردية للقرآن الكريم : الفكرة و النماذج :

تتطلب الترجمه كفاءة و حسا أدبيا و فنيا و كذلك دينيا ـ في حالة ترجمة نص ديني ـ إلى جانب معايشة المترجم للنص المراد ترجمته و خلق نوع من الانسجام الذى يمكنه من نقل الجمل و الكلمات و الصور و كل ما في النص من عناصر جماليه، ذلك أن الترجمة فن أصعب من الكتابة ذاتها،

و الـتـرجمة نوع من الابداع، بل هي إبداع في حد ذاته. و الترجمة الإبداعية تبلغ بـالنص المترجم مرتبة تجعله يقترب من النص الأصلي، و لا تتم هذه الحالة إلا بالانسجام التام و التوحد بين المترجم و النص.

و يـظـل الـقرآن الكريم الكتاب الرئيسي الذي يجسد المعتقدات الأساسية لـلـحـضارة الإسلامية لمدة تربو على أربعة عشر قرنا من الرمان و هو آخر رسالة سـمـاوبـة لـهـدايـة الـبـشـر و لـهـذا فإن توصل رسالة الإسلام إلى أنحاء الأرض مـسـئـولية العلماء و لهذا السبب توجد للقرآن الكريم ترجمات عديدة في كل لغة من لغات العالم، و صار من الضروري أن تجد نرحمة جديدة للقرآن في كل عصر لـتـنـاسـب حـاجـات الـعـصـر الـذى وجـدت فـبـه، لأن الـقـرآن نـزل لـكـل زمان و مكان. (١)

و قـد نـشات فكرة ترجمة القرآن متلازمة مع دخول الإسلام إلى أرض غير عـربية فكانت ضرورة ملحة أن يترجم القرآن في اللغة التي حل بها لكي يستفيد مـنـهـا الـعامة و الـخاصة على السواء فظهرت فكرة الترجمة متزامنة مع دخول الإسـلام إلـى الـهـنـد لأن القرآن الذي هو أصل أصول الإسلام و أساس عقائده نزل بـلـسان عربي مبين فبات صعبا على الهنود أن بفهموه، فالعربية لم تلق في الهند مـا لـقـبـتـه الـفارسية من رواح و ازدهار، لذا ظلت فكرة توصل مفاهيم أعظم كـتـاب سـماوي للعامة تواجه صعوبة كبيرة حتى انتبه لذلك علماء الهند فانصب اهـتمامهم على ترجمة معاني القرآن و ظلت الترجمات تتوالي في كل عهد حتى ظـهـر مـنـهـا عـشـرات الترجمات و جاءت كل ترجمة محكومة بقيود اجتماعية و حضارية و مذهبية. (٢)

و كانت قضية ترجمة معاني القرآن من القضايا الهامة التي شغلت العالم الإسلامي مع بداية هذا القرن و تناولتها اقلام العلماء و تنوعت آرائهم بين رافض و موافق و متحفظ على فكر الترجمة بقول محمد شاكر في كتابه "القول الفصل في نرحمة القرآن الكريم إلى اللغات الأعجمية": "الحق الذي لا محيص عنه انه لا يحل الاقدام على نرحمة القرآن الكريم إلى غير العربية كما لا يحل الإقدام على تبديل ابة كلمة من كلماته الشريفة بما يرادفها في العربية و لا على نقل ابة كلمة او آية من موضعها إلى موضع آخر من آياته و سوره ... و إن أئمة الإسلام الذين اجمعوا على تحريم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الاعجمية لم يختلفوا في جواز تفسيره باللغات الاعجمية كما أجازوا تفسيره باللغة العربية، التفسير شيء و الترجمة شيء آخر. الترجمة تحل محل الأصل من كل وجه و لا كذلك التفسير". (٣)

و في بحث له بعنوان: "ترجمة القرآن و ما فيها من المفاسد و منافاة الإسلام" يرفض محمد رشيد رضا فكرة ترجمة القرآن و يقول : "إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة كما يعلم من المسائل الآتية، فالترجمة المعنوية عبارة عن فهم المترجم للقرآن أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين، و حينئذ لا تكون هذه الترجمة هي القرآن، و إنما هي فهم رجل للقرآن يخطئ في فهمه و يصيب و لا يحصل بذلك المقصود المراد من الترجمة". (٤)

و عندما شرع الشيخ مصطفى المراغي في ترجمته معاني القرآن كتب بحث عن هذه القضية بعنوان "ترجمة القرآن الكريم و أحكامها" قال فيه : "أثبت الشاطبي جواز الترجمة و إمكانها و قال : إن أهل الإسلام اجمعوا على جواز تفسيره للعامة، و هذا إجماع منهم على جواز ترجمته".

و نقل عن أبو حنيفة النعمان رحمه الله استدل بما روى أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرءون ذلك في صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية".

"نحن نعترف بأن الترجمة الحرفية متعذرة في كل القرآن و ممكنة في آيات كثيرة أو أكثر آيات القرآن، و نعترف بأن الترجمة المعنوية قد يتغير بها المعنى المراد لله سبحانه و تعالى، لأنها موقوفه على الفهم أولا، و بعد الفهم ينقل المعنى المفهوم إلى اللغة الأخرى حرفيا، و لم يجيزوا الصلاة بغيرها. و أجازوا الترجمة المعنوية و لكنهم لم يجيزوا الصلاة بها، و لو أنهم كانوا يمنعون الترجمة المعنوية لقالوا إنها لا تجوز الصلاة بها لأنها غير جائزة.

أما تعريب الأمم الإسلامية الأعجمية فهو أمل حلو و كل مسلم يود لو أن اللغة العربية عمت العالم الإسلامي جميعه أو العالم كله، و أصبحت لغة التفاهيم و التخاطب و لكن إلى أن يتحقق هذا الأمل ماذا تفعل الأمم الأعجمية؟ و هل الأفضل لها أن تبقى كما هي قانعة بقراءة الفاتحة في الصلاة ثم هي بعد ذلك لا تستطيع النظر في ألفاظ القرآن العربية و لا النظر في معانيه مترجمة. أو الأفضل أن ينقل إليها معاني القرآن و ينقل ما يمكن نقله بالترجمة الحرفية لتستطيع إطالة الصلاة و المناجاة بقراءة الترجمة الحرفية، و تستطيع النظر و الفهم و التدبر في المعاني؟ إن أمر الحوار و الحرمة فرغ منه الفقهاء منذ اثني عشر قرنا، و نحن لا نتحدث جديدا في الفقه في هذه المسألة. (٥)

كذلك قام أحمد إبراهيم مهنا بدراسة موضوع ترجمة القرآن و رجح فكرة الترجمة بعد أن استعرض آراء عديدة في هذه القضية.(٦)

و اجمع علماء الهند منذ ما يقرب على قربين من الزمان على ضرورة ترجمة معاني القران إلى اللغة الاردية و اللغات المحلية الأخرى التي يتحدث بها المسلمون كالبنغالية و السندية و التامل و الغجراتية و الكشميرية وغيرها. فكانت أول ترجمة للقرآن في الهند قام بها شاه ولي اللّه الدهلوي (ت:١١٧٦هـ/١٧٦٢م) و لكن الترجمة كانت إلى الفارسية و كانت لغة المسلمين في ذلك الوقت. ثم جاءت بعد تلك ترجمات عديدة و مختلفة بسبب الاختلاف المنهجي و العقائدي لدى الجماعات المختلفة و من أشهر هذه الترجمات الاردية للقرآن الكريم ترجمة "موضح قرآن" لشاه عبد القادر الدهلوي ابن شاه ولي اللّه و المتوفى سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٤م و التي تعد أول ترجمة أردية للقرآن.(٧)

ثم توالت الترجمات الاردية بعد ذلك بحيث يصعب على الباحث حصرها و جاءت كل ترجمة من هذه الترجمات تحمل لغة العصر الذى تمت فيه و فكره كذلك حملت كل ترجمة البصمات الفكرية و المذهبية، بل القدرات اللغوية للمترجم لان اللغة الاردية لغة جديدة و لم يتعد عمرها خمسة قرون و لم يكتمل معجمها بعد لذا فهي في تطور مستمر حتى الآن فلا ترفض دخول كلمات غريبة من لغات أخرى عليها بل تقبل هذه الالفاظ و تطوعها بحيث تصبح من ألفاظها و لهذا السبب تعددت الترجمات في اللغة الأردية لأن الترجمة الأولى التي قام بها شاه عبد القادر صارت ألفاظها صعبة لا يمكن لقارئ هذا العصر أن يفهمها بسهولة، و لهذا تعددت الترجمات و لم يمر عام دون ترجمة جديدة و قد وصلت الترجمات الأردية للقرآن الكريم إلى اكثر من مائة و خمسين ترجمة و من أهم هذه الترجمات "تفسير رفيعي" لشاه رفيع الدين الدهلوي، و "ترجمة قرآن" لسيد احمد خان، و "ترجمه مواهب الرحمن" لأمير علي مليح آبادي، و ترجمة "غرائب القرآن" لنذير أحمد، و "بيان القرآن" لأشرف علي تهانوي، و "موضح

فرقان" لمحمود الحسن و "تفهيم القرآن" لابو الاعلى المودودي، و اخيرا "ترجمان القرآن" لابي الكلام آزاد و قد جاءت هذه الترجمة سليمة اللغة سبقها بمقدمة تحدث فيها آزاد عن منهجه في الترجمة و الصعوبات و العقبات التي صادفته.

و بدأ في نهاية القرن الماضي هذا السيل من الترجمات الأردية للقرآن الكريم لدرجة أن استقصاء عدد هذه الترجمات صار عملا صعبا يحتاج إلى بحوث و تحقيقات مستقلة، و قد ذكر أبو الحسن الندوي " أن الترجمات الاردية للقرآن التي جاءت بعد ترجمتى شاه عبد القادر و شاه رفيع الدين وصل عددها إلى خمسة و خمسين ترجمة".(٨)

و الحقيقة أن ما ذكره الندوي لعدد الترجمات الأردية يعد رقما متواضعا لأن الرقم الحقيقي ضعف هذا الرقم تقريبا. فقد قام الدكتور حميد اللّه ببحث في هذا الموضوع يقول فيه "في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الميلادي ترجم القرآن إلى أكثر من مائة لغة من لغات العالم و يتفاوت عدد هذه الترجمات في اللغات المختلفة، إلاّ أن اللغة الأردية تتفوق على جميع لغات العالم من حيث عدد الترجمات الأردية للقرآن فتصل إلى تسعين ترجمة تقريبا". (٩)

و قد اتفق محمد سالم قدوائي مع الدكتور حميد اللّه في عدد الترجمات الأردية للقرآن الكريم فيقول: "تعد اللغة الأردية أحدث اللغات عمراً و لكنها تفوقها جميعها من حيث عدد ترجمات القرآن الكريم الذي يصل إلى تسعين ترجمة". (١٠)

و الحقيقة انني شاركت في بحث لحصر عدد الترجمات الاردية للقرآن في الهند و باكستان و توصل البحث إلى وجود أكثر من مائة و خمسين ترجمة للقرآن الكريم في اللغة الارديه، مابين ترجمات كاملة و جزئية و شعرية كذلك. و توصل البحث إلى أن العلماء الهنود يستعملون كلمتى "ترجمة" و " تفسير" بمعنى واحد و أن معظم من تصدى لترجمة القرآن قام بتفسيره. (١١) و أنهم كانوا يستعملون كلمة "ترجمة معاني القرآن" في البداية و الآن يقولون "ترجمة القرآن" و إن كان بعضهم يستعمل كلمة "تفسير" بدلا من "ترجمة".

مولانا أبو الكلام آزاد: حياته و رسالته :

كان ابو الكلام آزاد (١٨٨٨ ـ ١٩٥٨م) مصلحا دينيا، و سياسية محنكا، و عالما في اللغة، و فقيها لم تجد ارض الهند بمثله و قد اتفق عليه جميع طوائف الهند على اختلاف اديانهم و أجناسهم. كان خطيبا بارعا مفوها و يتمتع ببصيرة نفاذه و إلمام تام بتاريخ الأمم الماضية و كانت رؤيته مدعومة بالحجج و البراهين، و قد نال الثناء من رجالات الهند و من البلدان العربية و الإسلامية حيث دافع عن حرية العالم الإسلامي من براثن الاستعمار.

و يعد ابو الكلام آزاد من أبرز العلماء المسلمين في الهند و من كبار القادة الهنود في الكفاح ضد الاستعمار الانجليزي حتى نالت الهند استقلالها و تولى رئاسة حزب المؤتمر الوطني الهندي أكبر الأحزاب الهندية قاطبة عام ١٩٣٩م و قاد دفة المفاوضات مع الانجليز و كان صنوا لغاندي و ظل رئيسا لحزب المؤتمر حتى رحيل الإنجليز و تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين : الهند و باكستان

و يوجد في الهند أكبر أقلية إسلامية في العالم حيث يبلغ عدد المسلمين بها نحو مائتي مليون مسلم من مجموع تسعمائة مليون هم سكان الهند و تدين

الـهند للمسلمين بكل ما وصلت إليه في النواحي الثقافية و الحضارية و الدينية و الـسـياسية، و انا لا أميل إلى تسميتهم باقلية لانهم في الحقيقة كانوا اصحاب الـيد الطولى في هذه البلاد المترامية الأطراف قرابة ثمانية قرون و نصف تركوا خـلالها آثار و بصمات لا يمكن أن تمحى في تاريخ الهند الحضارى و اللغوي و قد انـتـهـى هذا الحكم الإسلامي بعد اغتصاب الانجليز له في عام ١٨٥٧م و نفي آخر الملوك المسلمين بهادر شاه ظفر إلى رانجون في بورما حيث أودع الثرى بها.

و قـد ولـد مـحيى الدين احمد و عاش في أسره متدينة و اتخذ لنفسه لقب "آزاد" بمعنى (الحر) و عرف بعد ذلك باسم "أبو الكلام آزاد" فقد سمى أبو الكلام آزاد لـفصاحته و بلاغته و مقدرته الخطابية التي كانت تلهب مشاعر السامعين. و هـو صـاحـب الإمـامتين : الإمامة في السياسة، و الإمامة في الدين. قاد حركة الـتـجـديـد و الإصلاح الديني في الهند و هو مساو لجمال الدين الأفغاني و محمد عبده في مصر و البلاد العربية و كان صديقا لمحمد رشيد رضا.

لـم تكن أسرة آزاد أسرة هندية ... و لكنها وفدت على الهند من "هراة" من بلاد الأفغان و استقرت الأسره في مدينة "آجرا" أولا ثم انتقلت إلى دهلي و عمل بـعـض أفـرادها فى مناصب كبيرة فكان أحد أجداده "مولانا منور الدين" يشغل وظيفة "ركن الدين" و هي وظيفة يشرف منها على التعليم فى الدولة. و لكن بعد وفـاة جـد آزاد لأبيه، ترك ابنه "خير الدين" و "آزاد" الهند و هاجر إلى مكة و ظل بـهـا قـرابة ثلاثين عاما حيث استقر بمكة عام (١٨٦٠م) و تزوج من بنت أحد كبار علماء المدينة المعروفين و هو الشيخ محمد طاهر الوطري.(١٢)

ولـد آزاد فـي مكة سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م و لكنه بعد سنتين من ولادته عاد مع أسرته إلى كلكتا في الهند يقول آزاد في مذكراته : "ولدت في مكة المكرمة سنة

١٨٨٨م و عاد والدي في عام ١٨٩٠م إلى كلكتا مع اسرته و كان الداعي إلى عودته انه سقط مرة في "جدة" فانكسرت ساقه و لم يجد من يرجعها إلى استقامتها. فاشار عليه اصدقاؤه بان اطباء كلكتا يستطيعون علاجه فسافر للعلاج و كان عازما على الرجوع إلى مكة بعد الانتهاء منه، لكن اتباعه و مقدريه الحوا عليه بالبقاء و لم يدعوه يعود إلى مكة و توفيت والدتي بعد قدومنا إلى كلكتا سنة ١٨٩١م و دفنت في ترابها".(١٣)

لقد ولد آزاد و نربى في بيئة دينية و تعلم فى المدارس الإسلامية العربية، كما تعلم على يد والده يقول آزاد في مذكراته: "كان والدي من المؤمنين بالنمالبد القديمة، و لم يقل قط بالتعليم الغربي، فلم يخطر بباله أن يدربني تدريبا حديثا او يعلمني على نمط حديد، فقد كان يعتقد أن التعليم الجديد سيقضى على العقيدة الدينية و من أجل هذا اهتم بتعليمي وفق الطرق التقليدية المعهودة".(١٤)

و لكن آزاد لم يكن "ممن يؤثر هذا الركون أو الركود فخرج من عراكه النفسي إلى فرار اتخذه و هو أن يتحرر من القديم الموروث، أو من كل تأثير له عليه، ثم بدأ فيدرس على ضوء عقله و فكره و معلوماته الجديدة، ليصل بدراسته و فكره و عمله إلى ما يراه الحق مما كان سبب فى سوء العلاقة بينه و بين ابيه، فأقصاه عنه، و لكن ذلك لم يؤثر على عزمه، فاستمر في طريقه الجديد متنقلا بين كلكتا و بومباى، متصلا بمن يختاره و يميل إليه من العلماء و أهل الراى" (١٥)

و فى سنه ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م قام آزاد برحلة إلى البلاد الإسلامية تركيا و البلاد العربيه مصر و الشام و العراق ليتعرف عن كثب على الحركات الدينية

و الـوطـنـيـة الـتـي كـانـت تـمـوج بها تلك البلاد في ذلك الوقت فتعرف على اهم الـشـخـصيات و الزعماء و تعرف على افكار جمال الدين الأفغاني و الإمام محمد عـبـده (١٨٤٥ ـ ١٩٠٥م) و الـتقى بأبرز تلاميذ الإمام و هو محمد رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥م) صـاحـب مجلة "المنار"(١٦) و قد أتيحت الفرصة لآزاد في مصر لأن يزور الأزهـر و يـلتقى برجاله و يتعرف على مناهجه و يوطد العلاقة بينه و بين الشيخ مـحـمـد رشيد رضا. و قد ظلا يتراسلا بعد عودته إلى الهند ثم التقى به في الهند مـرة أخـرى عـام ١٩١٢م فـي نـدوة العلماء بلكناؤ و عندما دعى رشيد رضا لرئاسة الـجـلـسة السنوية للندوة و في تلك الفترة تأثر آزاد بما كتبه رشيد رضا و خاصة تفسيره للقرآن المعروف بتفسير المنار و تأثر بآراءه في تفسير سورة الفاتحة.

و من الـطـريـف أن آزاد انـتـقد النظام التعليمى في الأزهر في ذلك الوقت يـقـول : "كان النظام السائد في الأزهر حينما زرت القاهرة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م ناقصا غير واف فلم يكن يثقف العقول أو يساعد على تحصيل معلومات وافية عن اللغة العربية القديمة و قد حاول الشيخ محمد عبده إصلاح هذه النظام و لكن العلماء الـمـحـافـظـين احـبـطـوا جـهوده و عندما قنط الشيخ من إصلاح الأزهر أسس مـدرسة جديدة سماها "دار العلوم" و هي باقية إلى بومنا هذا و إذا كانت الأمور تجرى في الأزهر هذا المجرى فما لي أذهب إليه للدراسة".(١٧)

و قـد تـأثـر آزاد بـمـا كـتـبه رشيد رضا في مجلة "المنار" عن الإصلاحات الـديـنـية و الاجتماعية فبعد عودته إلى الهند أصدر مجلة أسبوعية تنشر أفكاره الإصـلاحـيـة سـمـاهـا "الهلال"، صدر العدد الأول منها في كلكتا في ١٢ من شهر يـونيو سنة ١٩١٢م و لاقت شهرة كبيرة في الهند لما كانت تحمله من أفكار جديدة و جـريـئـة، لكن سرعان ما تنبه الانجليز لها و أغلقوها في يونبو ١٩١٥م. و لكن لم تـفـتـر عـزيـمـة آزاد و أصـدر مـجـلـة أخرى هي "البلاغ" لتكون مكملة للرسالة

الإصلاحية التي بداتها "الهلال".(١٨) و صدر العدد الأول من "البلاغ" في ١٢ نوفمبر ١٩١٥م. و لكن الانجليز لم يتركوه و أصدروا أمرا عسكريا بإبعاده عن مدينة كلكتا و حظر صدور "البلاغ" في ٣ مارس ١٩١٦م فقصد "رانشى" في ولاية بيهار و استمر في ترجمة القرآن للأردية و كتب كذلك أهم مؤلفاته "تذكرة".

و اسس آزاد مدرسة "دار الإرشاد" على غرار "دار الدعوة و الإرشاد" التي اسسها رشيد رضا و كان ينشر في مجلته "البلاغ" ما كان ينشره رشيد رضا من تفسير للقرآن في مجلة "المنار".

و شارك آزاد في ٢٨ و ٢٩ فبراير ١٩٢١م في مؤتمر الخلافة و انتخب رئيسا لحزب المؤتمر الوطنى و ساهم في أخطر مراحل الكفاح حتى نالت الهند استقلالها عام ١٩٤٧م.

و بعد استقلال الهند تولى وزارة المعارف و في سنة ١٩٥٠م أسس آزاد المجلس الهندى للعلاقات الثقافية في الهند الذي اهتم باللغة العربية و أصدر في ذلك الوقت مجلة "ثقافة الهند" باللغة العربية نشرت أهم ما كتبه و خاصة عن ترجمة القرآن الكريم و لا تزال تصدر حتى اليوم. و ظل وزيرا للمعارف حتى وفاته في ٢٢ فبراير ١٩٥٨م و دفن في ساحة المسجد الجامع في دهلي و كان بحق صاحب الإمامتين : الإمامة في الدين و الإمامة في السياسة.

و كانت دعوة آزاد لإيقاظ المسلمين تقوم على الفهم الكامل للإسلام و كتابه السماوى القرآن و السنة و نبذ التقليد و الجمود و القضاء على البدع و الخرافات. و لما اعترض عليه العلماء التقليديون بأنه خلط الدين بالسياسة رد عليهم بأن السياسة لابد أن تكون نابعة من الدين. فلا سياسة إلّا بالدين و الكفاح في سبيل تحرير الوطن و هو لب الدين. يقول عنه جواهر لال نهرو: "كان

أزاد طرازاً وحده في عظمته، و لن توجد مثل هذه الشخصية في الهند و لا في خارجها". و يقول مولانا شبلى النعماني: "إن عقل آزاد و فكره أعجوبة من أعاجيب الزمن و لابد أن تعرض هذه الأعجوبة في معرض علمي".

فهذه الشخصية - إذن - صنعها القرآن و كونها الإسلام الذي يدعو إلى العلم بكل أنواع العلوم و يجعل التطور و الترقى سنة الحياة ... و لذلك رأينا مولانا آزاد العالم الديني العظيم يدعوا العلماء إلى الاجتهاد حتى بتحرر الفكر الإسلامي و يتطور و لا يقف فيتجمد و من عباراته المشهورة: "لا إصلاح إلاّ بدعوة"، و لا دعوة إلاّ بحجة، و لا حجة مع بقاء التقليد، فإغلاق باب التقليد و فتح باب النظر و الاستدلال هو مرد كل إصلاح".(١٩)

ترجمان القرآن :

عندما أصدر آزاد مجلتى "الهلال" و "البلاغ" كانتا بمثابة الصوت الإصلاحى لدعوته و آراءه و كان يقول "لا هدف للهلال إلا دعوة المسلمين للتمسك بالقرآن الكريم و سنة الرسول" و كان في تفسيره لـ"ترجمان القرآن" قد تأثر بمدرسة الإمام محمد عبده و تلميذه محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار و تأثر كذلك قبلهما بابن تيمية (٢٠) و ابن القيم (٢١). و قد أحس آزاد بضرورة أن يساير المسلمون عامة و مسلمو الهند خاصة قضايا العصر الجديد و أن يبين لهم أن الإسلام لا يتعارض مع معطيات الحضارة الحديثة بشرط أن يفهموا القرآن جيدا. و لتحقيق أهدافه الإصلاحية بدأ آزاد في مجلته الهلال بنشر ترجمة القرآن و تفسيره باللغة الأردية بعنوان "ترجمان القرآن" في عام ١٩١٢م و ذلك بطريقة مبسطة حتى يفهمها العامة و الخاصة. و ترجم آزاد القرآن حتى سورة "المؤمنون" و ظهر في مجلدين في سنة ١٩٣١م في حياته. و الآن

قامت اكاديمة الادب "ساهتيه أكادمي" بدلهي في الهند بطباعته و نشره في اربعة مجلدات احتلت سورة الفاتحة و تفسيرها المجلد الأول و بقية سور القرآن في المجلدات الثلاثة الأخرى. و كان الشائع أن الترجمة في "ترجمان القرآن" قد توقفت حتى سورة المؤمنين و لكن بعد وفاة آزاد تم العثور على مسودات الترجمة حتى سورة "النور" فتم إضافتها في المجلد الرابع. يقول آزاد في مقدمه "ترجمان القرآن": "الآن اكتملت عندى ترجمة القرآن". و قد اهتم آزاد بخدمه القرآن و كتب تفسيرا له بعنوان "تفسير البيان" و كتب مقدمة للتفسير تتآول فيها أسباب التنزيل، و ترتبط بدراسة القرآن و علومه. و قد قام آزاد بتفسير و تركمه أجزاء كثيره من "ترجمان القرآن" في سجن قلعة (احمد نكر) في الهند و لم يؤثر السجن على عزيمته.

صعوبات و عقبات في طريق "ترجمان القرآن":

ذكر آزاد في مقدمته الوافيه في "ترجمان القرآن" قصة ذات مغزى عن سبب ترجمته و تفسيره للقرآن و هذه القصه في الوقت نفسه تبين لنا مدى ما كان يتمتع به آزاد من ثقه الناس فيه و في آراءه عند المسلمين في الهند. و قد حدثت هذه القصة أثناء إقامته الجبرية في مدينة "رانشي" في إقليم بهار. يقول : "لقد حدثت هذه الواقعة في ديسمبر ١٩١٨م فبعد أن انتهيت من صلاة العشاء و خرجت من المسجد شعرت بأن أحد الأشخاص يتعقبني، فالتفت إليه فإذا برجل يقف ملثما بعباءته فقلت له : هل تريد شيئا مني؟ قال : نعم يا سيدي جئت إليك من مكان بعيد. من أين؟ من إقليم سرحد (في شمال الهند بالقرب من افغانستان). و متى وصلت هنا؟ اليوم وصلت في المساء، و أنا رجل فقير غادرت قندهار ماشيا حتى التقيت بجماعه من التجار متجهين إلى آجرا فعملت خادما لهم و اوصلوني إلى مدينة آجرا و جئت إليك من آجرا ماشيا. فقلت له و لكن أي

خـطـب جـعـلك تتحمل هذا؟ قال : لكى أفهم بعض المواضع في القرآن المجيد و قد قرأت ما تكتبه في "الهلال" و "البلاغ" حرفا حرفا".(٢٢)

يـقـول آزاد: "اقـام الـرجل عدة أيام ثم رحل فجاة دون وداع، لقد فكر اننى سوف أقـدم لـه بـعض مصاريف السفر فرحل ... انا لا اذكر اسمه الآن، و لا ادري هل مات الرجل أو لا يزال حيا و لو أننى أذكر اسمه لاهديت كتابي إليه".(٢٣)

بعد ذلك يتناول آزاد قصة "ترجمة القرآن و العقبات التي صادفته فيقول : "عـندما أعلنت علي صفحات البلاغ عن "ترجمان القرآن" و "تفسير البيان" عام ١٩١٦م لـم يـخطر على بالي أن يظل هذا العمل معلقا دون ان يكتمل لمدة خمسة عشر عاما و أن هذا التاخير سيكون سببا لتبرم الذين ينتظرونه و سببا في الامي. فـفـي ٣ مـارس ١٩١٦م قـبـل مـرور ثـلاثـة أشـهر على هذا الإعلان أصدرت حكومة الـبـنـغـال أمـرا عـسـكـريـا بطـردي من كـلـكـتـا و حظرت صدور "البلاغ" و كل الـمـطـبـوعـات و أغـلـقـت الـمـطبعة. و ذهبت إلى مدينة "رانشى" بولاية بيهار المجاورة لكى أستطيع متابعة أعمالي في كلكتا. و عندما فكرت في هذا العمل سـنـة ١٩١٥ وضـعـت أمـامـي ثـلاثة أشياء متصلة و مرتبطة بعضها ببعض هي : الـتـرجـمـة و التفسير و مدخل للتفسير و كنت أعلم أنه لكى يتم فهم القرآن لابد من كـتـابة هذه الكتب. فكانت الترجمة و وضع تفسير لبيان أهم نقاط الترجمة و أخـيـرا كـتاب علوم التفسير كمقدمة لأهل العلم و المتخصصين. و قد حاولت عـنـدمـا أبـعـدت عن كـلـكتا أن يستمر العمل في الترجمة و التفسير على الأقل. حـتـى صدر الأمـر بـفـتـح الـمـطـبعة في يونيو ١٩١٦م فقمت بترتيب المسودات لتسليمها للمطبعة.

و فـي ٨ يـولـيو ١٩١٦م صدر أمر باعتقالي فقضى على الأمل في نفسي و لم يـبـق أمـامـي سـوى الـتـاليف و لم يكن قانون السجن يمنع ذلك و شعرت و أنا في سـجـني بأننى في غاية السعادة حيث يمكنني أن اقضي عمري مع القرآن الكريم

و تـرجـمـتـه. و لكن للأسف لم يمض على نلك قرابة "ثلاثة" شهور حتى حرموني من الـسـعـادة الـتـي شعرت بها داخل السجن فقد تم تفتيش بيتى في كلتا و في رانـشـي و اسـتـولـوا على ما وجدوه من أوراق و مسودات و أرسلوها إلى الـحكومة الـمركزية في دهلي لفحصها و كنت قد بلغت بترجمة القرآن حتى الجزء الثامن، و فـي التفسير إلى سورة النساء فاسقط في يدي و فقدت الأمل في أن يعيدوا إلى ما اخنوه و تملكنى الاكتئاب.(٢٤)

ثـم واصلت الترجمة بعد أن سمحوا لي بنلك و بدات من حيث انتهيت على امـل ان يـردوا لـي مـا اخـذوه من الأجـزاء الـتـي أكملت ترجمتها و كانت ثمانية اجـزاء و اكملت ترجمة ما بقى من القرآن ١٩١٨م و أخنت أطالب الـحكومة برد ما أخـذت من الـتـرجمة و لكنى لم أجد سوى المماطلة فقررت إعادة الترجمة من جـديـد حـتـى تـرجـمـت الأجـزاء الـتي أخذتها الحكومة و اكتملت عندي ترجمة القرآن كله و صارت جاهزة للنشر.

و فـي ٢٧ ديـسـمـبـر ١٩١٩ أطـلـقـت الـحكومة سراحي و تم رفع الـحظر عن الـمـطبعة و توقفت عن الترجمة لظروف سياسية كانت تمر بها الهند حالت دون إتمام الترجمة. و في نهاية عام ١٩٢٧م واصلت العمل و بدات بسورة الفاتحة التي توقفت عندها طويلا فهي أم الكتاب، و انتهيت من ترجمة و ترتيب آخر سورة من القرآن في ٢٠ يوليو ١٩٣٠م.

وقـد جمع آزاد في مقدمة الترجمة بعض العوائق و الملاحظات التي خرج بها من تجربة ترجمة القرآن و هي على النحو التالي:

١ ـ الـقـرآن الـحـكيم في وضعه و أسلوبه و طريقة بيانه و خطابه و منهج استدلاله و في كل امر من أموره غير مقيد بمنهجنا الوضعي و لا يجب أن يكون

كـذلـك. بـل يـتـبـع في كل أموره طريقا فطريا تميز به الأنبياء الكرام عن طريق الـفـلـسـفـة الـوضـعـيـة، فـعندما نزل القرآن كانت عقول مخاطبيه الأولين غير مـصـاغـة فـي قـوالـب الـحضارة الوضعية و كان فهمهم بسيطا و فطريا فدخل الـقـرآن فـي قـلـوبهم و لم يجدوا صعوبة في فهمه، لكن ما أن ينتهى القرن الأول حـتـى بـدأت تـهـب ريـاح الـتـمـدن الرومي و الإيراني، ثم جاء عهد ترجمة العلوم الـيـونـانـية و الفنون الوضعية و زاد الإطلاع على العلوم الوضعية فبعدت العقول عن بـسـاطة القرآن و فطريته و من هنا نشأت مشكلات عديدة لأن قضايا القرآن رفـضـت أن تـتـشـكـل فـي هـذه القوالب الصناعية و من هنا لم يستطيعوا فهم محكم آياته و كلما حاولوا حلها ازدادت تعقيدا.(٢٥)

٢ ـ جـاء الذين دخلوا الإسلام حديثا بقصص و روايات انتشرت منذ أول يوم دخـولـهـم فـي الإسـلام و كـانـت بـهـا خـرافات و إسرائيليات عديدة و عندما أراد المفسرون استبعادها كانت الآثار الخفية لتلك العناصر قد انتشرت و تغلغلت في التفسير.

٣ ـ لـم يـهـتـم الـمـحققون بالتمييز بين ما روى عن الصحابة و بين ما روي عن الـتـابـعـين و نتيجة لذلك اعتبرو أقوال التابعين من أقوال السلف و الصحابة و كانت هذه آفة من الآفات التي أصابت علم التفسير.

٤ ـ مـما يؤسف له في هذه الظروف أنهم افتقدوا طرق الاستدلال القرآني إذ لا يـخـفـى عـلـى أحـد أن مـنـهج القرآن في إستدلاله هو المحور الذي يدور عليه أسـلـوبـه و هـدايـته و قصصه و أمثاله و حكمه و مواعظه و أهدافه فلما ابتعد الناس عن فهم هذا المنهج انقطع عنهم المنبع الذي يرتوون منه.

٥ ـ من الآفـات الـتـي أصـابـت عقول الناس في فهم القرآن هو ربط بعض الحقائق القرآنية بالبحوث العلمية و من هنا نجد أنهم حاولوا طبع معاني القرآن

بالطابع البطليموسي كما نرى في عصرنا الحديث من محاولات ربط التفسير بالجوانب العلمية الحديثة و الآيات التي تتحدث عن الكون و مظاهره.(٢٦)

منهج ازاد في ترجمة القرآن :

افرد آزاد المجلد الأولى من ترجمة القرآن المعروفة بـ "ترجمان القرآن" لترجمة سورة الفاتحة و تفسيرها و تناول جميع الجوانب الخاصة بفهمها و تفسير أياتها مع ذكر أهم التفاسير التي ذكرت في الماضي و الحاضر و تناول ترجمة سورة الفاتحة و تفسيرها طبقا للمناهج و الأساليب و المذاهب الفقهية المختلفة و قد قدم لترجمته بمقدمات وافية شرح فيها قصة هذه الترجمة و ما الدوافع و الأسباب التي حدت به لكى يتم هذا المشروع الضخم، و منهجه في ترجمة الآيات و أهم العقبات التي صادفته في الترجمة و أيسر السبل لتخطى هذه العقبات أو حلها بما يتفق مع منهجه في الترجمة و التفكير و كذلك ترتيب العناوين التي كتب تحتها خلاصة افكاره و نحن عندما نقرأ هذه المقدمة الوافيه نراه قد تأثر كثيرا بتفسير الإمام محمد عبده و محمد رشيد رضا و خاصه ما جاء في تفسير محمد رشيد رضا المعروف بتفسير المنار و ذكر آزاد في "ترجمان القرآن" نفس العناوين التي ذكرها رشيد رضا في تفسير المنار بل تأثر بكل ما جاء في تفسير محمد رشيد رضا في تفسيره لسورة الفاتحة.(٢٧)

و فيما يلي سوف أذكر بشيء من الاختصار منهج آزاد في الترجمة الذي سار عليه في "ترجمان القرآن" و الأسباب التي دعته لهذه الترجمة. يقول في المقدمه : "إن تعليم القرآن و فهمه بطريقة عصرية وفقا لمقتضيات العصر يعد الخطوه الاولى على طريق الإصلاح الديني إلاّ أن هذا الامر لم يكن متاحا حيث يلزم تحقيقه ما يلي":

١ ـ إبعاد المشكلات التي ظهرت في طريق فهم القرآن و تدبره و التي كانت سببا في عدم الوصول إلى جوهر القرآن و أسراره لأن الترجمات و التفاسير لن تكون كسبا و لن تلقى القبول و الرواج ما دامت هذه المشكلات باقية.

٢ ـ كان من الضروري إعداد كتاب في الأردية يكون في قراءته و تدريسه كافيا لفهم مقاصد القرآن و بيان جوهره و حقيقته، فلا يكون مسهبا أو ضخما يضيق عنه وقت القارئ و لا مختصرا يصعب عليه فهمه بسبب اختصاره و لكن تكون الترجمة التي لا تحتاج إلى أي شيء آخر لتوضيحها.

٣ ـ أن تكون هذه الترجمة من حيث نوعيتها معيارا في تدريس القرآن و سبر غوره.

٤ ـ من الواجب علينا لنشر القرآن في العالم أن ننقل معانيه إلى سائر اللغات و أن يوضع معيار أساسي للترجمة و لسوء الحظ لا يوجد أي كتاب في هذا الموضوع يمكن الاعتماد عليه.

٥ ـ إنه لمن المخجل حقا في هذا الموضوع أن الإنجيل ترجم إلى معظم لغات العالم المعروفة، و كذلك فإن آلاف الترجمات قد تمت في لغات غير معروفة، في حين أننا لم نستطع حتى اليوم ـ في عهد آزاد ـ نشر ترجمة للقرآن في لغات وطننا التي يتحدث بها ملايين الهنود، صحيح أنه قد تمت بعض الترجمات في الأردية و كذلك ترجمات إنجليزية قديمة و لا يمكنني أن أنكر ما بذل فيها من جهد و لكنها في نفس الوقت لا تفي بالغرض.(٢٨)

بعد ذلك يذكر آزاد أن هذه هي المحاولات الأولى لهذا العمل الضخم و هو ترجمة القرآن و أن هناك جهودا أخرى يجب أن تبذل لإنجاز هذا الهدف السامي في سبيل فهم القرآن و نشر تعاليمه و لن يتم ذلك إلّا بتحقيق هذه الشروط: ـ

١ ـ أن يتم نشر "ترجمان القرآن" بأعداد ضخمة و في مختلف الطبعات من حيث نوع الورق و حجم الطبعات حتى يتسنى لكل فرد أو جماعة الاستفادة منها فلا يخلو بيت مسلم منه.

٢ ـ الاهتمام بعلوم القرآن و ذلك بطريقة حديثة فيكون هناك بحث في لغة القرآن و أسلوب بيانه و أهدافه و طريقة استدلاله و قصصه و أمثاله و تاريخ نزوله و تدوينه وغيرها.

٣ ـ يجب ترتيب أبواب و عناوين تندرج تحتها الأهداف و الموضوعات القرآنية، كل قسم منفصل عن الآخر فيصبح كل اتجاه في القرآن محدداً و واضحاً (٢٩)

و لقد تم ترتيب "ترجمان القرآن" على وجه ميسر بحيث يسهل نشره كله مرة واحدة أو في أجزاء مع الاهتمام بترتيب الأبواب و الموضوعات و وضع عناوين لها كما يبدو في سورة الفاتحة.

٤ ـ يجب إعداد معجم خاص يكون مرجعا يتم الرجوع إليه في بحوث القرآن و في ألفاظه فعلى سبيل المثال يتم ترتيب ألفاظ القرآن ترتيبا واضحا جامعا يكون دليلا للآيات و الأسماء و الألفاظ (٣٠). كذلك يمكن أن نطبع بعض الخرائط التاريخية و الجغرافية التي تناولتها الإشارات في القرآن حتى يتسنى لنا تحديد الأماكن و الحوادث. و لقد شعر بعض المستشرقين في أوربا بأهمية هذا العمل و سبقونا إليه و لكن ما تم لا يطمئن إليه و غير كاف. و من ناحية أخرى تم طبع الإنجيل طبعات شعبية لم تصل أفضل طبعاتنا للقرآن الكريم إلى مستواها، فلم نستطع في الهند أو في العالم الإسلامي أن ننشر القرآن في طبعة عصرية و لا زلنا نعتقد أن أعظم خدماتنا للقرآن هي أن نقوم بطباعته في إطار مذهب و سطوره مرسومة بالألوان.

٥ ـ يجب ترجمة القرآن إلى لغات متعددة و طباعته باعداد كثيرة بحيث يصل إلى كل الناس على اختلاف لغاتهم و أن تقام إدارة أو هيئة تشرف على نشر القرآن و طباعته على نحو ما هو كائن في أوربا في "جمعيات الإنجيل"، كذلك ترجمة القرآن إلى الإنجليزية و الفرنسية أولا، و من ثم يسهل ترجمة القرآن إلى اللغات الاوروبية الأخرى، و إلى اللغات الشرقية الأردية و الفارسية و التركية و الباشتو لأن معظم المسلمين يتكلمون هذه اللغات. و بالمثل ينبغي طبعه باللغة الهندية. (٣١)

و قد حاول آزاد بنفسه أن ينفذ فكرة إنشاء إدارة خاصة بترجمة القرآن و نشره عام ١٩٢٧م كما صمم على ترجمة "ترجمان القرآن" إلى الإنجليزية و الهندية و لكن القدر لم يمهله لتحقيق ما كان يصبو إليه.

ترجمة سورة الفاتحة :

اهتم مولانا أبو الكلام آزاد اهتماما خاصا بترجمة و تفسير سورة الفاتحة "أم الكتاب" حيث أفرد لها مجلدا ضخما تناول فيه آزاد ما لم يسبقه إليه أحد من شبه القارة الهند و باكستانية، و لأهمية هذا المجلد ترجم إلى لغات عديدة منها ترجمتان بالإنجليزية، الأولى قام بها محمد اشفاق حسين و الثانية عبد اللطيف حبير آبادي و طبعتا في الهند. (٣٢)

و في تعليق آزاد الرائع على سورة الفاتحة " التى وصفها آزاد بأنها المقدمة الطبيعية لدراسة القرآن" أكد على فكرة "الربوبية" كجوهر للإسلام في مناشدته و صلاحيته العالميتين، فالربوبية مبدئيا تستلزم إدراك الله كرب للعالمين، و كلمة رب في اللغة العربية تتضمن فى معناها "المعز" و المطعم" و "المعيل" لكل خلقه، و نظام الربوبية يسمو على جميع انقسامات البشرية

و تشرنمها التي اعتمدت على اعتبارات مختلفه مثل : العقيدة و اللون و المنطقة و الدولة. فالرب إذن ليس إلها لشعب واحد و إنما هو إله لكافة الشعوب. كذلك اكد آزاد أن هناك ثلاث صفات للّه ذكرت في القرآن على نحو منكرر و هي "الرحمن الرحيم مالك يوم الدين". و قد أولى آزاد في سياق ترجمته لسورة الفاتحة اهتماما خاصا "بالعقل" كوسيلة لإدراك جميع الأمور سماوية كانت أو دنيوية و تفسيرها. و خلص إلى أنه عندما يرشدنا اللّه إلى الطريق الصحيح "اهدنا الصراط المستقيم" فإن هذا الطريق لا يختص بأى عرق أو أمة و إنما هو طريق يجتمع عليه ذوو العقول الراجحة بصرف النظر عن العرق الذي ينتمون إليه لنتأكد بذلك أن الإلتزام بالإنسانية الشاملة هو فى حقيقة الأمر جوهر رسالة القرآن الكريم.

أهمية سورة الفاتحة:

هي أول سورة في القرآن الكريم لذا سميت بـ "فاتحة الكتاب" و هذه السورة لها أهمية خاصة بين سور القرآن، لذلك أخذت مكانها فى الصفحة الأولى من القرآن الكريم و قد أشار القرآن ذاته إلى أهميتها في قوله تعالى : "و لقد آتيناك سبعاً من المثانى و القرآن الكريم".(٣٣)

فقد ثبت من الأحاديث و الآثار أن المقصود من المثانى السبع هي هذه السورة لأنها سبع آيات تتكرر قراءتها في الصلوات بشكل مستمر. و قد روى في الأحاديث و الآثار أسماء أخرى منها "أم الكتاب" و "الكافية و الكنز و أساس القرآن".

ففى اللغة العربية نطلق كلمة "أم" على الأشياء التى يكون فيها جامعية أو تكون مقدمة على غيرها أو ما يكون مكانة سامية كأن يطلق على الجزء

المتوسط من الراس "أم الراس" لأن الدماغ يتمركز فيه، و كذلك "مكة المكرمة" تسمى أم القرى لأنها مركزا لتجمع العرب في الحج فكان الهدف من تسميتها أم القرآن الإشارة إلى أنها سورة تجمعت فيها معاني القرآن أو أن لها مكانة بارزة بين سور القرآن. و هي "اساس القرآن" و "كافية" أى تكفى في كل شيء و "الكنز" لأنها كنز المعاني و قد وردت أحاديث تدل على أن هذه الصفات كانت معروفة في عصر النبي صلى اللّه عليه وسلم، ففي حديث نبوى: "أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم لقن أبي بن كعب هذه السورة و قال أنه لبست هناك سورة تعادلها" و في رواية أخرى ليست أعظم منها أو خيرا منها".(٣٤)

و الحقيقة أن آزاد قد تاثر في رأيه هذا برأى الإمام محمد عبده في تفسر سورة الفاتحة التي كتبها و نشرها تلميذه محمد رشيد رضا بمول : "و الفاتحة مشتملة على مجمل ما في القرآن و كل ما فيه تفصيل للاصول التي وضعت فيها". (٣٥)

ثم يؤكد آزاد على أن سورة الفاتحة هي خلاصة الدين الحق فيقول : "إذا تدبرنا معاني هذه السورة ظهر لنا أن بينها و بين باقي القرآن نسبة الاجمال و التفصيل، أى أن الأهداف و المقاصد التي تناولتها السور الأخرى احتوت عليها هذه السورة مجملة فإذا لم يستطع المرء أن يقرأ شيئا من القرآن و يحفظ معاني هذه السورة فقد عرف الأغراض الحقيقية للدين الحق و العبودية للّه. و هذا هو مجمل ما ذكر في القرآن مفصلا.

علاوة على هذا فلو نظرنا إلى طريقة الدعاء في هذه السورة و هو ركن هام في العبادات اليومية لظهر لنا خصائصها. إنها تصلح لأن تكون لائحة دينية و عصارة الإيمان بعبودية اللّه لذا أشار القرآن إلى قيمتها "سبعا من المثاني" أي

ان هـنـاك حـكـمـة تـكمن وراء تكرارها و قراءتها مرات و مرات، فلا يصعب على المرء مهما كان اميا ان يحفظ هذه الاسطر الأربعة و إدراك معانيها البسيطة، و من لا يـسـتـطـيع قراءة القرآن عبرها فقد استطاع أن يحصل على أساس الدين الحق، و لذا وجب على كل مسلم أن يتعلمها و كان الصحابة يطلقون عليها اسم "سورة الصلاة" أى أن الصلاة لا تكون صحيحة بدونها، فلماذا هي خلاصة الدين الحق؟

١ ـ تصور صفات اللّه عز وحل تصوراصحيحا.

٢ ـ تـحـتـوى على قانون الجزاء أى العمل الطيب يؤدى إلى الخير و العمل السيء إلى الشر.

٣ ـ الإيـمـان بـالـمـعاد أى أن حياة الإنسان لا تنتهى بالدنيا و أن هناك حياة بعد هذه الحياة ينال فيها الإنسان الجزاء.

٤ ـ هي طريق السعادة و الفلاح.(٣٦)

و هذا الراى هو ما قاله الإمام محمد عبده.(٣٧)

أسلوب بيان سوره الفاتحه :

انـظـروا كـيـف جـمـعت هذه السورة خلاصة الأمور كلها؟ فهي من ناحية تـحـتـوى على كلمات يمكن عدها، و من ناحية أخرى تحتوي على كلمات منتقاة و واضـحـة الـمـعـاني و مؤثره في القلب دون تعقيد أو إشكال، و لا تعقيد في أي ركن من أركـانـها، و لنتأملوا فى كل ما يرتبط بعبودية اللّه، و هل يمكن أن يكون هـنـاك كـلام أسـهـل مـمـا ذكـر فى هذه الاية؟ إنها سبع جمل قصار، و كل جملة لا تـزيـد عن أربـع أو خمس كلمات، لقد عرف اللّه سبحانه و تعالى بتلك الصفات

التي يشاهدها الإنسان ليلا و نهارا و لو انه لا يتامل و لا يفكر فيها بجهله ثم إقرار عبوديته و الاعتراف بعونه، فدعا إلى أن يوفق بالسير على الصراط المستقيم متجنبا زلات هذه الحياة فليس فيها أمر عجيب، بل امور بسيطة من تصوراتنا الدينية.

و من ميزات سورة الفاتحة أن هذه السورة زينت التصورات الوجدانية للنوع الإنساني بتعبيرات أظهرت كل عقيدة و كل فكرة في صورتها الحقيقية و هي دعاء بسيط من رجل يؤمن بعبوديته للّه إلاّ أن كل كلمة و كل أسلوب يوضح غاية من غايات الدين الحق و كلماته توافق مفاهيمها:-

١ - لقد أخطأ الإنسان خطأ فادحا في تصوره للّه تعالى فبنى هذا التصور على الخوف و الرهبة بدلا من الحب، فأزالت أول كلمة من السورة هذه الضلالة. فبدأت سورة الفاتحة بـ "الحمد" و الحمد هو الثناء الجميل اي مدخل الصفات الحسنة و الثناء الجميل لا يكون إلا لمن فيه الحسن و الجمال فلا يمكن أن يجتمع تصور الخوف و الفزع مع الحمد فالذي يكون محمودا لا يمكن أن يكون مخيفا. و بعد الحمد جاء ذكر "الربوبية" و "الرحمة" و العدالة و بهذا صورت الصفات الإلهية صورة كاملة تهب الإنسان كل ما تحتاج إليه الإنسانية في تطورها و ارتقائها و تحفظها من جميع الضلالات التي تعترض الإنسانية في هذا الطريق.

٢ - و في رب "العالمين" اعتراف بالربوبية الكاملة و العامة على كل فرد و كل جماعة و كل أمة و كل دولة و كل ركن من أركان الوجود، فهذا الاعتراف يمحو كل العصبيات الضيقة التي ظهرت في مختلف الأمم و الأجيال في العالم حيث كان كل أمة تظن أن اللّه قد خصها وحدها دون سائر الأمم بالبركة و السعادة.

٣ ـ و كلمة "الدين" في "مالك يوم الدين" تدل على الاعتراف بقانون الجزاء و تعبير الجزاء بكلمة الدين لتوضيح حقيقة و هي أن الجزاء نتيجة طبيعية للأعمال الإنسانية فليس من غضب اللّه و انتقامه أن يعذب عباده، لأن معنى الدين هو الجزاء و المكافاة.(٣٨)

٤ ـ أن وصف اللّه تعالى بانه "مالك يوم الدين" بعد وصفه بالربوبية و الرحمة اظهر حقيقة أخرى و هي أنه إذا كان لصفتى القهر و الجلال وجود في العالم مع الربوبية و الرحمة فليس ذلك لان اللّه تعالى له غضب و نقمة بل لانه عادل و من حكمته ان حدد لكل شيء خاصيته و نتيجته، و أن العدل ليس منافصا للرحمة بل هو عين الرحمة.

٥ ـ لم يقل في العبادة نعبدك بل قال : "إياك نعبد" أي قصر العبادة لذاته سبحانه و تعالى و الهدف من ذلك أننا لا نعبد غيرك. و في قوله "إياك نستعين" قصر الاستعانة عليه تعالى كذلك. و بهذا الأسلوب في البيان جمع أغراض التوحيد و قطع كل الطرق إلى الشرك.

٦ ـ بعد ذلك عبر سبحانه عن سبيل الفلاح و السعادة بقوله "الصراط المستقيم" أى الطريق السوى، و لا يمكن أن يكون هناك تعبير آخر أجمل من هذا التعبير لانه لا يمكن لاحد ان يكون له الخيرة بين الطريق السوى المستقيم و الطريق غير المستقيم و لا يختار الطريق الاول.

٧ ـ و قد دل ذلك على أن هناك علامة بسيطة يعرفها كل فرد و هي حقيقة مشهورة أى ذلك الطريق الذي هو طريق أولئك الذين أنعم اللّه عليهم، أيا كانت الامه أو الدوله أو الزمن أو الشخص فالإنسان على كل حال يرى أن للحياة طريقين في هذا العالم "طريق الذين نجحوا و طريق الذين فشلوا و أفضل دلالة

على هذا الأمر الظاهر أن يشار إليه بالبنان، فإن قبل شيء عنه أكثر من ذلك فقد جعل الأمر المعلوم مجهولا. (٣٩)

لذا اختير لهذه السورة أسلوب "الدعاء" لأنها إذا أنزلت على شكل التعليم و الأمر فقدت تأثيرها، فهذا الأسلوب الدعائي يوضح أن كل إنسان صادق يستطيع أن يخطو خطوات للأمام في عبودية اللّٰه تعالى عندما يريد و كأنها ثورة فكرية وجدانية لعبودية اللّٰه تنطلق من لسان صادق بلا شعور فتعد أن يقر أن اللّٰه وحده الذى يعبد، و طلب المدد منه يندفع تلقائيا نحو طلب الهداية منه.

نقد منهج أزاد فى ترجمة القرآن :

كان من الطبيعى في مجتمع مليء بالخرافات و الأفكار القديمه البالية مثل مجتمع المسلمين في الهند أن يثور على الأفكار الحديثة و الحريته التي طرحها آزاد فى بداية مشروعه الإصلاحي الذى بدأ بترجمة القرآن و هو فى ذلك شأنه كشأن من يتصدون للناس بأفكار جديدة تخالف معتقداتهم السائدة التى ترسخت فيهم على مر القرون و يعتقدون أنه لا يجوز مجرد التفكير فى هذه المعتقدات و إلا رموه بالكفر و الخروج على إجماع الملة لمجرد اختلافهم معه فى الرأى، و هذا أمر يحدث مع كل فكرة جديدة، حدث ذلك عندما فى مصر عندما قام الإمام محمد عبده و تلميذه محمد رشيد رضا بتفسير القرآن فعارضهما كثير من المسلمين و رموهم بالكفر و العياذ باللّٰه دون مجرد التفكير في مقارعة الحجة بالحجة و الرأى بالرأى.

و فى السطور التالية سوف أتعرض لأهم الآراء النقديه التي وجهت لآزاد عند ترجمته للقرآن و سوف اهتم بذكر الآراء النقديه على "سوره الفاتحه" و هى موضوع البحث.

كان مولانا محمد يوسف البنوري الديوبندي على رأس الذين نقدوا آزاد في كتابه "مشكلات القرآن" يقول "ترجمان القرآن، ترجمة أردية للقرآن و عليها فوائد وجيزة و مبسوطة لأبي الكلام آزاد، لابد أن أبين شأنها و ما فيها من مخالفة السنة و الجماعة و قد حثني على ذلك كلمة لبعض أهل العصر أشاعها في جريدة "الفتح" القاهرية و أثنى عليه بما لا يليق به و أغمض عما فيه من المثالب أو لم يدرها و لا يجوز لنا أن نخدع علماء مصر و نغرهم بالثناء الكاذب، على رجل من رجالات الهند و قد كتبت من قبل عن بعض هفواته في رسالتي "نفحة العنبر" طلبا لرضا الله، و لم أكن أدري أن الناس سيفتحون أفواههم و محابرهم للازدراء بي و الطعن علي و الرمي بالجمود و العصبية و البلادة".(٤٠)

و قد قال صاحب الكلمة المنشودة في جريدة الفتح : "و من التفاسير التي ألفت باللغة الهندوستانية (الأردية) تفسير الإمام أبي الكلام آزاد الذي لا يضاهيه تفسير في العالم الإسلامي غير تفسير الإمام الحجة المغفور له السيد رشيد رضا" (٤١)

يقول البنوري : "الحقيقة أن أبا الكلام أحمد الدهلوي رجل و قاد القريحة واسع الإطلاع صاحب بيان و بنان في الأوردية، و قد أعلن أنه يؤلف تفسيرا فاستشرفت إليه الأعناق و ارتقبه الناس ترقب الهيمان إلى الزلال العذب و النمير البارد، حتى طبع جزء، ثم جزء ثم ترجمة القرآن، و عليها فوائد مختصرة و مطولة سماها "ترجمان القرآن" و بسط القول في تفسير سورة الفاتحة فأخذته باشتياق و طالعت تفسير الفاتحة بأسره، و عدة مواضع من تفسير آيات محتملة، فانطفأت في قلبي لوعة الاشتياق بل تأسفت و وددت أن لم يطبع. فقد تشعبت به الأهواء، و أحسست أن إعجابه بنفسه و برأيه، أورده إلى الانخلاع من ربقة التقليد، و انتهى به إلى أمور حائدة عن الصراط المستقيم".

بعد هذه المقدمة الطويلة لنقد البنوري لـ "ترجمان القرآن" يتجه بنقده لسورة الفاتحة فيقول : "مما حقق ذلك الرجل (آزاد) في تفسير "اهدنا الصراط المستقيم" أن كل دين من الأديان في العالم سواء النصرانية أو اليهودية أو الصابئة، لو دان به الرجل في صورته التي أتى بها شارع ذلك الدين، كفى لنجاته يوم القيامة فإن أصل هذه الأديان كلها واحد، و هو الإيمان باللّه و العمل الصالح، و شارع كل دين أتى بالتوحيد و هدى إلى العمل الصالح و إنما الشرك و أعمال الشر نشأت من أتباع المذاهب من تحزبهم و تشيعهم، و هو يردد ذلك في تفسيره، و يدندن حوله بعبارات مختلفة".

"و هو يقول (آزاد) أن القرآن ينادي بأعلى نداء إلى ذلك، يزعم أن ذلك الذي فهمه، هو مغزى القرآن و غرضه، و يستدل لذلك بقوله تعالى .. "إن الذين آمنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين من آمن باللّه و اليوم الآخر و عمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون" و العمل الصالح ليس عنده الأحكام التكليفية و الشرائع، و ليس المدار عليها عنده و يقول : "إن تلك العبادات و تلك الشرائع رسوم و ظواهر و أنها صور و أجساد، و ليست هي حقيقة الدين و لا روحه".(٤٢)

فيما سبق استعرضنا لنقد الشيخ البنوري و كان من أكثر النقاد تحاملا على "أبو الكلام آزاد"، و في السطور التالية سوف نستعرض نقد الشيخ برهان الدين السنبهلي أستاذ التفسير الأسبق بدار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ و ينتمي إلى مدرسة فكرية أخرى فالشيخ البنوري ديوبندى يمثل الأصولية الإسلامية و هى مدرسة تقليدية تميل إلى التقليد بينما الشيخ السنبهلى ينتمي إلى مدرسة ندوة العلماء الفكرية و هي مدرسة توفيقية بين القديم النافع و الجديد الصالح.

يقول الشيخ برهان الدين السنبهلي في دراسة له بعنوان "دراسة موضوعية حول ترجمان القرآن لصاحبه فضيلة الشيخ أبي الكلام آزاد": -

"الشيخ محيي الدين أبو الكلام آزاد هو و إن كثرت فيه القيل و القال و النقاش و الجدال عن أفكاره و نظرياته، و بحوثه و تفرداته، بل و في مسقط رأسه و تعليمه و نشأته و سنه و نسبه إلا أن الذي لم يعد موضع جدل حتى لألد خصومه و منتقديه أن الشيخ آزاد كان قد وهبه الله من الذكاء المفرط و القدرة الفائقة و البراعة المدهشة على اللغة الأردية و تنوع المطالعة وسعة الدراسة ما يبلغ إلى العبقرية. و قد يطول قائمة العلوم و الفنون التي تذكر في نطاق محاسنه و مفاخره و مواهبه المطرية إلا أن الذي امتاز فيه بصفة خاصة هما أمران:

الأول تفسير القرآن الكريم، و الثاني هو مجال السياسة و هذه الدراسة محاولة موجزة لتسليط الضوء على ترجمته للقرآن الكريم و ذلك في ضوء ما كتبه قلمه الذي قلما أتى الزمان بمثله في روعة البيان و بلاغة الأسلوب النادرة.

و قد بين الشيخ آزاد ما أراده من تحقيق الغاية بتفسيره للقرآن الكريم و المنهج الذي انتهجه في عمله مشيرا إلى النقائص التي قلما تخلو عنها عامة كتب التفسير، فقال : "الغاية من تأليفه أن يظهر لفهم المعاني القرآنية و التدبر فيها كتاب يخلو من الإطناب الزائد الذي نجده في عامة كتب التفسير، و لكن يتوافر فيه كل ما يحتاج إليه القارئ لفهم القرآن فهما صحيحا كاملا... فكانت المحاولة الأولى أن يقدم ترجمة القرآن الكريم باللغة الأردية، الترجمة التي تشرح القرآن شرحا كاملا حيث لا يبقى احتياج إلى مزيد من الإيضاح، بالإضافة إلى الملحوظات التي تقع بين حين و آخر و التي تواصل سيرها مع المفاهيم و المطالب التي تتضمنها السورة". (٤٣)

إن الـجـزء الـذي خصه بتفسير أم الكتاب قد سماه بأم القرآن، و لا يجانبنا الصواب إذا قلنا أن هذا الجزء يقوم مقام تأليف مستقل على حدة، فهو لم يتناول فيه سورة الفاتحة بالتفسير فحسب، بل تناول جملة مباحث القرآن الكريم و ذلك لأن النسبة بين أم القرآن و محتوياتها و بين بقية سور القرآن الكريم و محتوياتها نسبة الإيجاز و الإطناب، أو الإجمال و التفصيل و نجد المؤلف (آزاد) في تفسيره لمختلف المواضع من هذا الجزء يتميز قلمه بروعة البيان أكثر مما نجدها في غيرها من المجلدات، و لا شك ، فإنه فتح فيه آفاقا واسعة للمعاني و المطالب و التحقيقات الحديثة الإلهية التي وردت فيها، كما أشار فيها إلى الأخطاء و الأباطيل التي وقعت فريستها الأمم المبهمة في شئون العقائد و الأفكار، و التي لم تعدم مخلفاتها في بعض الأوساط العلمية العالمية حتى الآن ـ بالإضافة إلى بيان الأسباب في ذلك، و يتلخص ما كتبه ـ كما أشار إليه كثير من المفسرين فيما سبق في أن الخطأ في معرفة الذات و الصفات الإلهية هي منبع الضلالات و أصل المتاهات.

و على كل حال، فإن هذا التفسير ـ بصرف النظر عما فيه من الزلات التي أشرت إليها، و بتعبير آخر: بما فيه من قلة الاهتمام و الاحتياط في التعابير ـ تأليف قيم له خصائصه و مميزاته التي لا يشاركه فيها غيره و قد مهد هذا التفسير سبلا واسعة للتفكر في القرآن الكريم و التدبر في معانيه خاصة في أجزائه التاريخية، و هذا ما اتبعه المفسرون الجدد الذين أتوا بعده ممن يتميزون بالتفكير الحديث و إن كان بعضهم قد نفى ما كتبه الشيخ آزاد في تفسيره بشيء من الزيادة و الحذف لما رأوا في نقله قلة للشأن أو عيبا يعاب به. (٤٤)

نتائج البحث :

في ضوء ما سبق عن ترجمة أبو الكلام آزاد لسورة الفاتحة في "ترجمان القرآن" يمكن لنا أن نحدد النتائج التي توصل إليها هذا البحث و هي: -

١ - كانت قضية ترجمة معاني القرآن إلى لغات الشعوب و الأمم الإسلامية بخاصة و إلى لغات العالم بعامة من القضايا الخلافية التي تناولتها أقلام العلماء في العالم الإسلامي في بداية هذا القرن بين رافض و موافق و متحفظ.

٢ - اجمع علماء الهند منذ قرنين من الزمان على ضرورة ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الاردية و اللغات المحلية الأخرى التي يتحدث بها المسلمون كالبنغالية و السندية و التامل و الغجراتية و الكشميرية وغيرها.

٣ - كان من عادة آزاد في ترجمة القرآن أن يقف عند أهم النقاط الخلافية في الآيات القرآنية و يعلق عليها تعليقا بطول أو يقصر حسب أهمية القضية المطروحة للبحث و عند ترجمة أى سورة يتحدث عن أهم أهدافها و معزاها على غرار ما فعله محمد رشيد رضا في تفسير المنار.

٤ - تأثر آزاد بآراء إبن تيمية و إبن القيم من القدماء و الإمام محمد عبده و سيد رشيد رضا من المحدثين.

٥ - كان يغلّب راى الصحابة على رأى التابعين في تفسيره لآيات القرآن.

٦ - يرى أنه لا ينبغي لنا أن نخضع القرآن للمصطلحات العلمية التي وفدت علينا من الترجمة عن اليونانية و الفارسية.

٧ - رفض آزاد الخرافات و الإسرائيليات في تفسير القرآن لأنها روايات مشكوك في صحتها

٨ ـ عدم فهم القرآن و تفسيره طبقا للمذاهب الفقهية و الصوفية و الكلامية.

٩ ـ يرى آزاد عدم ربط معاني القرآن بالإكتشافات العلمية الحديثة لأن هذه الإكتشافات بدورها يمكن نقضها باكتشافات أحدث منها.

١٠ ـ لقد كان آزاد سابقا لعصره و كل ما تنبأ به و طالب به تم على أرض الواقع فظهرت إدارات و هيئات عديدة في العالم الإسلامي أشرفت على طبع القرآن و نشره و ترجمته إلى جميع اللغات المعروفة و غير المعروفة فلم يترجم القرآن إلى لغات الشعوب و الجماعات الإسلامية مثل : الأردية ـ الفارسية ـ التركية ـ الباشتو ـ الكشميرية ـ السندية ـ الأزبكية ـ الأزريه ـ الكردية ـ الهوسا ـ السواحيلى وغيرها فحسب بل و إلى لغات العالم الحية و قد ظهرت هذه الهيئات مثل مجمع الملك فهد للقرآن الكريم بالرياض و مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف بمصر و اهتمام جامعة آل البيت بالأردن وغيرها من الجامعات الإسلامية بعقد الندوات و المؤتمرات على هذا الموضوع الهام الذي صار ملئ السمع و البصر و تحقق ما طالب به آزاد في الهند و في معظم البلاد الإسلاميه.

حواشي و تعليقات :

١ ـ ارجع إلى بحثي بعنوان: "جهود الهنود في الترجمات الأردية للقرآن الكريم" جامعة الأزهر القاهرة. مايو. ١٩٩٧: ١

٢ ـ قمر رئيس : ترجمة كا فن اور روايت (مذهبى تصنيفات اردو تراجم): تاج كمپنى هاوس. بار اول. دلهى. ١٩٧٦ : ٢٤٣

٣ ـ محمد شاكر: *القول الفصل في ترجمة القران الكريم إلى اللغات الأعجميه*. مطبعة النهضه. مصر. ١٩٢٥. ١٣ و ٢٠

٤ ـ محمد رشيد رضا: ترجمه القران و ما فيها من المفاسد و منافاه الإسلام. الطبعه الأولى. مطبعه المنار. القاهره. ١٩٢٦: ١٣

٥ ـ محمد مصطفى المراغي: بحث في ترجمه القران و أحكامها. مطبعة الرغائب. القاهره. ١٩٣٦ : ١٥ ـ ١٦،٣١ ـ ٣٢

٦ ـ أحمد ابراهيم مهنا ٠ دراسه حول ترجمه القران. مطبوعات الشعب. القاهره. ١٩٧٧

٧ ـ عبد الحي الحسني اللكنوي *نزهه الخواطر*. ج٦ طبعه دائره المعارف العثمانيه. حيدر اباد الهند ٤٧ و ٢٩٥

٨ ـ أبو الحسن الندوي . تاريخ دعوت و عزيمت. حصه ينجم. الطبعة الأولى. مجلس تحقيقات و نشريات إسلام لكناؤ ١٩٨٤ : ١٤٩

٩ ـ انظر بحثي بعنوان . "إشكاليات الترجمة الأردية للمصطلح البلاغي القرآني" المجلس الأعلى للثقافه القاهره. مارس ١٩٩٨ ٢٠

١ ـ محمد سالم قدوائي علوم اسلاميه اور هندوستاني علماء إداره علوم إسلاميه على كرهـ مسلم يونيورستي طبع أول على كرهـ ١٩٩١ ٣٥

هناك كتب عديده تناولت ترجمات القران منها. (١) محمد إكرام . موج كوثر، تاج كمبنى، دهلي ١٩٨٧ ـ (٢) سيده سيس حميد : إمام الهند أبو الكلام اراد. دهلي نهلا ادیشن . ١٩٩ (١٥ ـ ١٢٤) و هناك كتب عديده تناولت اراد و أعماله يمكن الرجوع إليها و منها : (١) صالحه عبد الحكيم قران حكيم اردو تراجم بومبي. ١٩٨٤ ـ (٢) خليق انجم . مولانا أبو الكلام اراد اردو اكادمي دلي اشاعت سوم ١٩٩٣

١١ـ انظر بحثي في هذا الموضوع بعنوان : "جهود الهنود في الترجمات الاردية للقرآن الكريم" و قد قمت به في جامعة جواهر لال نهرو في نيو دلهي بالهند و نشر في جامعة الأزهر. القاهر. مايو ١٩٩٧

١٢ـ عبد المنعم النمر : مولانا أبو الكلام آزاد. الطبعة الثانية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة ١٩٩٣ : ٦٠ ـ ٦٢

١٣ـ مجلة ثقافة الهند ـ سبتمبر ١٩٥٨ : ٢٠ و ما بعدها

١٤ـ المرجع السابق : ٢٤ و أيضا رشيد الدين خان : مولانا أبو الكلام آزاد. ترقى اردو بيورو. نيو دهلي. ١٩٨٩ : ١٤٣

١٥ـ عبد الحي الحسني : نزهة الخواطر في أعيان الهند و علمائها. مجلد٨. "ترجمة آزاد" و رشيد الدين خان: مولانا أبو الكلام آزاد : ١٤٤

١٦ـ صدر العدد الأول من المنار في ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ هـ ١٧ مارس ١٨٩٨م ـ

١٧ـ مجلة "ثقافة الهند" سبتمبر ١٩٥٨ : ٢٧

١٨ـ رشيد الدين خان : مولانا أبو الكلام آزاد : ١٤٥

١٩ـ عبد المنعم النمر : مولانا أبو الكلام آزاد : ٣٥

٢ـ هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني ولد في حران بسوريا سنة ٦٦١ هـ/١١٦٣م و قد توفي في سجنه بدمشق سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م

٢١ـ أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية و كان من تلاميذ ابن تيمية ولد سنة ٦٩١هـ/١٣٩١م و توفي بدمشق سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م

٢٢ـ أبو الكلام آزاد : "ترجمان القرآن". جلد أول، الطبعة الرابعة ساهتيه اكادمي. نئى دلهي. ١٩٨٩ : ٢١

٢٣ـ أبو الكلام أزاد : المرجع السابق. الإهداء ـ

٢٤ـ المرجع السابق : ١٧ ـ ٢١

٢٥ـ المرجع السابق . ٢٩ ـ ٣٤

٢٦ـ المرجع السابق : ٣٨ ـ ٤١

٢٧ـ محمد عبده : تفسير الفاتحة بمنبع رشيد رضا مطبعة المنار. مصر. ١٣٣٠هـ. ص: ١٩ ـ ٢٥

٢٨ـ أبو الكلام اراد : ترجمان القرآن : ٧ ـ ١٠

٢٩ـ ثم ما نادى به أبو الكلام آزاد في بدايات هذا القرن حيث كتب حون لانوم كتابه تفصيل آيات القرآن و ترجمه للعربية محمد فؤاد عبد الباقي.

٣ـ قام الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بتأليف كتاب "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

٣١ـ أبو الكلام أزاد : ترجمان القرآن : ١١ ـ ١٤

٣٢ـ ارجع إلى . عماد الحسن فاروقي : هندوستان مذن اسلامى علوم و ادبيات. مكتبه جامعه لمتيد دهلي بار ديسمبر ١٩٨٦ . ٥٧ ـ ٥٨ ـ

٣٣ـ و أخلاق حسين قاسمي ترجمان القرآن كا تحقيقي مطالعه. اردو اكادمى. دهلى ١٩٩٢ ٥

٣٤ـ أبو الكلام اراد ـترجمان القرآن المجلد الأول . ٣ ـ ٤

٣٥ـ محمد عبده تفسير الفاتحه . ص ١٩ ـ ٢٠

٣٦ـ أبو الكلام اراد "ترجمان القرآن" ص. ٥ ـ ٦

٣٧ـ محمد عبده المرجع السابق : ٢٥

٣٨ـ أبو الكلام اراد ترجمان القرآن . ١١

٣٩ ـ أبو الكلام آزاد: ترجمان القرآن : ١٢ ـ ١٣

٤٠ ـ محمد يوسف البنوري : مشكلات القرآن. الهند ١٩٥١ : ٣٣

٤١ ـ الفتح : عدد : ٥٦٢. القاهرة. ١٩٣٧م : ٣٠

٤٢ ـ البنوري : مشكلات القرآن : ٣٥

٤٣ ـ عبد المنعم النمر : مولانا أبو الكلام آزاد : ٣٠٠ ـ ٣٠٢

٤٤ـ المرجع السابق : ٣٠٢ ـ ٣٠٣

❖ ❖

تطور الفقه الإسلامي
في شبه القارة الهندية

بقلم: البروفيسور مشير الحق

بدأ المسلمون يزورون الهند منذ القرون الأولى الإسلامية فجاء التجار من جنوبها و دخلت من غربها تحت قيادة محمد بن قاسم و بعد مرور سنوات غلب شهاب الدين الغوري على دلهي في سنة ٥٩٥هـ (١١٩٨م) و تعد هذه السيطرة من قبل الملوك الغوريين نقطة تحول فى محرى التاريخ لشبه القارة و ذلك لأن مسلمي البلاد الاخرى أصبحوا يتفكرون بكل جديه فى جعل الهند وطنا لهم فسواء كان غورياً أم خلجياً، لودياً أم مغولياً اتخذ الجميع من الهند وطناً لهم و سكنوا هنا ظانين أن هذه بلادهم و هذه أرض يحيون فيها و يموتون و يصبح ابنهم كعضو للمجتمع الإسلامي الدولي لم يقطعوا رابطتهم مع العالم الإسلامي و لكن نجد هنا شواهد كثيرة لاثبات أنهم سعوا و جاهدوا في الحفاظ على مميزاتهم و اقناع غيرهم للاعتراف بها فى جميع المجالات و منها مجال هندسة البناء و الثقافة و التعليم و مجال الدعوة.

يبدأ عهد السلاطين فى الهند من غلبة شهاب الدين الغوري و من الواضح أن حكومة ما لا تدوم بلا قانون حتى و مدة قليلة و الحكومة الهندية للسلاطين كانت أو للملوك المغوليين مازالت تنفذ الشريعة الإسلامية الغراء كقانون رسمي

من ١١٩٨م إلى ١٨٥٧م عندما خلع الإنكليز الملك المسلم الأخير عن الحكم و ابعدوه عن المملكة و نتيجة لذلك لم يكن نفوذ الفقه الإسلامي مقتصرا على محاكم القضاة و شيوخ الإسلام و إنما كان موضع العناية و الاهتمام في المدارس و المعاهد الإسلامية أيضا.

و المسلمون الذين جاءوا من شمال الغرب، جاءوا من آسيا الوسطى حيث يسوده الفقه الحنفي و لذلك لم تزل كل حكومة مسلمة في الهند تعكف على هذا المذهب و كان القضاة يصدرون قراراتهم بالاستناد على الفقه الحنفي و يضعون أمامهم كتبه المتداولة و كان الطلبة يدرسونها في المدارس.

و لو أردنا إعداد فهرس للفقهاء في شبه القارة و الكتب التي ألفوها في الفقه و أصوله لما كفانا جلسة واحدة غبى أن البحوث التي ظهرت حول الموضوع تدل على أنّ القرون الثلاثة الاولى التي لم تقم فبها حكومة المسلمىن على قدم و ساق، شهدت نحو ثلاثمائة فقيه احتفظ الناريخ بأسمائهم أما الفترة التالية فشهدت الفقهاء بعدد لا يمكن حصره و احصاؤه. أما الكتب التي ألفوها ففي مقدمتها كتاب "فتاوى تاتارخانية" و صاحبه تاتار خان كان عالماً كبراً من بلاط الملك غياث الدبن تغلق (٧٢٠ هـ/١٣٢٠م) و قد جمع الشىخ عالم بن العلاء الدهلوي ـ و هو معاصر له ـ فتاواه في مجلدين باسم "فتاوى تاتار خانية" لم يزل مخطوطا و لكن طبع الآن و هو كتاب بقى لمدة طويلة دليلاً لموظفى الحكومة و بصرف النظر عن الكتب الانفرادية نجد "فتاوى عالمغيرية" أو "فتاوى هندية" أهم المجموعات التي أعدت في طل عناية الحكومه فقد أعدت هذه المجموعة في عهد الملك أورنغ زيب عالمغير (١٠٦٨ هـ/١٦٥٧م) من قبل العلماء الذين عينهم الملك لهذا الأمر و هذا هو العصر الذي غلب المسلمون على جميع بلاد الهند و أقاموا محاكم القضاء في كل مدينة و مديرية و هذه

المجموعة التي اعدت بامر من الملك أورنغ زيب لتسهيل مهمة القضاء كانت و لاتزال تحتل مكانة مرموقة مميزة في الادب الفقهي للهند.

و جدير بالذكر ان "فتاوى تاتار خانية" و "فتاوى عالمغبرية" مجموعتان من الادب الفقهي يرجع الفضل في إعدادهما إلى الحكومة أما الكتب الفقهية التي جاء بها اصحابها على رغبة منهم فنقول فيها أنه لم يمض حتى قرن واحد في تاريخ الهند الإسلامي إلا و ظهر عمل حول أي موضوع من الفقه الإسلامي و مما لا ينسى في هذا الباب أن العديد من الملوك في عصر المملكة الإسلامية لم يكونوا ارباب قلم و لكنهم خدموا و عظموا العلماء و الفقهاء تعظيما دفع بهم لاهداء كتبهم باسم أولئك الملوك و شعروا في ذلك بفرح و سعادة و نذكر بهذا الصدد كتابا أهدى إلى فيروز شاه تغلق معنوناً بـ"فوائد فيروز شاهية" رتب فيه الملا محمد و هو عالم من بلاطه، فتاوى الفقه الحنفي باللغه الفارسية و كتاب مهم آخر من هذا النوع و هو كتاب "فتاوى إبراهيم شاهية" رتبه العالم الشهير القاضي شهاب الدين نظام الدين الكيكلاني (ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م) و أهداه إلى إبراهيم الشرقي ملك جونفور فالجزء الأول من هذا الكتاب الذي يشتمل على العبادات هو باللغة الفارسية و الجزء الأخير بالعربية و هو يحوي أحكاماً فقهية من المعاملات و قد ذكر الحاج خليفة في كتابه "كشف الظنون" هذا الكتاب يساوي كتاب "فتاوى قاضي خان" و رتبه المؤلف المرحوم استناداً على ١٦٠ كتاباً و لكن لم يطبع إلى الآن أي جزء منه.

و في نفس هذا العصر تقريباً ظهر كتاب "فتاوى حمادية" في غجرات ألفه أبو الفتح ركن الدين الناغوري، و شرفته الحكومة بمنصب الافتاء فرتب إمتثالاً لامر القاضي حماد الدين بن محمد أكرم كبير قضاة المنطقة، مجموعة للفتاوى في مجلدين و استعان فيه بولده المفتي محمد داؤد و أهداه إلى القاضي

حماد الدين باسم "الفتاوى الحمادية" و أخذ كلاهما في ترتيبه من ٢١٦ كتابا في التفسير و الحديث و الفقه و أصول الفقه مع ذكر أسمائها في مقدمته و هذا الكتاب يشتمل على المسائل الفقهية التي أجمع عليها جمهور الفقهاء و تصح على ميزان العقل و الدراية. و هو مثل فتاوى إبراهيم شاهية يحتوى على الأمور الخاصة بالمعاملات و العبادات.

هذه المجموعات تنتمى إلى ذلك العصر الذي كانت تنفذ فيه الشريعة الإسلامية في المحاكم و لذلك فقد جمع القضاة آراء الفقهاء المشهورين أو كلفوا بذلك آخرين لكى تكون مرجعا لهم في القضاء ثم جاء عصر راج فيه الفقه في المدارس أيضا إلى جانب المحاكم و كانت تلك المدارس مراكز لتدريب القضاة و لكن الكتب التي ألفت في المدارس تلبى احتياج الطلبة فقط فكانت إما شروحاً للكتب المتداولة أو حواشي عليها و هذا النوع من الشروح و الحواشي يطول فهرسه و نذكر على سبيل المثال كتابين شهيرين في الفقه "الهداية" و "شرح الوقاية" فقد كتب نحو ١٥ عالماً هندياً حواشي على "الهداية" و أما "شرح الوقاية" فكتب نحو ١٨ عالماً هندياً تعليقات عليه ـ و بالاضافة إلى مجموعات تفوق الحصر حول موضوعات خاصة برؤية الهلال و أصول السماع و حرمة الغناء و المزامير و صلوة الجمعة و الحل و الحرم من البهائم و المهر وغيرها من المسائل (انظر للتفصيل "الثقافة الإسلامية في الهند" للشيخ عبد الحئ الحسني ترجمه إلى الأردوية الشيخ أبو العرفان الندوي).

و أقدم كتاب في أصول الفقه في الهند "شرح البزودي" رتبه العالم الشهير ملك العلماء القاضي شهاب الدين الجونفوري (ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م) في القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر المسيحي) و قد شرحه غيره من العلماء

كامثال الشيخ إله داد الجونفوري (ت ٩٢٣ هـ/١٥١٧م) و الشيخ سعد الدين الخيرابادي و الشيخ وجيه الدين العلوي الغجراتي.

و في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) كتب الملاّ محب الله البهاري اشهر علماء الهند (ت ١٦٣٦م) كتاباً دراسياً في أصول الفقه سمّاه "مسلم الثبوت" و هو اصعب الكتب في موضوعه فشرحه كثير من العلماء، و قد ذكر الشيخ عبد الحئ ثمانية شروح يعود فضل التقدم فيها إلى الملا نظام الدين الفرنخي محلي، فكتب شرحين كل واحد منهما يسمى "شرح مسلم الثبوت" أحدهما طويل و الآخر أطول منه و هذا لا يوجد له نسخة و أما الشرح الطويل فيوجد له نسخ عديدة في مختلف المكتبات الهندية و الشرح الاخير لهذا الكتاب الذي ظهر بعد موته بمائتي عام هو ما كتبه الشيخ عبد الحئ الخيرابادي بن الشيخ فضل حق الخيرابادى، و مما يدل على أهمية أنه مازال جزءاً للمنهج الدراسي الذي يعرف بالدرس النظامي.

و قد كتب نحو ٩ علماء من الهند شروح كتاب "المنار" للشيخ أبو البركات حافظ الدين النسفي (من علماء القرن التاسع الهجري/الخامس عشر المسيحي) فكتب الشيخ أحمد الاميتهوي المعروف بالملا جيون (ت ١١٣٠ هـ) شرحاً له سمّاه "نور الانوار" لم يزل رائجاً في المدارس و له شروح أخرى كتبها الملا نظام الدين تحت عنوان "الصبح الصادق" و الملا العلامة بن الهمام تحت عنوان "تحرير الأصول" و كان الشاه ولي الله الدهلوي عالماً له مؤلفات كثيرة في كل المجالات و منها التفسير و الحديث و الفقه و الكلام، و كتب كتاباً قيماً على موضوع الإجتهاد و التقليد يسمى "عقد الجيد في أحكام الإجتهاد و التقليد" و لو اننا نجد أسماء ٣٧ كتاباً على هذا الموضوع في الكتاب المذكور أعلاه للشيخ عبد الحئ الحسنى و لكن لا يستغنى كل من يعني بأصول الإجتهاد

عن هذا الكتاب القيم للشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى. و معلوم أن الكتب التي تؤلف في علم الفرائض لا يطالع من قبل عامة الناس فهذا علم صعب يتطلب معرفة بالحساب و لابد فيه من الاطلاع على الشريعة الإسلامية الغراء فالعامة لا تحتاج إلى دراسة الكتب في علم الفرائض و لكن مع ذلك قد خلف العلماء الهنود ذخيرة لا بأس بها في هذا العلم فالكتب التي أعدت على هذا الموضوع بالعربية كانت أو بالفارسية و الأردوية، منظومة كانت أو منثورة يبلغ عددها ـ على حد فهرس الشيخ الحسني ـ تسعة و ثلاثين كتاباً.

(٢)

و الآن نستعرض الأعمال الفقهية للمسلمين و التي تنتمي إلى القرن التاسع عشر الميلادى و هو القرن الذي لفظت فيه الحكومة الإسلامية نفسها الأخيرة فنجد هناك أمراً عجيباً. هذا هو العصر الذي قضى فيه على الشريعة الإسلامية في المحاكم الهندية و لكن مع ذلك ظلت بيوت المسلمين تتمسك بالفقه الإسلامي و الشريعة الغراء و بينما شهد العصر الإسلامي قيام أقسام حكومية للهداية الشرعية تولى هذه المسئولية في العصر الانجليزي علماءنا الأفاضل على الانفراد فالآن جعل الناس يطرقون على أبواب العلماء بدلاً من أبواب الحكومة و يراجعون عالماً شهيراً و يستفتونه فكان يجيب عليهم على ضوء الفقه المتداول و اهتم البعض بجمع مثل هذه الفتاوى ثم عم ذلك و قام كل عالم شهير بجمع الفتاوى و لعل أول مجموعة في هذا الباب هي مجموعة "الفتاوى العزيزية" للشاه عبد العزيز و طبعت أولاً باللغة الفارسية في مجلدين سنة ١٣١١هـ و ١٣١٤هـ (١٨٩٧م ـ ١٨٩٦م) و قد طبعت مجموعة فتاوى الشيخ عبد الحي الفرنغي محلي في آخر القرن التاسع عشر الميلادي تحت عنوان "مجموعة الفتاوى" في ثلاثة مجلدات و صدرت مجموعات عديدة من هذا النوع

في القرن العشرين الميلادي و منها على سبيل المثال "الفتاوى النذيرية" للشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي و "الفتاوى الرشيدية" للشيخ رشيد الدين أحمد الغنغوهي و "الفتاوى الإمدادية" للشيخ أشرف على التهانوى و في عصرنا هذا الفتاوى الرحيميه للسيد عبد الرحيم اللاجفورى و الجدير بالذكر في هذا الباب مجموعة فتاوى ديوبند التي طبعت في مجلدات عديدة و هي مجموعة لفتاوى العلماء البارزين.

و علاوة على مجموعات الفتاوى قد ألفت باللغة الأردية كتب قيمة حول العديد من الموضوعات الفقهية و ترجمت كتب قديمة مهمة فمثلاً ترجم أمير علي إلى الأرديه "فتاوى عالمعيرية" و "الهداية" و ترجم الشيخ وحيد الزمان الكناوى "شرح الوقاية" و طبعه باسم "نور الهداية" في أربعة مجلدات و قام الشيخ خرم علي بترجمه "در المختار" باسم "غاية الأوطار" و ترجم الشيخ محمد أحسن الصديقي النانوتوي "عقد الجيد "باسم "سلك مرواريد" و ترجم الشيخ عبد العزيز "القدوري" باسم "الضرورى" و قام عبد الرحمن حسام الدين بترجمه "منيه المصلى" باسم "صلاه الرحمن" و بالجملة فلم يبق كتاب مهم للفقه إلا و ترجم إلى الأرديه فعلاقة مسلمى الهند رغم انقطاعها عن العربية و الفارسيه لم تنقطع عن الأدب الفقهى الإسلامي.

و عند استعراض الأدب الفقهى باللغة الأردوية لا يمكننا الاستغناء من ذكر كتاب "بهشتى زيور" (حليه الجنه) لصاحبه الشيخ أشرف علي التهانوى و الحقيقه أن الشيخ التهانوى قد ذكر المسائل بكل إيجاز و اقتضاب كأنه قدم مثالاً رائعاً لـ "كلام قلّ و دلّ و لم يمل" فإنك ستجد فيه حلاً موجزاً لكل مسئلة من الولاده إلى الوفاه على ضوء الفقه الحنفى و أيضاً قد بوّبها بدقة و ضبط و بكميه أهميه أن المسلمين كانوا يعطونه ضمن جهاز بناتهم.

و أخذاً بالاعتبار نفسية الطلاب الصغار رتب المفتي كفاية الله المرحوم المسائل الشرعية الضرورية في أسلوب المحادثة و سمى تلك المجموعة بتعليم الإسلام و حذا حذوه الشيخ مجيب الله الندوي في كتابه "الفقه الإسلامي".

و في نفس القرن قد ألف العلماء بالاردية كتبا على الموضوعات الفقهية أو ترجموا كتبا أخرى إلى لغتهم فكتب الشيخ حبيب الرحمن خان الشيرواني رسالة حول الأهمية التاريخية للفقه الإسلامي و ترجم الشيخ سلامه علي خان "كتاب الإختيار" إلى الأردية و نشره بإسم :إسلامي قانون فوجدارى" و ترجم الشيخ عبد السلام الندوي "القضاء في الإسلام" إلى الاردية و طبعه بإسم "طريقهء شهادة اور فصل مقدمات كى إسلامى اصول و قوانين كى تشريح" و لما صار "قانون الأحوال الشخصية للمسلمين" موضع نقاش في بدء القرن العشرين و لا سيما حق النسوة في خلع قام الشيخ أشرف علي التهانوي بإعداد "كتاب الحيلة الناجزة" الذي جاء دليلاً لمشرّعي ذلك العصر.

هذا و لا يمكن أن نستعرض في هذا المقال الوجيز خدمات المسلمين الهنود و أعمالهم بالجملة في مجال الفقه الإسلامي و لكن نظرة عابرة تؤدي بنا إلى الاستنتاج بانه لم يمض أي عصر في شبه القارة الهندية بعد قدوم المسلمين إليها إلاّ و قد اعتنوا بالفقه و أصوله عناية لائقة. فتم ترتيب مجموعات الفتاوى أولاً تحت إشراف الحكومة ثم جاء عصر الكتب الدراسية و الشروح و الحواشي و في الأخير حينما سقطت الحكومة تولى العلماء و المدارس هذه المسئولية و تركوا آثاراً في المجال الفقهي ما لا نتردد في المقارنة بينه و بين الأدب الفقهي للعالم الإسلامي.

تعريب : ابن لئيق الاعظمي

❖❖

مساهمة العلماء في شمال الهند
في النثر العربي خلال القرن العشرين

بقلم : اشفاق أحمد*

يتميز القرن العشرون عن غيرها من القرون فيما يتعلق بنشاط التأليف باللغة العربية في شمال الهند و أسفر هذا النشاط عن صدور الكتب بعدد لا بأس به، أما العوامل التي تكمن وراء هذا النشاط فمنها إنشاء المدارس الدينية في طول البلاد و عرضها بعدد لا يمكن حصرها بسهولة، و إنتشار المطابع في أكثر المدن الهندية، و صدور دوريات و مجلات عربية من بعض الأمصار الهندية. و هذه الأسباب كلها قد تمخضت عن كثرة الكتب العربية التي هي من انتاج الكتاب الهنود. و بما أن عدد هذه الانتاجات الأدبية و العلمية يربو على عدة مئات، فلا يسع هذا المكان حتى لمجرد ذكر أسمائها و عناوينها. و لذا نقتصر هنا على استعراض تلك الكتب العربية التي ألفت حول الموضوعات المختلفة و تتمتع بقدر كبير من القبول و الشهرة في الهند و خارجها.

الأدب و النقد:

١ ـ تاريخ الأدب العربي: يقع هذا الكتاب في جزئين. و قد قام بتأليف الجزء الأول الأستاذ واضح رشيد الندوى و هو يلقي الضوء على تاريخ اللغة العربية و آدابها

---

* الباحث في مركز الدراسات العربية و الافريقية، جامعة جواهرلال نهرو نيو دلهي

في عهد ما قبل الإسلام، و أضاف إليه بعض الموضوعات الخاصة بالعصر الجاهلي مثل رواية الشعر و الكتابة و يشتمل هذا الجزء على ثلاثة أبواب.

أما الجزء الثاني للكتاب فألفه الأستاذ محمد الرابع الندوي. و هو يشتمل على ستة أبواب. و تحدث الأستاذ الندوي في كتابه عن أصول الأدب الإسلامي و تأثيره على حياة العرب، و الأدب المأثور و أدب القرآن و أسلوبه، كما تحدث عن المراحل الهامة للأدب العربي في عهد بني أمية، و للدلالة على متانة أسلوب الأستاذ واضح الندوي ننقل الكلمات التالية نكلم فيها عن نطور اللغة العربية و نشأتها البدائية :

"اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية الباقية التي نشأت في أقدم موطن للساميين، و هو الحجاز و النجد و ما إليها، و هي أقدم اللغات الحية التي تحتفظ بخصائصها الأولى... و أقدم ما وصل إلينا منها، و هو الأدب الجاهلي الذى يمثل عنفوان اللغة و اكتمالها، و لابد من أنها تكون كلغات أخرى مرت بمراحل التطور، و يرى بعض المحققين أن اللغة العربية الفصحى هي اللغة التي كان يتكلم بها الساميون قبل انتقالهم إلى مناطق اخرى، و هي اللغة الفصحى للساميين، أما البابلية و الكنعانية و الآرامية فهي لهجات"(١)

٢ ـ نفحة العرب : و قد تنفس بهذه النفحة ـ الشيخ محمد اعجاز علي القاسمي (م ١٩٥٤م). و هي في الحقيقة القطعات الأدبية المنتقاة من الأدب العربي، جمع فيها الشيخ القاسمي خير نماذج للأدب العربي من العصور الأدبية المختلفة، و لم تزل هذه المجموعة تعتبر فريدة من نوعها في شبه القارة الهندية حتى منتصف القرن العشرين. و يدل الاقتباس التالي من مقدمته على هذه المجموعة المختارة على أغراضه السامية لجمعها، و أسلوبه الرائع.

و هو يقول:

"أما بعد: فلقد رأيت طباع المستفيدين مائلة إلى رسالة تهذيب الاخلاق، كان قلوبهم قلوب اولي الاملاك و السنة، الطاعنين في علم الأدب، متفوهة بأن علم الأدب علم يفسد العقول و يفتك بالألباب مستدلين بقول الملك الضليل:

فمثلك حبلى قد طرقت و مرضع

و بقول المتنبي :

ما أنصف القوم ضبة، و عبر نلك،

و هؤلاء الشرذمة القليلة ضفادع حياض لم ترد الماء الواصل إلّا إلى الكعب، فلوم الخفاش لا يضر الشمس، و عواء الكلب لا يظلم البدر، و لما كان سهر الليالي فيما جبل عليه عطش العلوم و حيارى ميادين الكمال، سهرت لياليا لا أنوم فيها لاحذو حذوهم و أحشر يوم لا ظل فيه إلّا ظل قادر جبار، و اقتبست من كتب المتقدمين نوادر، و أردت أن أعرضها على إخواني من طلبة العلم، و ما قصدت بهذه الأوراق إلا تطهير الأخلاق، و لم أرد بهذه الحكايات و الأمثال إلا تحصيل الفضائل، فان الصبيان ألواح قلوبهم أشد قبولا لما نقش عليها، و إني مع إعترافي بقصور العلم و ضيق الباع اجتهدت كل الاجتهاد في تحلية البيان و تحليه التبيان، فها هي فرائد حفرت اليواقيت و اللآلي، و لن تجد مثلها على مر الأيام و الليالي". (٢)

٣ ـ أدب الصحوه الإسلامية · هذا الكتاب قام بتأليفه الأستاذ واضح رشيد الندوي. و هو في الحقيقه بحث رائع عن الأدب الذي تمخض عنه الصحوة الإسلاميه، و قد طرح الأستاذ الندوي هذا البحث على الندوة العالمية حول الأدب

الإسلامي، المنعقد في دار العلوم ندوة العلماء في عام ١٤٠١هـ. و فيما يتعلق بأسلوب هذا البحث فهو مفعم بالقوة و الحيوية و المتانة.(٣)

٤ ـ الأدب العربي بين عرض و نقد : ألف الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي هذا الكتاب للتعبير عن آرائه حول الأدب و أصوله، و حول النقد و مبادئه، و قام بتقديم النماذج و بحث عن قيمتها الأدبية. و ناقش المراحل المختلفة للأدب العربي في العصور المختلفة. و تبرز أهمية هذا الكتاب بما كتبه الأستاذ أحمد الجندي عن الكتاب في مجلة "مجمع اللغة العربية بدمشق"، يوليو ١٩٦٧م:

"هذا الكتاب مجموعة من دروس ألقاها المؤلف على تلامذته في دار العلوم لكناؤ في الهند. و قد تناول فيها شرح اختلاف الأساليب الأدبية العربية في مختلف أدوار التاريخ العربي، كما تناول التعريف بأصحاب هذه الأساليب مع بيان القيمة الأدبية لكل أسلوب، و قد سجل المؤلف هذه الدروس ثم أعمل فيها التهذيب و التنقيح، و أضاف إليها نصوصا أدبية من النثر.... و قيمة هذا الكتاب العلمية، على اختصاره، أنه أول كتاب "يوضع لشباب لم يعرفوا من الأدب العربي إلّا مجموعات و مختارات من النثر و الشعر. و معلومات بسيطة بدائية عن تاريخ الأدب العربي" على حد قول مقدم الكتاب الأستاذ العالم الجليل أبي الحسن علي الحسني الندوي .... و إن هذا الكتاب على صغره يعتبر خدمة جليلة لطلاب الأدب في بلد غير عربي، و خلاصة مفيدة لأدبنا، و هو يستحق لهذا كل تقدير و إعجاب".

و أما فيما يتعلق بأسلوب الكتاب فهو، بلا شك، أسلوب عصري رائع، يقول الأستاذ الرابع فى مقدمة كتابه:" و ليس هذا الكتاب في كل ما هذه الكلمة من معنى بل إنه كعجالة جامعة في فن الأدب العربي. سعيت فيها أن أجمع ما

لا غـنـى عن مـعرفته لطالب الادب العربي بصورة مختصرة، غير أني بذلت سعي أن تكون هذه العجالة أكثر جمعا و استيعابا لاهم ما تجب معرفته عن فن الأدب الـعـربي فـي مـخـتـلـف ادواره، مـع بيان الـخصائص الفنية لرجاله و نصوصهم الادبـيـة، و كـان ذلـك يـقـتضي مني أن لا احاول مراعاة كبيرة بمتطلبات المنهج الـتـاريـخـي فـي بيان الادب و الأدباء، فقد كان مجال البحث في هذا الكتاب غير متسع لمراعاة المنهج التاريخي للأدب مراعاة كبيرة".(٤)

٥ ـ نـفـحـات : هـي مـجـمـوعـة مـا كـتـبه المفتي محمد شفيع القاسمي (م ١٩٨٦م) نـثـرا و نـظـما. و قد بحث الأستاذ القاسمي في هذا الكتاب من حيث المجموع، عن فضل اللغة العربية و منزلتها الدينية، كما حاول أن يثبت أن اللغة العربية إنما هي أغنى لغات العالم و أجودها، و تجدر الإشارة هنا أنه خالف بشدة اللهجات العامية التي كانت منتشرة و رائجة في عصره في العالم العربي.

يـقـول الأستاذ المفتي موجها قوله إلى أهل العرب في مسألـــة العروبـــة و العرب:

"فـالـمـلـتـمس من ساداتنا أهل العروبة و العربية، أنكم الأساتذة في هذه اللـغـة، و مـنـكـم من تـعـلـم، فاقدروا قدر هذه النعمة الجسيمة و نظفوها من دسائس أعداء الإسلام المستشرقين، و جنبوها من اللغة العامية التي هي ذريعة لـتـحـريـف الـلـغـة الـعـربـيـة الفصيحة، و حرمان الأمة العربية من لغة القرآن و أحـاديث الرسول صلى الله عليه وسلم و فهم معانيها. و ما كان لمثلي أن يتكلم بـهـذه الـكـلـمة، و لكن لما رأيت ضرر اللغة العامية أشد و أعظم و لا يزال يزداد و يـشـتـد، و رأيـت عامة العرب لا يكترثون لها ألقي في روعي أن ألقي إليهم هذه الكلمات نصحا لهم و للإسلام و للمسلمين".(٥)

٦ ـ جمهرة البلاغة : ألف هذا الكتاب الشيخ عبد الحميد الفراهي (م ١٩٣٠م) و الكتاب في الحقيقة إضافة جديدة إلى أصول البلاغة و النقد، و لا يوجد بوجه عام مثيله في شبه القارة الهندية، يدل على براعة المؤلف في الاستفادة من أمهات الكتب العربية المتضمنة في الموضوعين المذكورين، و سلك الأستاذ الفراهي مسلكا جديدا في نقد الأدب و بلاغته. و ألفه بأسلوب يتسم بالفصاحة و البلاغة و الإيجاز، كما هو واضح من عبارته التالية التي يتحدث فيها عن "قصد السبيل إلى البلاغة":

"قد سبق في أول الكلام أن الإنسان في فطرته ناطق، فإن النطق هو الفصل المقوم له لا المحاكاة كما زعم أرسطو. فإن الإنسان ليس من خلاله المحاكاة كما يرى بادي الرأي، فإنه لا يحاكي أحدا غير الإنسان، فلو كان من طبعه المحاكاة لحاكى كل من مرّ عليه. و أما أتباع والديه و كبراء بيته فساير الحيوانات مثله. و حقيقة الأمر أن الطفل له بالقوة خصائل الإنسان و رؤية الفعل تبعث فيه القوة فتخرج كما أن رؤيه الضحك تضحك، و رؤية البكاء تبكي، و رؤية الطعام تبعث الميل إليه، و بعبارة أخرى، أن النطق مودع في فطرته، و كل قوة تلمتس الوسيلة للعمل، الا ترى أن القوة تلهم استعمالها".(٦)

٧ ـ البيان في إعجاز القرآن: صنف هذا الكتاب الشيخ محمد بن محمد الخطابي (م ٣٨٨ هـ) و قد تناول فيه الموضوع المتضمن للنواحي الأدبية للقرآن. و أبرز بطريق مقنع السمات الأدبية للأيات الربانية. و نظرا إلى قيمة الكتاب الأدبية و العلمية قام الدكتور عبد العليم بتحقيقه و تهذيبه، و بذل الدكتور في هذا العمل جهودا مشكورة. و قد طبع هذا الكتاب في عام ١٩٥٣م.

٨ ـ كتاب مجالس الميمني : و الكتاب لصاحبه الأديب البارع الشيخ عبد العزيز الميمني (م١٩٧٨م) و هذا التأليف في الحقيقة مجموعة محاضرات

القاها الأستاذ الميمني في موضوع اللغة العربية و الأدب العربي. و قد قام الدكتور مختار الدين احمد، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليجره الإسلامية سابقا، بشرح هذا الكتاب و بتحقيقه.

٩ ـ المختارات العربية لطلاب العلوم الاجتماعية: قام بتاليف هذا الكتاب الاستاذ سليم خان. و هذا الكتاب في الحقيقة مجموعة مفيدة من المصطلحات العصرية المتعلقة بعلم السياسة و الاجتماع و الاقتصاد و الجغرافيا و التاريخ. و من الجدير بالذكر أن نصف هذا الكتاب هو باللغة العربية و نصفه بالإنجليزية. (٧)

١٠ ـ القراءة الواضحة : ألفه الشيخ عبد المجيد الإصلاحي (ولد ١٩٣٢م). و حاول فيه تسهيلات قواعد النحو و الصرف للمبتدئين من طلبة اللغة العربية. (٨)

١١ ـ مدرسة الديوان : أعد هذا الكتاب الدكتور س. ر. تشودهرى لنيل شهادة الدكتوراة في الأدب العربي من جامعة القاهرة. و قام الدكتور تشودهري باستعراض الكتاب المشهور "مدرسة الديوان" الذي أخرجه العقاد و المازني في سنه ١٩٢١م. (٩)

١٢ ـ التوشيحات على السبع المعلقات : قام بكتابة هذه التوشيحات القاضي سجاد حسين الماسمي (م ١٩١٠م). و هي تشتمل على إفادات أستاذه اعزاز على مع بعض التعديلات و الإضافات من عنده، و علاوة على ذلك فقد جاء الماضي بالتحقيق اللغوى، و بتوضيح معاني الكلمات بالعربية، ثم بترجمة الشعر بالاردية. و نقدم هناك نموذجا من شرحه ليتضح أسلوبه الذي يمتاز بالسلاسة و الفصاحة:

بها العين و الآرام يمشين خلفة   و أطلاءها ينهضن من كل مجثم

(العين) جمع العيناء، و هي واسعة العين، صفة لمحذوف البقر، و العين أيضا سعة العين، (الآرام) جمع رئم و هو الظبئ الأبيض الخالص البياض، (خلفة) أي يخلف بعضها بعضا إذ مضى قطيع منها جاء قطيع أخر، و منه قوله تعالى: "و هو الذي جعل الليل و النهار خلفة". يريد أن كلا منهما يخلف صاحبه، فإذا ذهب الليل جاء النهار و إذا ذهب النهار جاء الليل، (الاطلاء) جمع الطلاء هو ولد ظبئ و البقرة الوحشية، و يستعار لولد الإنسان، و يكون هذا الإسم للولد حين يولد إلى شهر أو أكثر منه، و (المجثم) موضع الجثوم، و الجمع مجاثم، يقال جثم (ض و ن) جثما و جثوما، الرجل أو الطائر أو الحيوان، تلبد بالأرض فهو جاثم، و الجمع جثم. في تلك الأماكن تتجول البقار الوحشية و الظباء واحدة تلو أخرى بعدد كبير، و إن صغارها تنهض من كل مكان لتناول اللبن من أثداء أمهاتها، و معنى ذلك أن الأماكن قد تبدلت بالأطلال، توجد فيها الحيوانات الوحشية بعدد كبير". (١٠)

١٣ ـ حقيقة الأدب و وظيفته: ألف هذا الكتاب الأستاذ مقتدى حسن الأزهري، و قد ناقش فيه عناصر الأدب و مبادى النقد. و قد اختار الأزهرى أسلوبا سلسا لتوضيح المصطلحات الأدبية و النقدية. و هو كتاب قيم في الموضوع و يستحق لهذا كل تقدير و إعجاب. (١١)

١٤ ـ الجديد في اللغة العربية : ألف هذا الكتاب الدكتور أحسان الرحمان في جزئين. و الغرض من تاليفه، كما أوضحه الدكتور إحسان، هو تسهيل تعليم اللغة العربية للمبتدئين. و من هنا نلاحظ أنه قد جمع فيه دروسا تشتمل على كلمات و ألفاظ متعلقة بمختلف العلوم و الفنون الحديثة، و اتخذ له أسلوبا سهلا بسيطا. (١٢)

١٥ ـ قصص النبيين للأطفال : ألف هذا الكتاب الأستاذ أبو الحسن علي الندوي (ولد عام ١٩١٤م). و الكتاب في خمسة أجزاء. و يشتمل على قصص و حكايات دينية، اختارها من الكتب الدينية الإسلامية و التاريخية. و تبعث هذه الحكايات و القصص شعورا دينيا في أذهان الأطفال و توقد شعلة إيمانية في قلوبهم فقد قال الأستاذ عبد الماجد دريا آبادى عن هذا الكتاب : "هو علم الكلام للأطفال". و قد كتبه الأستاذ الندوى بأسلوب أدبي يمتاز بالبساطة، و نال الكتاب قبولاً عاماً بين الأوساط العلمية. (١٣)

١٦ ـ المرآة الراشدة : ألفه الأستاذ أبو الحسن علي الندوي في ثلاثة أجزاء لطلاب المدرسة الثانوية. يشتمل الكتاب على دروس خلقية و تعاليم إسلامية و اتخذ له الأستاذ الندوي أسلوبا سهلا بسيطا بحيث يتمتع الطلبة بقرأته. و نال الكتاب قبولاً و إعجاباً في المعاهد العربية و المراكز الإسلامية. (١٤)

١٧ ـ قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال : ألفه الأستاذ أبو الحسن على الندوى. و هذا التأليف إنما هو مجموعة قصص دينية إسلامية مأخوذة من كتب التاريخ الإسلامي. فقد سرد الأستاذ الندوي القصص الإسلامية التي تشتمل على دروس خلقية، بأسلوب عصري يمتاز بالسهولة و البساطة. (١٥)

١٨ ـ مختارات من أدب العرب : الكتاب مجموعة أدبية رائعة قام بجمعها الأستاذ أبو الحسن علي الندوى و تمثل هذه المجموعة المختارة الأدب العربي القديم و الجديد بجميع نواحيه الأدبية و الأسلوبية منذ العهد الاسلامي إلى عصرنا الحديث. و المجموعة تشتمل على آيات قرآنية و بلاغة نبوية، و خطب شهيرة بارعة. كما تشتمل على قصص و رسائل و مناقشات و رحلات و أحاديث مرتبة. يعد الكتاب أجود المجموعات الأدبية من الأدب العربي القديم و الجديد

التي جمعها العلماء الهنود حتى يومنا هذا. و قد نال الكتاب قبولا حسنا بين جميع الأوساط العلمية و الأدبية و اشاد به الكتاب العرب و أدباءهم، و قد اعتمد الكتاب جزءا للمقررات الدراسية في معظم الجامعات الهندية. و قد كتب الأستاذ الندوي مقدمة قيمة مشتملة على معلومات هامة حول الأدب العربي و تاريخه و وظيفته، و دور العلماء الهنود في تطوير اللغة العربية و الأدب العربي، كما تحدث عن أهمية هذه المجموعة المختارة من الأدب العربي. (١٦)

١٩ ـ القراة الواضحة : ألفه الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي (م ١٩٩٦م) في ثلاثة أجزاء. و قام الأستاذ الكيرانوي بتأليف هذا الكتاب لأولئك الطلبة الذين يريدون أن يتعلموا اللغة العربية، و قد كتبه المؤلف بأسلوب عصرى سهل، حتى لا يصعب فهم دروسه على الطلبة، و ذكر القواعد النحوية الضرورية حسب الدروس المختلفة، و اهتم بتمرينات مفيدة. و نال الكتاب قبولا عاما بين الأوساط الأدبية، و هو جزء للمقررات الدراسية لمعاهد عديدة فى الهند.

٢٠ ـ الحنين إلى الشهادة : و هي قصة كتبها الأستاذ محمد ناظم الندوي للطلبة الذين يرغبون في تعلم اللغة العربية و يريدون أن يطالعوا الكتب العربية الإبتدائية بانفسهم. و هي قصة عمرو بن الجموح الذي كان سيدا من سادات بني سلمه، و شريفا من أشراف قومه، و كان فى أيام كفره يصنع الأصنام في بيته، اعتنق ابنه الإسلام. ثم اعتنق الإسلام عمرو بن الجموح. و كان له حنين شديد إلى الشهادة. سرد المؤلف هذه القصة بأسلوب عصرى بسيط. (١٧)

٢١ ـ الموت في سبيل الإيثار : هذه قصة أخرى كتبها الأستاذ محمد ناظم الندوي. و قد سرد المؤلف قصة بعض المجاهدين المسلمين. و ملخص القصة هو أن بعض المجاهدين المسلمين جرحوا في معركة، و قد أصابهم العطش

الـشديد، فقدم إليهم الماء ليشربوه، و لكن اشار كل واحد منهم أن يقدم الماء أولا إلى اصحابه الاخرين، و اخيراً انتقل جميعهم إلى جوار ربهم و هم عطشان. (١٨)

٢٢ ـ منتخبات من الادب العربي : ألف هذا الكتاب السيد وصي مظهر الندوي، لطلبة المدرسة الثانوية و المتقدمين لإمتحانات المدرسة العالية. و قد جمع في هذه المجموعة المختارة منتخبات سهلة من الادب العربي، و تشتمل هذه المنتخبات على آيات قرآنية و أحاديث نبوية كما تحتوي على الخطبات و المقالات و الحكايات و القصص و الامثال و المنظومات. (١٩)

٢٣ ـ القصص الشهيرة : ألفها الأستاذ عبد الغفار الندوي، و هي مجموعة من القصص الشهيرة كتبها للطلبة الذين قد قراءوا الكتب العربية الإبتدائية. و قد سرد المؤلف هذه القصص بأسلوب سهل، و استخدم الالفاظ العادية و المحاورات الرائحة في رواية هذه القصص، ليتعلم الطلبة تلك الالفاظ و المحاورات و يستعملوها في المحادثة اليومية. و قد نال هذا الكتاب قبولا حسنا في المعاهد و المدارس العربية في الهند. (٢٠)

٢٤ ـ الأدب الإسلامي و صلته بالحياة : ألف هذا الكتاب الأستاذ محمد الرابع الندوي. و هو كتاب قيم تحدث فيه المؤلف عن الأدب الإسلامي و دوره الذي يلعب في تطوير الثقافة الإسلامية و تحلية الإنسان بخلق عالية، و يشتمل الادب الإسلامي حسب رأى الأستاذ الندوي، "على التاريخ و السيرة، و على القصة و الرسالة، و على الخطبة و الحوار، و على الوصف و التصوير، و على التعبير المؤثر الجميل، و هو نثر سلس و شعر رائع، و صور زاهية للأسلوب الأدبي، و هو تفريح و عتاب، و تطريب، و إمتاع، و بيان و إفهام، و أنه مرآة كلامية للحياة الإنسانية في أحوالها النفسية و أحوالها الكونية". (٢١)

اللغــة و النحــوَ:

١ ـ مـصـبـاح الـلـغـات : قـام بـإعـداد هـذا القاموس الأستاذ عبد الحفيظ الـبـلـيـاوي القاسمي. و هو من أجود القواميس التي اشتهرت في الهند في القرن الـعـشـرين. و قد ذكر فيه البلياوي معاني الكلمات بالإردية. و قد اختار لأجل هذا الـغـرض أسـلـوبا سـهـلا لـيـكون أكثر فائدة للطلبة و مع ذلك فإن هذا القاموس لا يـغـنـي الطلبة عن القواميس الجديدة التي طبعت مؤخرا في البلدان العربية، لانـه لا يـشـتـمـل عـلـى الـمصطلحات العصرية. و قام بطبع هذا القاموس ندوة المصنفين، في دلهي.

٢ ـ مـعـجـم الأمـثـال الـسـائـرة و الأيـام الـدائرة و البنين و البنات و الاماء و الأمـهـات و الـذوين و الـذوابـات : ألف هذا المعجم الشيخ عبد العزيز الميمني. و هو يشتمل على عشرين ألف مثال. (٢٢)

٣ ـ بـيان اللسان : قام بإعداده القاضي زين الدين الميرتهي (م ١٩١٠م). و هو يـقـع فـي حـجـم مـتـوسـط و يـشـتـمـل عـلـى ثلاثين ألف كلمة ما بين القديمة و الـجديدة. طبع في المكتبة العلمية، ميرت ١٩٧٧م.

٤ ـ الـمـبـتـكر فيما يتعلق بالمؤنث و المذكر : أعده السيد ذو الفقار أحمد الـنـقـوي. و يـشتمل على ٦٠٢ صفحة. و قامت بطبعه مطبعة شاهجهاني، بهوبال ١٢٩٧ هـ. (٢٣)

٥ ـ أدب الـعـرب : ألـفـه الـشـيـخ ثـنـاء الـلـه الأمرتسري (م ١٣٦٧هـ). و قد خـصـص فيه المؤلف بحثا مفيدا عن قواعد الصرف. و قامت بطبعه مطبعة روز بازار، أمرتسر ١٩١٨م. (٢٤)

٦ ـ قاموس القرآن : أعده الشيخ زين الدين الميرتهي (م ١٩١٠م). و جمع فيه الكلمات القرآنية و قام بشرح الكلمات العويصة منها، و استفاد في هذا الشأن من مؤلفات المفسرين الكبار و المحققين العظام، قامت بطبعه المكتبة العلمية، ميرت ١٩٥٤م.

٧ ـ القاموس الجديد : (من العربية إلى الأردية و بالعكس) أعده الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي (م ١٩٩٦م). و نال هذا القاموس شهرة فائقة بين طلاب المدارس العربية، و هو يقع في حجم متوسط بذل فيه الأستاذ الكيرانوي كل الجهد لجمع الكلمات و المصطلحات العصرية المقتبسة بوجه عام من "القاموس العصري" للأستاذ إلياس أنطون، لأجل هذا الغرض أنه استفاد أيضا من الجرائد و المجلات العربية الحديثة. و للأستاذ الكيرانوي قاموس آخر تحت إسم "القاموس الإصطلاحي". قام بطباعة هذا القاموس دار الفكر، ديوبند.

٨ ـ فقه اللسان : (في ثلاث مجلدات) أعده المولوي كرامت حسين الكنتوري (م ١٣٣٥ هـ).

٩ ـ روضة الأدب في تسهيل كلام العرب : أعده الأستاذ مشتاق أحمد الشرتالوي. و قام بطبعه أحسن المطابع، دلهي.

السير و التراجم:

١ ـ نفحة العنبر في حياة الشيخ الأنور : ألفه الشيخ محمد يوسف البنوري (م ١٩٧٧م). و قد رسم فيه سيرة أستاذه الشيخ محمد أنور الكشميري. و من اللافت من النظر أن البنوري قد حاول فيه الجمع بين النثر العربي السلسال و النثر العربي المسجوع، و من هنا يتميز أسلوبه بمتانة البيان و صعوبة التراكيب، و فأيا كان الأمر فإن أسلوبه فيه نال قبولا حسنا في الأوساط العلمية

و الأدبيـة و نـنـقل فيما يلي عبارة مقتبسة من الكتاب المذكور الذي يصف فيها الأستاذ البنوري دروس الكشميري قائلا :

"كـان الـشـيخ رحمة الله مبتكرات طبيعية في الدرس ما يحار له العقول و تـأخـذ بـمـجامع القلوب و العقول، و لا بدع فإنه كان محققا و متقنا في العلوم و الـمـعـارف كـافة، فكان رحمه الله إذا أخذ في الألقاء يواصل الكلام فلا يتلعثم فـيـه، و لا يـتـلـجـج من غـيـر أن يـلـحـمه فنورا و أحجاما، و لم يكن يقدمر إلى الإستدراك". (٢٥)

٢ ـ الـطـريـق إلـى الـمـديـنـة : ألفه الأستاذ أبو الحسن علي الندوي. و هذا الـكـتـاب فـي الـحـقـيـقة مجموعة من المقالات و المحاضرات حول انطباعات الأسـتاذ الندوي عن حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم و سيرته المباركة؛ و عن الـمـديـنـة الـمـنـورة، و تتجلى في هذه المجموعة شعلة الندوي الإيمانية، و حـبـه الـدفين و عاطفته الدينية و يقينه الكامل بمن أرسله الله هاديا و رسولا. و قـد جـاء هذا كله في صورة أدبية رائعة و بعبارات ممتعة جذابة، كما يبدو من عباراته التالية التي يتذكر فيها دور الإسلام في الحفاظ على اللغة العربية:

"و لـولا أنـت يـا رسـول الـلـه! انـطـوت الـلـغـة الـعربية فيما طوى اللغات و انـدرس من الـلـهـجات، و لولا القرآن العظيم في العربي المبين لتناولها المسخ و الـتـحـريف، كما تناول اللغات الكثيرة، و ابتلعتها العجمة و اللهجات المحلية، و قـضى عليها اللحن ... فأنت الذي خلد الله بك هذه، و ضمن بقاءها و إنتشارها و سلامتها". (٢٦)

٣ ـ الـرسـالة المحمدية : و هي مجموعة المحاضرات التي ألقاها العلامة السيد سليمان الندوي بالأردية بمدينة مدراس في عام ١٩٥٢م على جمعية الشباب

المثقفين و الطلاب الجامعيين و رجالات التعليم و التربية، و هي عصارة السيرة النبوية و ملخص ما كتب فيها من الكتب و الرسائل. و قد نقل الأستاذ ناظم الندوي هذه المحاضرات إلى اللغة العربية بأسلوب حديث رائع جميل. و قد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة في القاهرة و دمشق.

٤ ـ أبو العلاء و ما له و ما عليه : و قام بتأليف هذا الكتاب الأستاذ عبد العزيز الميمني (م ١٩٧٨م)، و هو كتاب قيم يبحث الأستاذ الميمني فيه عن تاريخ حياة أبي العلاء المعري (م ١٠٥٨م)، و ما يتعلق به من أخبار و أحداث. كما تناول فيه جميع المباحث الدقيقة و الأحداث الهامة التي جرت في حياة المعري، و تحدث عن ميراث شعره و كتاباته، و قد اختار لأجل هذا الغرض أسلوبا يتميز بالدقة و التحليل و الصداقة و الامانة. و قد أشاد بمحتويات هذا الكتاب عديد من فحول العرب و من باحثي اللغة العربيه و آدابها. (٢٧)

٥ ـ رحمة للعالمين : ألف هذا الكتاب القاضي سليمان سلمان المنصور فوري و هو كتاب قيم شهير في السيرة النبوية. و اتفق العلماء و الباحثون على أن هذا الكتاب لا مثيل له في العالم الإسلامي في أي لغة من لغات العالم. و الكتاب في اللغه الأردية و قد نقله الأستاذ ممندى حسن الأزهري إلى العربية بأسلوب يمتاز بالسلاسه و الروعه و السهولة. (٢٨)

٦ ـ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (المعروف بنزهة الخواطر) : ألف هذا الكتاب الشيخ السيد عبد الحي الحسني (م ١٣٤١هـ). و يقع هذا الكتاب في ثماني مجلدات ضخمة، و يحتوي على ترجمة أكثر من أربعة آلاف، و خمسمائة و نيف و هو في الحقيقة عصارة ثلاثمائة كتاب في العربية و الفارسية و الأردية ما بين المخطوطات و المطبوعات. و قد ذكر المؤلف فيه

تراجم أعيان شبه القارة الهندية و مآثرهم و ما يتصل به من أخبارهم و عاداتهم و كراماتهم و أماكنهم و ما إلى ذلك ، من القرن الاول للهجرة إلى وفاة المؤلف عام ١٣٤١هـ.

و أسلوب الأستاذ الحسني في هذا الكتاب يمتاز بسهولة و سلاسة، لا تمل نفس القارئ من قراته. "و أعتقد كتابه الإعلام، كتاب جامع، فهو كتاب أدب أيضا بجانب كونه كتابا في التاريخ لأسلوبه المميز، و إذا درسه أحد لمجرد الفائدة الأدبية لم يخرج خاسرا بل إنه يستطيع أن يتعلم أساليب أدبية متعددة باعتبار وصف الشخصيات المتعددة المتميزة". (٢٩)

و قد سرد المؤلف في هذا الكتاب الأحداث و الوقائع التاريخية بالدقة و الأمانة. و هو في الحقيقة موسوعة ضخمة زاخرة بالمعلومات المفيدة القيمة.

٧ ـ الرحيق المختوم : ألف هذا الكتاب الأستاذ صفى الرحمان المباركفوري (ولد ١٩٤٢م). و هو يحتوي على أحداث و وقائع السيرة النبوية المطهرة، و سرد فيه المؤلف أحوال النبي الذاتية في ضوء تعاليم القرآن و الحديث النبوي، و كتب التاريخ الإسلامي، و في بداية الأمر كتب الأستاذ المباركفوري هذا الكتاب في صورة مقالة طويلة، و قدمه إلى رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، و نال به جائزة فيصل الأولى. (٣٠)

٨ ـ الإمامان الشهيدان : وضعه الأستاذ سعيد الرحمان الأعظمي الندوي. و قد سرد فيه تراجم الأخبار الإمامين الشهيدين، و هما السيد أحمد و الشيخ إسماعيل. و اختار الندوي في هذا الكتاب أسلوبا أدبيا استطراديا يتميز بالسهولة و السذاجة. (٣١)

٩ ـ حياة المحدث شمس الحق و أعماله : ألف هذا الكتاب الشيخ محمد عزيز شمس الحق. و قد رسم فيه حياة المحدث شمس الحق العظيم آبادي، و ما يتصل بها من أخبار و أحداث و وقائع. (٣٢)

١٠ ـ جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة : ألف هذا الكتاب الأستاذ عبد الرحمان بن عبد الجبار الفريوائي (ولد ١٩٥١م). و سرد فيه الأحوال الذاتية لعلماء أهل الحديث و الأحناف. و ذكر فيه خدماتهم في مجال الأحاديث النبوية و خدماتهم الأخرى في مضمار التأليف و الترجمة. (٣٣)

١١ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية و جهوده في الحديث و علومه : يُعد هذا الكتاب من أهم تأليفات الدكتور عبد الرحمان الفريوائي. و يشتمل الكتاب على أربع مجلدات ضخمة، و قد ذكر فيه الفريوائي الوقائع و الأحداث التي تعرضت لها حياة شيخ الاسلام و جهوده و خدماته في الحديث النبوي و ما يتعلق به من علوم و فنون. (٣٤)

١٢ ـ تذكرة الرفاعي : الف هذا الكتاب الأستاذ مصطفى الرفاعي الندوي. و قام فيه بترجمة السيد أحمد الرفاعي (م ٥٦٨هـ) الداعية الكبير الشهير، و منشئ الطريقة الرفاعية.

١٣ ـ سيرة سعد بن أبي وقاص : ألفه الأستاذ صلاح الدين الندوي للأطفال. و الكتاب في سيرة الصحابي الشهير الجليل سعد بن أبي وقاص. و اختار الندوي للكتاب أسلوبا سهلا بسيطا آخذا من الاعتبار مستوى الأطفال الأدبي و العلمي.

١٤ ـ الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦هـ): ألف هذا الكتاب الأستاذ محمد اجتباء الندوي، سرد فيه أحوال حياة الشاه ولي الله الدهلوي الذاتية و خدماته الجليلة في مجالات الدرس

و التدريس، و السياسة و التاليف و الترجمة. و يعد هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي تتضمن السيرة الذاتية للشاه ولي الله الدهلوي. و طبع هذا الكتاب في عام ١٩٧٦م.

١٥ ـ الحريري و مقاماته : ألف هذا الكتاب الدكتور محمد أحمد الصديقي و ألقى فيه الضوء على أحوال حياة الحريري الذاتية، و قدم فيه صورة رائعة واقعية صادقة لحياة الحريري، و ما يتصل بها من أخبار و أحداث و مؤلفات، كما تحدث عن أسلوبه الممتاز البارع في الكتابة، و قام بممارنة مقامات الحريري بمقامات الهمداني.

١٦ ـ نفحات الأزهار في فضل الائمة الأطهار : وضع هذا الكتاب السيد ناصر حسين (م ١٣٦٠هـ) من علماء لكناء، و هو من كبار علماء الشيعة، و هذا الكتاب ضخم للغاية، فهو يحتوي على سته عشر مجلدا. و هو في الحقيقة موسوعة علمية مشتملة على أحوال أئمة الشيعة و حياتهم و خدماتهم. (٣٥)

١٧ ـ معجم المصنفين : ألف هذا الكتاب العلامه محمود حسن التونكي (م ١٩٤٧م) و هذا الكتاب أيضا موسوعة كبيره تمع في نحو ستين (٦٠) مجلدا. و يحتوي على عشرين ألفا من الصفحات، و على تراجم أربعين ألفا من المصنفين. و قد لخص العلامة في الكتاب المذكور أعلاه نحو ألف و خمسمأة من الكتب و تناول بالذكر فيه كل من له كتاب بالعربية منذ بداية تاريخ الكتابة و التأليف إلى سنة ١٣٥٠هـ. و ظهر من هذه الموسوعة أربعه أجزاء فقط و طبعت هذه الأجزاء في بيروت على حساب حكومة حيدر آباد. (٣٦)

١٨ ـ روائع اقبال : و هو من مؤلفات الأستاذ أبي الحسن على الحسني الندوي (ولد ١٩١٤م) و استعرض فيه المؤلف حياة شاعر الإسلام الدكتور محمد اقبال و أفكاره الفلسفية و الدينية في ضوء التعاليم الإسلامية، كما أبرز فيه

نظرياته العلمية التي تفعم قلوب الناس بشعلة الإيمان و الإيقان، و قد ترجم فيه الندوي عديدا من قصائد إقبال و أبياته الرائعة بأسلوب رائع متين. و هذا الكتاب يتميز بالدراسة التحليلية العميقة. و قد أشاد بالكتاب الأدباء و الكتاب العرب الكبار. و طبع هذا الكتاب عدة مرات من مختلف المطابع بما فيها مطبعة دار الفتح للطباعة و النشر في عام ١٩٦٨م.

١٩ ـ إلى الإسلام من جديد : ألفه الأستاذ أبو الحسن علي الندوي. و هو في الحقيقة مجموعة من المقالات و المحاضرات التي ألقاها المؤلف في مناسبات مختلفة حول موضوع "إيقاظ الشعور الديني في المسلمين و إعادة الثقة إلى نفوسهم بمركزهم و مبداءهم و غايتهم و رسالتهم للعالم البشري، و تهيئة النفوس لعمل هذه الرسالة، و تبوأ مركز القيادة و الإمامة للعالم الحائر و الثائر، و تجديد سفينة الحياة الضائعة بين الملاحين العابثين و الركاب النائمين". و هذا الكتاب يعد من أشهر مؤلفات الندوي من حيث المعلومات و الاسلوب و البيان. و في هذا الكتاب يبرز الأستاذ الندوي الفرق بين الحقيقة و الصورة قائلا:

"إنكم ترون في المتحف كل نوع من السباع و الانعام و الطيور الجميلة و العصافير الصغيرة، ففيها الأسد و الذئاب و الأفيال و الدباب، و فيها كل طائر جارح و كل سبع مخيف، و لكنها جثث هامدة لا حراك لها بها، و أجساد ميتة محشوة بالليف و القطن ليس فيها رمق من حياة و قوة تهجم بها و تصول، حتى لا يحس منها من أحد و لا نسمع لها ركزا .... إننا نحتاج إلى حقيقة الإسلام و الإيمان للظفر على الحقائق المبثوثة في العالم، اما صورة الإسلام فهي عاجزة عن أن تقهر هذه الحقائق و تنتصر عليها، و إن كانت ممزوجة بالباطل، لأن الصورة المجردة لا تنتصر على أي حقيقة". (٣٧)

٢٠ ـ صلاح الدين الايوبي : ألف هذا الكتاب الأستاذ أبو الحسن علي الندوي. و هو يحتوي على سيرة صلاح الدين الأيوبي الذاتية و انجازاته و اعماله البطولية في الدفاع عن حدود البلدان الإسلامية. و قد سرد الندوي كل هذا بأسلوب أدبي رائع.

٢١ ـ شخصيات و كتب : هذا الكتاب أيضا من مؤلفات الأستاذ أبى الحسن علي الندوي. و قد رسم فيه المؤلف حياة الشخصيات البارزة و رجال العلم و الأدب الذين أحبهم الأستاذ و تأثر بهم كثيرا. و قد اختار المؤلف أسلوباً بارعاً جذابا. و ننقل فيما يلي عبارته التي تدل على قدرته الفائقة على العربية كتابة و إنشاء:

"جاء ساعي البريد و هو يحمل هذا الكتاب (رحمة للعالمين لمنصورفورى) فيما يحمله من بريد قريتنا الصغيرة، و رأيت فلا أملك ما أتسلم به هذا الكتاب و أدفع ثمنه، و اعتذرت أمي رحمها الله مع حرصها على إرضاء طفلها اليتيم عن دفع النقود، لأنها لم تكن تملكها في ذلك الحين، و رأيت فلم أر لي مساعدا و شفيقا في هذه المهمة إلا الشفيع الذي طالما لجاء إليه الأطفال، و عرفوا أن شفاعته لا ترد .... ذلك شفيع الدموع و البكاء الذي لم يزل وجيها مسموعا عند الله و عند عباده الصالحين، و كذلك كان، فقد رق لذلك قلب أمي الحنون، و اجتهدت في دفع قيمة الكتاب و الحصول عليه و أخذت الكتاب.

بدأت اقرأ الكتاب، و بدأ الكتاب يهز قلبي، و ليست بهزة عنيفة مزعجة، و إنما هي هزة رقيقة رفيقة، و بدأ قلبي يهتز له و يطرب له". (٣٨)

٢٢ ـ المرتضى : ألف هذا الكتاب الأستاذ أبو الحسن علي الندوي، و ألقى الضوء على سيرة سيدنا علي ابن أبي طالب و عصره و علاقاته بالذين سبقوه

بالخلافة، و تناول فبه بالبحث دوره في الخلافة و المشاكل التي واجهها، و عن قيمه و خلقه و مثله العليا، كما تحدث عن ابنبه الحسن و الحسبن و الدور الذي قاما به في قيادة المسلمبن و حكمهم. و هذا الكباب من أهم المؤلفات البارعة الفيمة التي قام بتأليفها الأستاذ الندوي و من أحود الكتب التي ألفت في سيرة سبدنا علي رضي الله عنه.

٢٣ ـ أهمية السرة الطيبة لعالم البشريه : قام بتأليف هذا الكتاب الأستاذ بثار أحمد الفاروقى بالأردية و العربية، و قد سرد فبه الأحداث و الوقائع التى تبرز الحوانب الهامه للسيرة النبوية. (٣٩)

٢٤ ـ *القاديانيه* في ضوء مؤلفات *القادياني* و أصحابه : *ألف هذا الكتاب* الأستاذ صفي الرحمان المباركفوري و قد تحدث فيه عن الفرقه القاديانيه التي *يزعم مؤسسها* غلام أحمد *القادياني* أن *سلسله النبوة لم* تنقطع، فادعى بالنبوة. فقام الأستاذ المباركفوري بتأليف هذا الكتاب و ردّ على آراء هذه الفرقة الضالة و أفكارها *الفاسده* (٤٠)

٢٥ ـ السيره النبويه : ألف هذا الكتاب السيد أبو الحسن علي الندوى. و هو من أشهر المؤلفات في موضوع السيره النبوية. و قد جمع فيه الأستاذ الندوي الجانب العلمي و التربوي، راعى فيه عقلية الجيل الجديد و ذوقه و مستوى فهمه و نفسيته و اختار في هذا الكتاب أسلوبا علميا رشيقا. (٤١)

التفسير و ما يتعلق به :

١ ـ الإمعان في أقسام القرآن : قام بتأليف هذا الكتاب الشيخ حميد الدين *الفراهي* و هو في الحقيقه رسالة مشتمله على جزء من أعماله التفسيرية المشهوره بعنوان "نظام القرآن و تأويل القرآن بالقرآن" و تدل الرسالة على

عمق فكره و دقة نظره و اطلاعه الواسع على الكتب السماوية مثل التوراة و الإنجيل. و تضلعه العميق من العلوم العربية. و قد تكررت طباعة هذه الرسالة و آخرها في عام ١٩٨٠م من دار القرآن، الكويت. (٤٢)

٢ ـ تفسير القرآن بكلام الرحمان: ألف هذا الكتاب الشيخ ثناء الله الأمرتسري (م ١٣٦٧هـ) و قد عالج فيه موضوعا هاما، و هو تفسبر الآيات القرآنية بواسطة الآيات الربانية. و يشتمل هذا التفسبر على ثماني و خمسمأة صفحة، و مبزات هذا التفسير تتلخص في أن الشبخ الأمرتسري قد فسر فبه القرآن بالقرآن، فيدل هذا الأمر على تضلعه من اللغة العربنه و علوم التفسير و سعة معلوماته عن القرآن و علومه الواسعة. (٤٣)

٣ ـ تفسير المعونتين : و هو في الحقيقة رسالة صغيرة ألفها الشيخ قاسم النانوتوي (م ١٨٧٩م) باللغة الفارسية و نقلها إلى العربيه الأستاذ عميد الزمان الكيرانوي القاسمي. (٤٤)

٤ ـ التفسبر القيم : ألف هذا التفسدر الامام ادن القدم، و قد جمعه و حققه الأساذ محمد أويس الندوي. فقد بذل الأستاد الندوى جهودا جبارة في هذا العمل و يعد هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي وضعت في موضوع التفسير. (٤٥)

٥ ـ تأملات في سورة الكهف : و هي في الحقيقة سلسلة من المقالات التي كتبها الأستاذ أبو الحسن علي الندوي و نشرت في مجلة "المسلمون" عام ٧٨ ـ ١٣٧٧ هـ. و يحتوي هذا الكتاب على تأملات في سورة الكهف، و يدل على أن المؤلف قد درس التاريخ القديم و الحديث دراسة عميقة و اطلع على معلومات قيمة عن علوم التفسر و فنونه و سرد الندوي كل هذا بأسلوب عصري مؤثر جميل. (٤٦)

٦ ـ المدخل إلى الدراسات القرآنية : هذا كتاب ألفه الأستاذ السيد أبو الحسن علي الندوي. و هو في الحقيقة مجموعة محاضرات ألقاها الأستاذ الندوي على طلبة دار العلوم لندوة العلماء. و قد تناول فيها خصائص القرآن و مزاياه، و علومه و فنونه و بلاغته و إعجازه و منزلته الممتازة بين الكتب السماوية. (٤٧)

٧ ـ الفتح السماوي بتوضيح تفسير البيضاوي : ألفه الأستاذ محمد ادريس الكاندهلوي القاسمي. و هو كتاب فخم ضخم يشتمل على ٢٢ مجلدا. و قد تحدث الأستاذ الكاندهلوي فيه عن تفسير البيضاوي و قام بتوضيح الكلمات و الألفاظ الصعبة التي وردت في تفسير البيضاوي كما شرح المعاني الغامضة التي يصعب فهمها، إلا أن هذا الكتاب القيم غير مطبوع. (٤٨)

٨ ـ يتيمة البيان في شيء من القرآن : و هو في الحقيقة مقدمة على كتاب "مشكلات القرآن". و قد وضع هذه المقدمة الأستاذ محمد يوسف البنوري القاسمي (١٩٧٧م) و هي تشتمل على بحوث علمية و دراسة عميقة في تحقيق لفظ القرآن و حجية القرآن و مسألة الكلام و الشروط الضرورية للتفسير و المفسر. (٤٩)

٩ ـ ترجمات معاني القرآن الكريم و تطور فهمه عند الغرب : قد ألف هذا الكتاب الصغير الأستاذ عبد الله عباس الندوي. و قد تحدث فيه الأستاذ الندوي عن تراجم القرآن باللغة الغربية المختلفة، و كيفية فهم القرآن لدى علماء الغرب، كما تحدث عن نظريات المستشرقين و آراءهم في تفسير القرآن. و هو كتاب قيم يستحق القبول و الإعجاب و قد تولى الأستاذ الندوي مسئولية طباعة هذا الكتاب في مكة المكرمه في عام ١٩٧١م.

الحديث و أصول الحديث :

١ ـ مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : قام بتأليف هذا الشرح الشيخ عبيد الله المباركفوري (م ١٩٩٤م). و هذا الشرح يعتبر من الشروح الممتازة لانه يستوعب الكلام على أسناد الحديث و متونه. و نواحيه الادبية و البلاغية و المسائل التي تستنبط منه. و يقتصر هذا الشرح على المجلد الأول لمشكاة المصابيح، و يتحدث الشيخ المباركفوري عن :

"سيرة و سلوك كل راوٍ لمشكاة المصابح. و يهتم بتخريج جمبع الاحاديث، و يجيب عن جميع الأسئلة المتعلقة بالأسناد و المتون، و يقوم بتوضيح الأحاديث، و بحل الخلافات المذهبية القائمة بين العلماء و آراءهم و ادلتهم، و يحدد بالأدلة المقنعة المسلك الأصح و الأرجح و الكتاب في عشر مجلدات، و قد طبع منها تسع مجلدات. و تتضح بعض الصفات المذكورة من الإقتباس التالي الذي يتحدث فبه المباركفوري عن حقيقة لفظ "المسلم" في الحديث الآتي:

"و عن عبد الله بن عمرو، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده، و المهاجر من هجر ما نهى الله عنه الخ".

"المسلم أي الكامل، زبد الرجل، أي الكامل في الرجولية، و المال الإبل، و الناس العرب، و قيل : معناه المسلم الممدوح. قال ابن جني : من عادتهم بوقعوا على الشيء الذي يحصونه بالمدح اسم الجنس، الا ترى كيف سموا الكعبة بالبيت، و كتاب سيبويه بالكتاب، انتهى. فإن قبل إنه يستلزم أن من اتصف بهذا خاصة كان كاملا. أجيب بأن المفرد هو الكامل مع مراعاة باقي

الأركان و الصفات و قال الخطابي: المراد أفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الله، و أداء حقوق المسلمين، انتهى. و أقتصر على الثاني، لأن الأول مفهوم بالطريق الاول. و يمكن أن يكون هذا واردا على سبيل المبالغة تعظيما لترك الإيذاء، فهو محصور فيه على سبل الإدعاء و أمثاله كثيرة. و الحاصل أن القصر فيه باعتبار تنزيل الناقص منزلة المعدوم. فلا حاجة إلى تقدير الكمال، و يحتمل أن يكون المراد بذلك أن يبين علامة المسلم التي يستدل بها على إسلامه، و هي سلامة المسلمين من لسانه و يده، كما ذكر مثله في علامة المنافق". (٥٠)

٢ ـ بذل المجهود في شرح أبي داؤد : ألف هذا الشرح خليل أحمد السهارنفوري (م ١٩٢٧م) في عشرين مجلدا. و يعتبر هذا الشرح أشهر الشروح لسنن أبي داؤد و أفضلها. و لأجل ذلك نال إعجابا و تقديرا واسعا بين العلماء و المحدثين في العالم الإسلامي كله. و قد قام بطبع بعض أجزاء هذا الكتاب مطبعه دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ، في عام ١٩٧٢م، بينما طبعت بقية الأجزاء في مختلف المطابع لمصر في عام ١٩٧٣م.

٣ ـ تحفه الاحوذي : و هذه التحفة من نتاج قلم المحدث عبد الرحمان المباركفوري (م ١٣٥٣هـ)، قام المباركفوري فيها بشرح جامع الترمذي. و يشتمل هذا الشرح على ثلاث مجلدات ضخمة، و قد أفرد المؤلف جزءا واحدا لمقدمة هذا الشرح و كان المباركفوري متضلعا من علوم الحديث، بارعا في معرفة أقسامه. كما كانت له قدره فائقة على معرفة أسماء الرجال، و فن الجرح و التعديل، و طبقات المحدثين و تخريج الاحاديث. و قد أيد المباركفوري في كتابه مسلك أهل الحديث، و في نفس الوقت أكثر الهجوم على مسلك أبي حنيفة و لذلك كله وقع هذا الكتاب موقع الإعجاب لدى العلماء العظام، و اشتهر في

العالم الإسلامي كله. طبعت مقدمة هذا الكتاب في مجلد مستقل كما تقدم ذكرها، بينما طبع المجلدان الآخران في عام ١٣٤٦هـ. (٥١)

٤ ـ فيض الباري في شرح صحيح البخاري : و هذا الشرح في الحقيقة مجموعة لمحاضرات الشيخ أنور الشاه الكشميري (م ١٩٣٣م) التي جمعها تلميذه الخاص الشيخ بدر عالم الميرتهي، و علق عليها، و يقع هذا الشرح في أربع مجلدات. يتضمن هذا الكتاب بحوثا علمية قيمة كما يتضمن أفكارا دقيقة حول علم البلاغة و أصول الفقه و علم التوحيد و ما إلى ذلك. و قام بطبع هذا الشرح المجلس العلمي، دابهيل غجرات، في عام ١٩٣٨م.

٥ ـ الكوكب الدري على جامع الترمذي : و هذا الكتاب أيضا مجموعة المحاضرات ألقاها الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي (م ١٩٠٥م) أثناء تدريسه الجامع الترمذي. قام بتأليف و جمع هذه المحاضرات تلميذه الأستاذ محمد يحي الكاندهلوي، و علق عليه الأستاذ زكريا الكاندهلوي و نال هذا الكتاب شهرة و قبولا في أوساط العلماء الهنود و انتفع به خلق كثير. و قام بطبعه مطبعة خواجه بدلهي عام ١٩٣٣م.

٦ ـ لامع الدراري على جامع البخاري : هذا الكتاب أيضا مجموعة لمحاضرات الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، جمعها تلميذه البارع يحيى الكاندهلوي، و قد علق الشيخ زكريا على هذه المحاضرات و طبعتها مطبعة الجمعية بدهلي، عام ١٩٥٩م في ثلاثة أجزاء.

٧ ـ الدراري الناشرات في ترجمة ما في البخاري من الثلاثيات : ألف هذا الكتاب القاضي محمد مجهلي شهري (م ١٣٢٠هـ).

٨ ـ بلوغ المرام مع شرحه: قام بكتابة هذا الشرح السيد أحمد حسن الدهلوي (م ١٣٣٨هـ). و طبعه مطبعة اهلحديث امرتسر في عام ١٩٣٧م.

٩ ـ العرف الشذي على جامع الترمذي : هذا الكتاب يشتمل على محاضرات القاها الشيخ أنور الكشميري في أثناء تدريس الأحاديث النبوية بدار العلوم، ديوبند و قامت بطبعه المطبعة القاسمية، ديوبند، في عام ١٩٢٣م.

١٠ ـ سبل السلام في شرح بلوغ المرام : قام بكتابة هذا الشرح العلامة نور الحسن القنوجي المعروف بنواب نور الحسن خان (م ١٣٣٦هـ) و هذا الشرح من افضل و أحسن الشروح لبلوغ المرام لإبن حجر العسقلاني. و يقع في مجلدين كبيرين. (٥٢)

١١ ـ تعليقات على سنن أبي داؤد : بدأ كتابة هذه التعليقات الشيخ عبد الحي الحسني إلا ان المنية وافته قبل أن يكمل هذه التعليقات.

١٢ ـ تهذيب الأخلاق : ألف هذا الكتاب الشيخ المذكور آنفا و قد جمع فيه الأحاديث النبوية المشتملة على أنواع السلوك و العادات و الخصائل و من الجدير بالذكر ان الشيخ لم يذكر فيه اسانيد الاحاديث.

١٣ ـ التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح : قام بكتابة هذا التعليق الشيخ محمد ادريس الكاندهلوي (م ١٩٧٢م) و يعد هذا الكتاب من الشروح الممتازه على مشكاه المصابيح و يقع هذا التعليق في ست مجلدات. و قامت بطبعه مطبعه الإعتدال، دمشق في عام ١٩٣٥م، و طبع مرة ثانية في عام ١٩٦٦م بلاهور

١٤ - بلوغ المرام مع تعليقه اتحاف الكرام : اعد هذا الكتاب الأستاذ صفي الرحمان المباركفوري. و هو يشتمل على الحواشي القيمة على بلوغ المرام. و قد ذكر فيه العلامة المباركفوري سير ا لرواة الذاتية بالاختصار و بحث عن بعض الأماكن التاريخية كما تحدث عن المسائل الفقهية، و حدد بالدلائل و البراهين المسلك الأصح منها. و طبع هذا الكتاب بالمطبعة السلمية ببنارس في عام ١٩٧٤م. (٥٣)

١٥ - التعليقات السلفية على سنن نسائي : جاء بهذه التعليقات العلامة عطاء الله حنيف البهوجيالي (م ١٩٨٧م) و قامت بطبعها المكتبة السلفية، لاهور ١٣٢٥هـ.

١٦ - تنقيح الرواة في تخريج أحاديث المشكاة : كتب هذا التنقيح الأستاذ البهوجيالي المذكور. و قامت بطبعه المكتبة السلفية، لاهور في عام ١٣٢٥هـ. (٥٤)

١٧ - تحفة القاري بحل مشكلات البخاري : جاء بهذه التحفه الشيخ محمد ادريس الكاندهلوي و تنطوي هذه التحفة كما يبدو من اسمها على الكلمات العويصة الموجودة في الجامع البخاري و قام بطبع هذا الكتاب المكتبة العثمانية، لاهور في عام ١٩٦٧م. و يحتوى هذا الكتاب على عشرين جزءاً.

١٨ - دراسات في الجرح و التعديل : أعد هذه الدراسات الدكتور محمد ضياء الدين الأعظمي و ناقش عن أهمية أصول الجرح و التعديل في علم الحديث و قد قامت بطبع هذا الكتاب الجامعة السلفية، الهند فى عام ١٩٨٣.

١٩ - قلائد الأزهار على كتاب الآثار : هذا الكتاب في الحقيقة شرح قيم على كتاب الآثار للإمام محمد، كتبه المفتي محمد شفيع القاسمي في ثلاث

مـجـلـدات و زينه بمقدمة علمية مفيدة. و قامت بطبع هذه القلائد مطبعة آزاد بديوبند.

٢٠ ـ شـرح الـحديث المسلسل بالأولية : أعد هذا الشرح العلامة سليمان بن داؤد الفلواري (م ١٣٥٤هـ). (٥٥)

٢١ ـ أوجـز الـمـسـالـك إلـى الـمـؤطا مالك : وضع هذا الكتاب الشيخ زكريا الـكاندهلوي و شرح فيه الأحاديث النبوية الواردة في مؤطا للإمام مالك و نال هذا الـشـرح قبولا و إعجابا بين العلماء و المحدثين في الهند و قامت بطبعه المكتبة اليحيوية بسهارنفور.

٢٢ ـ حـجـيـه الـسـنـة و الرد على شبه المنكرين : أعد هذا الكتاب الدكتور مـحـمد لقمان السلفي. و تحدث فيه عن رواة الأحاديث و أسانيدها و عن الشذوذ فـي الـروايـه و متون الأحاديث كما بحث عن الأحاديث الموضوعة و المختلفة و فـي نـفـس الـوقـت ألـقى الضوء على طريقة المستشرقين فيما يتعلق بالجرح و التعديل. (٥٦)

٢٣ ـ تـحـقيق كتاب المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي : قام بهذا التحقيق الـدكـتـور مـحـمد ضياء الدين الأعظمي و طبعته دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت في عام ١٤٠٤هـ. (٥٧)

٢٤ ـ غـايـه الـمـقـصـود شرح سنن أبي داؤد : بدأ كتابه هذا الشرح العلامة شـمـس الـحـق الـديـانـوي الـعـظـيم آبادي (م ١٣٢٩هـ) و لكن لم تسنح له الفرصة لإكـمـاله و لو اكتمل لكان في مجلدات كثيره. قام بتحقيقه الدكتور عبد القدوس محمد نذير.

٢٥ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داؤد : أعد هذا الشرح الشيخ شمس الحق. و يعتبر هذا الشرح من أشهر و أفضل الشروح لسنن أبي داؤد. و قد لقي هذا الشرح تقديرا و إعجابا من قبل العلماء الكبار و المحدثين العظام في كافة أرجاء العالم الإسلامي و هو يحتوي على أربع مجلدات ضخمة.

٢٦ ـ التعليق المغنى على سنن الدار قطني : قام بهذا التعليق الشيخ شمس الحق. و يحتوي هذا التعليق على مجلدين. (٥٨)

٢٧ ـ المصنف لعبد الرزاق : ألف هذا الكتاب أصلا عبد الرزاق الذي كان من أشهر تلامذة أبي حنيفة في الحديث. نجح الشيخ حبيب الرحمان الأعظمي في العثور على نسخته الخطية لهذا الكتاب و حصل عليها ثم قام بتحقيقه و التعليق عليها و بعد ذلك و نشره في أحد عشر مجلدا و قد طبع هذا الكتاب من قبل في مطبعة دار القلم، بيروت في عام ١٩٧٠م.

٢٨ ـ تخريج أحاديث بهجة المجالس لإبن عبد البر : أعد الدكتور مقتدى حسن الأزهري هذا الكتاب لنيل شهادة الدكتوراة من جامعة علبحر الإسلامية. (٥٩)

٢٩ ـ فتح المسلم في شرح صحيح مسلم : قام بكتابة هذا الشرح العلامة شبير أحمد العثماني القاسمي (م ١٩٤٩م). و هذا الشرح يحتوى على ثلاثة أجزاء. و يعتبر من الشروح الممتازة لصحيح مسلم و هو مشهور و معروف في البلدان الإسلامية و لقي الإعجاب و التقدير من قبل العلماء و المحدثين. و المقدمة التي كتبها العلامة العثماني في بداية هذا الشرح يحتوي على بحث فني في علم الحديث و طبع الجزئين الأول و الثاني من قبل المطبعة مدينة، بجنور، في عام ١٩٣٣م ـ ١٩٣٦م. و قامت بطباعة الجزء الثالث بهاندة، جالندهر في عام ١٩٣٨م. و طبعته أخيرا إدارة شركة علمية في ديوبند.

٣٠ ـ معارف السنن : أعد هذا الشرح الأستاذ محمد يوسف البنوري (م ١٩٧٧م) و يقع هذا الشرح في ست مجلدات و يعتبر هذا الشرح من الشروح الفائقة المفيدة. و طبع هذا الشرح في كراتشي في عام ١٩٦٩م و ١٩٧٠م.

٣١ ـ تحقيق كتاب شعب الإيمان للبيهقي : قام بكتابة هذا في سبعة مجلدات الدكتور عبد العلي الأزهري. و يشتمل هذا التحقيق على سبع مجلدات و طبعته دار السلفية، بومباي.

٣٢ ـ كتاب الاباطيل و المناكير و الصحاح و المشاهير للجورقاني (م ٥٤٣هـ): قام بتحقيق هذا الكتاب الأستاذ عبد الرحمان عبد الجبار الفريوائي. و يشتمل هذا الكتاب على مجلدين و طبعه إدارة البحوث الإسلامية للجامعة السلفيه، بنارس في عام ١٩٨٣م.

٣٣ ـ تحفه الراكع و المساجد في شرح حديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : ألف هذا الكتاب الأستاذ عبد الرحمان الفريوائي. و هو كتاب جيد مفيد في هذا الموضوع.

٣٤ ـ دراسات في الحديث النبوي و تاريخ تدوينه : أعد هذه الرسالة القيمة الدكتور محمد مصطفى الأعظمي القاسمي للحصول على شهادة الدكتوراة من جامعة كيمبرج.

٣٥ ـ نزهه النظر في أصول الحديث : هذه هي الحواشي على نزهة النظر لابن حجر العسقلاني كتبها العلامه عبد السلام المدني و قام بطبعها مكتبة الجامعه السلفيه، بنارس و طبع هذا الكتاب مره أخرى في سنة ١٩٨٣م.

٣٦ ـ أبوهريرة في ضوء مروياته : ألف هذا الكتاب الدكتور محمد ضياء الرحمان الأعظمي و يشتمل الكتاب على عشر مجلدات.

٣٧ ـ دراسات في الجرح و التعديل : قام بهذه الدراسات الدكتور الأعظمي المذكور و طبعتها إدارة البحوث الإسلامية، بنارس في عام ١٤٠٣هـ. (٦٠)

٣٨ ـ تحقيق معنى السنة : قام بإجراء التحقيق الدكتور السيد سليمان الندوي.

٣٩ ـ علم رجال الحديث : أعد هذا الكتاب الدكتور تقي الدين الندوي المظاهري. و جمع فيه معلومات قيمة عن علم رجال الحديث، و تطور علم الحديث، و أسماء الرجال، و الجرح و التعديل، و أهم القواعد و الأسس لقبول الحديث و ما إلى ذلك. (٦١)

التاريخ و ما يتعلق به :

١ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ألف هذا الكتاب القديم الشهير الشيخ أبو الحسن علي الندوي تحدث فيه عن المجتمعات العالمية قبل الإسلام، و المذاهب و الأديان مثل اليهودية و المسيحية و الهندوكية و البوذية و الزردشتية، و بعد ذلك أبرز دور الإسلام في إزالة المفاسد و المساوي من المجتمعات العالمية و في ترقية و تحسين مستوى العقل الإنساني و في إخراج الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

و قد رسم الأستاذ الندوى صورة الحضارات القديمة الفاسدة بمنتهى الوضوح فهو يقول في هذا الشان:

"أصبحت الديانات العظمى فريسة العابثين و المتلاعبين، و لعبة المحرفين و المنافقين، حتى فقدت روحها و شكلها، و فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها، و أصبحت مهد الحضارة و الثقافة و الحكم، و السياسة مسرح

الـفـوضــى الإنــحلال و الإحتلال و سوء النظام، و عسف الحكام، و شغلت بنفسها، لا تحمل للعالم رسالة و لا للأمم دعوة". (٦٢)

٢ ـ تـاريـخ الـدعـوة الإسـلامـية في الهند : أعد هذا الكتاب الأستاذ مسعود عـالـم الـنـدوي و ألقى فيه الضوء على تاريخ الإسلام فى الهند بما في ذلك بدايته و انـتـشـاره و تـاثـيـره على الحضارة الهندية القديمة. و في ضمن ذلك اشار إلى الـصـعـوبـات و الـمـشـاكـل الـتي تواجهها الإسلام و معتنقوه فى مقاومة الإلحاد و الـلادينيه في شبه القاره الهنديه، كما تحدث عن التجار العرب، و دورهم البارز فـي نشر الإسلام، و علومه فى المناطق الجنوبيه للهند و بعد ذلك أبرز دور محمد بن قاسم الثقفي في تأسيس الدولة الإسلامية في السند، ثم كتب الندوي هذا كله بـأسـلـوب رائـع جـذاب و لـلدلاله على هذا الرأى ننقل عبارته التالية التي يتحدث فيها الندوى عن انتشار الإسلام في العالم:

"طـلـعـت شـمـس الإسـلام من أفـق تهامه، و أضاءت أنوارها سهل الأرض و جـبـلـهـا، و امـتـدت أشعتها إلى ماوراء بلاد العرب شرقا غربا، و جنوبا و شمالا، حتى استضاء بنورها أكثر بقاع الأرض" (٦٣)

قام بطباعه هذا الكتاب مطبعه دار العروبه، باكستان.

٣ ـ الهديه السنيه فى ذكر المدرسه الإسلامية الديوبندية : جاء بهذه الهديه الـشـيـخ ذوالفقار علي الديوبندى (م ١٩٠٤م) و هى رساله قيمه تشتمل على أحوال الـتـأسـيـس للمعهد الإسلامى الكبير بديوبند و قدم المؤلف فيه ذكر بعض الرجال الـبـارزين من الـمـؤسـسـين و الأساتذه لمعهد ديوبند. و من اللافت للنظر أن هذه الرساله زاخره ببعض من النماذج الرائعه للنثر العربي و على سبيل المثال ننقل العباره التاليه .

"أطيب البلاد هواء، و أحسنها لطافة و صفاء و أعجبها صباحا و مساء، و أكثرها نورا و ضياء، و تقوي الأجسام و الارواح، و تربي النفوس و الأشباح، أرضها موسومة معشية ممطورة مخصبة، طينها اللازب أحكم من الجص، و حماها المسنون أثبت من الرصاص في الرص ...... اما قصب السكر و القند فقلما يوجدان في البلاد مثل ديوبند، في الذوق كالعسل و في الريح كالرند، فاين منهما سمرقند، و أهلها أخشاهم للرحمان و أرضاهم للسلطان و أطوعهم للفقراء". (٦٤)

٤ ـ المسلمون في الهند : ألف هذا الكتاب الشيخ أبو الحسن علي الندوي. و سرد فيه المؤلف تاريخ الشعب الإسلامي في شبه القارة الهندية كما ألقى الضوء على إنجازات المسلمين الهنود العلمية و الدينية و السياسية و آثارهم التأليفية و التصنيفية و أشار إلى القضايا و المشاكل التي يواجهها المسلمون الهنود، و أبرز مساهمتهم الفعالة في ازدهار البلاد و ترقيتها، و في هذا السياق تحدث المؤلف بالتفصيل عن الحضارات الهندية الإسلامية و عن تأثير الثقافات الهندية على الثقافة الإسلامية و على العكس، و عن عباقرة العلماء الهنود و زعماء الكبار في مجالات مختلفة، و عن معاهدهم العلمية و الثقافية القديمة منها و الحديثة، و ما إلى ذلك. و بهذا الصدد يعبر الندوي أفكاره قائلا :

"أنجبت الهند رجالا شهد لهم علماء العرب بالفضل، و عكفوا على كتبهم و مؤلفاتهم ينقلون و يقتبسون و يستدلون و يحتجون، و قد أنجبت كذلك علماء يندر نظيرهم في الذكاء و خصوبة الفكر و الإبتكار العلمي، و أنجبت كذلك فضلاء لا يضارعون في كثرة المؤلفات و الإنتاج، و قد أنجبت من الملوك رجالا

يتفردون في حسن سياستهم و تنظيمهم للدولة، و حسن القوانين العادلة، و في فضائلهم الخلقية و العلمية و العملية، و الجمع بين الدين و الدنيا". (٦٥)

٥ ـ مذكرات سائح في الشرق العربي : هذا الكتاب أيضا من كتابات العلامة أبو الحسن الندوي القيمة و هو يشتمل على خواطر و انطباعات الندوي. و كتب فيه بالإسهاب عن العالم الإسلامى و ما يدور فيه من الأحداث و الوقائع و عن مقابلاته و زياراته، و ندواته و محاضراته التي خاطب فيه العرب و زعماء الإسلام.

و طبعت هذه المذكرات اولا في القاهرة ثم في بيروت.

٦ ـ مشاهدتي في الشرق الأوسط : هذا الكتاب أيضا من رشحات قلم العلامة أبي الحسن علي الندوي.

٧ ـ من نهر كابل إلى نهر اليرموك : هذا الكتاب أيضا من كتابات الندوي الهامة و تحدث فيه الندوي عن أوضاع المسلمين القاطنين في أفغانستان، و ايران و لبنان و سوريا و العراق و الأردن. زار الندوي هذه البلدان كلها بصفته رئيسا لوفد رابطة العالم الإسلامي في عام ١٩٧٣م. فكتب عما شاهده في هذه البلدان من أحوال المسلمين الاجتماعية و الاقتصادية و من ظروف معاهدهم الدينية و نشاطاتهم العلمية و ما إلى ذلك. و هكذا أصبح هذا الكتاب حافلا بالمعلومات الهامة و طبع هذا الكتاب في مطبعة دار العلوم لندوة العلماء، لكناء.

٨ ـ أضواء على الحركات و الدعوات الدينية و الإصلاحية و مدارسها الفكرية و مراكزها التعليمية و التربوية في الهند و دورها و نجاحها: هذا الكتاب أيضا من مؤلفات الندوي القيمة المفيدة.

٩ ـ أحاديث صريحة مع إخواننا العرب المسلمين : هذه الاحاديث هي أيضا من كتابات الأستاذ ابي الحسن علي الندوي البارعة. و هي في الحقيقة تشتمل على محاضراته التي ألقاها في أثناء زيارته للدول الخليجية.

١٠ ـ الثقافة الإسلامية في الهند : ألف هذا الكتاب الشيخ عبد الحئ الحسني و ألقى فيه الضوء على مناهج التعليم الإسلامي في الهند في عصور مختلفة كما تحدث فيه عن العلوم الإسلامية بما في نلك من اللغة و الأدب و البلاغة و النحو و الصرف و التاريخ و الجغرافية و الحديث و الفقه و التفسير و التصوف و الكلام و المنطق و الطبعيات و الرياضي و الطب في شبه القارة الهندية و علاوة على نلك سرد فيه العلامة عبد الحئ الحسني أحوال المؤلفين و الكتاب الهنود و أعمالهم الأدبية و العلمية، و هكذا أصبح هذا الكتاب موسوعة زاخرة بالمعلومات عن المسلمين الهنود. و قام بطباعة هذا الكتاب المجمع العلمي العربي، دمشق في عام ١٩٥٨م.

١١ ـ المسلمون في الصين : أعد هذا الكتاب الأستاذ بدر الدين الصيني الجامعي الندوي و تحدث فيه الاستاذ المذكور بالتفصل عن أوضاع المسلمين في الصين و أحوالهم الاجتماعية و قضاياهم السياسية و مشكلاتهم الاقتصادية في مختلف أدوار التاريخ. و قد طبع الكتاب في جميع لغات العالم تقريبا. (٦٦)

١٢ ـ العلاقات العربية الهندية : هذا الكتاب من مؤلفات الأستاذ مقبول أحمد القيمة و تحدث فيه المؤلف عن صلات الهند بالبلدان العربية التي تمتد جذورها إلى زمن ما قبل الإسلام و كان هذا الكتاب أصلا باللغة الإنجليزية ثم نقل إلى العربية. و قام بطبعه الدار المتحدة، بيروت ١٩٧٤م. (٦٧)

١٣ ـ العلاقة السياسية و الثقافية بين الهند و الخلافة العباسية : أعد هذا الكتاب محمد يوسف النجرامي الندوي و نلك لنيل شهادة الماجستر من جامعة

القاهرة. و قد بحث فبه المؤلف عن العلاقات السياسيه و الثقافية كانت قائمة بين الهند و ملوك الدولة العباسية. و قام بطباعته دار الفكر، ببيروت في عام ١٩٧٩م.

١٤ ـ تاريخ الصلات بين الهند و البلاد العربية : ألف هذا الكتاب الدكتور محمد اسماعيل الندوي. و هذا الكتاب في الحقيقة كان رسالة كتبها الندوي لنيل شهادة الماجستر في العلوم الإسلامية من جامعة القاهرة. و قام بطباعة هذا الكتاب دار الفتح للطباعة و النشر، بيروت.

١٥ ـ مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٩٨٠م : أعد هذه الرسالة الدكتور زبير أحمد الفاروقي لنيل شهادة الدكتوراة من الجامعة الملية الإسلامية. و قد تحدث فيه المؤلف عن الخدمات الأدبية التي قام بها خريجو دار العلوم بديوبند في مجال الأدب العربي و هذه الرسالة منقسمة إلى خمسة أبواب : ففي الباب الأول تناول الفاروقي مساهمة خريجي ديوبند في تطور النثر العربي و في الثاني الشعر العربي. و في الثالث علوم اللغة و فنونها. و في الرابع الشروح و التعليقات و في الخامس العلوم و الفنون. و قد أحاط الدكتور بجميع الأعمال الهامة لرجال الدار المذكورة و المتخرجين فيها سواء في الشعر أو في النثر و في ضمن حديثه عن هذه الأعمال الهامة قدم الفاروقي نماذج الشعر و النثر. و في بداية الكتاب مقدمة قيمة حافلة بالمعلومات المتعلقة بالموضوع. و ألقى المؤلف في هذه المقدمة من أضواء تحكي عن روابط الهند بالعالم العربي، و عن العلماء و الفطاحل الذين لعبوا دورا ملموسا لتطوير اللغة العربية و آدابها و الثقافة الإسلامية في الهند، و ذكر بعد ذلك بعض الأعمال الرائعة للعلماء الهنود في مختلف العصور، و بحث كذلك عن الظروف السياسية و العلمية و الأدبية في عصر الاستعمار الإنجليزي، و ما بذل العلماء

من جهود جبارة في المقاومة ضد الاستعمار و الإرساليات التبشيرية. و طبع هذا الكتاب دار الفاروقي للطباعة و النشر، نيو دلهي في عام ١٩٩٠م

١٦ ـ أزهار المطالب في نسب آل جعفر بن أبي طالب : ألف هذا الكتاب القاضي محمد مجهلي الشهري (م ١٣٢٠هـ). (٦٨)

١٧ ـ سلالة الكرام في خلافة العظام : هذا الكتاب أيضا من مؤلفات القاضي المذكور الهامة. (٦٩)

١٨ ـ نخبة التواريخ : أعد هذا الكتاب الشيخ شمس الحق العظيم آبادي.

١٩ ـ تاريخ مكة المكرمة : ألف هذا الكتاب وصي الله محمد عباس و يشتمل هذا الكتاب على المقدمة و الأبواب عددها أحد عشر و ألقى الدكتور المذكور في هذا الكتاب الضوء على تاريخ مكة المكرمة، و الحجر الأسود، و الكعبة و مقام إبراهيم و ما إلى ذلك. و طبع هذا الكتاب في عام ١٤٠٨هـ.

٢٠ ـ مراكز المسلمين التعليمية و الثقافية و الدينية في الهند : ألف هذا الكتاب الدكتور عبد الحليم الندوي. عرّف الندوي فيه بمراكز المسلمين الهنود و معاهدهم الدينية و مؤسساتهم الثقافية و مجامعهم العلمية. إضافة إلى مطابعهم و دورهم للتأليف و الترجمة و النشر. و حاول أن يجمع المعلومات المفيدة عن كافة المراكز الإسلامية و العربية في الهند الجديدة. كما ألقى الضوء على جميع المؤسسات الإسلامية التي تديرها أصحاب الفرق الإسلامية المختلفة في الهند. و في مستهل الكتاب كتب الدكتور الندوي مقدمة مؤجزة و سرد فيها الظروف السياسية و الاقتصادية و الدينية التي تسود شبه القارة الهندية في العصر الراهن و في هذا السياق تحدث الندوي عن أهمية الهند في العالم، و عن دور المسلمين الهنود في ترقية البلاد و اثراء الثقافات الهندية.

و طبع هذا الكتاب بمطبعة نوري المحدودة، مدراس.

٢١ ـ الدراسات العربية فى الجامعات الهندية الشمالية منذ الإستقلال في عام ١٩٤٧م : أعد هذا الكتاب الدكتور عبد الحق، الأستاذ بجامعة جواهر لال نهرو، تحدث فيه الدكتور عبد الحق عن الجامعات العصرية في شمال الهند التى تعتني بدراسة اللغة العربية و آدابها و التى لعبت دورا ملموسا في تطوير هذه اللغه و تنميه آدابها و بهذا الصدد ذكر المؤلف بالإيجاز تاريخ تأسيس كل جامعه و الأوضاع التي أدت إلى تأسيس هذه الجامعات و خدمات أساتذتها في الأدب العربي و في مجال الدرس و التدريس و التاليف، ثم جاء بذكر أهم مؤلفاتهم بأسلوب يمتز بالسهولة و الوضوح و في بداية الكتاب مقدمة بحث فيها المؤلف عن تاريخ الأواصر الهندية و العربية، و نزوح المسلمين إلى الهند، و دور بعض العلماء الكبار و الأدباء البارعين في تطوير اللغة العربية و آدابها و إعتناء الثقافه الإسلاميه في الهند. قام بطباعة هذا الكتاب المعهد الهندى للدراسات الإسلاميه، نيو دلهى في عام ١٩٨٩م.

٢٢ ـ إذا هبت ريح الإيمان : ألف هذا الكتاب العلامة أبو الحسن علي الندوي. و قد أوضح العلامه الندوي غاية تاليف هذا الكتاب في مقدمته قائلاً :

"مقتطفات من تاريخ الدعوه و الجهاد فى الهند في القرن الثالث عشر الهجرى، و أضواء على حياة قائد هذه الدعوة و حركة السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، و سيرته و أصحابه، و رفاقه، و أخلافهم، فى أمانة تاريخية و أسلوب قصصي". و فيما يتعلق بأسلوب هذا الكتاب فهو يتسم بالسهولة و الروعه. و قام بطباعة هذا الكتاب مؤسسة الرسالة، دار القلم، كويت، في عام ١٩٨٥م.

٢٣ ـ رجال الفكر و الدعوة : هذا الكتاب أيضا من رشحات قلم العلامة أبي الحسن علي الندوي. و في هذا الكتاب دعا المؤلف إلى إصلاح المجتمع الإسلامي، و في الوقت ذاته تحدث عن تاريخ العصور الإسلامية المختلفة، و عن حاجة الإنسان إلى الأديان. و علاوة على ذلك يشتمل هذا الكتاب على أحوال بعض الشخصيات الإسلامية البارزة من أمثال عمر بن عبد العزيز و الحسن البصري و أحمد بن حنبل و أبي الحسن الأشعري و الغزالي و عبد القادر الجيلاني و جلال الدين الرومي.

قال الأستاذ الندوي و هو يتحدث عن ندرة شخصيات التجديد في الديانات الأخرى:

ظهرت بوذة بفكرة جديدة أو ديانة جديدة ـ إذا كان لا بد من هذه الكلمة ـ يقوم على تجريد النفس و تهذيبها و قمع الشهوات و العطف و المؤاسات و اللهج بالعمل و على رفض التقاليد و الطقوس و التفاوت الطبقي الذي أصيب به المجتمع الهندي في العهد الأخير ...... و لكن ما لبثت هذه الحركة الدينية العظيمة، أن انحرفت و تحرفت و هجمت عليها الأوثان و التماثيل و الطقوس التى حاربتها البوذية و ثارت عليها حتى أصبحت في الزمن القصير ديانه وثنية لا تمتاز عن ديانة البرهمية إلا بأسماء الأوثان و التماثيل و عددها". (٧٠)

الفلسفة و الكلام:

١ ـ الجوائز و الصلات من جميع الأسامي و الصفات : ألف هذا الكتاب الشيخ نور الحسن القنوجي (م ١٣٣٦هـ) و هذا الكتاب يعد من أهم تأليفات الشيخ نور الحسن و يشتمل على مقدمة و تسعة و ثمانين بابا بالاضافة إلى تتمة الكتاب. قام بطباعة هذا الكتاب مطبعة الفاروقي، دهلي. (٧١)

٢ ـ الكون بوجود الآلهة : مؤلف هذه الرسالة هو الشيخ محمد قاسم النانوتوي (م ١٨٧٩م) كتب الشيخ النانوتوي باللغة الأردية و نقلها الأستاذ بدر الحسن القاسمي إلى العربيه

٣ ـ العقيدة السنية : ألف هذا الكتاب الأستاذ محمد أويس النجرامي الندوي، و هو في الحقيقة في شرح "العقيدة الحسنة" التي وضعه شيخ الإسلام ولي الله الدهلوي لتوضيح العقائد الإسلامية.

٤ ـ الدين و العلوم العقلية : ألف هذا الكتاب عبد الباري الندوي في الأردية. حاول الاستاذ في هذا الكتاب اثبات التطبيق بين الدين و العلوم العقلية. و قد نقل الأستاد واضح الرشيد الندوى هذا الكتاب من الأردية إلى العربية.

٥ ـ رجر المناع لكشف القناع عن وجه الوجوب و الإمتناع : هذه الرسالة من تأليفات الأستاذ الجونوري. و غايتها اثبات التوحيد عند المناظرة مع الشيعة و الرد على فلسفة حكماء اليونان.

٦ ـ عميده الإسلام في حياة عيسى عليه السلام : ألف هذا الكتاب العلامة انور الشاه الكشميري في الرد على آراء علام أحمد القاديانى، حول عيسى السلام.

٧ ـ المنهج الإسلامي السليم : أعد هذا الكتاب الأستاذ محمد الحسني و قام بطبعه دار القلم، الكويت.

٨ ـ الإنتقاد على التمدن الإسلامي : ألفه الشيخ شبلي النعماني في الرد على كتاب "التمدن الإسلامي" للأستاذ جرجي زيدان الذى وقع فيه بعض الاخطاء لدى إظهار أفكاره عن العرب و عن خلفاء بني أميه. و طبع هذا الكتاب مرارا في البلدان العربيه و الهند.

٩ ـ الكلام الموثوق في تحقيق أن القرآن كلام الله غيى مخلوق : ألف هذا الكتاب الأستاذ إدريس الكاندهلوي، و قدم فيه آراء الحنابلة و المعتزلة و الأشاعرة و الماتريدية عن وجوداتها قديماً و حديثاً.

١٠ ـ الأركان الاربعة : جاء بهذا الكتاب القيم الشيخ أبو الحسن علي الندوي. و ناقش فيه أهمية الأركان الأربعة للإسلام : الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج، و تحدث فيه أيضا عن مقاصد هذه الأركان و حكمها و أسرارها في ضوء تعاليم القرآن و الأحاديث النبوية. و قام بطبع هذا الكتاب المجمع العلمي، لكناؤ.

١١ ـ القادياني و القاديانية : هذا الكتاب يعتبر من أهم مؤلفات العلامة أبي الحسن علي الندوي. و هو في الحقيقة دراسة دقيقة تحليلية لفرق القاديانية و تعاليمها و عقائدها. قدم العلامة الندوي في هذا الكتاب أدلة مقنعة و براهين قاطعة لإثبات ضلالة هذه الفرقة القاديانية و طبع هذا الكتاب من قبل المجمع الإسلامي، لكناؤ.

١٢ ـ النبوة و الأنبياء في ضوء القرآن : هذا الكتاب في الحقيقة مجموعة من ست محاضرات ألقاها العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي لإبراز أهمية النبوة و الأنبياء و قد القيت هذه المحاضرات الست في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ١٣٨٢هـ.

الفقه و القضايا الفقهية :

١ ـ إعلام أهل العصر بأحكام ركعتى الفجر : ألف هذا الكتاب شمس الحق الديانوي. و ناقش فيه بالتفصيل عن الأحكام المتعلقة بركعتى صلاة الفجر. (٧٢)

٢ ـ جامع الآثار : ألف هذا الكتاب الشيخ أشرف علي التهانوي، و حاول فيه أن يجمع الأحاديث النبوية التي يستدل بها الأحناف. و في هذا الصدد اهتم المؤلف بذكر مراجع هذه الأحاديث و في بداية الكتاب مقدمة مفيدة شاملة .

٣ ـ الفقه الميسر : هذا كتاب من مؤلفات شفيق الرحمان الندوي. و هو كتاب جمع فيه الندوي بعض الأحكام الفقهية على منهج "نور الإيضاح".

٤ ـ القواعد الفقهية : صنف هذا الكتاب علي أحمد الندوي. هذا الكتاب في الحقيقة رسالة أعدها الندوي لنيل شهادة الماجستر من جامعة أم القرى. و بذل الندوي جهودا قصوى في سبيل إعداد هذه الرسالة، و جمع فيه كل معلومات ضرورية شاملة للقواعد الفقهية.

٥ ـ فصل الخطاب : هذا الكتاب من أهم مؤلفات العلامة أنور شاه الكشميري. و قد تناول فيه العلامة الكشميري مسألة القرأة خلف الإمام و ما يوجد فيه الخلافات بين الأئمة. و هناك كتاب آخر للعلامة الكشميري عالج فيه مسألة فقهية أخرى و هو مسألة رفع اليدين و هذا الكتاب طبع تحت عنوان "نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين".

الدراسات الإسلامية :

١ ـ الإسلام الممتحن : ألف هذا الكتاب الأستاذ محمد الحسني. و هذا الكتاب في الحقيقة مجموعة من المقالات أو الافتتاحيات التي نشرت في أعداد مختلفة لمجلة "البعث الإسلامي" الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ. و هذه المقالات تتسم بتنوع الموضوعات و بطرافة الأسلوب و قد تحدث فيها الأستاذ

الـنـدوي عن الفترة الحالكة التي هبت فيها عاصفة القومية العربية الهوجاء في بـداية الخمسينات، فكانت القيادة العربية تؤمن بأن التخلص من الأثر الإسلامي هـو أقـدم و أهـم من مـحـاربـة الـصـهـيونية و من استعادة المقومات الإسلامية و كانت النتيجة أن القومية العربية و الإشتراكية العلمية قد حلت محل العقيدة الإسـلامـيـة و من هـنـا نـلاحـظ أن الـمـؤلـف قد حرر للتعبير عن شعوره الجريح الـفـيـاض، و قـلـبـه الـمـكـلـوم المتألم و للدفاع عن الفكرة الإسلامية. و قد جاء الـمـؤلـف بـهـذا كله بأسلوب أدبي رفيع. و قام بطبع هذه المجموعة دار عرفات، دائرة الشيخ علم الله الحسني. رائبريلي، الطبعة الرابعة ١٩٨٠م.

٢ ـ الـجـزيـة فـي الإسـلام : هـذا الـكـتـاب من أهـم مؤلفات العلامة شبلي النعماني، كتبه المؤلف أولا بالأردية ثم نقله إلى العربية.

٣ ـ مـسـتـقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج : ألف العلامة أبو الـحـسن عـلـي الندوي هذا الكتاب لإظهار خواطره و إحساسه الناجمة عن اندلاع الحرب فى منطقة الخلـج العربى.

٤ ـ التربية الإسلامية الحرة في الحكومات و البلاد الإسلامية : هذا الكتاب أيضا من أهم مؤلفات الأستاذ الندوي المذكور و قد تحدث فيه المؤلف عن أحوال و آثار التربية الإسلامبة الحرة في الحكومات العربية و البلاد الإسلامية.

٥ ـ الـسـعـادة و الـقـيادة : يشتمل هذا الكتاب على اثنتي عشرة محاضرة ألـقـاهـا الأسـتاذ أبو الحسن علي الندوي في أثناء زيارته لدولة باكستان بمناسبة المؤتمر الآسيوي الأول الذي عقدته رابطة العالم الإسلامي في عام ١٩٨٧م بمدينة كراتشي.

٦ ـ أحاديث صريحة في أمريكا: هذه الأحاديث أيضا من محاضرات ألقاها الأستاذ الندوي المذكور في الولاية المتحدة الأمريكية و كندا أثناء زيارته لهذين البلدين في عام ١٩٧٧م.

٧ ـ الإشتراكية و الإسلام : في هذا الكتاب قام الأستاذ مسعود عالم الندوي بمقارنة بين الإسلام و الإشتراكية. و قدم دلائل و براهين لتفضيل النظام الإسلامي على النظام الإشتراكي. و قام الأستاذ صهيب حسن السلفي بنقل هذا الكتاب من الأردية إلى العربية.

٨ ـ دراسات في الحضارة الإسلامية العربية : صاحب هذا الكتاب هو الدكتور عبد العلي الأزهري و قامت بطبعه إدارة البحوث الإسلامية ببنارس في عام ١٩٩١م.

٩ ـ بين التصوف و الحياة : ألف هذا الكتاب الأستاذ عبد الباري بالأردية و بحث فيه عن الجوانب المختلفة للتصوف و الحياة و نقل الأستاذ رابع الحسني الندوي هذا الكتاب من الأردية إلى العربية.

الجغرافيا :

١ ـ الهند في العهد الإسلامي : ألف هذا الكتاب الشيخ عبد الحي الحسني. و هو يشتمل على تاريخ شبه القارة الهندية و بخاصة جغرافيتها و في سياق هذه الموضوعات ألقى المؤلف الضوء على عديد من العلوم و الفنون تحت أبواب مختلفة و منها نظام الحكومة و الإدارة و مبادئ الثقافة و الاجتماع و أسس الديانات و الحضارة الهندية في مختلف الأدوار للتاريخ، و مساهمة المسلمين في ترقية البلاد، كما تحدث المؤلف عن جبال البلاد و أنهارها، و أقاليمها و مناخها و مواردها و معادنها. و حيواناتها بالإضافة إلى عقاقيرها

و أعشابها و أزهارها و أثمارها و ما إلى ذلك. و الفترة التي قد أحاط بها المؤلف في هذا الكتاب تمتد من دخول الإسلام في الهند إلى عام ١٨٥٧م. هكذا أصبح هذا الكتاب في الحقيقة موسوعة علمية ذات قيمة كبيرة. قامت بطبع هذه الموسوعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

الهوامش :

١ـ طبع الجزء الأول للكتاب في مطبعة كلية اللغة العربية و ادابها. و الجزء الثاني في المطبعة الندوية ـ ندوة العلماء ـ لكناؤ

٢ـ مقدمة نفحة العرب، ص ٣ ـ ٤

٣ـ طبع في دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة ١٩٨٥م

٤ـ مقدمة المؤلف ص ١٠، طبع في مكتبه دار العلوم لندوه العلماء طبعه ثانية ، ١٩٨٢

٥ـ نفحات : ص ٢٤ ـ ٢٥، طبع في إدارة المعارف، كراتشي

٦ـ جمهرة البلاغة : ص ٨، و طبع في مطبعة المعارف أعظم كره، ١٢٦٠ هـ

٧ـ طبع في مطبعة دار العلوم بدلهي، عام ١٩٨٢م

٨ـ و طبع في مطبعة الكوثر، أعظم كره

٩ـ و طبع في مكتبة اشاعة إسلام

١٠ـ التوشيحات : ص ٤١، و طبع في المكتبة الحسينية، دلهي

١١ـ طبع في مطبعة إدارة البحوث الإسلامية، الجامعه السلفية، بنارس، ١٩٩٠

١٢ـ طبع في مطبعة سيد سيف الرحمان، دلهي الجديده (الطبعة الثانية) عام ١٩٨٤م

١٣ـ طبع في مكتبة الندوة التجاريه، لكناؤ، ١٩٧٢م

١٤ـ طبع في مكتبة الندوه التجارية، لكناؤ، ١٩٧٢م

١٥ ـ طبع في مؤسسة الصحافة و النشر، ندوة العلماء لكناؤ

١٦ ـ و قد طبع الكتاب في جزئين في مطبعة مؤسسة الصحافة و النشر، ندوة العلماء لكناؤ، ١٩٧١م

١٧ ـ طبع في مطبعة إدارة تعليمات إسلام، لكناؤ

١٨ ـ طبع في مطبعة إدارة تعليمات إسلام لكناؤ ١٩٤٧م

١٩ ـ طبع في مطبعة الأسر اسبور، حيدر آباد، باكستان

٢٠ ـ طبع في مطبعة إدارة تعليمات إسلام، لكناؤ ١٩٤٧م

٢١ ـ الأدب الإسلامي و صلته بالحياة، ص ١٣، طبع في مطبعة ندوة العلماء

٢٢ ـ اهلحديث كى تصنيفى خدمات: ص ٦٤٧ لمحمد مستقيم السلفي

٢٣ ـ المصدر السابق ص ٦٤٧

٢٤ ـ المصدر السابق ص ٦٥٢

٢٥ ـ نفحة العنبر ص ٩٦ قامت بطبعه مطبعة المجلس العلمي في دابهيل

٢٦ ـ الطريق إلى المدينة المنورة . ص ٤١، طبع في مطبعة المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكناؤ الطبعة الخامسة ١٩٨٧م

٢٧ ـ طبع في المطبعة السلفية، القاهرة في عام ١٣٤٥هـ (الدراسات: ص ٢٠ ـ ٢١ للدكتور عبد الحق.

٢٨ ـ طبع في مطبعة دار السلفية، بمبئ عام ١٤١هـ (جماعت اهلحديث كى تصنيفى خدمات، ص ٥٢٧

٢٩ ـ السيد أحمد بن عبد الرحمان الحليمة، البعث الإسلامي العدد ٤/ المجلد ٤٢ ابريل و مايو ١٩٩٧م و طبع هذا الكتاب في مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

٣ ـ طبع في مطبعة مؤسسة الطباعة و الصحافة و النشر في عام ١٩٨٠م (جماعت اهلحديث كى تصنيفى خدمات ٠ ص ٥٢٣)

٣١ ـ طبع في مطبعة دار القلم دمشق

٣٢ ـ طبع في مطبعة الجامعة السلفية، بنارس عام ١٣٩٩هـ (حماعت اهلحديث كى تصنيفى خدمات، ص ٥٧٤

٣٣ ـ طبع الكتاب في الحامعة السلفية، بنارس الطبعة الثانية عام ١٤٠٦هـ (المصدر السابق ص ٥٧٥)

٣٤ ـ قامت بطباعة الكتاب دار العاصمة رياض في عام ١٤١٠هـ (المصدر السابق ص ٥٧٥) ـ

٣٥ ـ الإعلام ج/٥ ص ٥١٤ ـ ٥١٦

٣٦ ـ المسلمون في الهند : ص ٣٩

٣٧ ـ إلى الإسلام من جديد، ص ٧٧ ـ ٧٩، طبع في مطبعة المجمع العلمي، ندوه العلماء، لكناؤ ـ الطبعة الخامسة ـ ١٩٧٩م.

٣٨ ـ شخصيات و كتب : ص ١٧٨ ـ ١٧٩، الناشر : كلية اللغة العربية و آدابها، ندوه العلماء، لكناؤ ـ ١٩٨٥م.

٣٩ ـ طبع في مطبعة إدارة البحوث الإسلامية، الجامعة السلفية، بنارس ـ ١٩٩١م.

٤٠ ـ طبع في مطبعة الجامعة السلفية، بنارس

٤١ ـ طبع في مطبعة دار الشرق، جده، المملكة العربية السعودية.

٤٢ ـ الإعلام : ج/٨ ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ و المسلمون في الهند: ص ٤٣

٤٣ ـ طبع في مطبعة سر هند، امرتسر، في عام ١٣٢٠هـ

٤٤ ـ طبع في مطبعة ندوه العلماء، لكناؤ في عام ١٩٦٤م

٤٥ ـ طبع في مطبعة السنة المحمدية، مكة المكرمة، في عام ١٩٤٩م

٤٦ ـ طبع في مطبعة المجمع الإسلامي العلمي، ندوه العلماء، لكناؤ

٤٧ ـ طبع في مطبعة دار الصحوة للنشر و التوزيع، القاهرة.

٤٨ ـ تذكرة مولانا ادريس، لمحمد ميان الصديقي، طبع في المكتبة العثمانية، لاهور.

٤٩ ـ طبع في كراتشي، باكستان في عام ١٩٧٦م.

٥٠ ـ مراعاة المفاتيح لعبيد الله المباركموري، ح/١ ص ٤٨، قام بطبع هذا الكتاب إدارة البحوث الإسلامية، الجامعه السلفية، بنارس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

٥١ ـ الإعلام ٠ ج/٨ ص ٢٥٩ ـ ٢٦، و حماعت اهلحديث كى تصنيفى حدمات: ص ٥٣ ـ ٥٤

٥٢ ـ الإعلام : ح/٨ ص ٢٥٩ ـ ٢٦

٥٣ ـ حماعت اهلحديث كى تصنيفى خدمات : ص٧٠

٥٤ ـ المصدر السابق . ص٦٦

٥٥ ـ الإعلام ٠ ح/٨ ص١٨٤

٥٦ ـ حماعت اهلحديث كى تصنيفى حدمات ص٧٥

٥٧ ـ المصدر السابق . ص ٧٥ ـ ٧٦

٥٨ ـ الإعلام ح/٨ ص ١٩٤ ـ ١٩٥

٥٩ ـ حماعت اهلحديث كى تصنيفى حدمات : ص ٧٦

٦ ـ المصدر السابق : ص ٩٠

٦١ ـ و قام بطبع هدا الكتاب مطبعه ندوه العلماء لكناؤ ١٩٨٥م.

٦٢ ـ مادا حسر العالم للأستاد أبي الحسن الندوي ص ٢٨

٦٣ ـ تاريخ الدعوه الإسلاميه في الهند ص ٢

٦٤ ـ الهند السنيه ص ١١ ـ ١٢، طبع في مطبعه محتبائي، دلهي

٦٥ ـ المسلمون في الهند ص ٧ قام بطباعه هدا الكتاب المجمع العلمي، ندوه العلماء، لكناو.

٦٦ ـ البعث الإسلامي رمضان ١٣٩٦هـ ص ٧٣ للأستاد نور عالم الأميني

٦٧ ـ الدراسات ص ٣١

٦٨ ـ حماعت اهلحديث كى تصنيفى حدمات . ص ٥٧٦ ـ ٥٧٧

٦٩ ـ المصدر السابق ص ٥٧٦ ـ ٥٧٧

٧٠ ـ رجال الفكر و الدعوة : ص ٢٢ ـ ٢٣، و طبع الكتاب في مطبعة دار القلم، كويت، الطبعة الثالثة ١٩٤٩م

٧١ ـ جماعت اهلحديث كى تصنيفى خدمات : ص ١١٠

٧٢ ـ الإعلام : ج/٨ ١٩٤ ـ ١٩٥

❖ ❖

الهند و الهنود في الأدب العربي

بقلم : د/حبيب الله خان

إن الـهـنـد الـتـي تـعـرف فـي الـعالم كبلد العجائب و الغرائب، لها حضارة عـريـقة تضاهي حضارة وادبي الرافدين و النيل في القدم، فمن البديهي أن تتأثر و نؤثر فيها، بقول الشاعر العربي :

لا أتت ساعـــة في الدهر فانصـــرمت

حتى تؤثر في قـــــوم لها اثـــــــــر

و الـيوم عندما نبحث عن آثار الهند في الكتب العربية نجدها بكثرة و وفرة و هـي منتشره، مبثوثه في آلاف الكتب، يصعب على الباحث حصرها. و لاحتواء هـذا الـموضوع الواسع بشكل موجز منطقي معقول ركزت اهتمامي على النقاط التاليه:

١ ـ كلمات هنديه في اللغه العربيه

٢ ـ الهند في كتابات الكتاب القدامى

٣ ـ الهند في كتب الرحلات و التاريخ

٤ ـ ذكر الأفكار و الديانات الهندوكيه في الكتب العربيه

٥ ـ ترجمة الكتب الهندية إلى اللغة العربية

٦ ـ الشخصيات الهندية في الكتب العربية

١ ـ كلمات هندية في اللغة العربية :

دخلت عشرات من الكلمات الهندبة في اللغة العربية، أيام كان العرب يتاجرون مع الهند، فإنهم نقلوا سلعاً هندية مع أسمائها منها الموز (Mocha) و الفلفل و الصندل (Chandan) و مشكا (Mushka) و الليمون وغيرها. (١) و ورد بعضها في القرآن الكريم أيضا مثل: زنجبيل و كافور(٢). و جاء في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن إحدى زوجاته قالت : دخل على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم و قد خرج فى إصبعى بثرة، فقال عندك ذريرة؟ قالت : نعم، قال : ضعيها عليها، قال إبن قيّم الجوزية : الذريرة دواء هندي و كذلك اشتهر من الأدوية الهندبة الإطريفل و هو في الهندية (Trıphal) و الهلبلج و هو في الهندبة (Harra) و البليلج و هو في الهندية (Behirra) (٣) و حتى توجد بعض الكلمات منها هندي و هندواني و مهند في الشعر الجاهلي، يقول الشاعر:

رب نار بتُّ أرمقهـــــــــــا　　　　تقضم الهنـــدي و الغارا (٤)

و بهذا الصدد يطيب لي أن أشير إلى المقالتين الغنيتبن بمثل هذه المعلومات دبجتهما أقلام الأستاذين الكبيرين البروفسور محمد سليمان أشرف و البروفسور عبد الحق بعنوان: "Indıa ın Arabic literature"

٢ ـ الهند لدى الكتاب القدامى :

ذكر البلاذري في فتوح البلدان، لعل أول وصف للهند الذي سجله التاريخ جاء على لسان حَكَمْ بن جبلة العَبْدى الذي زار الهند بأمر من الخليفة عثمان بن

عـفـان رضـى الـلـه عـنه، و هذا الصحابي الجليل لدى رجوعه من الهند وصفها لأمير المؤمنين قائلا : ماءها وشل و ثمرها دَقَلٌ و لصها بطل، إن قل الجبش فبها ضاعوا و إن كثروا جاعوا، فقال له عثمان : أخابر أم ساجع؟ قال بل خابر(٥).

و بـعـد الـفتح العربي للهند و إقامة الدولة العربية فى السند كثر الاحتكاك مع الهنود و دخلت الهند و علومها و معارفها فى الكتب العربية بأوسع أبوابها فما من كـاتـب و شـاعـر كـبـيـر إلا تـنـاولـها و اتخذ منها موضوعا لكتاباته العلميه، و هـا هـو الـجـاحـظ (٧٧٥ـ ٨٦٨) الـذي أولى اهتماماً كبيرا بالموضوعات الهندية و خـصـص لـهـا حـيـزا كبيرا فى كتبه و لا سيما فى كتابه الحيوان حيث ذكر في أمـاكن عـديـدة جـميع تلك الحيوانات التي اشتهرت بها الهند و إليكم نص قوله، "الفيل و البر و الطاووس و الببغاء و الدجاج السندى و الكركدن مما خص اللّه به الهند؟"(٦).

و يـقـول فى مكان أخر "الهند توافق العرب فى كل شئ إلا فى ختان النساء و الـرجـال ـ دعـاهـم إلـى ذلـك تـعـمقهم فى توفير حظ الباه قالوا: و لذلك اتخذوا الأدويـه و كـتـبوا في صناعة الباه كتبا و درسوها للأولاد"(٧).و يقول في مكان آخر "اشـتـهـرت الـهـنـد بـالـحـساب و عـلـم النجوم و أسرار الطب و الخرط و النحر و الـتـصـاويـر و الصناعات الكثيره العجيبة"(٨). و ما من شك إنه اعترف بفضل الـهـنـد فـى حـفاظها على تراث الحساب و هو من أعظم التراث الانسانى و قال" لـولا خـطـوط الـهـنـد لـضـاع من الـحـسـاب الـكـبير و البسيط و لبطلت معرفة التضاعيف و لعدموا الإحاطه بالباورات الخ"(٩).

٣ ـ الهند فى كتب الرحلات و التاريخ :

احـتـلـت الهند مكانه مرموقة فى الكتب العربية بفضل مشاهدات الرحال الـذين زاروا الهند في مختلف العصور فانهم لم يذكروا الهند رمزاً بل إسودوا آلاف

الصفحات في وصفها و تقاليدها و مراسيمها و أعيادها و حفلاتها و دياناتها، و من هولاء الرحال التاجر سليمان الذي زار الهند في سنة ٢٣٧هـ و سجل مشاهداته في كتابه "سلسلة التواريخ" و فيه وصف دقيق لمشاهداته في الهند و من أهم ما ذكره اعتقاد الهنود أن الملوك في الدنيا أربعة فقط و هم : ملك الصين و ملك الهند و ملك الروم و ملك العرب، و بعد عشرين سنة جاء أبو زيد السيرافي في سنة ٢٦٤هـ و من أهم ما ذكره عن الهند هو عقيدة التناسخ و طقوس الرهبان البوذيين الذين يمشون حفاة القدم، ثم جاء أبو دُلَفْ مِسْعَرْ بن الـمَهلْهِلْ الذي زار الملتان و مدراس و سجل مشاهداته حول صنم الملتان و المنتوجات الصناعية و الزراعية في مدراس بجنوب الهند. ثم يأتي ابن شهريار في سنة ٣٠٠هـ الذ سجل مشاهداته في جنوب الهند و غجرات في كتابه الشهير "عجائب الهند" و ذكر فيه أول ترجمة للقرآن الكريم قام بها عالم عرافي. ثم جاء أبو الحسن علي المسعودي في سنة (٣٠٢هـ) الذي غني عن التعريف بفضل مؤلفاته الضخمة "مروج الذهب" فانه ذكر الأنهار الهندية و ودبانها و سجل المعلومات القيمة عن شركات الملاحة و السواحل الهندية و وصفها وصفاً رائعاً ثم في سنة ٣٤٠هـ جاء أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخري الذي زار المناطق الشهيرة في الهند و سجل مشاهداته في كتابين و هما: كتاب الأقاليم و كتاب مسالك الممالك" ثم جاء ابن حوقل التاجر البغدادي الشهير الذي جاب العالم و وضع خريطة للعالم لأول مرة و وضع كتابا باسم "المسالك و الممالك" و ذكر فيه عدد سكان الهند و مساحتها و ما يهمنا في خريطته هو عد النبت و كشمير من الهند، ثم جاء شمس الدين المقدسي في سنه ٥٣٧هـ الذي وصف السند و الملتان و المنصورة وصفا دقيقا و ذكر بعض أخبار الحكومه الفاطمية

فـي الـهـنـد و حـركة الـحديث و الفقه في هذه المنطقة. ثم جاء صديق ابن سينا أبـو ريحان البيروني في القرن الحادي عشر و عاش في الهند حوالي عشر سنوات و عكف على دراسة اللغة السنسكريتية و ترجم منها و إليها كثيرا من كتب الفلك و الـريـاضـيـات و وضـع كـتـابـاً "تـحـقـيق ما للهند" الذي يعبتر مصدراً هاماً في الـدراسـات، و ثـم جـاء ابن بـطـوطة (١٣٠٤ ـ ١٣٧٨) الذي وصف مدينة دلهى وصفاً دقـيـقـاً(١٠)، نـحـن نعترف جميعا بالخدمات الجليلة التي قدمها هولاء الرحال من خلال كتبهم التي حافظت على تراثنا القديم و الآن أريد أن أتعرض للجانب الآخر من الـمـوضـوع هـو مـسـاهـمـة الـمؤرخين العرب في صيانة التراث الهندي من الـضياع و من أبرزهم أحمد بن يعقوب (المتوفى سنة ٢٩٢هـ) الذي ذكر في كتابه "تاريخ اليعقوبي" الهند أصحاب حكمه و نظر و هم يفوقون الناس في كل حكمة و قولهم في النجوم أصح الأقاويل و كتابهم فيها هو كتاب السند هند"(١١) ثم يأتي ابن خـرداذبـة (٨٢٠ ـ ٩١٣) الـذي وصـف فـي كـتـابـه الـشـهـيـر "الـمـسـالـك و الـمـمـالـك" الطرق البحريه للهند كما ذكر سبع فرق دينية للهندوكيين الناشئة عـلـى أساس العنصرية و الطائفة و أحطها شانا شندال أي المنبوذين، ثم يأتي الـمـسـعـودي (ت ٩٥٦) الـذي قـال فـي كـتـابه "مروج الذهب" إن الهند كانت قديم الـزمـان الـغرة التي فيها الصلاح و الحكمة"(١٢) و من المؤرخين العرب الآخرين الـذين تناولوا موضوع الهند هم : صاعد بن أحمد الاندلسي (١٠٢٩ ـ ١٠٧٠) الذي ذكر الـهـنـد بـتـفصيل في كتابه "طبقات الأمم" و جمال الدين علي القفطي و كتابه "إخـبـار الـعـلـمـاء بـأخـبار الحكماء" و الاصطخري (ت ٩٥٧) و الاصبهاني (٩٦٧) و الـشـريـف الادريـسـي (١١٠٠ ـ ١١٦٥) و زكريا القزويني (١٢٠٨ ـ ١٢٨٣) و شهاب الدين النويري (١٢٧٨ـ١٣٣٢) (١٣).

٤ ـ الافكار و الديانات الهندوكية في الكتب العربية :

ذكر أحمد أمين في كتابه "ضحى الإسلام" أن العرب استفادوا من الأفكار و الآراء الهندية في البلاغة و أخذوا منها ما يسمى "بمقتضى الحال" و للهند فضل كبير في ترويج القصص على لسان الحيوانات و فيما يتعلق بالديانات الهندوكية فإنهم أبدوا بها اهتمامهم الكبير و ذكروا تفاصيلها و دقائقها في كتب التاريخ و الرحلات التي أشرت إليها آنفا و الآن أريد أسلط الضوء على ما كتبه العلامة الشهرستاني في كتابه "الملل و النحل" إنه خصص الجزء الرابع من كتابه للعقائد الهندوكية و ناقش في الباب الأول الفرق البراهمة و أصحاب البددة و أصحاب الفكرة و الوهم و أصحاب التناسخ و في الباب الثاني، أصحاب الروحانيات منها الباسنوية و الباهودية و الكابلية و البهادونية، و في الباب الثالث، عبدة الكواكب منها الدينيكينية و الجنديكينية و في الباب الرابع، عبدة الأصنام منها المهاكالية و البركسهيكية و الدهكينية و الجلهكية و الأكنواطرية و في الباب الخامس، حكماء الهند و المواضيع المتعلقة بذلك. و خلافاً للعلامة الشهرستاني هناك عدد من العلماء العرب أمثال أحمد أمين الذي ناقش في كتابه "ضحى الاسلام" الفلسفة الهندية كما ناقشها أحمد موسى سالم في كتابه "العقل العربي" و الأستاذ عمر فروخ في كتابه "تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون" إن هؤلاء الكتاب تناولوا الموضوعات مثل الوثنية و تعدد الآلهة و طبقات المجتمع و التناسخ و التثليث و التجسد و الاوبانيشاد و غبتا و راماينا و ويدانتا وغيرها.

٥ ـ ترجمة الكتب الهندية إلى اللغة العربية :

لقد أولى العرب بترجمة الكتب الهندية إلى اللغة العربية اهتماماً كبيراً، بدأت سلسلتها من عهد الخليفة أبي جعفر المنصور حيث وصل إلى بلاطه وفد

من الهند فيه فيلسوفان كنكا و منكا و في حوزتهما كتب علمية منها سوربا سدهانت و الاركند و الارجبهر، فكلف المنصور ابراهيم بن حبيب الفزارى و يعقوب بن طارق بترجمتها إلى العربية و في هذا الزمن بالذات ترجم ابن المقفع كليلة و دمنة من الفارسية، و على مر الأيام نالت الترجمة من الهندية إلى العربية رواجاً كبيراً و ترجمت مئات من الكتب التي لا مجال لذكرها، و في العصر الحاضر أبدى العلماء العرب اهتماماً متجدداً بترجمة الكتب الهندية، فإنهم عكفوا على ترجمة الكتب الهندوكية و أذكر على سبيل المثال لا الحصر إن وديع البستاني نقل كتاب "المهابهارتا" و جزءا كبيرا من باغوت غيتا و شاكونتلا و رامايانا إلى العربية كما ترجم الدكتور بديع حقي كتب طاغور و مسرحياته باسم "روائع طاغور" و فضلا عن طاغور ترجمت كتب غاندي و إقبال و نهرو و من الجدير بالذكر أن العرب لم يترجموا كتب الهنود فحسب بل ترجموا جميع الكتب النافعة التي وضعت حول الهند مثلا نقل الأستاذ عادل زعيتر كتاب "حضارة الهند" للعلامة غوستاف لوبون الذي جاء الهند على رأس بعثة الآثار الفرنسية عام ١٨٧٨م.

٦ ـ الشخصيات الهندية في الكتب العربية :

و فضلا عما جاء أعلاه لقد تناول الكتاب و الشعراء العرب الشخصيات الهندية و اتخذوا منها موضوعات لكتاباتهم العلمية و بدأت هذه السلسلة من أبي عطا السندي (ت ٧٧٥) الشاعر الهندي الأصل الذي مدح الأمويين و هجا العباسيين، و مرت بابن الاعرابي اللغوي الشهير و المحدث الكبير أبو معشر نجيح السندي(١٤) حتى وصلت إلينا و احتوت في طياتها آلافاً من الشخصيات التي لا عد لها و لا حصر، و من الشخصيات الحديثة التي حظيت باهتمام الشعراء و الكتاب العرب غاندي و طاغور و نهرو و إقبال و محمد علي جوهر،

أذكر على سبيل المثال إن أحمد الشوقي قرض الشعر حول غاندي و مولانا محمد علي جوهر كما نظم "الخرافه الهندية" التي اختتم بها حديثي معكم.

المرأة:

أروي لكم خرافــة   في غاية اللّطافــه
أتت من الهند لنــا   و ترجموها قبلنــا
إلى لغات جمّـــه   لأن فيهــا حكمَةْ؟

***

"توشتري" معبود   ألّهــه الجنـــــود
قالوا: هو الذي برى   هذا الوجود و الـورى
و مثلـه "فولكان"   فيما رأى اليونـــان
كلاهما حـــداد   عَبَـــده العبـــاد
فحين صاغ العالما   كما يصوغ الخاتمــا
أنفق ما كان ادّخرْ   و لم يـــدع ، و لم يذر
و كلّ شـــيء بذلا   حتـــى أتمّ الرّحُـلا
و ضاق بالنســـاء   في الخلــق و الإنشاء
فحار ماذا يجمـع   و منه أنثى يصنـــع
و بعد فكر أعملـه   حتى بدا الصواب لــه

كوّنها تكوينـــــــا مختلفاً تلوينـــــــا

من استدارة القمر، إلى لطافة الزّهـــــر،

إلى تراوح الشَعب، إلى رشاقـــة القصب

فلحظات الرّيـــم، فقلـــق النسيــــــم

فبهجـة الشعـــاع، فقســـوة السّبـــاع،

فزهـــرة الطاؤوس تأخــــــذ بالنفــوس،

و من دموع السحب إلى انكمـــــاش الأرب

إلى التواء الأرقـــم فالزغـــب المقسّـــم

فالحرّ مـــن وقود، فالبرد من جليـــــد،

فالشّهد في المـذاق فخفّــــــــة الأوراق،

فنغم الهَديـــــر، فهذر العصفــــــور

و كل هـــــذا هنّاه مكوّنا منــــــه امرأة

و بعـــد ما أتمّها لعبـــــده قدّمهـــا،

و قال . خُذها يا رجل و عن هواها لاتحـــــل!

***

فبعد أسبوع مضـى أتى له معترضـــــا

يقـــول : يا اللّهمّا خذهـــا ، كفاني همّا،

لا صبر لي معها، و لا   أرى بهـــا لي قبـلا
تظلّ تشكـــو الداء   و تخلـق الشحنـــاء،
محتالة على الغضب،   شاكيــة و لا سبـب،
قد ضيّعتْ أوقاتــي ،   و أذهبت لذاتـــــي
فأخـــذ الإلـــه   ما كان قـــد أعطاه!

***

فلم يكن بعض زمن   حتى تولاه الحـــزن
فقال : ربّ ردهـــا   فما نعمت بعدهـــا
بانت فلا أنساهـــا   كأني أراهـــــا
ماثلة أمامـــي،   ماثلـــة أيّامـــى،
لطيفة في لعبهـا   خفيفة في وثبهـــا!

***

قال الإلـــه: يا رجل   حيرت مولاك ، فقُـــلْ
ماذا الذي تريــد ،   أحفظ أم أعبـــد؟
فأخذ الرفيقـــة،   و قال ذي الحقيقـــة
لا عيش لي معها ، ولا   بدونها العيش حـــلا !!

المراجع :

١ ـ الدكتور محمد اسماعيل الندوي، تاريخ الصلات بين الهند و البلاد العربية دار الفتح بيروت ص ٣٤

٢ ـ الدكتور أحمد أمين، ضحى الاسلام ج/١ص٢٤٦

٣ ـ الدكتور محمد اسماعيل الندوي، تارخ الصلات المذكور اعلاه ص ٣٥

٤ ـ الدكتور أحمد أمين، ضحى الاسلام المذكور اعلاه ص ٢٢٩

٥ ـ البلاذري، فتوح البلدان ص ٤٢٨

٦ ـ الجاحظ، الحيوان ج٧/ص ١٢

٧ ـ نفس المصدر اعلاه ص ٢٩

٨ ـ الجاحظ، رسائل الجاحظ ١٩٠٥ مصر ص ٧٩

٩ ـ الجاحظ، الحيوان ج١/ص ٤٦

١٠ ـ أخذت المعلومات من كتاب تاريخ الصلات المذكور اعلاه ص١٢٧ ـ ١٢٨

١١ ـ تاريخ اليعقوبي ج١/ص ٧٤

١٢ ـ الدكتور محمد اسماعيل الندوي، تاريخ الصلات ص ١٣٠

١٣ ـ نفس المصدر اعلاه

١٤ ـ الدكتور أحمد امين، ضحى الاسلام ج١/٢٣٣

❖❖

الأساطير و الآثار الهندية
في الشعر العربي الحديث

بقلم : شبير أحمد الصديقي

من الثوابت التاريخية إن العلاقات التجارية و الثقافية بين الحضارتين الهندية و العربية كانت قائمة منذ الألف الثالث قبل الميلاد. و الهند أيضا كالبلاد العربية مهد المعارف و الأفكار، و مسكن الملاحم و الآثار، مثل "مهابارتا" و "الرمايانا" و "كاجوراو" و "تاج محل" فهي أيضا مولد المذاهب و الديانات مثل "الهندوسية و الجينية" و "السيخية و البوذية".

و الأخيرة أي "البوذية" هي من الديانات العالمية الكبرى التي حظيت بالقبول و الرواج بين دول العالم و شعبها بعد المسيحية و الإسلام، بسبب معتقداتها اللاعنفية المنفردة و مبادئها السلمية المسالمة، منها الوحدة، و العزلة، و المراقبة. فهذا هو الشاعر العربي المقاتل "أحمد مخيمر" الذي يعبر عن معتقدات "بوذا" في قصيدته المعنونة "الوحدة : من ملحمة أشواق بوذا" و هو يقول (١)

عانقيني ... يا وحدتي .. عانقيني   و اتركيني على ذراك، قليــلا

أنت طود، أطل منه على الدنيـا   و حبنا استشرف المجهــولا

فترى العين كل شيء صغيـــرا   و ترى النفس كل شيء جليلا

ارفعينى يا وحدتي لأرى العالــم   من شرفتيك.. رحبا مهلــولا
و أرى ما عرفت أمسى من حب   صحارى مهجورة .. و طلولا
عانقبني .. يا وحدتي .. عانقيني   و ارفعينـــى إلى ذراك، قليلا

و الأساطــر الـديـنــة الهندية لها أهمية كبرى في ديانة الهندوس، فهى تبعث فى النفس اعجابا حباليا، و يسرها بما فيها من غرائب. و كذلك فيها موعظة و حكمه يعللها الهندوس و علماءهم كما يشاؤون و هذا مما دفع الشاعر العربي الشاب الأستاذ عبد الله فنون، إلى أن يكتب عن الأسطورة الهندية الخياليه المتعلقه بالملك "راما" و زوجته "سيتا" و التي هي المعروفة على مستوى العالم كله، بالرامايانات. و هذا ما قاله الشاعر تعبيرا عن عواطف "راما" و عذابه الشديد فى سبيل روحته المختطفة المفقودة. (٢)

قال يبكـــى حبـــه   أبكيك يا سيتاى عمـــــرا
اى شيطــان أتـــى   حين وافى الرب كـــــرا
سوف لا أرضى بديــــلا   عنك يا سيتاوى أخــــرى
لا أقبل الدنيــــا ولا   كل ذي الأموال مهـــــرا
هيا .. فعودى انعشينـــى   إننى قد مت صبـــــرا

و الأسطوره الهنديه الأخرى التي لها أيضا سمعتها العالمية لمزاياها الإبداعيه الفنيه، معروفه بـ"مهابهارتا" و يقال لها "حرب الحياة" أيضا. ففى هذه الاسطوره المزيده يدور القصه حول حرب ضروس، شبت في شمال الهند القديمه

يقال : إن الشاعر العلامه الأستاذ وديع البستاني، صاحب أول ترجمه لرباعيات الخيام باللغه العربيه، هو الذي أعطى هذه الملحمة الهندية المفصلة

حلتها العربية المفضلة، و لكن ما أمكن لي الحصول أو العثور على تلك النسخة المعربة القيمة، و بعد ذلك لخصها الأديب السيد فواد البستاني، نجل العلامة الأستاذ وديع البستاني، و خلفه الادبي الاصيل.

و من أسباب هذه الحرب التاريخية، مقامرة دنيئة بين "دربدان" الملك الشرير الطالح و ابن عمه الملك الصالح الذى قامر على ثروته فخسرها، ثم على ملكه و عرشه ثم على اخوته ثم على نفسه و خسر في كل مرة. ثم قامر على زوجته التقية الملكة "دروبادي" فخسرها أيضا، و باتت "دروبادي" أمة عند "دريدان" الطالح تساق إليه جرا بشعرها فتصيح في قصر "الكورو" أمام مجلس الشورى تبث شكواها. و فيمايلي الأبيات التي تتعلق بهذه المأساة البشرية. (٣)

و في مجلس الشورى بشعرمبعثر	و دمع على الخدين قامت دروبادى
أكابر يا أهل الحفيظة عونكم	و عفوكم السنار عن عربى البادي
أمن شعرها تجتر جرا مليكة	لناديكم العالى فيا جبـــرة النادى
أمن شعرها تجتر بنت متوج	و هل بعد هذا الألم دىن لعبـــــاد
أكابر يا أشراف يا سادة التقى	أنا إمرأة ملهوفة بنت أمجـــــاد
و واعجبا لامن يجيب و مالكم	كأنكم صم، الحجــــارة في الوادى
فما لكم كالطير فوق رؤسكم	سكوتا بشوراكم هوامد أجســـاد
أ نسل و عميان بدوت أمامهم	بعرى بدأ عارا فما هو بالبـــــادي

و في إحدى الأساطير الهندية القديمة، يحب الملك "دوكمنتا" الحورية "شاكنتلا" و يتزوج منها، ثم هي تضيع منه فيحزن حزنا عظيما و يكاد أن يجن عليه، إلا أنه في نهاية الأمر يجدها و تكون قد وضعت له طفلا جميلا، و عند

اللقاء يخاطب الإله "كسيانا" الملك قائلا له : ضم إلى قلبك ابنك فإن راياته ستخفق على جزر العالم السبع، فايحاءا من هذه الأسطورة الغرامية يحاول الشاعر الدمشقي "حسان عزت" تعبير مشاعر الملك "دوكمنتا" لعشيقته الحورية "شاكنتلا" و أشواقه المتفانية لها في شعره البياني الحر، و هو يقول: (٤)

نعبت أقدام الريح

و كنا مهر المغرب و انهار

و قطار الليل قراصنة أطل بغير دوى و بدون مصابيح

اشباح الليل قراصنة هرمت فى اعماق النيار

غربان الريح الوحشية

تأوى عننا كسلى فوق الاشجار

لا نامه .. لا همسة .. لا صوت ..

الكون سكون الوحشى و جناح العتمة لا ينهار شاكنتلا ..

لهب الشمس الداوي وراء عيوم المصر

حبل المارس تدنو . ندنو .. و الليل يلوح بالفجر

عيناى أنا تحدق نهار

لأرى تهدبك وراء الظل عيونا تندى بالحمر

لأرى ساقيك عبر النار

لأرى آه شاكنتلا

إني .. إني ..

احمل ذلي .. احمل قهري

احمل .. احمل .. لكن هل لي :

أن أغسل في مائك عمري؟

و من المأثر الهندية التاريخية ما ينفرد في العالم كله لفن بناءها الإبداعي الخيالي، و لا توجد في الدهر نظير له، و هو معبد "كاجوراو" من أروع المأثر العالمية التى كان يشتاق لزيارتها، شاعرنا العربي الرومانطيقي الأستاذ "عمر أبوربشة" و هو يقول : (٥)

يا هبكلا نثر الفنـــــون ورنح الدنيـــــا افتتـــــان

وثب الخيـــال إلى لقــــاك ورد و ثبتـــــه العبـــــان

تكلمت أحجارك الصمــاء مشرقــــــــة البيـــــان

في هذا المعبد توجد مئات من التماثيل التي تعبر بكل جرأه عن الأهواء الجنسية الطبيعية و أساليبها البديعة الشاذة، التي مثلها الإنسان في شتى طرقها الخيالية منها و الواقعية. و فيما يلي هي بعض من التماثيل التي يحاول الشاعر تعبيرها. (٦)

و فتــــى يهم بقبلــــــه و يكاد يفطفها حنــــــان

و فناة خـــدر، لم تلامس عقد مئزرهـــــا يــــــدان

و صبية ممشوقــــــــة هي .. و الغواية توأمــــــان

بهفو القميص لمس خصريها و تأبى الحلمتــــــــان

و قد مر الشاعر خلال زيارته لهذه التماثيل الجنسية الإبداعية، بإمرأة اوروبية عجوز، و سمعها تقول لنفسها: ما اقذر هذه المناظر، و صانعيها.. غير أن دهشته كانت بالغة حدها، لما رأى تلك المرأة نفسها في اليوم التالي تتملى من تلك المناظر، و بيدها منظار مكبر .. فنظرا إلى هذه الازدواجية البشرية و ثنائيتها، يقول الشاعر : (٧)

كاجوراو، هل من حرمة | لك عند رأيها تصان
كم زائر ادمى فؤادك | ما أسر، و ما ابان
اخفى الرضى، و تظاهرت | بالسخط ، عيناه اللتان

و في الابيات التالية يحاول الشاعر، تعبير عواطفه الذاتية و انعكاساته الفلسفة التي حصل عليها بعد رؤية هذه التماثيل المثيرة المحدثة.. و قال : (٨)

كاجوراو، عموك لبس لي | منى على حلمى ائتمان
أولى ، فاولى ، أن تموت | طبوفه، خلف الجفان
لا تسئلن ، فلن أجيب | و ظن بي ما أنت ظان
أن مطمئن بالقناع | و رافل بالطليسان
أزف المراق، فلن يمد | إلى رناجك راحتان
كاجوراو . لولا العجز | و الحرمان ، ما كان الجبان

و هذه هي الاعجوبة الهندسة الهندية "تاج محل" التى تعد من إحدى عجائب العالم و غرائبها، و قد أمر بتشييدها و بناءها الإمبراطور المغولي "شاه جهان" تخليدا لذكرى زوجته الحبيبة، و التي قد اشتهرت في مشارق العالم و مغاربها كرمز حقيقي للحب و الغرام.. و لعل هذا هو السبب الذي دفع بشاعرنا

السوري الرومانطيقي "عمر أبوريشة" إلى خطابها بـ "حب الأرض" بعد زيارة لآجرا، فقال : (٩)

ملاك الموت طاف بي الأعالي — دمشق بها غياهب كل نيـــه
و أبرز لي النجوم و كل نجـم — بتنه بما لديه على أخيــــه
وأنت طويت عمرك في التغنى — بفردوس الجمال و ساكنبــه
فأين تريد ان تحيا بعيـــدا — عن القلق المرير و عن بنبــه
و لاح إلى نجم من بعيــــد — تملت من مواكب راصديــه
توشح بالغيوب فكان بدعـــا — يتيم الند منفـــرد الشبيــه
نقلت هناك قال بكل رفـــق — هو النجم الذي قدمت فيـــه

و الشاعر الهندي الوطني، شاعر البشرية و السلام العالمى "الطاغور العظيم" هو الذي وصف هذه الأعجوبة الهندية الغرامية بقوله انها "العبر المتجمدة على وجنات الخلود" (The tears frozen on the cheeks of eternity) و هذا هو الشاعر العربي السعودي "على أبو العلاء" الذي استوحى هذه المقولة الطاغورية التاريخية، و سماها بـ "قصر العبر". و قال : (١٠)

عظة الدهر و تاريخ العبـــر — ما رأت عينى بقصر من حجـــر
قام في آجرا بباهى جامعـــا — روعة الفن و إبداع الصــــور
منح الحب وفاء زوجـــــه — بذل المال لتخلبد الأثـــــر
تشهد الرهبـــة و المجد معا — أينما صرت و صوبت النظــــر
نقش "القرآن" في جدرانــــه — سلسلا ينساب من فيض الـــدرر
هي للأجيال ذكرى ما مضـــى — عظـــة الدهـــر و تاريخ العبـــر

و يقال إن عشرين الف عامل و فني، اشتغلوا في بناء "تاج محل" على مدى عشرين عاما، و قد ثار ابن شاه جهان على والده لما رأى من تبذيره و ألقى به سجينا في برج، ولج الشوق بشاه جهان فعقل جواهر و ركزها في جدران البرج بحيث تنعكس عليه دائما صورة "تاج محل" كيفما سرح نظره .. فنظرا إلى هذه الخلفية الغرامية و ابحاءا من هذا الإسراف الأمبراطوري الجسيم، يحاول الدكتور "أحمد سليمان أحمد" تعبير مشاعره القلبية السلبية، في قصيدته الطويلة الحرة، المعنونة بـ "الشمس على تاج محل" و هو يقول : (١١)

يا شاه جهان ..
مثلك يقتلني العشق،
و لكن لن يحبسني في برج
سجــــان
لن أصقل جوهرة في برجي
كي تعكس لي صورة تاج محل
فلدي خيال انقى من كل جواهر
صاعة "اغرا"
و لدي زمرده الذكرى ..
يا شاه جهان
لن احبس، مثلك ، في بدر
او أدفنه في لحد

سأوزعه فوق رحاب الهند

أمطارا عربية

تبعثها الأرض الهندية

"مهابارتا" الإنسانية ..

يا عشاق الصحراء

ها أنا ذا أسكب فى حبي

كل سجايا الرمل الأسمر

دفئا أو ثورة.

و لها أو غبرة.

ها أنا ذا تحت الشمس الخضراء

أزرع بستانا،

اطلق نهرا فضيا

من أدمع شاه جهان الهرمات

من عرق العمال ـ العشاق

يشيدون ضريح الحب القدسيا

لكني ـ و أنا العاشق ـ

لن أضرب أزميلا في هذا المرمر

فأنا حبي ... الحرية

حبي قطعة شمس صحراوية

ابدا تتجول

حبي ...

في كل بلاد أو لغة

بطمح أن يرفع

تاح محل ...

فهذه هي بعض من الآثار العربية الشعرية المتعلقة عن الهند، و المنثورة علـى صـفـحـات الـكـتب و المجلات العربية الأدبية، التي هي خير دليل على أن الـهـنـد لها أثر ملموس و دور محسوس في نفوس العرب. سيما الشعراء و الأدباء و الـكـتاب الدين تأثروا أكثر تأثير بحضارة الهند و ثقافتها، و عبروا أحسن تعبير عن عـواطـمـهـم و مـشـاعـرهـم نحو أساطير الهند العظيمة و مآثرها الإبداعية المبنه المدمه.

المصادر

١ ـ "الـوحـده" من مـلحمه أشواق بودا/ احمد محمر . صوت الشرق : ص١٥ / العدد ٢١١/ يوليو ١٩٧٢م

٢ ـ "الرامـانـات" للشاعر الأستاد عبد الله فنون ثقافه الهند · ص١٢/ م٢٠ / العدد الثاني/ ابريل ١٩٦٩م

٣ ـ "نحن نـحـبـك عن الـمهابراتا" / الأستاد فواد البستاني · صوت الشرق : ص ٢٢ / العدد ٧/ ١٩٥٣م

٤ ـ "شاكنتلا" / الاستاد حسان عرب الآداب ص ٥٢/ العدد ١٦٧ / مايو ١٩٦٧م

٥ ـ "كاجوراو" / الأستاد عمر أبوريشة المختارات ص٢٣/ مطابع دارالكتب / بيروت

٦ ـ المصدر نفسه : ص ٢٣

٧ ـ المصدر نفسه : ص٢٤

٨ ـ المصدر نفسه : ص٢٥

٩ ـ "حب الأرض" / الأستاذ عمر ابوريشة:، صوت الشرق: ص١٧/ العدد ٣٥٥/ مارس ـ ابريل ١٩٩٣

١٠ ـ "فصر العبر" / للشاعر على ابو العلاء : صوت الشرق ٠ ص٢٧/ العدد ١٥٨/ مايو ١٩٦٦م

١١ ـ "الشمس على ناح محل" / الدكتور أحمد سليمان أحمد: المعرفة . ص ١٠٩ / العدد ١١٢/ حزيران ١٩٧١م

❖❖

الحكيم أجمل خان .. شخصيته و فنه

بقلم: الدكتور محمد قاسم الدهلوي

من بين قادة حركة التحرير و الشخصيات السياسية و الدينية الذين تحدث إلي عنهم والدى مولانا واصف الدهلوي كان مولانا آزاد و المفتي كفاية الله و المهاتما غاندى و الدكتور أنصارى و البانديت موتي لال نهرو و الحكيم أجمل خان و مولانا أحمد سعيد. هؤلاء العباقرة من مؤسسي الهند الحديثة، تميزوا بمكانتهم المرموقة فى المدارس العلمية و الفنية، و مثلوا فترة الازدهار الحضاري و العلمي الذى لم تشهد مدينة دلهى مثيلا له بعدهم، و في هذا المقال سنلقي ضوءاً على حياة الحكيم أجمل خان و شخصيته كعالم و طبيب ذاع صيته في دلهي و خارجها على وجه سواء.

كان مسيح الملك الحكيم أجمل خان طبيبا حاذقا، عالما أجل، دمث الخلق، كريم العادات، عذب الكلمة، اشتهر بكرم و سخاء، و فى شخصيته تجسدت مكارم الأخلاق و مفاهيم الاحسان. إنه انحدر من عائلة عريقة مقربة إلى البلاط الملكى منذ وصل أجداده إلى الهند برفقة الملك المغولى بابر، و استمر بهم الأمر في هذا البلد. و من سلفه الصالح الخواجه هاشم و الخواجه قاسم الذين عرفا بمكانة مرموقة بين كبار العلماء و شيوخ طرق الصوفية، و الملاعلي قارى الذي طبق صيته أرجاء البلاد كعالم و فقيه جليل زمن حكم

الامبراطور أكبر. لقد عاش آباءه فترات ازدهار سلطنة المغول، و كثير منهم تلألأوا كالنجوم في سماء العلوم و الفنون. و مسيح الملك نفسه ولد عندما كان آخر الملوك من السلالة المغولية، سراج الدين محمد ظفر بهادور شاه، يلفظ أنفاسه في الغربة بعيدا عن دلهي.

خلف الحكيم محمود خان وراءه ثلاثة أبناء: الحكيم عبد المجيد خان و الحكيم واصل خان و الحكيم أجمل خان، أكبرهم ولد في عام ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩م)، و أحيا تراث أجداده، فأقام "مدرسة الطب" في عام ١٨٨٢م، و درس "القانون" إلى أخريات أيام حياته. و اعترافاً بخدماته البارزة في تنمية الطب الشرقي لقبته الحكومة بـ "حاذق الملك". اللقب الذي قامت الحكومة المغولية بألقاب والد جده الحكيم محمد أكمل خان سابقا. توفى الحكيم عبد المجيد في عام ١٣١٩هـ (١٩٠١م).

و خلف شقيقه الحكيم واصل خان، الثاني من أبناء الحكيم محمود خان، في حمل تراث الأجداد، فراح يدرس الطب في المدرسة الطبية، و بالاشتراك مع الحكيم أجمل خان أنشا "الشركة للأدوية الهندية".(١) هذه الشركة عرفت فيما بعد بـ "هندوستاني دواخانه". الحكيم واصل خان كان من مواليد عام ١٨٦١م، و وافاه الأجل عام ١٩٠٤م بعد ثلاث سنوات من اداء الخدمات الطبيه في العيادة الشريفية. (لقد تعرضنا لأحوال هؤلاء لتمكين القارئ من بناء فكرة عن العوامل التي كان لها دور في صياغة شخصية الحكيم أجمل خان).

الميلاد و التعليم:

رزق الحكيم محمود خان إبنا ثالثا ـ الحكيم محمد أجمل خان ـ في السابع عشر من شهر شوال عام ١٢٨٤هـ . و المراجع تختلف حول السن الميلادي،

فـفي "مشير الاطباء" إنه ١٨٦٤م، و في "حياة أجمل" ١٨٦٣م، و في "مجلة أجمل ـ عـدد خـاص" ورد ١٨٦٤م فـيـمـا تـقول الاعداد الخاصة لـ "الجمعية" و "مسيح الـملك" إنه ١٨٦٦م. و الالتباس في التطبيق التقويمي هو السبب في اختلاف تلك الـمراجع حول عام ولادته بحسب التقويم الميلادي، و الأصح إنه ولد في ١١ شباط (فبراير) ١٨٦٨م.

لـقـد حفظ الحكيم أجمل خان القرآن الكريم و تلاه في التراويح في السن الـمـبـكر. ثم توجه إلى اللغتين العربية و الفارسية، فتلمذ و لعدد من كبار علماء دلـهـي بـجـانـب شـقـيـقـيـه. و علمه المفسر الكبير المولوي عبد الحق الدهلوى و المولوي عبد الرشيد الرامبوري و الميرزا عبيد الله بيغ و الحكيم المولانا جميل الدين الـتـفـسـيـر و الـحـديـث و الادب و الـمنطق و الفلسفة وغيرها من العلوم الـريـاضـيـه الـطبيبة. كما تمرس في تحسين الخط برعاية المولوي رضي الدين و الـمـيـر بـنـجـاكـش. و بعد إكمال دراسة العلوم العربية و الإسلامية، اتجه إلى الـطـب، فـانـهـى الـكـتـب الـطـبيه المتداولة برعاية والده الحكيم محمود خان و شـقـيـقـه الـحـكيم عبد المجيد خان و الحكيم محمد واصل خان، فيما درسه "الـقانون" الحكيم غلام رضا خان الذى ارتبط بالأسرة الشريفية بروابط القرابة. و بـعـد بـحـقـيق تجربة واسعة في فحص النبض و العلاج في العيادة الشريفية، بـات يـطـالـع الـكـتـب و يـحل مشاكل طبية معقده، و بفضل المطالعة و الذكاء المتوقد اكتسب دقة النظر و المهارة الكبيره فى مجال الطب.

كـان الـحـكـيـم أجـمـل خـان طـبـيبا بارعا و مجتهدا لا يضاهيه كثير من معاصريه. إنه اعتبر البلد حجرة في طريق تقدم الطب الشرقي، و رؤيته هذه وجـدت انـعـكـاسا فى اهتماماته بالمدرسة الطبية، و مبادرته لإنشاء شركة لإنتاج الأدويه و مدرسة طبية للبنات.

التوطن في رامبور:

وفـرت إمـارة رامـبور منحة للعائلة الشريفية، و الحكيم عبد المجيد خان كـان يـزور إلـيـهـا من حين لآخر لمعالجة عاهل الإمارة وغيره من أعضاء الأسرة الـمـالـكـة. و الحكيم أجمل خان انتقل إلى رامبور عام ١٨٩٢م تلبية لدعوة النواب (عـاهـل الإمارة) بتولى رعاية قسم الطب و العمل عنده كطبيب خاص، و أمضى هناك عشر سنوات قبل عودته إلى دلهي في عام ١٩٠٢م.

لـقـد تـمـيز الحكيم أجمل خان بفائق القدرة على ممارسة الطب، و اتخذ أسـالـيب غريبة في العلاج و تشخيص الأمراض، و الألسنة بقيت تتردد بقصص عن أسـالـيـب علاجه الطريفة على مدى سنين. ذات مرة جاء إليه مريض بتولول بـشـدة الوجع فى البطن، ففحصه و ناوله الزئبق لأنه ارتأى ان عقدة فى الأمعاء، هـى الـمـسـبـبـة للآلام، و إنها ستنفتح بنقل الزئبق، و الأخير سينملت مع البرار. و قـال لتلاميذه بعد شفاء المريض من الآلام المبرحة إنه ليس هناك أي دواء لهذا المرض في مثل هذه الحالة سوى الزئبق مع أن العلاج به لا يخلو من الخطر.

و من الـقـصـص الـشـائعة عن حذاقة الحكيم أجمل خان إنه احضر إليه شـاب من قـريـة من ضواحى دلهى مصابا بمرض السل. بعد فحصه قال الحكيم أجـمل خان إنه تأخر و لم يعد مرضه قابلا للعلاج، و نصح مرافقيه بأن يعودوا به إلـى الـقرية و يعطوه ما يطلبه من غذاء و شراب باستثناء قصب السكر. و عندئذ كتب كلمات على قطعة ورق و ألقاها في صندوق و هو يقول للجماعة ان يطلعوه عـلـى أمـره اذا مـا أصـر و تـنـاول قصب السكر في حالة من الحالات. فحدث أن الـشـاب الـمـريـض غـدا يطلبه بالحاح شديد عندما وصل الناس إلى حقل خارج دلـهـى، فأنكر الأب، لكن الأم لم يرق لها أن يحرم الإبن من شيء يشتهى إليه و هو

علـى حـافـة الـموت. ذهب أحدهم إلى الحقل و اقتطف خمسة قصبات اعتصر المريض جميعها قبل وصولهم إلى القرية، و في البيت أكل وجبة شهية، ثم خرج يلـعب مع اقرانه، و عاد يطلب الطعام بعد قليل، فأكل حتى شبع، الأمر الذي دل علـى أنه استعاد الشهية بعد غيابها عنه بسبب المرض. و لقد جاء به الوالد إلى الحكيم حين تنكر ما قاله عن مرضه، و قدمه إليه قائلا إنه نفس المريض الذي وجـده عـبـر قـابـل لـلعلاج. و نهض الحكيم أجمل خان من مكانه عندما اكتشف الـوالـد أن الـمـريـض تـنـاول قـصب السكر، و أمر الحضور بأن يسرعوا معه إلى الـحـقـل لـكـى بـشتروه و بحصدوا ما فيه من قصب السكر. و لما وجد زوجا من الافـاعى وسط الحقل، عاد إلى العيادة، و أخرج قطعة الورق من الصندوق ليريها الناس و هى مكتوب فيها إن المريض سيشفى لو أكل قصب السكر من حقل فيه أفاعي.

و من الـقـصـص الـمـعروفة عن عبقرية الحكيم أجمل خان أنه أقام عند صـديـقـه الـدكـتـور مختار أحمد الأنصاري لدى قيامه بزيارة لندن. و الأخير كان طـبـيـبـا جراحيا فى مستشفى شرنج كروس، و عرف صديقه الزائر إلى الدكتور اسـتـنلى بايد الذى كان من أشهر الأطباء الجراحين من زمنه. فقال له الدكتور بـايـد أن يـشـارك فـي صـف دراسـى للطـب الـجراحى و يفحص مريضا، ففحصه الـحـكـيم أجمل خان، و قال إنه يعانى من الوجع و الحمى و الصفر لوجود قرحة مزمـنـة فـى الأمـعـاء، فيما أعاد الطبيب البريطاني مرضه إلى وجود أورام في الـمـراره، و طـلـب من الـحـكـيـم أجمل خان بالحضور إلى المستشفى لمشاهدة العملية فى اليوم التالي ليرى بأم عينيه أى طب أصح. يقول الدكتور أنصاري إنه كـان يـشـعـر بـفداحة الموقف و لم يكن يدري ما سيؤل إليه الأمر. إلاّ أن العملية

اثبتت ان الحكيم اجمل خان أصاب في تشخيصه، و الدكتور بايد كان أول من هناه على نلك بأعماق قلبه.

و من الحكايات الشائعة عن عبقرية الحكيم اجمل خان أنه أثناء زيارته إلى كلكتا استلم برقية من عمه يطلب منه التوقف في بلدة كانبور عائدا إلى دلهي لمساعدته في علاج أحد وجهاء المدينة الذي أصيب بالالتهاب الرئوي و لم يكن يستجيب لأي دواء، و بالعكس فان المرض كان يشتد بمرّ الأيام. عندما وصل الحكيم أجمل خان إلى كانبور، إشترط بأن عمه الطبيب سوف لا يتدخل و يعطيه حرية كاملة في العلاج، فلم يجد بدا من الانصياع على أمل بأن إبن أخيه سيحافظ على سمعة العائلة. فبدأ الحكيم أجمل خان بالعلاج، و أولا أمر بفتح النوافذ و ازاحة الأغطية من المريض، و أعطاه أعشابا مبردة. مما أثار دهشة العم لكنه التزم بالصمت. عندئذ بادر الحكيم أجمل خان يوضح الأمر قائلا بأن قرحات في الصدر تسببت في الآلام و اشتداد المرض. و شفاء المريض في أسبوع بعلاجه دل على أنه أصاب. و هناك كثير من القصص و الحكايات التي تعزى إلى الحكيم أجمل خان تدليلا على مهارته الفائقة في ممارسة الطب المحلي.

لقد حل الحكيم أجمل خان محل شقيقه الحكيم واصل خان بعد وفاته عام ١٩٠٥م، فتولى ادارة العيادة الشريفية، و اتخذ من ترقية الطب شغلا شاغلا له. إنه عالج الفقراء من مرضاه مجانا طول حياته، و في بعض الحالات ساعدهم بشيء من عنده ليقوموا بشراء ما يلزم تناوله من أغذية مناسبة اثناء العلاج، و لم يكن يتقاضى رسوما أو اجرة على فحصه للمرضى في العيادة أو في اي مكان بدلهي. لكن نلك لم يمنعه عن طلب أجور مناسبة لمكانته عندما زار الوجهاء و النوابين لأغراض العلاج.

مـرة أتـى إلـيـه فرنجي مصاب بصداع مزمن فنصحه أن يقضى ليالي في الاصـطـبـل لانه أدرك أن المريض كان راكب خبل في انكلترا، و مرضه ناجم عن انـقـطـاعـه فجاة عن البيئة المألوفة منذ زمان. و بذا شفي الفرنجي من مرضه العضال.

هـذه نـبـذة مـا تعرفنا عليه من خلال دراسة الكتب و المجلات التي نشرت موادا عن الحكيم أجمل خان و سيرته و حذاقته من حين لآخر.

تجديد الطب الهندي :

ركـز الـحـكـيـم أجمل خان حل عنياته على "المدرسة الطببة" و ترقيتها، فـاشـترى لـهـا أسـهـم "شركة الأدوية"، و قام بعدئذ بتشكيل "المجلس الطبي" بـمـشـاركه عدد من أعيان دلهي بوصفه مجلسا مشرفا على ادارات "هندوستانى دواخـانه" و المدرسة الطببه للذكور و الأناث، و فى عام ١٩١٢م حوله إلى "مجلس الاوصياء" لكي يتسنى كسب مكانة "الكلية" للمدرسة الطبية. و في العام نفسه انـشـا "الـمـدرسـة الـفـيـديـة" لـتعليم الطب الهندي التقليدى. و لقد قام اللورد هـاردينج بوضع حجر الأساس للكلية الطبية في ١٩ مارس ١٩١٦م ، و قام المهاتما غـانـدي بافتتاحها في ١٩٢١م. و الغرض من وراء تأسيس "الكلية الطبية اليونانية و الـفـيـديـة"، لـم يـكـن سـوى تـأمـين بـقـاء طرق العلاج و الأدوية التقليدية التي استمرت يتنافل من جيل إلى أخر منذ سنين لا تحصى.

بعد إنشاء الكلية الطبية و افتتاحها على يد المهاتما غاندى توجه الحكيم احـمـل خـان إلـى مـهـمة تجديد و اصلاح الطب الشرقي، فانشأ في الكليه قسما للابـحـاث لـتـمـحـيص القضايا الطبية القديمة و اختبار الأعشاب و الأدوية في معـامـل حـديـثـه. و مـنـهـا عشب يسمى "أسرول" تم تحليله في مختبر الكلية

الطبية، و ورد نكره في كتب الصيدلانية التي الفها بعض الكتاب الغربيين. (يقول تريز ايند و ايفانس في مؤلفه "فورموجونومي" إن الأخوين صديقي و صديقي قاما بفصل "اجملى ـ م" و "أجملى ـ س" من اسرول في عام ١٩٣١م).

و لا تفوتنا الاشارة إلى أهم انجازات الحكبم أجمل خان في مجال الطب الشرقي و كفاحه في سبيل صيانة الطب التقلبدي الهندي اليوناني من الاندثار، فإنه أدرك قبل غيره خطورة مؤامرة الاستعمار الانجليزي الذي أراد أن يقضى على التطبيب المتوارث عبر تنفيذ تشريع (١٩١٠) بموجبه لم يتبق لأي مواطن الحق في معالجة المريض إلا إذا كان حائزا على شهادة طبية من جامعة بريطانية أو هندية معترف بها، و نهض ينادي الأطباء و ينبههم إلى أهداف المخطط و ضرورة التحرك بكل قوة لأجل الحفاظ على الطب المحلي، و نبذ ما هو مستورد و مفروض من قبل الأجنبي. مما مكنه من خلق صحوة و استدراج الأطباء الذين تشبثوا بطريق المعالجة التقليدية، إلى أن تم تشكيل "مؤتمر الطب اليوناني" في دلهي عام ١٩١٠م، و تقرر أن ذلك المؤتمر سيقوم بشن حركة احتجاج ضد قانون التسجيل الطبي سالف الذكر على مستوى عموم الهند. هذه الجهود أثمرت في نهاية الأمر، و اضطرت الحكومة لسحب ذلك القانون.

سافر الحكيم أجمل خان إلى بعض الدول الأوروبية، فزار المعاهد و الكليات الطبية، و فحص الوسائل المستخدمة في المستشفيات الحديثة بهدف صياغة خطط مناسبة لتنمية الطب الشرقي و تحديثه من خلال الأبحاث و الدراسات، ذلك لأنه على خلاف غيره من الأطباء التقليديين، لم يكن يتصور النظريات و المبادئ التي تبناها جالينوس أو شيخ الرئيس غير قابلة للتجديد و الاصلاح. و إنما رأى أن بقاء الطب الشرقي و نموه كعلم و ممارسة، هدف لا يمكن تحقيقه إلّا بطريق التجديد و الاصلاح، فقال:

"المواد الدراسية التقليدية تتضمن نظريات منطقية و فلسفية يتوجب حذفها و استبدالها باضافات نافعة توصل إليها الاخصائيون في الهند و أوروبا عبر الابحاث و الدراسات".

و قال في كلمته الرئاسية في المؤتمر الطبي الذي انعقد في كراتشي عام ١٩١٩م :

"مطلوب من كل مواطن يحب أرض بلاده، أن يحب طبه القديم، فيعمل على ازاحة العقبات التي تحول دون نموه و ترقيته".

الاخلاق:

كان الحكيم أجمل خان انسانا طيب الخلق، معتدل المزاج، كريم العادات. و يقول مولانا حبيب الرحمن متناولا ذلك الجانب من شخصيته:

"تفارقت الطرق بيني و بينه أثناء فترة حركة العصيان المدني، و وقفنا وجها لوجه في بعض مواقف حساسة لاقصاه. لكنني لم أجده - رحمه الله - في حال من الأحوال ينحو عن منحاه، فيحدّ بصره أو يكون فظا غليظ الكلام، كلما الـفيتـه، وجدته رزينا هادئا، عذب الكلام، قرير العين.

الانشغال بالشعر:

أقبل الأعيان و الوجهاء في تلك الفترات من تاريخ الهند على تربية الأولاد و انماء أذواقهم و ميولهم الأدبية و الفنية، و منها خاصة الشعر الذي كان من السمات المميزة للأسر الثرية و المثقفة عن غيرها. و بجانب الشعر و الأدب فان تحسين الخط كان فنا آخر وقع موقع اهتمام الأشراف عند ذاك. و بفضل نفس التربية حمل الحكيم أجمل خان قدرة في قرض الشعر باللغات الأوردية

و الـفـارسـيـة و الـعـربـيـة و اتخذ لنفسه عرفا كشاعر: شيدا. و لـه ديوان نشر من برلين. و فيما يلي نورد ترجمة بعض الاشعار من ديوانه: ـ

حبي للألم سرّ يعرفــه   و جرح قلبي دوما في نزيف

اليوم تتماوج وجنتاه بلون الحياء

و حديثي عن قبلة زاده نضارة

أتيه في صحراء و لكن لا تتقلق نفسك عليه

فانه قد تتأذى به رجلاك و أنت رقيق الهندام

السمات الشخصية:

كـان الـحـكـيـم أجـمـل خـان طـبيبا حاذقا و متمكنا من أسرار ذلك الفن، و انحدر من عائلة عريقة، و بجانب الانشغال بالأدب و الشعر، ساهم في السياسة الـوطـنـيـة الـهـنـديـة فـي اطـار حـركات التحرير، فلم تمنعه روابط العائلة مع الـحـكـومـة عن اصـدار "أكـمل الأخبار" من المنزل الشريفي لنشر مقالات حول القضايا الوطنية و للتعبير ـ على صفحاتها المشرقة ـ عن حبه للوطن.

و فـي الـوقـت نـفسه لم يعش على منأى عن الأنشطة الوطنية و القومية، فـفـي عـام ١٩٠٠م انـتـخب عضوا في *لجنة الأوصياء لكلية المسلمين* في علبجار، و بـجـانـب عـضـويـتـه في اللجنة الادارية للمدرسة الانكليزية ـ العربية (دلهي)، و خـدمـاتـه لمدرسة ندوة العلماء في لكناؤ و على مدى الخمس عشر سنة كعضو فـي مـجـلـسـهـا الاسـتـشـاري، إنـه كان في طليعة القادة الوطنيين الذين قاموا بتأسيس "الجامعة الملية الإسلامية" بدلهي.

خلال العقود البدائية من القرن العشرين، بلغت حركات التحرير أشدها، و انطلقت المنظمات و الاحزاب من أمثال حركة الخلافة و جمعية العلماء و الكونجرس و الحزب الاسلامي تعمل على تخليص الوطن من تبعية الاستعمار الافرنجي. و الحكيم اجمل خان بدوره شارك في تلك الجهود مشاركة عملية و فكرية، و أدى خدمات بارزة في سبيل قضايا الحرية. على المستوى الفكري إنه كان من دعاة الوحدة القومية. و على الرغم من أنه كان من مؤسسي الحزب الإسلامي الأوائل، و ابتداء من عام ١٩٠٦م نصب جل اهتمامه على أن يكون الحزب منظمة سياسية عصرية ممثلة للجماهير العامة أسوة بمنظمة المؤتمر الوطني، و انتخب رئيسا له في عام ١٩١٩م، إلّا أنه استغل قيادته لذلك الحزب، لتوطيد جذور التضامن و الاتحاد بين المسلمين و الهندوس. و في عام ١٩٢١م انتخب رئيس منظمة المؤتمر الوطني الهندي، و تحول "المنزل الشريفي" في حي بليماران في دلهي إلى مركز هام من مختلف مراكز الأنشطة السياسية في المدينة. و هكذا لعب الحكيم أجمل خان دورا بارزا في حركة العصيان المدني، فأعاد لقب "حاذق الملك" و سمة "قيصر الهند" إلى الحكومة، و اتخذ من السياسة الوطنية لتأمين مكانة شرف عائلته على مدى الأجيال. و بعد تخليه عن اللقب الحكومي بأيام عقدت جمعية علماء الهند اجتماعا عاما في كانبور و منحه لقب "مسيح الملك" الذي التصق بإسمه حتى انه أصبح يعرف به.

الآثار العلمية:

ألف الحكيم أجمل خان كتابا سماه"حاذق" إنه يحتوي على تجاربه الشخصية، و يعتبر مؤلما هاما حول موضوع العلاج، و قد طبعت له عدة طبعات

و مؤلفه الثاني "رسالة الطاعون" يتناول ـ كما يظهر بإسمه ـ مرض الطاعون و علاجه و تدابير الوقاية منه. و له أيضا مؤلفات هامة أخرى باللغتين العربية و الفارسية، مثل "أوراق مظهره" و " القول المرغوب في الماء المشروب" و "البيان الحسن بشرح المعجون المسمى باكسير البدن" و "التحفة الحامدية في الصناعة التكليسية".

الوفاة:

بقيت المراجع تختلف بعضا عن بعض في ببان أسباب وفاة الحكيم أجمل خان، فبعضها يقول إنه مات لإصابته بنوبة قلبية، و يذكر الآخر أنه اعدم رميا بالرصاص من دون أن توضح الجهة المسئولة بذلك. لكنه تحدث إلي مؤخرا أحد مواطن رامبور الذي بلغ من عمره ١٠٥ سنة و كان من مجالسي عاهل الإماره النواب حامد علي خان فقال : إن الحكيم أجمل خان سقط فريسة مؤامرة القصر الملكي في حالة يرثى لها، و اكتشف أن الدكتور هوننتر ناوله السم، فدما أعلن النواب نفسه أنه توفي من جراء نوبة قلبية.

لقد نقل جثمانه من رامبور إلى دلهى، و إنه دفن في مقبرة رسول نما ليلة الثامن و العشرين من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٧م.

تعريب: راشد علي

❖ ❖

كليلة و دمنة النص الأصل و الترجمة العربية

بقلم : د/ محمد نعمان خان*

كليلة و دمنة كتاب مبني على أصول هندية و حكم منسوبة إلى الهند، نقله إلى العربية أديب العربية البارع و مؤسس مدرسة في النثر الفني و إمامها ابن المقفع و هو من الكتب التي كتب لها الخلود و دخلت في الأدب العالمي. و ترجم هذا الكتاب إلى لغات مختلفة غربية و شرقية.

و للترجمة العربية أهمية كبرى لنقل هذا الكتاب إلى بلدان مختلفة و لغات شتى، لأن الكتاب لم يعرف بأصله السنسكريتي أو بترجمته غير الترجمة العربية بل عرف الأصل أيضا لترجمته العربية.

و الكتاب مجموعة حكايات تتفرع بعضها من بعض و عدد أبوابه في الأصل اثنا عشر بابا، ثم زاد من زاد فيها عند النقل، و هي :

١) باب الأسد و الثور	٢) باب الحمامة المطوقة
٣) باب البوم و الغربان	٤) باب القرد و الغيلم
٥) باب الناسك و ابن عرس	٦) باب الجرذ و السنور
٧) باب الملك و الطائر فنزه	٨) باب الأسد و ابن آوى و الناسك
٩) باب اللبؤة و الإسوار و الشغبر	١٠) باب إيلاذ و بلاذ و إيراخت
١١) باب السائح و الصائغ	١٢) باب ابن الملك و أصحابه

*رئيس قسم اللغة العربية و آدابها (بجامعة دهلي)

و قد كتب الأصل السنسكريتي أحد البراهمة القشنوئية في كشمير حوالي سنة ٣٠٠ م (١) حسب ما حققه المستشرق الألماني هرتيل (J. Hertel) و يمكن أن يكون تاريخ تاليفه اقدم من ذلك (٢)، و لكنه الآن لا يوجد كتاب في السنسكريتية يمكن إرجاع ترتيب كليلة و دمنة إليه أو يكون ما ذكر في كليلة و دمنة مجتمعة فيه، بل توجد حكاياته في كتب مختلفة منها بنجا تانترا (Panchatantra) أي خمس مناسبات للعقل السليم و يحتوي هذا الكتاب على مقدمة و خمسة أبواب أو كتب، و يسمى كل باب منه تانترا (أي مناسبة العقل السليم)، و هو في اللغة السنسكريتية الفصيحة على لسان البهائم و الطيور من أجل إرشاد أرباب الحكم و نصحهم في أمور السياسة و آداب الحكم.

و لا يمكن البت الآن في أن برزويه ترجم الحكايات من كتاب واحد أو جمعها و ترجمها من كتب هندية مختلفة، فتوحد النصوص المترجمة متبعثرة في كتب مختلفة فبعضها توحد في المهابهارتا (Mahabharata) و البعض الآخر في البانشا تانترا (Panchatantra) و في الهتوبادبسا (Hitopadesa) و لذلك يرى بنفي أن هذه الابواب لم تترجم إلى البهلوية من كتاب واحد بل من كتب أو مجموعات مختلفة فلما ترجمها برزويه جعلها كتابا واحدا.

و أقدم نص يمكن إرجاعه إلى الأصل السنسكريتي هو بعنوان (Tantrakhyayika) ، اكتشف المستشرق هرتيل نسخة منه و نشرها مترجمة من السنسكريتية إلى الألمانية مع ملاحظات توضيحية بعنوان 'Tantrakhyayıka, dıe alteste Fassung des Panchatantra' (أي تانتراخيايكا النص الأقدم لبانشاتانترا) في لايبزغ - برلين سنة ١٩٠٩، و كذلك عرفت للكتاب الأصل نسخة أخرى عرفت باسم (Panchatantra) و قد نشر منها

كـوزيـجـارتن (J.G.L.Kosegarten) طـبـعـة تـحـتـوي عـلـى نـص غير محقق و مـخـتـلـط فـي بـون سـنـة ١٨٤٨م، و استخدم بينفي (Th. Benfey) هذا النص لـترجمته الألمانية و الملاحظات التوضيحة التي نشرها في مجلدين في لايبزغ سـنـة ١٨٥٩م، بـعـنـوان Pantschatantra, fûnf Bûchen Fabeln, Márchen und Erzálungen "أي الـبـانـشـاتـانترا، الكتب الخمسة للحكايات و الأساطير و الـخـرافـات الهندية). و مقدمة هذه الترجمة مهمة جدا لأنه تم فيها لأول مرة تحقيق تاريخ انتشار المواضيع الأدبية الهندية فى أوربا تحقيقا شاملا. (٣)

و قـد تـسـربـت الـحـكـايـات هـذه إلى المناطق المجاورة للهند من التيبت و مـنـغـولـيـا وغـيـرها و أولى ترجمات هذا الكتاب أى البانشاتانترا هى إلى اللغة الـتـبـتـيـة اكـتـشـف قـسما منها شيفنر(Schiefner) (٤)، و لكنه لم تكتب لها الـشـهـرة. و يـمكن أن تكون له ترجمات أخرى قدمة إلى بعض اللغات المحلية فى الهند و المناطق المجاورة، و لكنه لم يبق لها أثر.

أول تـرجمة لهذا الكتاب عرف أمرها فى التاريخ هي من السنسكريتية إلى اللغة الفارسية القديمة البهلوية.

لـمـا سـمـع الـملك الساسانى خسرو أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٩) عن هذا الكتاب الـبـانـشـاتـانترا و مرتبته عند الفلاسفة الهنود اشتاق إليه فكلف طبيبه الـخاص و حـكـيـم بلاطه برزويه جلب هذا الكتاب و غيره من الكنوز الهندية المحفوظة فـى الـخـزانـة الملكية فى الهند فأرسله فى مهمة خاصة إلى الهند و قام برزويه بـإخـراج هـذا الـكتاب و غيره من خدره بحيلة و دهاء و قدمه إلى الملك مترجما إلى البهلوية ففتح الملك أنوشروان خزائنه على مصراعيها ليختار برزويه لنفسه مـنـهـا ما شاء من اللؤلؤ و الزبرجد و الياقوت و الذهب و الفضة و لكن الحكيم لم

يقبل من هذه كلها بل فضل أن يخلد ذكره بذكر باب في أول الكتاب يذكر فيه أمره و يصف حاله و يكتب هذا الباب (باسم) الوزير بزرجمهر فقبل طلبه، و لذلك باب برزويه الذي نجده في نسخ كليلة و دمنة هو من إنشاء برزويه نفسه، و يكون الوزير قد وقع عليه ليكون شرفا و تكريما لبرزويه. و لا نجد الآن أثرا لهذه الترجمة.

و قد ترجم هذا الكتاب من البهلوية إلى السريانية، قبل الترجمة العربية و لكنها بقيت مجهولة و عرف أمره أيضا بفضل الترجمة العربية و تم هذه الترجمة حوالي سنة ٥٧٠ و كانت النسخة الناقصة و الوحيدة منها قبل في دير ماردين ثم في مكتبة بطريرك الموصل ثم جاء في حوزة المونسينيور غرافن (Graffin) في باريس، و من هذه النسخة الناقصة أعد بيكل (Bıckell) الطبعة السريانية الأولى مع الترجمة الألمانية مع تقديم لبنفي (Th. Benfey) و نشرها في لايبزغ سنة ١٨٧٦ بعنوان "Kalılag und Damnag, alte syrısche ûbersetzung des ındıschen Fûrstenspıegels" (أي كليلك و دمنك، الترجمة السريانية القديمة لكتاب الرشاد للأمراء الهنود) ثم تمكن شولتز (F. Schulthes) من إعداد نص سرياني موثوق به أكثر، اعتمادا على نسخ ثلاث جديدة أعدها زاخاو (Sachau) في الموصل و نشره في جزئين مع الترجمة الألمانية بعنوان: (Kalila und Dimna, Syriac and German) في برلين ١٩١١م.

و أهم التراجم بل الترجمة التي عرف بها الكتاب هي من البهلوية إلى العربية و هذه الترجمة أصبحت الأصل و كانت جميع التراجم منها قبل اهتمام العلماء بالأصل السنسكريتي، و الحقيقة أن الأصل السنسكريتي ما دام فرعيا

لأن الـتراجم الموجودة لهذا الكتاب فى أكثر من ستين لغة (Meyers Grosses Taschen Lexikon, 16/246) قـد تـرجـمـت من الـعربية مباشرة أو من إحدى الـلـغـات الـتي ترجم فيها الكتاب من العربية، و بقي الأصل السنسكريتي موضع اهـتـمـام الـعلماء المختصين و لم ينل أي اهتمام أو رواجا في الأوساط العلمية الـعـامـة، و الـتـرجـمـة الـعـربـيـة هي التي منحت لهذا الكتاب رواجا و قبولا في الأوساط الأدبية العالمية و هي التى رفعته إلى الأدب العالمي.

قـام بـتـرجـمـة هذا الكتاب من البهلوية إلى العربية بعد قرنين تقريبا من التـرجـمـة الـسـريانية الأولى الأديب الفذ البارع في اللغتين لغته الأم الفارسية و الـلـغـة الـتـى نـشـأ فيها و كسب منها و أحبها أى اللغة العربية و إمام الطبقة الأولـى ابن الـمـقـفع و قدمه ككتاب أصل بأسلوبه الرائع و ليس فيه ما يدل على أنـه مـتـرجـم، بـل أصـبـح الكتاب نموذجا رائعا يقتدى به فى كتابة النثر، و كان مـوضـوعـه يهم الجميع من الطبقات العامة و الخاصة فأقبل الناس عليه إقبالا شـديـدا و نال الكتاب قبولا لا مثيل له فى الأدب العربى و غيره من الآداب الأخرى فـتـنـاولـه كل من اطلع عليه بلهف و شوق حتى صار رائجا بين الناس و قد اهتم الناس بموضوعه أكثر من متنه فنقل الكتاب مضمونا أكثر من نقله متنا، و هذا هو السبب بأن الاقتباسات المذكورة منه في كتب الأدب لا يمكن ردها إلى الأصل بـألـفـاظـهـا، و الـمـخـطوطات المتوفرة منه كتبت فى عصر متأخر جدا فأقدم الـنـسـخ مـنـه هـى الـنسخة التى كتبت فى القرن السابع للهجرة و هى التي بنى عليها عبد الوهاب عزام أساس طبعته لكتاب كليلة و دمنة.

و فـي أول الأمـر كـانـت طـبـعة دي ساسي (Sylvestre de Sacy) بعنوان (Calila et Dimna, ou Fables de Bidpai) الـمـطـبـوعـة فـي باريس سنة

١٨١٦م هي الأساس في كليلة و دمنة، و كانت هذه الطبعة على أساس نسخة رديئة للكتاب و صححت من النسخ الأخرى بطريقة غير سليمة كما أشار إليه نولدكه (انظر بروكلمن في El (2) مشيرا إلى Noldeke Gottınger Gelehrte Anz, 1884, 676) و في هذه الطبعة سبقت مقدمة ابن المقفع مقدمة شخص غير معروف يسمى بهنود بن سحوان أو على بن الشاه الفارسي يكتب فيها الأخير تاريخ الكتاب في الهند كما تسبمها تفاصل كتبها وزير أنوشروان بزرجمهر عن بعثة برزويه إلى الهند لجلب الكتاب.

و يوجد في بعض المخطوطات حكاية عن بعثته لجلب بعض العقاقير السحرية، و توجد في بعض المخطوطات علاوة على ذلك حكايتان الأولى عن البطة و مالك الحزين و الثانية عن الحمامة و الثعلب و مالك الحزين من مصادر غير معروفة (بروكلمن كما أعلاه، مشيرا إلى : J. Derenbourg) . Directorium vitae humanae, 323

و الحكاية الأخيرة قد شملت أقدم الطبعة الشرقية التي طبعت في بولاق سنة ١٢٤٩م و كانت طبعة ثانية لطبعة دي ساسي، و حسب ما يرى شوفين .V) Chauvın . Bibligraphie des ouvrages arabes ou reliefs aux Arabes etc., ii, Kalılah, Liege-Leipzig 1897. p.13) كما نقل بروكلمن (كما اعلاه) أن منها أخذت هذه الحكاية في الطبعات الحديثه المختلفة فى القاهرة و الموصل و بيروت. و قام المستشرق الإيطالى جويدى بمساهمه فعالة بنقد النص الذي حققه و نشره دي ساسي مقارنا بنسخ الكتاب الإيطالية في دراسته بالإطالية "Studıı sul testo arabo del libro di Calila e Dimna" نشرت في روما ١٨٧٣م. و قد نشر نولدكه في .Abhandl. der Kónigl) Gesellsch.der Wıssensch zu Góttingen, xxv/4(1879)) حكاية ملك الجرذان و وزرائه مترجما إلى اللغة الألمانية التي لا توجد في طبعة دي ساسي

و موجودة في النسخة السريانية بما يستدل أنها كانت موجودة أيضا في الترجمة البهلوية للكتاب، و نشر سوتنبرغ (Zotenberg) المواد الكاملة الخاصة بقصة الناسك و الإبريق المكسر من ست عشرة مخطوطة باريسية في (JA Ser.8, vii (1886), 116-23).

معظم الطبعات التي ظهرت في الشرق للكتاب تنتمي إلى طبعة دي ساسي أو جويدي، و قد طبع أ. ن. طبارة (A N. Tabbara) الكتاب في بيروت سنة ١٩٠٤م مدعيا أنه وجد نسخة جديدة للكتاب و لكن حسب ما يرى بروكلمن هي نسخة متأخرة جدا و هي من سنة ١٠٨٠ /١٦٧٥ و كذلك هو حذف طبارة العبارات المكشوفة من الطبعة.

و وجد شيخو (I. Cheikho) في دير الشير نسخة قيمة من سنة ١٣٣٩/٧٤٩ فنشرها في طبعة جيدة في بيروت سنة ١٩٠٥م.

و نشر خليل اليازجي في بيروت سنة ١٩٠٨م كما نشر سليم إبراهيم صادر و شاهين عطية في بيروت أيضا سنة ١٩١٠م للمدارس خاصة. و أهم الطبعات الحديثة هي التي نشرها طه حسين و عبد الوهاب عزام في القاهرة سنة ١٩٤١م اعتمادا على نسخة أيا صوفيا المكتوبة سنة ١٢٢١/٦١٨ و هي من أقدم النسخ المعروفة لهذا الكتاب و قد تتبعها ميجل (A. Miguel) بذكر المواد الساقطة من هذه الطبعة و المذكورة في طبعة المرصفي (ط ٤، القاهرة ١٩٣٤) و في Directorium لدرنبورغ (Derenbourg).

و قد يرى بعض المستشرقين أن ابن المقفع أضاف مقدمة للكتاب من نفسه كما يرون احتمال إضافته قسما عن الالتباس في أمر الدين في مقدمة برزويه، كما أضاف باب محاكمة دمنة من نفسه بعد الباب الأول من الكتاب، و كذلك باب الناسك و الضيف.

نظم كليلة و دمنة و معارضته :

و كانت هناك ثلاث محاولات لنظم هذا الكتاب فكان معاصر ابن المقفع أبان اللاحقي أول من نظم هذا الكتاب و لكنه لا يعرف أية نسخة منه. ثم نظم ابن الهبارية هذا الكتاب حوالي سنة ١١٠٠ في عشرة أيام بعنوان نتائج الفطنة في نظم كليلة و دمنة مستفيدا من نظم أبان اللاحقي و على أساس نص ابن المقفع، و طبع في بومبائي سنة ١٣١٧ طباعة حجرية، و أنهى عبد المؤمن بن الحسين الصغاني نظم هذا الكتاب بعد ٨٠ يوما في ٢٠ حمادى الأولى سنة ٦٤٠/ ١٥ نوفمبر ١٢٤٢ بعنوان در الحكم في أمثال الهنود و العجم، و توجد منه نسخة وحيدة في فينا.

المراجع :

١ـ بروكلمن في EI^2 و قد ذكر في بعض المراجع العربية ما يفيد أن الأصل السنسكريتي قد كتب ما قبل الميلاد، و لم أستطع معرفة مرجع هذا الخطأ عبر أن 370 A D. قرأ 370 B C خطأ لأن مرجع دراستهم أيضا هو هرتيل نفسه.

٢ـ انظر بروكلمن بالإشارة إلى A Berriedale Keith, JRAS, 1915, 505

٣ـ بروكلمن : Kalila Wa-Dimna في EI^2 .

٤ـ جرجي زيدان : من مقالته في مجلة الهلال (المنقولة في كليلة و دمنة/ طبعة محمد حسن نائل المرصفي.

❖❖

مساهمة ولاية كشمير في الأدب السنسكريتي

بقلم : فيد كوماري غائ

ليس الأدب السنسكريتي الهندي نتاجاً لأي منطقة خاصة للبلاد. فاللغة السنسكريتية ظلت لغة الاتصال للبلاد لعدة قرون، و ما زالت عجلة للمعرفة منذ الوف السنوات. و الأدب السنسكريتي الموجود لدينا الآن بشكل مطبوع أو بشكل المخطوطات ليس إلاّ نتيجة للنشاطات الأدبية في كافة المناطق الهندية من كشمير في الشمال إلى كانيا كوماري في الجنوب. و جدير بالملاحظة إن هذه الزاوية الشمالية للبلاد قد أنتجت قدراً كبيراً من الأدب السنسكريتي كماً و كيفاً يتميز بعمق و اتساع مدهشين للمعرفة.

قد أسهمت ولاية كشمير بصفة شاملة في مجالات الشعر و علم العروض و النحو و الطب و التاريخ و الفلسفة باللغة السنسكريتية. و أنشئت و تطورت كل المدارس الستة - "المكارا"(Alamkara) و "ريتى" (Riti) و "رسا"(Rasa) و "دهفانى"(Dhvanı) و "فاكروكتى"(Vakrokti) و "اوسيتيا"(Aucıtya) لعلم العروض السنسكريتي في كشمير بذاتها. و قد تم نظم التعليق المعروف "كاشكا" على "اسنادهيائ" الذي ألفه "بانيني"(Panını) و التعليقات الاخرى على "مهابهاسيا" لباتانجلي في هذه الولاية و يعتقد أن الحكيم العظيم "ساراكا" المعروف بمهارته في الطب الايورفيدي كان ينتمي إلى كشمير. كما

ينتمي إليها "درادها بالا" الذي قام بمراجعة اعمال "كاراكا". و ازدهرت مدرسة "كاندرا" و "كاتانترا" للنحو و القواعد في كشمير. اما فيما يتعلق بالأدب الفلسفي فإن مساهمة كشمير في تطوير ما يسمى نظام براتيا بهيجنا(Pratyabhijna) لفلسفة سائيفا الذي يعتمد على الأحدية المثالية تحظى بالاعتراف على نطاق واسع. و قد انتجت ولاية كشمير روائع من الأدب السنسكريتي تتمثل في "بورانا" و القصائد التاريخية و ملحمات البلاط و القصائد الدينية و المختارات و المسرحيات و الأعمال الأدبية فى العروض و الفن المسرحى و القصائد التعليمية و الهجائية و الأعمال الأخرى المختلفة.

"بورانا":

قد ذكر "كلهانا" أن "نيلاماتا بورانا" عمل أدبي رائع للعصور القديمة يرجع تاريخه إلى القرن السادس. و على حد تعبير بوهلبر فان أهمية "نيلاماتا" تكمن في أنه معدن للمعرفة عن الأماكن المقدسة لكشمير و أساطيرها التي توضح "راجا تارانغيني"(Rajatarangini) و في أنه يظهر كيف استخدم "كالهانا" هذه المصادر. و لكن "نيلاماتا" يزودنا بمعلومات كثيرة عن طريقة الحياة الكشميرية و طريقة العيش لعامة الناس و عاداتهم للأكل و الشرب و طرق التسلية و تيارات الأفكار الدينية التي يتبعونها و الشعائر الدينية و الاحتفالات التي يقيمونها. و هذه الشعائر الدينية و المهرجانات مماثلة لتلك التى تعقد في المناطق الأخرى للبلاد. و فى مجال الجغرافيا إنه جدير بالملاحظة إن الأسماء فى كشمير كما ذكر فى هذا العمل الأدبى تشابه الأسماء في المناطق الأخرى للهند.

ينتمي "فيشنو دهارموتارا" الذي تم تأليفه في الجزء الجنوبي لكشمير - قريباً من جامو - إلى القرن السادس أو الخامس. و إنه يعتبر عملا موسوعياً يتناول عدة مواضيع مثل المثولوجيا و نظرية نشأ الكون و الكوزمولوجيا و علم الفلك و علم التنجيم و الكهنة و المعجزات و الحكومة و علم الاجتماع و الديانة و الطب و الزراعة و فلاحة الحيوانات و الرسم و فن العمارة و البناء. و تشتمل الموسوعة على ثلاثة أبواب و ٨٧ فقرة. و جاء في بدايتها أن الملك فاجرا بن انيرودها و الحفيد الأقدم لكرشنا طلب من الحكماء أن يبينوا المذاهب المختلفة للديانة الفيشنوية. و طلبوا أولاً من الحكيم "ماركينيديا" أن يقوم بهذا العمل الشاق. فسرد الأسطورة المختصة بقيام "فيشنو" المتجسد فى خنزير برفع الأرض من المياه البدائية ثم بسرد حكاية الجوانب المختلفة التي مرتبطة بخلق العالم و دورات النجوم العديدة و خلق الآلهة و الشياطين و البشر، و تم تضمن الأسطورة عدة قصص من الكتب القديمة. و في وصف مسيرة "بهارتا" ضد "سالوسا" ملك "غاندهرفا: قد أفيض الثناء على عدة أماكن و أنهار مقدسة للمنطقة.

و يتناول الجزء الثاني من الموسوعة بالبحث شئون الحكومة و نوقشت فيه واجبات الملوك و الأمراء و الوزراء و الجيش و النظام القضائي بالتفصيل، إلى جانب واجبات الشعب. و في الجزء الثالث نلاحظ التفاصيل عن عدة أقسام للفن و الموسيقى و الرقص و التمثيل و الرسم و الأيقنة و أنواع أخرى لفن العمارة. و قد ذكر مائة و واحد نوعاً من المعابد. و يشكل "هامساغيتا" و "سانكرا غيتا" جزءاً من هذا الكتاب القديم الذي يكتسى أهمية خاصة من وجهة نظر التاريخ الثقافي للجزء الجنوبي لكشمير.

و البورانا الثالث هو "فاسوكيبورانا" و تم تأليفه في "بهادرافاها" و هو يصف نظم العبادة الدينية و الأصول العرقية فى هذه المنطقة الجبلية. و في

٥٠١ بيت يصف عن طريق الحوار بين "شيفا" و "بارفاتي" الاماكن المقدسة العديدة و الأنهار و الجبال لمنطقة بهادرافاها. و يبدو أن قصة "جيموتا فاهانا" و "سانخا كورا" مقتبسة من مسرحية ناغانندا لصاحبها "هارسا". و من ثم يجب أن تعد من بين أعمال ما بعد القرن السابع و مازال نظام العبادة المعتمدة لدى طائفة "ناغا" مقبولاً جدا في هذه المنطقة كما يتضح من أهمية دينية عظيمة تعلق على فاسو كيكندا و الاماكن المقدسة الأخرى الوارد ذكرها في الكتاب. و جدير بالذكر أن معظم الانهار لهذه المنطقة سميت بإسم نهر غنغا المعروف مثل "بهاغيراتي" و "جاهنافي" و "ماندكنى" و "شوبنا غنغا" و "كسيرا غنغا" و "اتولا غنغا" وغيرها.

الشعـــــــر:

و قد أشار الشاعر كالهانا إلى الروائع الشعرية الرفيعة التي أتى بها عدة شعراء في مجموعته "راجا تارانغينى" و لم تعد معظمها موجودة الآن حيث قد عفت عليها الزمن و كل ما يوجد يكفى لإثبات أن شعراء السنسكرتية الكشمبريين لم يحصروا موضوعات شعرهم فى حدود البلاط الملكى بل وصفوا الافراح و الاحزان التي يمر بها عامة الناس أيضا في شعرهم. ففي عهد جابا بيدا ـ ملك كاركوتا (٧٧٩م ـ ٨١٣م) ازدهر الشعراء أمثال دامودر غوبتا و مانوراثا و سانكادتا و كاتاكا و ساندهيمت. و لكن لم تصل إلينا إلا المجموعة الشعرية "كوتا نيماتا" لصاحبها دامودرا غوبتا، و هي عمل أدبى رائع يمزج بين العناصر الرومانسية و الهجائية و التعليمية. و قد تم فيه نسج عدة قصص ممتعة داخل القصة الأصلية لمومس الشابة التي تطلب النصيحة من القائدة العجوزة تصور كيف أن الثروة و التفسخ الاخلاقي قد افسدت الطبقة الاجتماعية الغنية لذلك العصر.

أما فيما يتعلق بالشعر الهجائي و التعليمي فيعد "بهلاتا ساتاكا" أقدم الأعمال الأدبية و يحتوى على ١٠٨ أبيات. و كان الشاعر ينتمي إلى عصر الملك "سانكرا فارمان" (٨٨٣م ـ ٩٠٢م) ابن و وريث الملك الكريم "افانيتا فارمان". و يكتب "كالهانا" في "راجا تارنغينى" أن الملك سانكرا فارمان" تحول إلى ملك مستبد حيث فرض الضرائب الباهظة على اهل الريف. و في عهده قد اضطر "بهلاتا" و هو من الشعراء الكبار للعيش بدون أسباب المعيشة كان شيال اسمه لاقاتا يتلقى مرتباً جداً لا بقل عن ٢٠٠٠ دينار فأعرب الشاعر عن سخطه تجاه الظلم موبخاً الريح فقال:

"ما أسوأ هذا السلوك يا أيها الريح! فالغبار الذى يستحق أن يسحق بأرجل الناس تأخذه إلى السماء العالية مكان مجموعة الاجرام السماوية. و ربما لا تبالى بالموانع أمام عيون الناس و لكن ماذا ستفعل بالغبار الزي وضعته على جسمك و كيف تزيله؟"

بشر بهلاتا إلى مستقبل البلاد المظلم بسبب السياسات القاسية التي ينفذها الحاكم المستبد فيقول بأسلوب رمزي يستعمل فيه كلمات رمزية مثل الصياد و الغابة وغيرهما.

يعد "كسيمندرا" من رواد الشعراء في مجال الهجاء ـ و هو عبقرى له أكثر من ٤٠ مجموعة شعرية و لكن لم يبق لدينا إلا ١٩ مجموعة فيها. و بالاضافة إلى قيامه بتلخيص كل من "رامايانا" و مهابهارتا و برهات كتها لصاحبه غونادهيا و كتابه الرسائل عن البلاغه و علم العروض كتب عددا كبيرا من القصائد التعليميه و الهجائية التى تتناول الحقائق المرة للحياة الريفية و المدنيه في كشمير. و في قصيدته "ساماىا ماتركا" يصف الحبل التي تلجأ

إليها مومس إسمها "كانكالي" لاغراء الشباب متجولة في مختلف أرجاء كشمير كبائعة للزهور أو الكعك حيناً و امرأة متسولة أو مشعوزة أو ناسكة أحياناً أخرى.

و هناك عمل أدبي رائع آخر عنوانه "داربـاد الانا" و هو عمل هجائي و تعليمي يشجب الغرور و الكبرياء النابغ من الانتماء إلى أسرة عالية و من الثروة و المعرفة و الجمال و البسالة و الصدقة و الكفارة و يشتمل على سبعة أبواب. و يرى الشاعر "سيميندرا" أن الميزات الشخصية للفرد هي التي تؤخذ بعين الاعتبار لا الأسرة التي ولد فيها، و إن أموال البخيل مثلها كمثل مرض القلب الذي يؤدي إلى التعاسة اللانهائية، و إن المبالغ السوداء تافهة بحيث لا يمكن لأحد أن ينفقها بحرية تامة. و المعرفة من هذا النوع عديمة القيمة إذ أنها مجردة من سلوك محمود و تحول العدالة إلى عدم العدالة و بالعكس. و يرفع الشاعر صوته ضد زهو الجمال الذي يبقى لفترة قصيرة و يسلبه الشيخوخة و غرور البسالة الذي يستخدم للعمليات التخريبية لا للحفاظ على الحياة. و كذلك فان الهدية الجديرة بالاعجاب هي التي تزيل التعاسة من الآخرين و أحسن الكفارة عمل الخير للآخرين.

و تعد "سفيا سيفا بادبسا" لصاحبه من الدراسات الجدية للعلاقات بين السيد و الخادم. و في رأي الشاعر فان الذين لا يضطرون لخدمة الغنى هم سعداء. و في "كالا فيلا سا" يصف الشاعر في عشر فقرات عدة أساليب للخداع الذي يمارسه الناس و منهم الكاتب الماهر في الكتابة الخادعة و المغنى و الممثل المتجول الذي ينتزع المال من الناس بمكر و دهاء و الطبيب المشعوز الذى يبتز المال من المرضى و المنجم الخادع و الصائغ الذي يسرق الذهب أمام عيون الزبائن. و جميعهم يمثلون الحياة الحقيقية لكشمير في تلك الأيام.

و في "ديسوباديسا" و نارما مالا" يصور الشاعر بنفس الأسلوب

البيوروقراطية الفاسدة و العناصر البغيضة للمجتمع في زمنه. و وصف ذنوب المسئولين في الإدارة بصراحة كاملة. كما لا يصرف النظر عن تصرفات العناصر المعادية للمجتمع و من بينهم النخار الذي يدخر الحبوب لمدة نصف قرن و يتمنى للمجاعة لكى يبيعها بالاسعار المرتفعة جداً. و حتى الطلاب الذين يهتمون بالطعام أكثر من الدراسة ليسوا بمنأى من نقده . و خلاصة القول إن سيميندرا يتهجم على الفساد بكل المستويات من الوزير إلى الكاتب و لكنه يدرك مثل صحافي حديث بأن الهجاء هو سلاح أقوى من الموعظة و لذا يطلب وضع الامور في نصابها بأسلوب تهكمي. و غرضه منها أن ينبه الناس ضد فساد البيوروقراطية و تشرد العناصر المعادية للمجتمع الأخرى. و تتناول مجموعته الأخرى "كاتور فارغاسا مغراها" النهايات الأربع للحياة. الخبر و الثروة و الحب و النجاة. و يمكن أن نعد "نيتيكالباتارو"ا لموسوعة عن الحكمة و الحكومة العالمية. و وصف فيها الخصائص اللازمة للأمراء و الملوك و الوزراء و السفراء و الجواسيس و ما إلبهم باستخدام القصص الممتعة. و تعتبر مجموعة "كاروكاربا" و هي تشتمل على مائة بيت عملاً تعليمياً أيضاً.

و هناك عمل أدبي آخر لا يقل أهمية عن "بهلاتا ساتاكا" و هو "ابكبوكتتمالا" لصاحبه "سامبهو" الذي كان شاعراً للبلاط فى عصر الملك هارسادبفا (١٠٨٩م - ١١٠١م). و قدم الشاعر في الأبيات المتفرقة بالبحور المختلفة و عددها ١٠٨ أبيات الحقائق الحساسة و المرة للحياة الإنسانية. و مجموعة "فاكروكيتبانكا سكا" لرنناكارا تضم ٥٠ بيتاً عن الحوار بين شيفا و بارفاني. و كل بيت فيها مزين بالتشبيهات و الاستعارات. و قصيدة "سانتي ساناكا" لسلهانا قصيدة تعليمية تنقسم إلى أربعة فصول. و تحاول هذه القصيدة اثبات تفاهة الملذات الدنيوية و أهمية نبذها من أجل احراز النجاة.

و من الـملاحم الملكية لكشمير لدينا الآن "كافينا بهيوديا" لسيفاسفامين و "هـاري فـيـجـايـا" لـرتـنـاكـارا و "رافانار جونيا" لبهيما و "سيريكنتها كاريتا" لمنكها و "كاثا كوتاكام" لسيريفارا.

كـان "سـيـفـا سـافـامـين" مـؤلـف كـابـيـنـا بـهـيـوديـا شاعراً للبلاط لدى آفـانـتـيـفارمان. و هذه الملحمة الملكية التي تحتوي على عشرين نشيداً تتناول قـصة حرب الملك كافينا لجنوب الهند مع الملك براسبنجيت لسرافاتي و اعتناق الأول لـلـبـونيـة. و قـد زين الـشـاعر القصص الصغيرة بوصف الفصول و الجبال و مناظر طلوع الشمس و غروبها و ليلة مقمرة و الرياضة المائية و ما إليها.

إن "مـهـا كـافـيـا" الـمـكـون من خـمـسين نشيداً عمل رائع يعالج هزيمة الـشـيـطـان "انـدهـاكـا" على يد "هارا". و يبدو أن الشاعر يريد أن يفوق كلا من بـهـارافـي و ماغا عن طريق معرفته عن البلاغة و سياسة الحكم. و تعالج نحو ٨ أنـاشـيـد آراء "رتـنـاكـارا" نـفـسـه عن الـحـكومة و تصف ١٠ أناشيد الممارسات الشهوانية مثل قطف الأزهار و الرياضة في الماء و شرب الخمر و التمتع بمنظر غـروب الشمس و ما إليها. أما "رافا نار جونيا" لصاحبه بهاتا بهيما فهو ملحمة تـحـتـوى عـلى ٢٧ نشيداً و تصور حرب كارتا فيربا أرجونا مع رافانا. و إلى جانب الوصف الشعري توفر القصيدة أمثلة ايضاحية مبنية على كافة الفصول لقواعد "بانيني". و يمكن مقارنتها مع رافانا فادها لصاحبه بهاتي بصفة جيدة.

أمـا "سـيـريـكـنـتـهـا كـاريـتـا" و ألفه مانكها في عهد الملك جايا سيمها (٥٦ ـ١١٢٧) فـهـو مـبـني على قصة بورانية عن قتل الشيطان "تيرى بورا" على يد شيفا. و نجد فيه وصفا جميلاً للطبيعة بأسلوب شعرى خالص. و بعد رؤية منظر

غروب الشمس و طلوع القمر معاً يقارن الشاعر حمرة غروب الشمس بالنار و يشبه السماء بموقد خزفى و القمر بالمقلاة ذات نقاط سوداء.

و النشيد الخامس و العشرون يشمل معلومات هامة عن الأوساط الادبية لتلك الايام في كشمير. و يشير الشاعر إلى اجتماع لـ ٢٧ باحثا في المجالات المختلفة و منها الادب و النحو و الفيدا. و نظام آيورفيدا للطب و الفلسفة فاجتمعوا في بيت اخيه المكارا. و حضر الاجتماع سفيران و هما تيجا كانتها" و أرسله الملك اباراديتيا لكونكانا و "سوهالا" الذي أرسله الملك غوفندا كاندرا لكنوجا. و إن أغلبية الباحثين الذين ذكرهم مانكها كانوا متخصصين في مجال الادب. و هكذا كان كاليانا و غرغا و غوفندا و جالهانا و باتو و بوذا و يوغا راجا و لوستا ديفا و سيريكنتها و سيريغربا و سبريفاتسا و سفتها رجالا للأدب بينما كان لكل من جانكاراجا و لكسمبديفا و راميا ديفا باع طويل في الفيدا. و كان آنندا و جيندوكا و تريلوكيا و ناندنا و براكاتا و سيريغونا باحثين للفلسفة و كان رويا و ناغا متخصصين في علم البلاغة. و قدم مانكها قصيدته أمام كافة الباحثين لعرض النقد و لاقى هذا العمل الأدبي القبول و الاعجاب للحد المطلوب. و كل هذا يقدم لنا صورة رائعة للحياة الأدبيه في كشمير القديمة.

يعتمد كاثا كوتاكا و ألفه سبريفارا الذى عاش خلال عهد الملوك الاربع لكاشمير و هم زين العابدين و حيدر شاه و حسن شاه و محمد شاه على قصة يوسف و زليخا كما حكاها الملا جامى. كانت زليخا أميرة جميلة تحلم برجل شاب و يدأب تحبه. و بعد مواجهة مشاكل كثيرة قابلتها و لكنه لا يستجيب استجابه مناسبه. و بينما زج به فى السجن تغيبت الأميره زليخا في بحر الاحزان و الكآبه و فى النهايه يلتقى العاشقان بفضل الاله سبحانه.

و يعد "ديلا راما كاثا سارا" لراجانا كا بهاتا اهلداكا عمل ادبي سنسكريتي آخر و هو مبني على قصة ابن سلطان مسلم ابن سلطان مسلم و مومس.

القصائد التاريخية :

تحتل كشمير المكان الأول فيما يتعلق بالقصائد التاريخية باللغة السنسكريتية و يكفى راجا تارنغاني الذي ألفه كالهانا أن تكذب الآراء القائلة بأن الكتاب الهنود يفتقرون إلى الشعور التاريخي. كما هناك قصائد أخرى خاصة بالمواضيع التاريخية و منها راجا تارنغينى التي ألفها جونا راجا و سيريفارا و برجايابهتا و تلميذه "سوكا" و لكن بعض القصائد التاريخية مثل سومابالا فيلاسا حول الحياة التاريخية لملك سومبالا لراجورى و جايا سمبهوديا حول تاريخ الملك جاياسمها لكشمير وبهوفانا بهيوديا لسانكوكا التي تصف الحرب بين ماما و اوتبالا لكشمير لا تتوفر لدينا الآن.

و أقدم القصائد التاريخية المتوفرة لدينا الآن هي فيكرامان كاديفا كاريتا لبلهانا - إنه ولد في خونا موسا قرب منطقة يارافا في كشمير و لكنه بعد اكمال دراسته سافر إلى عدة مناطق هندية بغية الحصول على الشهرة و النجاح. فزار ماثورا و كانيا كوبجا و براباغا و فاراناسي و بندبل كهند و دهارا و انهلواد و نهائيا استوطن كاليانا حيث كتب قصائده التي تصف استغلال صاحبه الملك تريبهوفانامالا فيكراما ديتا السادس. و هذه القصيدة التي نظمت في ثمانية أناشيد تعبر عن تاريخ سلالة كالوكيا لكاليان من أصله الميثولوجي حتى عهد فيكراما ديتا السادس. و يحتل زواج فيكراما مع أميرة سلهارا "كاندرليكها" و حب العاشقان على أكثر من سبعة نشائد التي تشير إلى أن بيلهانا كان يهتم بالأوصاف الشعرية أكثر من الحقائق التاريخية. و إن تاريخية عدة احداث لعهد

فـيكراما ديتا تقدم بعض الشواهد المنقوشة. و تعتبر قصيدة راجيندرا كرنا بورا قـصيدة تاريخية اخرى ألفها سامبهو و هي قصيدة مدحية تعبر عن فتح صاحبه الملك هارسا. و هي قصيدة صغيرة تحتوي على ٧٥ بيتا فقط.

و تـقـدم قصيدة برثوي راجا التي متوفرة لدينا بشكل غير كامل من النشيد الاول إلـى الـثـاني عشر سلالة حقيقية و تاريخ أسلاف برتهفي راجا. و في النشيد الـثـانـي عـشـر ذكر عن الشاعر جايا ناكا الذي جاء من كشمير لأجل الـخـدمة في مـحـكـمة برثوي راجا. و ربما يشير الشاعر في هذه القصيدة إلى حياته الذاتية. هـنـا تـنـتـهـي هـذه القصيدة و لكن عنوانها يدل على أن للقصيدة مقاطع أخرى حيث يشير إلى انتصار برثوي راحا على غورى.

تعريب : د/ فرحانة صديقي

❖❖

	THAQAFAT-UL-HIND	Statement of ownership and other particulars FORM IV (See Rule 8)
1	Place of Publication	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi - 110 002
2	Periodicity of its publication	Quarterly
3	Printer's Name	Himachal Som
	Whether citizen of India?	Yes
	Address	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi - 110002
4	Publisher's Name	Himachal Som
	Whether citizen of India?	Yes
	Address	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi - 110002
5	Editor's Name	Z A Farooqi
	Whether citizen of India?	Yes
	Address	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi - 110002
6	Name and address of individuals who own the newspaper	Himachal Som, Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi - 110002

I, Himachal Som, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief

Dated 28 2 1998

Sd/- Himachal Som
Signature of Publisher

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٤٩ العدد ٢ - ٣

١٩٩٨م

المجلس الهندى للعلاقات الثقافية
آزاد بوان، نيو دلهي
الهند

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية انشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الاخرى، و ضمن برنامج مطبوعاته ننشر المجلس، بين ما ننشر، عدة مجلات، ففي العربيه "ثقافة الهند" و في الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" و في الاسبانية "Papeles de la India" و في الألمانية "Indien in der Gegenwart" في الهندية "Gagananchal" و كلها تصدر أربع مرات في السنة.

و المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى:

The Programme Director (Pub)

Indian Council for Cultural Relations

Azad Bhavan, Indraprastha Estate

New Delhi- 110002 (INDIA)

و حقوق جميع المقالات المنشوره في ثقافة الهند محفوظة فلايجوز نشرها بدون الإذن، و الآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصيه للمساهمين و الكتّاب و لاتعكس سياسة المجلس بالضروره.

بدل الاشتراك للمجلات الصادره عن المجلس كالآتي :

ثمن النسخه	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٥٠ روبيه	١٠٠ روبيه	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها وطبعها السيد هيمانشل سوم المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية.
آزاد بوان، نيو دلهي ، الهند.
طبعت في مطبعه سائبرآرت انفارميشنس برائيويت لميتيد
سي ٢، كانو نشامبار، سابول ناغر، نيو دلهي ١١٠٠٤٩.

رئيس التحرير: البروفسور زبير أحمد الفاروقي

كلمة التحرير:

ألـقـى الـسيد أتل بيهارى فاجباى رئيس وزراء الهند خطاباً أمام الجمعية الـعـامـة لـلأمـم المتحدة في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٨م تناول فيه قضايا دولية و اقليمية عـديـدة و نـظـراً لأهمية الخطاب رأينا أن ننشر مقتطفات منه ضمن محتويات هذا العدد.

و الـمقال الخاص لهذا العدد و هو تحت عنوان"جهود الهند في الترجمات الاردية للقرآن الكريم" استعراض شامل لنشاط الهنود في مجال ترجمة القرآن الـكريم باللغة الأردية كتبه استاذ مصرى د/ جلال السعيد الحفناوى و تناول فيه بـالـبـحـث و الـدراسة الأسباب و الدواعي الخاصة بكل ترجمة و المنهج المتميز الـذي اختاره المترجم في ترجمته ـ كما تتبع تاريخ رحلة الترجمة الأردية شعراً و نـثـراً لـلـقرآن الكريم في شبه القارة الهندية مع دراسة تاريخية لتلك التراجم فـي الـفـتـرة من الـقـرن الـثامن عشر حتى القرن العشرين و تناول أهمها بالنقد و التعليق.

و لـنـفـس الـكـاتـب مـقال آخر تحت عنوان "صفحات مجهولة من تاريخ الـصـحـافـة الـمصرية ـ تجربة الصحافة الهندية في مصر" أورد فيه معلومات مـمـتـعـة عن صدور أول جـريدة أردية و هي صحيفة "اسلامى دنيا" صدرت في الـقـاهـرة عـام ١٩٢٩م و قـد عثر الكاتب على بعض اعدادها في بعض المكتبات المصرية.

و في مقال مهم آخر تحت عنوان "الهوية المسلمة في الهند المعاصرة" حاول صاحبه تحديد ميزة الهوية المسلمة في الهند المعاصرة و العناصر التي اسهمت في تكوينها و تناول بالبحث تراث الاسلام في الهند و السمات الاجتماعية و الثقافية المتميزة للسكان المسلمين مع تنوعات اقليمية مؤكداً أن الثقافة المشتركة في الهند نشأت في بيئة من الانسجام و التعاون و التعايش بدلاً من المجابهة و إن المسلمين قاموا بدور لا بأس به في بناء أمة فيدرالية في ظل النظام الديمقراطي العلماني للهند و إن الضرورة تدعو لتطوير هوية مسلمة جديدة في الهند بما يتمشى مع التعاليم الانسانية للاسلام و مقتضيات الجهود الرامية إلى بناء هند حديثة.

جبران خليل جبران أديب و شاعر عربي طار صيته في العالم كله فهو معروف في الأوساط العلمية و الأدبية في الهند أيضاً لعبقريته النادرة التي تنعكس في شعره و نثره و مازالت الجوانب العديدة لعبقريته هذه من الموضوعات التي حظيت ببالغ الاهتمام لدى الكتّاب و الباحثين الهنود فقد ظهرت دراسات و بحوث عديدة حول شخصية جبران و آثاره و يتضمن هذا العدد بحثا تناول فيه صاحبه البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي الأسلوب الذي اعتمده جبران في معالجة القضايا الدينية و الاجتماعية في قصصه و رواياته بهدف ازاحة الستار عن الوجوه الحقيقية لرجال الدين و أصحاب السلطة و النفوذ في المجتمع.

د/ ربير احمد الفاروقي

مجلة ثقافة الهند الفصلية

المجلد ٤٩ العدد ٢ـ٣

١٩٩٨م

محتويات العدد

الأدب :

رئيس وزراء الهند يدعو لوضع برنامج مرحلى لنزع السلاح النووى في هذا القرن

[مقتطفات من الخطاب الذي ألقاه السيد/ أتل بهارى فاجباى رئيس وزراء الهند أمام الجمعية العامة للأمم المتحده في دورتها الثالثة و الخمسين في ٢٤ سبتمبر ١٩٩٨م]

تحدثت أولاً أمام هذه الجمعية الموقرة كوزير خارجية الهند عام ١٩٧٧م، ثم حضرت اجتماعات دوراتها العديدة بدون مسئولية وزارية.

سيدى الرئيس! إن عالم السبعينات قد صار جزءاً للتاريخ فقد انتهت الحرب الباردة و شهد العقدان الماضيان انتشار الديمقراطية على الصعيد العالمى و يعود الفضل إلينا في نجاح الديمقراطية و يعنى هذا إننا نرغب في أن تكون الأمم المتحدة أيضاً متصفة بالطابع الديمقراطي، اذ أن منظمة لا تكيف نفسها بما يتلاءم مع الحقائق العالمية المتغيرة لابد أن تعوزها الثقة العالمية. و لذا ننادى بانعاش المنظمة و زيارة فعاليتها بما يمكنها من الاهتمام بقضايا غالبية الدول الاعضاء و مواجهة التحديات التي تنتظر لنا في القرن الحادي و العشرين.

لا يمثل مجلس الأمن الحقائق المعاصرة و لا يمثل الديمقراطية على صعيد العلاقات الدولية. و على أثر انتهاء الحرب الباردة كان المجلس قد نال حرية العمل و لكن الواقع عكس ذلك، حيث أن المجلس لم يعمل شيئاً إلاّ ما اقتضته مصالح الدول دائمة العضوية، فالاجراءات التي

اتـخـذهـا المجلس في الصومال لم تجلب لها أي فضل أو إشادة. أضف إلى ذلك امـثـلـة أخرى، فـعـمـليات حفظ السلام لا يمكن أن تعكس الأولويات و المفاهيم السياسية.

هـذا و هـنـاك حـل وحـيـد لاعـادة تنشيط المجلس و هو جعله ممثلاً لاعـضـاء الأمم المتحدة عن طريق تأمين العضوية الدائمة للبلدان النامية، و هـذا مـا تـسـتـحق تلك البلدان، فتواجد بعض البلدان النامية في مجلس الامن كـاعـضـاء دائـمـة الـعـضوية أمر لابد منه من اجل تأدية مسئولياته بـفـاعـلية متزايدة خاصة عندما نرى أن المجلس يعمل في البلدان النامية عـلـى وجـه الـحـصـر تقريباً. و من الطبيعي أن يكون لهذه البلدان حق في اظـهار آرائها حول القرارات التي تؤثر فيها. فبالاضافة إلى التدابير الأخرى يجب ادخال اصلاحات على مجلس الامن و منها زيادة عدد عضويتها الغير الـدائـمة من بين البلدان النامية. و لكن هذه الخطوة وحدها ليست كافية، حـيـث لا يـمـكن تـطـوير و حفظ مصالح البلدان النامية ما لم يتم اختيار الـبـعـض مـنها أعضاء دائمة العضوية لا تقل صلاحية عن الأعضاء دائمة الـعـضـويـة، و اذن فـقـط سيكون المجلس أداة فعالة للمجتمع الدولي في مـعـالـجـة التحديات المعاصرة و المستقلة. و مما لا شك فيه أن الأعضاء الـجـديـدة من الـبـلـدان الـنـامـية يجب أن تملك قدرة للقيام بالمسئوليات الـمـتـرتـبـة عـلـى الـعـضـويـة الـدائـمة، و تؤمن الهند باستعدادها للقيام بمسئولياتها كعضو دائم العضوية و كونها مؤهلة لذلك.

و اليوم الذي تصبح فيه الديمقراطية مبدأ عالمياً ينعكس في أعمال مـنـظـومـة الأمـم الـمـتـحـدة سـيـكـون يـومـاً عـظـيماً بدون شك. غير أن الـمـجـتـمعات الديمقراطية تعاني من بلية لابد من مكافحتها. فالتحديات

التي تواجهها الهند وغيرها من الديمقراطيات ترتبط بالحفاظ على شفافية أعمالها و الاحتفاظ بحقوقها و محاربة الارهاب. و أتذكر أن مجموعة السبعة قبل عقدين تقريباً عد الارهاب بين أكثر التحديات خطورة بالنسبة للمجتمعات المتحضرة، و إن الأحداث التي وقعت بعد ذلك و منها نسف طائرة تابعة للخطوط الجوية الهندية (اير انديا) و تحطم طائرة بأن أم الأمريكية فوق لوكربي والتفجيرات الأخيرة في نيروبي و دارالسلام قد جاءت دليلاً على صحة ما توصلت إليه مجموعة السبعة.

سيدى الرئيس! إن الإرهاب خطر يهددنا جميعاً على السواء و ما من يوم يمر إلاّ يقضي فيه الارهاب على نفوس بشرية هنا أو هناك في العالم، وهو ابشع الجرائم الدولية و أكثر التهديدات شدة و شناعة في العالم للنفوس البشرية و أيضاً للسلم و الأمن الدوليين. إننا في الهند ارغمنا على مكافحة الارهاب الذي يدعمه و يشجعه بلد مجاور منذ عقدين من الزمن تقريباً. مازلنا نحتمل هذه الظاهرة بصبر و هدوء و لكن يجب الا يشك أحد في عزمنا لمواجهة هذا التحدى الذي قد امتدت براثنه في جميع ارجاء العالم، و للارهاب صلة قوية الآن مع الاتجار غير الشرعى في المخدرات و الأسلحة. خلاصة القول إن الارهاب قد أصبح تهديداً عالمياً لايمكن القضاء عليه إلاّ بجهود عالمية منظمة. و لذا يجب أن تكون المهمة الأولية لدى كل المجتمعات عبارة عن وضع سبل و تدابير جماعية لمحاربة هذا الخطر. و في إجتماع القمة في دربن قد دعت حركة عدم الانحياز لانعقاد مؤتمر دولي عام ١٩٩٩م لوضع مثل هذه التدابير الجماعية و نناشد أن يقوم مؤتمر عام ١٩٩٩م بشن عملية للمفاوضات من أجل إجتماع دولي يفكر في إجراء جماعي ضد الدول و المنظمات التي تدعم و تشجع الارهاب.

بالنسبة للهند فقد صادقت على كل من اتفاقية الحقوق الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و إتفاقية الحقوق المدنية و السياسية. كما أن المؤسسات الاخرى في بلادنا و هي اللجنة القومية لحقوق الانسان و الاعلام الحر و المحاكم المستقلة تعمل على ضمان أن كل مواطن يتمتع بحقوق الانسان. و مازلنا نقتنع بأنه ما لم يتم احراز التقدم في مجالات الحقوق الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية بما فيها حق التنمية فان العالم سيشهد صراعاً عالمياً من شانه أن يؤدى إلى هجرة الناس و إساءة استخدام حقوق الانسان.

في نهاية القرن العشرين يواجه المجتمع الدولي تحدياً آخر و هو نزع السلاح النووي. إننا نجحنا في الحظر على الأسلحة الكيمائية و البيولوجيه في العقود الأخيرة، و قد شهد القرن الحالي تطوير و استخدام الاسلحه النوويه، و علينا أن نضمن أن تراث الأسلحه ذات الدمار الشامل لا ينتقل إلى القرن المقبل.

منذ نصف قرن مازالت الهند تتابع أهداف السلام الدولي المصحوب بالأمن المشروع و المتساوى أو نزع السلاح العالمي الشامل، و هذه المفاهيم يعد بين المبادئ الأساسية لأمننا القومي. و عبر السنوات الأخيره طلب الهند يعمل على يعزيز أمنها القومي عن طريق تشجيع نزع السلاح النووي العالمي حيث نؤمن بأن عالماً خالياً من الأسلحة النووية من شانه أن يعرز الأمن العالمي و الأمن القومي للهند.

أما فيما يتعلق بالمفاوضات حول اتفاق الحظر الشامل للتجارب النوويه فبدأت عام ١٩٩٣م اعتقاداً بأن اتفاقاً كهذا سيسهم بصفة فعالة في

منع انتشار الأسلحة النووية بكل جوانبه و في عملية نزع السلاح النووي و بالتالي في تعزيز السلم و الأمن الدوليين. شاركت الهند بصفة فعالة و بناءة في تلك المفاوضات و اقترحت بأن يكون الاتفاق في اطار نزع السلاح و مرتبطا ببرنامج زمني لإبادة كافة الأسلحة النووية على الصعيد العالمي. و الاقتراح الهندي لم يحظ بالموافقة و لم تقبل الهند بالاتفاق بصيغته الراهنة لأسباب تتعلق بالأمن القومي و أوضحت أن نص الاتفاق يقتضي أن يكون توقيع الهند و مصادقتها شرطاً مسبقاً لسريان مفعول الاتفاق.

و نظراً إلى البيئة الأمنية المتدهورة التي سببت ابتعادنا من اتفاق الحظر الشامل للتجارب النووية عام ١٩٩٦م اجرينا سلسلة محدودة من خمس تجارب نووية تحت الأرض في ١١ و ١٣ مايو ١٩٩٨م و كانت هذه التجارب ضرورية لتأمين رادع نووي معول عليه للأمن القومي للهند في المستقبل القريب.

و هذه التجارب لا تعني أي تخفيف من التزام الهند تجاه الجهود الرامية إلى تحقيق نزع السلاح النووي العالمي. و من هذا المنطلق أعلنت الهند إثر تجاربها النووية المحدودة موقفها من اجراء مزيد من التجارب النووية تحت الأرض و من خلال هذا الاعلان قبلت الهند بالتزامها الأساسي تجاه اتفاق الحظر الشامل للتجارب النووية و لم تقبل به عام ١٩٦٦م خشية أن ذلك سينال من قدرتها النووية و مصالحها الأمنية.

سيدي الرئيس! إن الهند التي قد قامت بالتوفيق بين حاجاتها القومية الملحة و التزاماتها الأمنية و ترغب في مواصلة التعاون مع المجتمع

الدولي تجرى الآن مفاوضات مع الأطراف الرئيسية للحوار حول العديد من القضايا بما فيها اتماق الحظر الشامل للتجارب النووية. و إننا على استعداد للتوصل إلى نتائج موفقة من خلال هذه المفاوضات كى لا يتأخر سريان مفعول اتفاق الحظر الشامل للتجارب النووية وراء سبتمبر ١٩٩٩م، و نأمل بأن الدول الأخرى الوارد دكرها في البند رقم ١٤ للاتفاق ستتمسك به بدون أي شروط.

بعد مفاوضات طوبله قد أصبح المؤتمر حول نزع السلاح في جنيف في موفف لبدء الحوار حول اتفاق يمنع انتاج المواد القابلة للانشطار من احل صنع الأسلحه النوويه أو الأجهزة النوويه الأخرى. و لكننا نعى مرة أخرى بأن هذه خطوة جزئيه، إذ أن اتفاقاً كهذا بعد ابرامه و تنفيذه سوف لا يقضى على الترسانات النوويه الراهنه. و لكننا رغم ذلك سنشارك فى هذه المفاوضات بحسن النيه لضمان أن يكون الاتفاق غير تمييزى و يلبى الحاجات الامنيه للهند. و سوف تولى الهند اهتماماً جاداً أى مبادرات أخرى متعددة الجوانب في هذا المجال أثناء المؤتمر حول نزع السلاح.

و بصفتها دوله مسئوله ملتزمة بمنع الانتشار قد تعهدت الهند بأنها لن تحول هذه الأسلحه و ما يرتبط بها من تقنيه إلى دولة أخرى. و لدينا نظام فعال للتحكم في التصدير و سوف نزيده فعالية بحيث يغطى مزيداً من الاجهزه و المعدات. و في نفس الوقت إننا كبلد نام نعى بأن التقنية النوويه يمكن استخدامها في أعراض سلميه عديدة و سوف نستمر في التعاون مع البلدان الأخرى في هذا المجال بما يتمشى مع مسئولياتنا الدولية

و منذ بضعة أسابيع كانت الهند تقدمت باقتراح في مؤتمر القمة لعدم الانحياز في دربن حظى بموافقة الحركة و ذلك لعقد مؤتمر دولي عام ١٩٩٩م بهدف التوصل إلى اتفاق قبل انتهاء الألفية الراهنة حول برنامج مرحلي للإبادة الكاملة لكافة الأسلحة النووية، و نناشد كافة أعضاء المجتمع الدولي و خاصة الدول الأحرى ذات الأسلحة النووية الاسهام في هذا المجهود. و دعنا نتعهد بأنه عندما سنجتمع في الألفية الجديدة فسوف نؤكد التزامنا بأن الانسان لن يكون هدفاً لاستخدام الأسلحة النووية أو التهديد باستخدامها.

و هناك تحدى آخر أمام المجتمعات النامية يتمثل في ازدياد التفاوت الاقتصادى و الاجتماعي من جراء نظام السوق الحر، و لذا نحتاج لسياسات تقلل من هذا التفاوت بما يخلق بيئة أكثر استقراراً على المدى الطويل، و هذه السياسات ضرورية في الديمقراطيات المسئولة و هي تنسجم مع عملية التحرير الاقتصادي المنظم.

و قد حان الوقت لبدء حوار دولي جديد حول مستقبل الاقتصاد العالمي الذي يعتمد بعضه على البعض و هذه مهمة الدول الأعضاء في هذه المنظمة.

سيداتي و سادتي و أصدقائي! أعتقد أنني أتحدث نيابة عن الجميع عندما أقول إننا نقف على عتبة عصر جديد و نكاد أن ندخل عالماً جديداً مثيراً. و قبل قرون عديدة كان نيوتن وصف اكتشافاته العلمية على سبيل التواضع بأنها "حصى على الشاطئ و أن محيط الحقيقة مازال غير مكتشف"، و لكنني أعتقد أننا نسافر الآن عبر محيط الحقائق، فقد قمنا

بـاكـتـشافات مثيرة و سوف نقوم باكتشاف ما يساعد في تقدم الانسان نحو الأمام.

غـيـر أنـنـا نـشعر بأن كل شيء ليس على ما يرام في هذا العالم حيث تـفـور قـوي الاضـطـراب تـحـت سطح الهدوء في كافة أرجاء العالم تقريباً و تـهـدد بـالـقـضـاء على المكاسب التي أحرزناها في القرن الماضي و بجر العالم إلى التعصب الأعمى و العنف و بيئة غير صحية.

إنـنـا قـد احـتـفظنا بمبادئ الحرية و المساواة و التسامح في حياتنا الـيـومـيـة و اذا كـنـا نـتمنى أن يكون القرن المقبل أحسن من العالم الذي نـعـيـش فـيـه فلابد من أن نسوده هذه المبادئ و القيم، و بينما نتقدم نحو اعـتـماد داخلي متزايد لا يوجد له بديل يجب على زعماء العالم أن يرتفعوا إلـى مـسـتـوى الـمـسئوليه و أن يدخلوا القرن الجديد بوجهات نظر جديدة، و أوكد استعداد الهند للاسهام الكامل بهذا الصدد.

تعريب : زبير أحمد الفاروقي

❖❖

جهود الهنود في الترجمات الأردية للقرآن الكريم

بقلم: د/ جلال السعيد الحفناوي*

مقدمة:

تعتبر حركة الترجمة في أي مجتمع ثقافي دليلاً على إزدهار الحركة الفكرية و النهضة الحضارية و انفتاحاً على ثقافات العالم المختلفة في الشرق و الغرب، فالترجمة نشاط لا يمكن أن يتصف بالموضوعية لأنه يتأثر بشخصية المفسر و متلقيه كما يتأثر بالزمان و المكان، و الترجمة تعبير من بين الأشكال العديدة لتفسير و معرفة و فهم حضارة أخرى، و هي كذلك أكثر أشكال إعادة الكتابة و "تكوين الصورة" تأثيراً.

و الترجمة كما تعرفها المعاجم هي "نقل نص مكتوب بلغة ما إلى لغة أخرى" و إن كان هذا النقل لا يخلو من قدر من عدم التطابق التام قد يقل و قد يكثر لأننا في هذه الحالة نشك بفطرتنا من الترجمة مهما توافرت فيها الصحة و الأمانة و مبعث هذا الشك إنما يرجع إلى الرحلة الطويلة التي يأخذها النص المُتَرجَم على يد المُترجِم له نثراً أو شعراً و ما

---

* كاتب هذا المقال مدرس اللغة الأردية - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر

يكـون قـد فـقـده من الـمعاني و الالـفاظ سهواً أو عمداً، و قد شهد العصر الـحـديـث تـنـظـيـراً لـعـمـلية الترجمة فأصبح لها قواعد علمية و مناهج و نظريات و تحولت الترجمة من "فن" إلى "علم" له أصوله.

و قـد ظـهـرت تراجم عديدة و مختلفة للقرآن الكريم بسبب الاختلاف الـمـنـهـجـي أو الحزبي في عقائد الجماعات المختلفة إلاّ أن هنا عدداً من الـتـراجـم اكـثـر قـبـولاً بين هذا العدد الضخم من التراجم الأردية للقرآن الكريم مثل ترجمه "موضح قرآن" لشاه عبد القادر و "تفسير رفيعى" لشاه رفـيـع الـدين الدهلوي و "ترجمة قرآن" لسيد أحمد خان و ترجمة "مواهب الـرحـمن" لأمـيـر عـلي مليح آبادي و ترجمة "غرائب القرآن" لنذير أحمد، و ترجمه "فتح المنان" لمحمد عبد الحق حقاني و ترجمه "فتح الحميد"، لـمـولـوى فتح محمد جالندهرى و "بيان القرآن" لمولانا أشرف علي تهانوى. و "مـوضـح فـرقـان" لـمـحـمود الحسن و ترجمان القرآن" لأبو الكلام آزاد، و "تـفـهـيـم القرآن" لصاحبه أبو الأعلى المودودى و "القرآن الحكيم" لعبد الـماجد دريابادي و "كشف الرحمن" لاحمد سعيد دهلوي. و يمكن لنا تقدير شهرتهم العريضه من عدد الطبعات التي ظهرت لتراجمهم.

و قـد إهـتـم الناشرون إهتماماً خاصاً بنشر تراجم القرآن بعد أن رأوا إقبالاً متزايداً على شراءها و قد نالت داران للنشر الجانب الأكبر من الشهرة بسبب نشر تراجم القرآن الأول "تاج كمبنى" بلاهور و الثانية "إدارة اشاعت ديـنـيـات" بـنظام الدين بدلهي و التي تولت مهمة نشر تراجم القرآن فظهر حـتـى الآن أكـثـر من عـشـره طبعات للتراجم السابقة (١) و قد قام الباحث بـزيـارة الإدارة الـثـانـيه و وجدت تعاوناً و مساعدة كبيرة من القائمين على

الدار لتوفير عدد من التراجم التي قاموا بطباعتها و التي ساعدتنى على إنجاز هذا البحث.

و قد قام الدكتور حميد اللّه ببحث في هذا الموضوع يقول : "في الربع الأخير من القرن عشر الميلادي تُرجَم القرآن إلى أكثر من مائة لغة من لغات العالم و يتفاوت عدد هذه التراجم في اللغات المختلفة إلّا أن اللغة الأردية تتفوق على جميع لغات العالم من حيث عدد التراجم الأردية للقرآن الكريم، فتصل إلى تسعين ترجمة تقريباً"(٢).

و يرى الباحث أن هذا العدد غير كاف و لا يعبر عن العدد الصحيح لهذه التراجم و ربما ينضاعف هذا العدد لو أضيف إليه التراجم الجزئية و غير الكاملة للقرآن. يقول الدكتور محمد مسعود في مقالة بعنوان:"اردو تراجم و تفاسير قرآنى" إن عدد المترجمين و المفسرين يصل إلى مائة وخمسة و خمسين"(٣).

و أود أن أشير هنا إلى أن العلماء الهنود كانوا في بداية الأمر يقولون "ترجمة معانى القرآن" ثم اكتفوا بعد ذلك بقولهم "ترجمة القرآن" و هم يقصدون ترجمة معانى القرآن لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين و تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله و لهذا فهو لا يترجم و إنما معانيه هي التي تترجم و لهذا فإنه من الأصح أن نقول: "ترجمة معانى القرآن و لكثرة التراجم الأردية للقرآن حذفت كلمة "معاني" و أصبحت كلمة "ترجمة القرآن" هي الأكثر شيوعاً على الألسنة و يقصدون بها ترجمة معاني القرآن كما هو شائع بين العرب". و يقول : محمد الخضر حسين: "من المناسب أن نقول "تفسير" بدلاً من "ترجمة" في تراجم القرآن(٤).

و الـحـقـيـقة أن كلمتى "ترجمة" و "تفسير" تستعملان في الأردية بمعنى واحـد فـاحـيـاناً يستعمل المترجم كلمة "ترجمة" و أحياناً أخرى يستعمل كـلـمـة "تـفـسـير" و فـي بـعض الأحيان يستعملهما معاً فيقول "ترجمة و تفسير".

و بعد فإنني أهدف من هذه الدراسة إلى ما يلي : ـ

١ ـ دراســة الأسباب المختلفة لتراجم القرآن الكريم إلى اللغة الأردية و فوائد التراجم و مضارها.

٢ ـ أسـباب و دواعى كل مترجم قام بترجمة القرآن و رأيه الخاص في اختياره لطريقة الترجمة و المنهج الذي اتبعه فيها.

٣ ـ دراســة تـاريـخـيــة لرحلة الترجمة الأردية للقرآن الكريم في شبه الـقـارة الـهـنـدية مع الاهتمام بمدارس الترجمة الأردية المختلفة للقرآن و بـيـان أساليب الترجمة و ذلك من خلال دراسة مختصرة لهذه التراجم من حـيـث الـتـرتـيب الزمنى و الأولية التاريخية و أسلوب بيانها حتى يمكن لنا الـوقـوف على التطور التدريجى لهذه التراجم من حيث اللغة و الأسلوب في عرض مختصر.

٤ ـ دراسة إحصائية للتراجم الأردية في القرون الثامن عشر و التاسع عـشـر و الـعـشـرين ثـم اتـبعتها بدراسة مختصرة لأهم هذه التراجم و في النهاية تناولت ثلاث ترجمات كنموذج لتلك القرون الثلاثة و راعيت أن تمثل كـل تـرجـمـة مـنها مدرسة منهجية مختلفة في الترجمة مع دراسة نقدية أسلوبية لهذه التراجم و هي : ـ

(أ) ترجمة "موضح قرآن" لشاه عبد القادر و هي ترجمة المعنى و استخدم فيها التعبيرات الأدبية الشائعة "بامحاوره ترجمة".

(ب) ترجمة "مواهب الرحمن" لأمير علي مليح آبادى و هي ترجمة حرفية "لفظى ترجمة".

(ج) ترجمة "تفهيم القرآن" لأبو الأعلى المودودى و هي ترجمة حرة "آزاد ترجمة".

٥ - تناولت في هذا البحث التراجم النثرية و الشعرية و ترجمات شمال الهند و جنوبها على حد سواء.

٦ - لم أتناول التراجم الجزئية و غير الكاملة للقرآن كما لم أذكر التراجم المخطوطة و أنصب اهتمامى على التراجم المطبوعة فقط ، و كذلك لم أتطرق هنا إلى ذكر تراجم القرآن التي تحمل أفكاراً و معتقدات خاصة تمت على أساسها الترجمة مثل تراجم القديانية و البهرة و غُلاة الشيعة وغيرهم لما فيها من خروج على إجماع علماء السنة.

و قد قمت بالاطلاع على جميع هذه التراجم الاردية في مكتبات الهند المختلفة في دهلى و لكناؤ و خدا بخش ببتنه و رضا برامبور رغبة مني في رؤية هذه الدرر الثمينة و لم أكتف بالاطلاع على ماكتب عنها، الدراسات الاردية القديمة و الحديثة و ذلك طلباً للفائدة و لعموم النفع.

و بهذه الدراسة التي أحسبها المحاولة الأولى لإلقاء الضوء على هذا الموضوع الثرى باللغة العربية أرجو ان تكون بداية للاهتمام بهذا النوع من

الدراسات القيمة التي انتجتها العقلية الإسلامية الهندية في هذا المجال بخاصة و في مجال علوم القرآن و الدراسات الأدبية بعامة.

الأسباب المختلفة لتراجم القرآن:

اشرقت شمس الإسلام على الجزيرة العربية، و بدأ ضياء التوحيد يقضي على ظلمات الوثنية و اتسعت دائرة النور و صار القرآن دستور الإسلام المتين و رسالة اللّه للبشرية أرسل بها رسوله صلى اللّه عليه وسلم يقول تعالى: "ما أرسلناك إلّا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون"(٥). و قوله تعالى: " قل يا أيها الناس إني رسول اللّه إليكم جميعاً"(٦).

و عندما بعث رسول اللّه بهذه الرسالة كانت خاصة بمكان و زمان خاصين لذا كان من الضروري أن تكون بلغة القوم الذي أُرْسِل إليهم لكي يفهمها عامة الناس في تلك الوقت و تكون ذا أثر بالغ في هدايتهم للدين الجديد فهو قانون حياة حقيقي و دعوة للعمل و نور هداية. يقول تعالى:- "ما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم" (٧). و مع أن القرآن قد نزل في مكان محدد إلّا أنه كان يحمل في طياته رسالة عالمية للناس كافة فبدأ ينتشر الاسلام في أنحاء الجزيرة العربية و يخرج خارج حدودها و دعت الحاجة المسلمين من غير العرب لفهم رسالة القرآن و الاطلاع على قواعده و قوانينه و شرائعه لأنه لا يمكن تنفيذ التعاليم الشرعية بدون فهم القرآن. و عندما اتسعت دائرة الإسلام و دخل بلاداً غير عربية، ظهرت الحاجة ماسة إلى ترجمة معاني القرآن و تفسيره للمسلمين غير العرب الذين لا يعرفون العربية. "و قد بدأ المسلمون يتوافدون على سواحل الهند

في عـهـد الـخـلـفاء الراشدين و فتحوا ثغوراً عديدة في الهند أهمها مكران خـور الـديبل"(٨) و أسست دولة إسلامية في السند في عهد بنى أمية و ذلك عـلى يد الفاتح محمد بن القاسم ثم انتشر الإسلام في باقي أرجاء الهند(٩). و بـدأ الـهـنود يدخلون في دين اللّه أفواجاً و تدريجياً بدا عدد المسلمين في الـهـند يتزايد و بدأ المسلمون في نشر تعاليم الإسلام و تهيئة عقول السكان لـتـقـبل الدين الجديد و شعر المسلمون الجدد بضرورة ترجمة القرآن و في الـبـدايـه اعـتـرضـتـهم بعض الصعوبات الخاصة بالترجمة. و فى عام ٢٧٠ هـ/٨٨٣م أرسـل حـاكم المنصورة بالسند عبد اللّه بن عمر رحلاً إلى مهروك حـاكـم كـشـمـير فـترجم له حتى سورة يس فكانت هذه أول ترجمة باللغة الـهـنـدسـتـانية (الأردية)(١٠). و كتبت في ذلك الوقت مؤلفات عديدة خاصة بـتـفـسـيـر الـقرآن و علومه باللغتين العربية و الفارسية علاوة على اللغات الـهـنـديـة الأخـرى و لكن عامة الناس لم يستفيدوا منها على الوجة الأمثل و لـهـذا فـطن الـعـلـمـاء إلى تقديم معاني القرآن باللغة الأردية حتى تكون قريبة من أفهام العامة و حتى يستطيع أن يستفيد منه أكبر قدر من الناس في الهند و قد تم الإستعانه بالتراجم و التفاسير من أجل تسهيل مهمة فهم الـقـرآن و اجـتـهد العلماء في تبسيط قواعده النحوية و الصرفية و حل ما إستغلق من بيانه و معانيه في لغتهم الأردية(١١).

و تـعـد الـلـغـة الأرديـة أحدث اللغات الهندية طراً لكنها كانت تحمل سـمـات و صـلاحـيات عديدة جعلتها تنتشر بين الناس في فترة وجيزة جداً و بدأت تـجد طريقها في طول البلاد و عرضها على ألسنة الناس في شمال الـهـند حيث وجدت بيئة مناسبة لها ازدهرت فيها و شغف الناس بها في كل مـكـان فـي الـهـنـد و اعتبرت هذه اللغة ذات علاقة خاصة بالأمور الدينية،

و لما لا و قد ارتبط وجودها بالوجود الإسلامي في الهند فقد كانت لغة الجيش الإسلامى في دهلي و شمال الهند.

و من هذا المنطلق بدأت جهود العلماء الهنود في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الاردية و اللغات الهندية الأخرى من أواخر القرن السابع عشر و مع بدايات القرن الثامن عشر الميلادي الأول و الثاني الهجري. و مازالت هذه الجهود مستمرة حتى اليوم، فلا يمر عام إلّا و طبعت فيه ترجمة أو اكثر للقرآن حتى حاز علماء الهند قصب السبق في هذا المضمار.

و هناك أسباب عديدة لترجمة القرآن هي :

١ ـ السبب الرئيسي الذي ادى إلى ظهور تراجم القرآن إلى حيز الوجود هو انتشار الاسلام في أرض غير عربية مما أجبر علماء الهند الذين يعرفون العربيه على ترجمه القرآن حتى يعرف الخاصة و العامة رسالة القرآن

٢ ـ إذا اكتفينا بالسبب الأول لكانت ترجمة واحدة تكفى و تفى بالغرض لكننا كما نرى نجد عدة تراجم في لغة واحدة، ففي اللغة الأردية وحدها نجد أكثر من مائة ترجمة كاملة و غيركاملة و ذلك لأن الترجمة تخضع دائماً للغة العصر الذي كتبت فيه و لهذا فإن الترجمة من الناحية اللغوية تصبح بعد اربعين أو خمسين عاماً غير مواكبة للغة العصر و تفتقد إلى الروح و إلى الجاذبيه و تصبح صعبه الفهم نتيجة لظهور كلمات و مصطلحات جديدة في اللغة و ترك كلمات و مصطلحات أخرى

لأن اللغة حية و متجددة و إذا توقفت اللغة عن التفاعل مع العصر شاخت و نبلت لذا نجد عدة تراجم في اللغة الأردية لتتواكب مع ضروريات العصر من ناحية و مع التطور اللغوي من ناحية أخرى.

٣ ـ كل عصر يحمل في طياته عدة خصائص مرتبطة بالحياة الإجتماعية من حيث الأفكار و الفلسفات و الاتجاهات و النزعات لذا أدى العلماء هذه الضرورة جيداً حتى أصبحت تراجمهم ملائمة لذوق العصر الذي كتبت فيه.(١٢)

٤ ـ من الأسباب التي دعت إلى التراجم العديدة للقرآن رغبة كل عالم في اظهار أفكاره بلغة الخاصة و لهذا ظهرت تراجم جديدة و سوف تظهر هذه التراجم حتى يوم القيامة.

٥ ـ القرآن هو دستور حياة المسلمين و لهذا فإن قراءته و الإستماع إليه و نشره يعد شرفا عظيما للقائم به فتسابق العلماء في نيل هذا الشرف و الثواب و في هذا المعنى قال شاه عبد القادر:

"كل امرئ يكون له كتاب يوم القيامة + و أنا أحضر كذلك و ترجمة القرآن تحت أبطي"(١٣)

٦ ـ قام بعض أعداء الإسلام و أكثرهم من اليهود و النصارى بنشر تراجم خاطئة للقرآن الهدف منها تشويه تعاليمه عن طريق دس الأفكار و المعتقدات الفاسدة في ثنايا هذه التراجم لذا قام علماء المسلمين بالردّ على هذه التراجم بتراجم صحيحة.

صعوبات في طريق الترجمة:

لكل لغة خصائصها المُعجمية و تعبيراتها و مصطلحاتها الخاصة بها، لهذا تظهر مشكلات عديدة عند الترجمة من لغة إلى أخرى لأنه من الصعوبة بمكان أن يأتي في لغة ما بلفظ مماثل له في لغة أخرى و يكون مرادفا له و يحمل المعنى الصحيح الظاهر و الباطن، فإن هذا العمل إن لم يكن مستحيلاً فهو من الضروري أن يكون صعباً، هذا فيما يتعلق بالكتابات البشرية التي يكتبها علماء و أدباء فما بالنا عند ترجمة معاني كلام اللّه.

إن الترجمه المماثلة للقرآن تفوق طاقة البشر. يقول إبن قتيبه (ت : ٢٧٧هـ/٨٩٠م) في كتاب القرطين : "نزل القرآن الكريم مطابقاً لجميع اساليب الكلام"(١٤) و لهذا السبب لا يمكن لمترجم في لغة ما أن يترجم القرآن كما يستحق.

و لهذا فإن العلماء الهنود الواقفين على اللغة العربية و أصول التفسير و علوم القرآن و الحديث و الفقه و الذين يملكون زمام لغتهم و لهم فيها مهاره كاملة و تراجم متعددة للقرآن يعترفون بأن الترجمة المتطابقة تماماً للقرآن مستحيله، و من الجدير بالذكر هنا أن نقول انه على الرغم من وجود تراجم عديده للقرآن بلغات مختلفة قام بها جميعاً علماء غير عرب في الجانب الآخر لا يوجد حتى الآن أي محاولة من عالم عربي لترجمة القرآن في لغة ما و غالباً ما يرجع سبب هذا إلى إحساسه بصعوبة ترجمة القرآن و تفهيم معانيه لغير العرب أو أن هذا العمل ليس من واجباته التي ينبغي أن يقوم بها، بينما نجد على العكس من هذا كثيرا من العرب غير المسلمين قاموا بترجمه الانجيل و التوارة إلى اللغة العربية.

فترجمة القرآن عمل شاق وقع غالباً على عاتق غير العرب الذين شعروا بمسيس الحاجة إلى هذه الترجمة. يقول مشير الحق: "القرآن هو كلام اللّه الذى جاء فيه تعاليمه و احكامه و لم يكن ميسراً لنا في وقت من الأوقات فهم معانيه مادام المخاطب و المتكلم كلاهما لا يفهم لغة الآخر. و ظل عبارة عن تكرار للكلمات فقط دون الوقوف على معناها و فهمها. لذا ظهرت عندئذ ضرورة ترجمة القرآن كامر ملح لابد منه لتكون هذه التراجم أداة يستطيع بها المتلقى أن يعى لغة المخاطب"(١٥).

و مع هذا فإن المترجم لا يستطيع أن يترجم القرآن ترجمة مماثلة و مطابقة لأن القرآن به العديد من الألفاظ التي تحمل مترادفات عديدة و المترجم لا يمكن له أن يأخذ اكثر من كلمة واحدة و لذلك ظهرت اختلافات واضحة في التراجم المختلفة بين كبار المترجمين و المفسرين، فالقرآن معجز و أسلوبه بليغ و معانيه جامعة و لهذا يمكن ترجمته و شرحه و تفسيره من عدة زوايا و اتجاهات مختلفة و لهذا نجد لشخصية المترجم و علمه دوراً كبيراً في معيار صحة الترجمة نتيجة لإختلاف العقائد و الأفكار.

و ترجمة القرآن مسئولية خطيرة لا يجرأ عليها إلّا الراسخون في العلم من العلماء أصحاب العقائد الصحيحة و الثقاة منهم. فبعض ألفاظ القرآن له معنيان و للبعض الآخر ثلاثة أو أربعة معاني، لذا عند الترجمة يختار المترجم المعنى المناسب بما له من مقدرة و علم و تضلع في اللغة و علوم القرآن و الفقه. فمثلاً يقول اللّه تعالى: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت"(١٦).

فـفـي الآية السابقة نجد أن كلمة "إبل" لها معنى آخر هو "السحب" فـأي مـعـنـى يـأخـذه الـمترجم؟ و هكذا عند ترجمة ضمير الإشارة فإن له أهـمـيـة كبيرة و تأثير بالغ في فهم الترجمة فهماً صحيحاً. مثلاً يقول اللّه تعالى: ـ

"و لٰـكن البر من آمن باللّه و اليوم الآخر و الملائكة و الكتب و النبيين و آتى المال على حبه"(١٧)

فـفـي الآيـة الـسـالـفة نجد أن كلمة "حبه" تتكون من "حب" و الهاء و هـي هـنـا ضـمير إشارة و عند ترجمة "على حبه" في الأردية تكون "اس كـى محبت كى" و هناك تكمن المشكلة، فهل يعود ضمير الإشارة الهاء إلى مـحـبـة اللّه أم إلى محبة المال فلو أخذ المترجم المعنى الأول يكون خطأً كبيراً لأن ضمير الإشارة يعود إلى المال أي مع حبه للمال.(١٨)

إن الـهـدف من ذكـر هـذه الأمـثـلة هو القول بأن المترجم يحمل على عاتـقه مسئولية ثقيلة و هي مسئولية دينية و أخلاقية و فكرية و عقائدية و لـهـذا فـإن الـتراجم الأرديه للقرآن الكريم لا تنقل النص العربي فقط إلى الأردية بل تعكس الأفكار الدينية و الفكرية و الشخصية للمترجم.

و قـد اعترف مولانا عبد الماجد دريا بادى في مقدمته لترجمة القرآن بصعـوبـة هذا العمل و استدلالاً على رأيه بقوله "إذا كان هناك كتاب أدبي رصين فـي لـغـة ما فإنه ليس من السهولة بمكان نقله إلى لغة أخرى و إذا تصدى لـهـذا الـعـمـل أحـد كـبار العلماء فإنه يجهده لأن لكل لغة سماتها الـمـنـفـردة عن الـلغة الأخرى من تراكيب و جمل و عبارات و قواعد النحو و الـصـرف حـيـث يـحمل كل لفظ مدلولات و إشارات و كنايات خاصة، فإذا

التزم المترجم بالترجمة اللفظية فإن الترجمة تفتقد إلى الجدة و النضارة و تبعث على الملل بينما لو التزم المترجم بالترجمة الأدبية قد تفتقد الترجمة إلى المعاني الدقيقة للألفاظ القرآنية التي اعترف بصعوبة ترجمتها كبار العلماء و الكتاب و الفلاسفة(١٩).

فهناك فرق كبير بين اللغة العربية و اللغة الأردية من الناحية الصرفية و النحوية و الأسلوبية، فالأولى لغة سامية و الثانية لغة هندو أوربيه آرية، و أسلوب البيان في اللغة العربية فصيح جداً على العكس من الأردية و فيما يلي أمثلة لهذا:

١ - يأتي الضمير للتأكيد في اللغة العربية و يكرر بلا تكلف، و يأتي الضمير أحياناً مكرراً ثلاث مرات مثل :"إنه هو يبدئ و يعيد" و "إنك أنت العزيز الحكيم" و "إننا سمعنا" و "إنني أنا اللّه" و "إنا نحن نحي الموتى" "نحن نزلنا عليك". فلو تمت ترجمة هذا النوع من التراكيب في الأردية فهذا يعني أن نكرر ضمائر المتكلم "مين" أو "هم"، و الحاضر "تو" و الغائب "وه" و بذلك تفسد العبارة الأردية و تختل و تصعب على الفهم، فلا نكرر الضمير بل نستعمل مع الضمير في موضع ما "هي" و في آخر "تو" بالواو المجهولة و أحياناً ثالثة نجمع بينهما "هي" و "تو".

٢ - يأتي زمن المضارع و المستقبل في الأردية بصيغتين مستقلتين بينما يأتيان في العربية بصيغة واحدة هي صيغة المضارع التي لو استعملت في الأردية لاختل المعنى و أصبحت العبارة بلا روح و لهذا لا مفر عند الترجمة من استعمال إحدى هذه الصيغ في الأردية حسب طبيعة الجملة.

٣ ـ لا تعرف الأردية التثنية فاكثر من واحد يعد جمعاً على عكس العربية لذا عند الترجمة إلى الاردية يذكر المترجم كلمة "دو" أو "دونون" بمعنى اثنين قبل المثنى المراد ترجمته.

٤ ـ يتكرر الفعل في الجملة العربية فأحياناً يأتي في صورة مصدر او جملة اسمية و احياناً تشتق الصفة من الموصوف ذاته مثل : أعذبه عذاباً ـ فبميلوا مبلاً ـ فرضتم لهن فريضة ـ مكراً مكرتموه ـ قتلوا تقتيلاً ـ يفجروا تفجيرا ـ يخرجكم اخراجاً ـ قدروها تقديراً ـ اخرجنى مخرج صدق ـ ادخلنى مدخل صدق ـ وغيرها من التراكيب و هي تستعمل في العربية كنموذج أعلى للفصاحه في حين أنه لا يمكن استعمالها في الأردية بهذه الطريقه.

٥ ـ عند ترجمه صيغه المجهول العربيه في الاردية كثيراً ما يستعمل المترجمون صيغة المعروف في الأردية حتى يتضح المعنى مثل "غير المغضوب عليهم" فإن أكثر المترجمين يترجمونها بصيغة المعروف بإضافه "يو" أو "نيرا" فتصبح "نه وه جن بر تيرا غضب نازل هوا هى" أو "نه وه جن بر تو غصه هوا هى".

٦ ـ هناك بعض المصطلحات و الكلمات العربية التي تصبح عند ترجمتها للارديه عائقاً كبيراً أمام فهم القرآن مثل : جهاد ، ظلم ، شراب، خمر، زكاه، فصل، دين، عرش، سماء، جاهل، نسل، مكر، كيد، أجل، شيطان، جنه وغيرهم.

٧ ـ في اللغة العربية مترادفات عديدة للكلمة بينما الاردية بها مترادف واحد أو اثنين لأداء المعنى" فمثلاً كلمة "سائب" في الأردية

بمعنى "ثعبان" وردت في القرآن في ثلاث كلمات بينها فروق طفيفة فتأتي أحياناً "حيه" و أحياناً أخرى "جان" و أحياناً ثالثة "ثعبان". و كلمة "اونت" بمعنى جمل استعملها القرآن في ثلاث كلمات "بعير" و "جمل" و "ابل". و تستعمل الأردية أربع كلمات فقط لذكر الأوقات المختلفة لليل و النهار و هي "صبح" و "شام" و "دوبهر" و" سه بهر" ببنما وردت في القرآن عشر كلمات على الأقل هي: بكرة، أصيل، ضحى، غسق، فجر، صبح، غدو، عشيه، ظهيره و عصر. و لهذا بات من الصعب أن تأتي الأردية بمعان مناسبة و دقيقة لهذه الكلمات. كذلك يرد في الأردية فعل "درنا" بمعنى الخوف و هو لازم و متعدى "درانا" بينما يرد في القرآن سبعة مترادفات للدلالة على هذا المعنى مثل: خوف، خشية، وجل، تقوى، حذر، رهبة، اشفاق. و معنى آخر في الأردية هو "جماعت" أي جماعة، يعبر القرآن عن هذه الكلمة بأكثر من سبعة طرق هي" فئة، طائفة، حزب، نفر، عصبة، فريق، فرقة.

٨ ـ في حين ترك معظم كبار المترجمين فواتح الآيات كما هي: بدون ترجمة نجد أن مولانا أشرف علي تهانوى اجتهد في تفسير بدايات السور(٢٠) مثل " الم (أنا اللّه أعلم)، الر (انا اللّه أرى)، كهيعص (أنا الكافى الهادى الأمين العالم الصادق)، المص (أنا اللّه الاعلم الصادق)، طسم (أنا اللّه ذو الطول القدوس السلام)، حم (أنا الصادق القول و الوعد)، ص (أنا الرحمن الرحيم) (٢١) وغيرها.

و كما أن لكل موضوع فوائده و مضاره فإن تراجم القرآن لها فوائد و مضار، فمن فوائد الترجمة أنها قامت بنشر القرآن و نشر تعاليمه في مختلف اللغات فكانت تراجم القرآن للمسلمين غير العرب ذات أهمية

كبيرة لقبول التعاليم الاسلامية و تاصيلها فيهم و جعلها في متناول افهامهم، اما غير المسلمين فقد اعترفوا بعظمة القرآن و اثنوا على تعاليمه بعد قراءة الترجمة و دخل كثير منهم الاسلام. اما اشد مضار ترجمة القرآن فهي استخدام أعداء الاسلام للترجمة لكى يبثوا فيها افكارهم السامة و الفاسدة عن الإسلام و الرسول و التشكيك في الشريعة لكى يثبتوا ان القرآن ليس كلام اللّه بل من عند الرسول.(٢٢)

التراجم الاردية للقرآن في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي:

ساقدم فيما يلي تاريخاً مختصراً للتراجم الاردية للقرآن الكريم منذ ظهورها حتى الآن مراعياً الترتيب الزمنى و الاولية التاريخية و اسلوب بيانها حتى بمكن لنا الوقوف على النطور التدريجى لهذه التراجم من حيث اللغة و الاسلوب، و سوف اتناول في هذه السطور التراجم الكاملة و لن التفت إلى التراجم الجزئية للقرآن التي تناولت أجزاء فقط و لا إلى التراجم غير المطبوعة لانها كثيرة و تحتاج إلى اكثر من كتاب لحصرها و لاتتنسع هذه الدراسة للتعريف بها في هذا المكان.

عندما دخل الإسلام الهند و بدأ ينتشر في ربوعها شعر العلماء بضرورة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الارديه التي كانت تسمى باللغة الهندية كما أطلق عليها شاه عبد القادر في مقدمة ترجمته "موضح قرآن" ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م.(٢٣)

على أن الثابت تاريخياً ان حركة الترجمة الأردية للقرآن الكريم في الهند كانت قد بدأت قبل ذلك بكثير و كان الرحالة الشهير بزرك بن شهريار

قد ذكر في رحلته المعروفة باسم "عجائب الهند" في القرن الثالث الهجري أحد الترجمات الأردية للقرآن الكريم في اللغة الهندستانية (الأردية) في أواخر القرن الثالث الهجري باشارة من مهروك حاكم كشمير في عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م.(٢٤)

و من الناحية التاريخية فإن ترجمات شاه ولى اللّه الدهلوي تعد أقدم التراجم الأردية للقرآن الكريم و أصحها و لكن ليس معنى هذا أن القرن الثاني عشر الهجري لا توجد فيه تراجم أردية بل توجد و لكنها لم تصل إلى الناس لانها غير مطبوعة و إذا كانت هذه التراجم مطبوعة فإن المترجمين كانوا غالباً من قرى مغمورة لا يعرفهم أحد. و من اهم هذه التراجم ترجمة باسم "تفسير وهابى" لعبد الصمد بن نواب الوهاب خان و جاءت في أربعة مجلدات و كتبت بلغة أردية دكنية قديمة عام ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م.(٢٥) ثم ظهرت بعد ذلك ثلاث ترجمات للقرآن باللغة الأردية هي : -

١ - تفسير مرادية : و هو ترجمة قام بها شاه مراد اللّه الانصارى، ثم ترجم و شرح الجزء الأخير من القرآن و تعد هذه الترجمة الأولى من حيث الترتيب التاريخى بين التراجم الأردية للقرآن الكريم و قد كتب الأنصارى في مقدمته عليها مايلي: "بفضل اللّه و كرمه و بعون حضرة النبي صلى اللّه عليه وسلم قمت بالانتهاء من ترجمة جزء عم إلى اللغة الهندية (الأردية) في يوم الجمعة الخامس و العشرين من شهر محرم عام ١١٨٥م/١٧٧٠م و طبع في هوكلى في ١٢٤٧هـ/١٨٣١م برعاية حكومة البنغال و نشر للمرة الثانية في عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م و للمرة الثالثة في عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م بأسلوب واضح و لغة بسيطة و سلسة و هي من النماذج

البليغة للغة ذلك العصر و فيما يلي نموذج لهذه الترجمة من سورة الفاتحة "سب تعريف اللّه كو هى حو صاحب سارى جهان كا بهت مهربان نهايت رحم والا مالك انصاف كى دن كا تجهى كو هم بندكى كرين اور تجهى سى مدد جاهين".(٢٦)

٢ ـ ترجمة شاه عبد القادر "موضح قرآن": و هي من أشهر التراجم الأردية للقرآن عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م و سأتحدث عنها بالتفصيل بعد ذلك في الصفحات التالية.

٣ ـ ترجمة شاه رفيع الدين : و تمت هذه الترجمه في نهاية القرن الثامن عشر في عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م و شاه رفيع الدين هو الاخ الاكبر لشاه عبد القادر و يعتقد بعض المؤرخين أن ترجمته سابقة على ترجمة شاه عبد الفادر، و يرجع هدا الاعتقاد الخاطئ إلى أن شاه رفيع الدين يكبر شاه عبد الفادر في العمر. و قد حمع هذه الترحمة تلميذه سيد نجف علي و هي ىرجمة حرفية بلغة سهله فربىه من فهم العامة و هي مفيدة جداً لاولئك الناس الذين يلىمسون معانى الالفاظ من قراءة الفرآن و يشار إليها بقدر كبير من الاحترام و التقديس و فيمايلى نموذج للترجمة "سب تعريف واسطى اللّه كى، بروردكار عالمون كا، بخشش كرنى والى، مهربان، خداوند دن جزا كا، تحهـ كو عبادت كرتى هبن اور تجهـ هى سى مدد جاهتى هبن". و هذه ىرحمة الآىات الاولى من سورة الفاتحة(٢٧). يقول محمد اكرام: "تعد ىرحمه شاه رفىع مں أهم التراجم الحرفىة للقرآن في اللغة الأردبة حتى اليوم و توفى في عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م".(٢٨)

الـتـراجـم الأرديـة للقرآن في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي:

يعد القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي أهم حقبة في تـاريـخ الـلـغـة الأرديـة فـي الهند بالنسبة لتراجم القرآن فهو يحمل اهمية خاصة حيث ترك العلماء فهرساً طويلاً بهذه التراجم و هي:ـ

١ ـ الـترجمة المعروفة باسم "ترجمة قرآن شريف بزبان هندى" و هي أولـى الـتـرجـمـات فـي ذلك القرن في عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م و قد اكتملت هذه الـتـرجمة في عهد الملك شاه عالم و تمت تحت اشراف الدكتور كل كراست (ت ١٨٤١م) فـي كلية فورت وليم بكلكتا و قام بها مجموعة من العلماء هم : امـانـت الـلّه شـيـدا و مير بهادر علي و مولانا فضل اللّه و غوث علي حافظ و هـذه الـترجمة طبعت بدون النص العربي للقرآن في خمس مائة صفحة و تـوجـد مـخـطـوطـة لـهـا في مكتبة الجمعية الملكية الاسيوية في كلكتا و ثانية في مكتبة سالار جنك بحيدرآباد الدكن و ثالثة في مكتبة بومباى.

٢ ـ ترجمة عبد اللّه هوكلى سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م و نشرت في البنغال.

٣ ـ تـرجـمـة عبد اللّه سيد سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م و طبعتها إدارة أدبيات اردو بحيدر آباد الدكن.

٤ ـ تـرجـمـة سيد علي مجتهد بن دلدار سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م و قد توفى دلـدار في ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م و الترجمة باسم توضيح مجيد في تنقيح كلام اللّه الـحـمـيـد" و نـشـرت في بومباى في أربعة مجلدات عن مطبعة حيدري ثم طـبـعـت بعد ذلك في المطبعة الملكية في لكناؤ بأمر من الأمير امجد علي شاه حاكم اودهـ.

٥ ـ ترجمة مولانا كرامت على جونبوري المتوفى ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م و تسمى "الكوكب الدرى" و ذلك في عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م في حيدر آباد الدكن.

٦ ـ ترجمة محمد حسين نقوى حاكم أمروهه المتوفى في ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م و تمت في عام ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م باسم "معاملات الأسرار في مكاشفات الأخبار".

٧ ـ ترجمة السير سيد أحمد خان عام ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م.

٨ ـ ترجمة محمد عثمان سليم الدين تسليم في عام ١٣٠١هـ/١٨٨٣م في جيبور باسم "تشريح القرآن".

٩ ـ ترجمه الأمير صديق حسن خان المتوفى عام ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م و المعروفه باسم "ترجمان القرآن بلطائف البيان" و تمت سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م و طبعت في مطبعة "مفيد.عام" بآجرا.(٣٩)

١٠ ـ ترجمة مولانا ثناء اللّه امرتسرى عام ١٣١٣هـ/١٨٩٥م.

١١ ـ ترجمة مولوى حميد اللّه ميرتهى المتوفى سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م

و طبعت في عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م.

١٢ ـ ترجمه مولانا عبد المقتدر بدايونى و طبعت في مطبعة انورى بآجرا عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م.

١٣ ـ ترجمه القرآن لأديب اللغة الأردية المعروف نذير أحمد عام ١٣١٦هـ/١٨٩٨م و ترجمته من حيث اللغة و الأسلوب فصيحة و سلسلة

فلغته هي لغة دهلي الفصيحة لذا تتسم ترجمته بجميع محاسن هذه اللغة فنالت ترجمته مكانة بارزة بين ترجمات عصره، و قد اعترض بعض العلماء على ترجمته في عدة مواضع و قد أشار مولانا اشرف علي تهانوى إلى بعض هذه الأخطاء في كتابه "اصلاح ترجمة دهلوية" و فيما يلي نموذج للآيات الأولى من سورة الفاتحة:ـ "هر طرح كى تعريف خدا هى كو سزاوار هى (جو) تمام جهان كا بروردكار (هى) نهايت رحم والا مهربان روز جزا كا حاكم (اى خدا) هم تيرى هى عبادت كرتى هين اور تجهـ هى سى مدد مانكتى هين".(٣٠)

التراجم الاردية للقرآن في القرن الرابع عشر الهجرى العشرين الميلادى:

و في هذا القرن حدثت ثورة كبيرة في التراجم الأردية للقرآن من حيث الكم و الكيف، فتميز بكثرة عدد التراجم و اقبال عدد من المشاهير و الزعماء على ترجمة القرآن مثل : ابو الكلام آزاد و مولانا أبو الاعلى المودودى و مولانا عبد الماجد دريا بادى و تعد تراجمهم علامة بارزة في تاريخ التراجم الأردية للقرآن الكريم.

و فيما يلي سأذكر أهم هذه التراجم مسلسلة تسلسلاً تاريخياً باختصار.

١ ـ ترجمة حيرت الدهلوى ١٣١٩هـ/١٩٠١م.

٢ ـ تفسير قادرى المعروف باسم "كشف القلوب" ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م و طبع في مطبعة فياض دكن.

٣ ـ ترجمة "غاية البرهان في تأويل القرآن" لحكيم سيد محمد حسن عام ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م.

٤ ـ ترجمة "موضحة الفرقان" مولانا وحيد الزمان ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م.

٥ ـ ترجمة فرقان حميد لمولوى محمد انشاء اللّه ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م.

٦ ـ ترجمة قرآن مجيد لمولانا نظام الدين حسن نوتنوى ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م و طبع في لكناؤ في مطبعة نولكشور.

٧ ـ "ترجمة قرآن" لمولانا حكيم نورالدين و طبعت في مطبعة خير خواه اسلام بأجرا ١٣٢٨هـ/١٩١٠م.

٨ ـ ترجمه "كنز الايمان فى ترجمة البيان" لأحمد رضا خان بريلوى ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.

٩ ـ ترجمة "بيان القرآن" لمولانا أشرف علي تهانوى ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

١٠ ـ ترجمة "قرآن شريف" لشيخ الهند محمود حسن ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م.

١١ ـ ترجمة "الطاف الرحمن بتفسير القرآن" لمحمد عبد البارى فرنكى محلى ١٣٤٤هـ /١٩٢٥م.

١٢ ـ ترجمه "كتاب الهدى" يعقوب حسن مدراسى ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م.(٣١)

١٣ ـ ترجمه "ترجمان القرآن" لمولانا أبى الكلام آزاد ١٣٥٠هـ/١٩٣١م.

١٤ ـ ترجمة "عام فهم تفسير القرآن" خواجه حسن نظامى ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

١٥ ـ ترجمة "بيان السبحان" سيد عبد الدائم جلالى ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

١٦ ـ ترجمة "تفسير بيان القرآن" مولوى محمد علي ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.

١٧ ـ ترجمة "تسهيل القرآن" مولوى فيروز الدين مؤسس "فيروزسنز لاهور" ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م.

١٨ ـ ترجمة "تفهيم القرآن" ابو الاعلى المودودى ١٣٧١هـ/١٩٥١م. و سأتناول هذه الترجمة بالتفصيل في الصفحات التالية.

١٩ ـ ترجمة "كشف الرحمن" مولوى أحمد سعيد دهلوى ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

٢٠ ـ ترجمة "تفسير ماجدى" مولانا عبد الماجد دريابادى ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

٢١ ـ ترجمة "تفسير محمدى" محمد ابراهيم جونا جدهى ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

٢٢ ـ ترجمة "القرآن المبين" امداد حسين كاظمى و طبعت في مطبعة انصاف بلاهور ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٢٣ ـ ترجمة "تفسير مظهرى" قاضى محمد ثناء اللّه عثمان المجددى ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

٢٤ ـ ترجمة "ضياء القرآن" لكرم شاه الازهرى الذي تلقى تعليمه في الازهر و طبعه غلام رسول في لاهور عام ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٢٥ ـ ترجمة "توضيح القرآن" ابو محمد مصلح حيدرآبادى و نشره على بهائى شرف في مطبعة المكتبة الابراهيمية بحيدرآباد ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢٦ ـ ترجمة "فيوض القرآن" لحامد حسن بلجرامى مدير الجامعة الاسلامية في بهاولبور و طبعه في المكتبة الجديدة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٢٧ ـ ترجمة "مفهوم القرآن" لغلام أحمد برويز و قامت بنشره إدارة طلوع اسلام بلاهور، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

و رغم وجود هذا العدد الضخم من التراجم فمازال العلماء يترجمون القرآن و يوجد كثير من التراجم المخطوطة و التي لم تطبع بعد و تحتاج إلى دراسات مستقلة لانه من الصعب حصرها في هذا البحث.

التراجم الاردية المنظومة للقرآن الكريم :

من الطريف أن اللغة الأردية التي تميزت بكثرة تراجم القرآن بها نثراً اهتمت كذلك بالتراجم الشعرية المنظومة لمعانى القرآن ، فلم تكتف الاردية بالتفوق في ترجمات القرآن نثراً بل تفوقت في الترجمات المنظومة كذلك. و قد جاءت هذه التراجم على عكس ما يعتقده البعض من أنها ستأتى ركيكة لاهتمام الشاعر بالفكرة و معنى الآيات المترجمة اكثر من اهتمامه بقواعد نظم الشعر، فاهتم الشاعر بالالتزام بالبحر و الموسيقى الشعرية و القافية و الوزن و الرديف و جاءت هذه التراجم الاردية المنظومة مقيدة بالمعنى الدقيق لسور القرآن إلى جانب التزامها بالشكل الشعرى الذي نظمت فيه.

و قد ظهرت عدة تراجم منظومة للقرآن كاملة و غير كاملة أو تناولت جزء فقط من القرآن و بعض هذه التراجم مطبوعة و الاخرى

مـخـطـوطـة. و من الـجـديـر بـالذكر هنا ان جماعة العلماء لم يستحسنوا تـرجـمـة الـقـرآن شـعراً خوفاً من الاخطاء التي يمكن ان يقع فيها الشاعر نتيجة محاولاته الحفاظ على الشكل الشعرى.

و يـمكن لنا بعد استعراض هذه الترجمات الشعرية أن نخرج بنتيجة مؤداها مايلى:-

١ ـ لـم يـكن لـكـبـار الـعـلـمـاء اى اهـتـمـام خـاص بالتراجم الأردية المنظومة.

٢ ـ أكـثـر هذه التراجم تراجم جزئية، كما أنَّ التراجم الكاملة لم تكن لـعـلـمـاء مـعـروفـين لأنهم أدركوا بفطرتهم ان احتمال الخطأ في التراجم الـمـنـظـومـة أكـثـر من مـثيلتها في التراجم النثرية، كما أن بيان المعنى الاصـلـى لـلـقـرآن مـع الـتـقـيـد بالشكل الشعرى جد صعب، و إن الشعر لا يـسـتـطـيـع تـوصـيـل رسـالة القرآن للعوام بشكل مفيد علاوة على أنه من الـناحية الشرعية يعد غير مناسب لقدسية القرآن و بالتالى لترجمته و كلنا يعلم موقف القرآن من الشعر.

و سـاسـتـعـرض فـيـمـايـلـى أهـم الـتـراجم الأردية المنظومة كاملة و مـطـبـوعـة، و قـد كـتـب ضـمير نيازى بحثاً بعنوان: "كلام پاك كى اولين مـنـظـوم تـرجـمـه اور تفسير" ذكر فيه أربع عشرة ترجمة منظومة كاملة هي: -

١ـ تفسير مرتضوى	لغلام مرتضى جنون اله آبادى	١١٩٤هـ
٢ ـ تفسير اويسى	لشاه غلام محى الدين قريشى	١٢٠٩هـ

٣ ـ زاد الاخرت	لعبد السلام بدايونى	١٢٤٤هـ
٤ ـ نظم البيان في مطلب القرآن	لشمس الدين شائق ايزدى	١٣٤٢هـ
٥ ـ نظم مقدس	آغا شاعر قزلباش	١٩٠١م
٦ ـ تفسير جغتائى	مرزا ابراهبم بيك جغتائى	١٩٣٦م
٧ ـ وحى منظوم	سيماب اكبر آبادي	١٩٤٠م
٨ ـ نظم المعانى	مطبع الرحمن خادم	١٩٤٦م
٩ ـ تفسير غضنفر	سيد غضنفرعلي سونى بتى	١٩٤٧م
١٠ ـ تفسير محمد	ابراهيم بانى بتى	١٩٤٧م
١١ ـ تفسير عرشى	آغاعبد الرحيم ـ رسى جوالدارى	١٩٤٩م
١٢ ـ سحر البيان	مجبد الدين اثر	١٩٠١م
١٣ ـ ممهوم القرآن	كيف بهوبالى	١٩٥٩م
١٤ ـ آب روان	سيد شميم اختر	١٩٦٠م(٣٢)

و فيما يلي نموذج لهذه التراجم الشعرية :

١ ـ "زاد الآخرت" و هو الإسم التاريخى الذي يساوى١٢٤٤هـ بحساب الحمل و المترجم هو الشاعر مولوى عبد السلام بدايونى و طبعت في ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م في مطبعه نولكشور و تقع في ١٧٦٢ صفحة و عدد أبياتها مائة الف بيت شعر و نمع في اربعة مجلدات و الترجمة جيدة بعيدة عن الحشو الزائد و جاءت بلا تكلف و سلاسله و هذا نموذج لترجمة سورة

الفاتحة: ـ

جمله خوبی خدا کو هبن شایان

که هی بروردکار عالمیان

که بهت رحم و مهر والا هی

جس کی رحمت بیان سی بالا هی

که وهی بادشاه هی روز جزا

شاهی اس دن کی هی اسی کو سزا

تجهـ کو هی کرتی هین عبادت هم

اور تجهـ سی هی کرتی استعانت هم

کر هدایت همین وه سیدهی راه

که مراد اس سی هی کتاب اللّه

راه ان کی همدن هدایت کر

تونی انعام کرلیا جن بر

ای سوا ان کی جوکه تهی مغضوب

تهی جو محروم سب وی اور مسلوب

اور نه کمراهون کی وه هو وی راه

ایسی راهون سی هم کو رکهـ لی نکاه

٢ ـ "نظم المعانى ترجمة كلام ربانى" و هى ترجمة منظومة، نظمها مـطـيـع الـرحـمن خادم و هو شاعر من شعراء على كرهـ و قد وضع أمامه الـتـراجـم الـنثرية الشهيرة عند نظمه لهذه الترجمة، ثم كتب حاشيه على الـتـرجـمـة لأنـه كـان يرى أن الترجمة المنظومة لا تحقق الترابط الكافى لآيـات الـقـرآن. و تـمـت الـتـرجـمـة في عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م و ترجمة "نظم الـمـعـانـى" أكـثـر فـصاحة و وضوحاً عند مقارنتها بترجمة "زاد الآخرت" و ذلـك من نـاحـيـة الـلـغـه و الأسلوب و نظمت بلغة أدبية حديثة و طبعت بـاهـتـمام المؤلف بمسه في مطبعه "مفيد عام" بآجرا. و فيما يلي نموذج لترجمه سوره الفاتحة:ـ

هين سبهى حمد و ثنا اللّه كو

عالمون كا بالنى والا هى جو

مهرباں هى، بخشنى والا بڑا

مالك و صاحب جزائى روز كا

هم عبادت كرتى هين تيرى لئى

اور تجهى سى هين مدد هم جاهتى

دى هدايت هم كو سيدهى راه كى

راه ان كى جن كو نعمت تونى دى

هاں نه ان كى جن پر هى غصه ترا

اور نه كمراهوں كا رسته دى خدا(٣٣)

و بعد استعراضنا لتاريخ التراجم الأردية للقرآن بشكل مختصر سوف أتناول في الصفحات التالية عددا من التراجم الأردية للقرآن و هي تمثل نماذج لأهم هذه التراجم التى تمت في القرون الثامن عشر و التاسع عشر و العشرين و قد وقع اختيارى لهذه التراجم للأسباب التالية:ـ

١ ـ هذه التراجم أفضل و أشهر التراجم في عصرها من ناحية المنهج و اللغة و الأسلوب و كثرة عدد طبعاتها.

٢ ـ تمثل هذه التراجم ثلاثة مناهج مختلفة في الترجمة هي: "با محاوره ترجمه" أى الترجمة الأدبية التي نهتم بالتعبيرات الأدبية الشائعة، و "لفظى ترجمه" أى الترجمة الحرفية، و "آزاد ترجمه" أى الترجمة الحرة و قد قسمت دراستى لهذه التراجم إلى جزئين تناولت في الجزء الأول المؤلف و سيرته و الجزء الثانى الترجمة بما لها و ما عليها من محاسن و عيوب و هي كما يلي: ـ

١ ـ ترجمة "موضح قرآن" لشاه عبد القادر الدهلوى و هي نموذج "بامحاوره ترجمه" في القرن الثامن عشر.

٢ ـ ترجمة "مواهب الرحمن" لمولانا سيد امير علي مليح آبادى و هى نموذج "لفظى ترجمه" في القرن التاسع عشر.

٣ ـ ترجمة "تفهيم القرآن" لابي الاعلى المودودى و هي نموذج "آزاد ترجمه" في القرن العشرين.

(١) ترجمة "موضح قرآن" لشاه عبد القادر الدهلوى:

أولاً : المترجم: ـ

ولد شاه عبد القادر فى عام ١١٦٧هـ/١٧٥٣م و هو الابن الثالث لشاه ولي اللّه الدهلوى الذي ترجم القرآن با لفارسية باسم "فتح الرحمن" عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م، و يصل نسبه إلى الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه و تلقى تعليمه الأولى على يد والده شاه ولى اللّه و أخيه شاه عبد العزيز الذي ترجم القرآن أيضاً باسم "فتح العزيز" و سرعان ما أظهر شاه عبد القادر مهارة فائقة في الفقه و التفسير، ثم تلمذ أحد عشر عاماً في التصوف على يد شاه عبد العدل الدهلوي النقشبندى و تأثر بخواجه مير درد في اللغة الارديه و الأدب و كان يتميز بالتواضع و التوكل و القناعة و التقوى و غلب عليه طابع التصوف. و من تلاميذه اسماعيل الشهيد و الشيخ عبد الحى هبت اللّه و الشيخ فضل حق خير آبادى و شاه محمد اسحاق و شاه أحمد سعيد.

و لقد كان بين شاه عبد القادر و القرآن علاقة روحية حميمه فقد اعتكف على قراءته و تدبر آياته و البحث في حكمته لسنوات عديده، يقولون أنه ظل معتكماً في مسجد اكبر آبادى أربعين عاماً متصلة يتلو فيها القران و يدرس علومه حتى انجز عمله الكبير "موضح قرآن"، و توفى شاه عبد القادر في عام ١٢٣٠هـ/١٨١٤م.(٣٤)

ثانياً : الترجمة : ـ

يحتل شاه عبد القادر ترجمته "موضح قرآن" مكاناً بارزاً في تاريخ التراجم الأرديه للقرآن الكريم القديمة و الحديثة على حد سواء حيث كانت

ترجمته بمثابة حجر الزاوية بالنسبة للتراجم الاردية و ذلك لاختياره اسلوباً جديداً في ترجمة القرآن تميز بالجراة و الجدة، حيث يرجع له الفضل في ترجمة القرآن بالتعبيرات الادبية الشائعة بين الناس لاول مرة فى اللغة الأردية و قد اصطلح عليها العلماء بمصطلح "بامحاوره ترجمه"(٣٥) حيث كان من سبقه بترجم القرآن ترجمة لفظية تفتقد إلى روح المعانى في أغلبها و بهذا صارت ترجمة "موضح قرآن" من روائع الادب الاردى، فعلى الرغم من مرور أكثر قرنين من الزمان على هذه الترجمة إلاّ انها لازالت تعد من أفضل النماذج للنثر الاردى.

و قد فرغ شاه عبد القادر من هذه الترجمة سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م و طبع سيد عبد اللّه بن سيد بهادر علي هذه الترجمة للمرة الاولى فى المطبعة الأحمدية في دهلى فى ٢٧ جمادى الاولى ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م. و طبعت الطبعة الثانية في كلكوتا فى عام ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م. و تقع هذه الطبعة في مجلدين، يضم المجلد الاول من سورة الفاتحة حتى سورة الكهف و المجلد الثانى من سورة مريم حتى سورة الناس. و توجد نسخة خطية لهذه الترجمة في مكتبة رضا في رامبور، و الأخرى في ادارة الادب الأردي بحيدرآباد الدكن و قد اطلع الباحث على السخة الخطية الاولى في رامبور و عدد صفحاتها ١٠١٢ صفحة و طولها سبعة بوصات و نصف و عرضها حمسة بوصات و حروفها واضحة و ورقها أبيض في حالة جيدة. و قد طبعت ترجمة "موضح قرآن" طبعات متعددة في الهند و باكستان و تعد طبعة "تاج كمبنى" من الطبعات المميزة.

و قد كان لترجمة "موضح قرآن" تاثير كبير على من قام بترجمة القرآن بعد ذلك، فبعد مائة و عشرين عاماً تقريباً من ترجمة شاه عبد

القادر جاء مولانا محمود حسن شيخ الهند و وضع أمامه ترجمة شاه عبد القادر ثم قام بترجمة القرآن و لذلك تأثر إلى حد بعيد بترجمة شاه عبد القادر الذي اثنى عليه في عدة صفحات من مقدمته للترجمة يقول : "جاءت ترجمة شاه عبد القادر مختصرة و سهلة و ببنها و بين الكلمات القرآنية توافق و انسجام لفظى و معنوى، فلم يكتف بالمعنى اللغوى فحسب، بل إنه اعتنى جداً بالمغزى الأصلى للمعنى في كل آية من آيات القرآن، و كان يضيف في الترجمة كلمة لكى يزيل أي نوع من الإبهام أو الغموض و كثيراً ما كان يذكر احد الكلمات فى موضع و لا يأتى بها فى آخر مع ان المعنى اللغوى واحد. لقد كان يتخير الكلمة بدقة و عناية لتناسب الموقف الذي سيقت لأجله ثم يستطرد شيخ الهند قائلاً : "و تبدو ترجمه شاه عبد القادر أفضل التراجم طراً و أكثرها فائدة و تستحق أن تلقب بالسهل الممتنع و قد وضع نصب عينيه عدة أمور و كان يراعى هذه الأمور و القواعد حسب الحاجة، لذا كان يجد الكلمات المتطابقة بسهولة و كأنه يضع أمامه جميع المعاجم الأردية و التعبيرات الأدبية فيتخير منها ما يراه مناسباً لأداء المعنى بلا تكلف و على هذا فإنه لا يخطو خطوة واحدة في الترجمه بعيداً عن دائرته المحددة و لهذا يعد شاه عبد القادر إماماً للترجمه الأدبيه أو ترجمه المعنى".(٣٦)

لغة "موضح قرآن" : ـ

سأعرض فيما يلى الجوانب الفنية و النقدية لترجمة "موضح قرآن" مع التركيز على الجانب اللغوى فيها لمعرفة أهم سماتها الأسلوبية. أن ترتيب الجملة في اللغة العربية يختلف كلياً عنه في اللغة الأردية، فلو أردنا أن نترجم أى جملة عربية للغة الأردية ترجمة حرفية فإنها تكون بلا

روح و مثال على ذلك ما نقول : "جاء أحمد" فإن الترجمة الحرفية لها تكون "آيا احمد" أما الترجمة المنطقية و ترجمة المعنى هي "أحمد آيا" فنلاحظ أن الكلمة الأولى صارت الأخيرة و الكلمة الأخيرة اصبحت الكلمة الأولى، فبقدر طول الجملة ينبغي أن يُطبق العقل و المنطق في ترتيب الجملة الاردية و إلّا استغلقت على الفهم و تعقد معناها. و قد درس شاه عبد القادر طبيعة الجملة الاردية و العربية على السواء و أدرك أن الترجمة الحرفية - أو كما تسمى في الاردية "تحت اللفظي ترجمه" و هي أن يذكر المترجم كلمة واحدة تحت الكلمة المراد ترجمتها - صعبة الفهم و لهذا أرسى قواعد منهج جديد في الترجمة و هي ترجمة القرآن بالتعبيرات الادبية الشائعة التي يفهمها العامة بسهولة و كان العلماء في عصره ينظرون بعين الشك و الريبة إلى هذا النوع من الترجمة خاصة في ترجمة القرآن الكريم إلّا أن شاه عبد القادر أدى هذه المهمة بهمة و جراة كبيرة مهد بها الطريق لمن جاء بعده حيث أقبل علماء الهند على هذه الطريقة في الترجمة مطمئنين إليها نظراً لمكانة شاه عبد القادر الدينية لدى العلماء، فجاءت الترجمة فصيحة و سلسة و رصينة من الناحية اللغوية حتى أنه أمر مثير للحيرة و الدهشة ظهور مثل هذه الترجمة الأدبية البسيطة قبل ما يربوا عن مائتى عام في حين كانت اللغة الاردية تحاول أن تثبت أقدامها بين اللغات الهندية آنذاك، فالكلمات التي اختارها شاه عبد القادر لترجمته لا يمكن أن نجد كلمات تؤدى المعنى و تقربه افضل منها و هي بهذا يتفوق على بعض التراجم التي تمت في العصر الحديث. و يتضح من الآية التالية بساطة اسلوبه و أدائه المعنى بوضوح لا لبس فيه، يقول اللّه تعالى: "اللّه يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر و فرحوا

بالحياة الدنيا و ما الحياة الدنيا في الآخرة إلّا متاع"(٣٧) و ترجمها شاه عبد القادر هكذا:ـ

"اللّه كشاد كرتا هى روزى حس كو جاهى اور تنك. اور وه ريجهى هين دنيا كى زندكى بر. اور دنيا كى زندكى كجهـ نهين آخرت كى حساب مين مكر تهورا برتنا". ففى الآية السابقة ترجم شاه عبد القادر "فرحوا" بـ"ريجهى" و هي كلمة في محلها و دليل قاطع على علمه و عبقريته، و التزم بترتيب كلمات القرآن و المعانى اللغوية إلى حد التطابق.

لقد حرص شاه عبد القادر على الترتيب القرآنى و اجتهد للتقريب بين الأصل و الترجمة و لكن التزم بالترجمة الأدبية لذا كان من الضرورى أن يكون هناك تأخير و تقديم في بعض المواضع، و لكن ليس معنى هذا أن يأتى بآخر الترجمة في أولها و أولها في آخرها، و إنما الهدف من هذا هو ترابط المعنى حتى لا يحدث فصل بين الآيات فقد كان تدخل في مواضع قليله وقت الضرورة بكلمة أو اثنين و ذلك لتوضيح المعنى في الأردية على النحو التالي: ـ

١ ـ يرد المضاف مقدماً في اللغه العربية بينما يأتى المضاف إليه مقدماً في التعبيرات الأدبيه الأرديه. و هذا النوع من الأمثلة سنجدها في ترجمة "موضح قرآن" فمثلاً إن الترجمة الأدبية لـ"على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم" تأتى هكذا في الترجمة الأردية "ان كى دل بر اور ان كى كان بر اور ان كى آنكهون بر" أما الترجمة الحرفية هي: "اوبر دلون ان كى كى اور اوبر كانون ان كى كى اور اوبر آنكهون ان كى كى" و الجميع يعلم أن مثل هذا الاختلاف ليس فيه أى حرج بل هو ضرورة و لا مفر منها

للذين يتصدون للترجمة الأدبية إلّا أن دقة شاه عبد القادر و حيطته جديرة بالتقدير. و على هذا فهو لم يقدم المضاف إليه في كل موضع بل عندما يجد أن الترجمة تتسع لذلك و لم يكن يفضل مثل ذلك التغيير الطفيف و فضل الترتيب القرآني للآيات مثلاً "الحمد للّه ربّ العالمين" هنا نجد أن موقع "ربّ العالمين" مضاف إليه و وقعت صفة كذلك ففي ترجمتها خرجت عن نطاق الاستيعاب أي لم تتسع لها الترجمة فجاءت الترجمة غير متعارضة مع الترجمة الأدبية و ظل ترتيب كلام اللّه كما هو، لذا أبقى على الترتيب الأصلي لترجمة "ربّ العالمين"، أما "مالك يوم الدين" فموقعها صفة أيضاً لكن تجتمع فيها إضافتان، فأبقى شاه عبد القادر على الترتيب الأصلي للإضافة الأولى لأنها ضرورة و لم يبق على الترتيب الأصلي في الثانية لأنها لا تقبل و لهذا عند ترجمته لـ"مالك" وضعها مقدمة طبقاً لورودها في الأصل، و في ترجمته لكلمة "يوم" نجده قد أخرها عن كلمة "دين" طبقاً للتعبير الأدبي الأردي من أجل التوضيح و التيسير. لكن يبقى مع هذا أن نقول أن هناك بعض المواضع التي يصعب فيها إيجاد نوع من مراعاة التوافق بين ترتيب القرآن و التعبيرات الأدبية الأردية. لذا فإن شاه شاه عبد القادر قد اختار في مثل هذه المواضع ببعد نظره أسلوباً يجعله لا يفقد سيطرته على ترتيب آيات القرآن مع الالتزام في نفس الوقت بالتعبيرات الأدبية الأردية و إن جاء فرق بينهما فإنه يكون طفيماً و هذا عند تعامله مع الفعل و الفاعل و المفعول و الصفة و الموصوف و الحال و التمييز وغيرها فإنها تأتي معظمها موافقة للترتيب القرآني.

٢ ـ بالنسبة لحروف الجر مثل: ل ، ب، على ، إلى، من، فى، وغيرها فإنها تستعمل بكثرة. و لكنها تأتى في اللغة العربية في مقدمة الكلمة المراد جرها، تأتى علامة الجر ثم بعدها المجرور بينما ترد في التعبيرات الادبية الأردية مؤخرة أى بعد المجرور، في حين أنه لا توجد أى ضرورة لتقديمهما في الاردية، فجميع المترجمين يعلمون أن الترجمة الأردية لـ"مما رزقناهم" مستحيل لانه من الصعب ترجمة "من" مقدمة لكى تتوافق مع الترتيب القرانى. و ينطبق هذا الأمر على "لاتجزى نفس عن نفس" فإن "عن" يمكن أن ناتى بها مقدمة طبقاً للترتيب القرآنى في الترجمة الحرفية لكنها من الصرورى أن ناتى مؤخرة في الترجمة الادبية. و على سبيل المثال فان قول اللّه تعالى "ختم اللّه على قلوبهم" ترجمتها الحرفية "مهر كردى الله بى اوبر دلون ان كى كى" ربما يكون مناسباً أن نقول في الترجمة الادبية "مهر كردى الله نى ان كى دلون بر" و تعتبر صحيحة لانه في هذه الحالة ظل حرف الجر "على" في ترتيبه الأصلى و في الترجمة الثانية تزحزح قليلاً عن موضعه للضرورة و قاس شاه عبد القادر على ذلك باقى حروف الجر لان هذه الحروف في حد ذاتها تابعة أجزاء الجمله وغير مستقله عنها لذا فإن تقديمها أو تأخيرها ليست له أهميه كبيرة و من ناحية أخرى رأى شاه عبد القادر الترجمة الحرفية غير الصارمة ضروريه و مفيدة في بعض المواضع.

لقد تصرف شاه عبد القادر في ترتيب أجزاء الجملة المترجمة في مواضع عديدة لكنه كان تصرفاً سديداً و صحيحاً عند الضرورة و لدقته و حذره الشديدين فان ترجمته التي استعمل فيها التعبيرات الأدبية الشائعه تعتبر فريده ، لقد كان شاه عبد القادر يأتى بالكلمات المناسبة

التي توضح المعنى بشكل مختصر، فمثلاً في بعض المواقع لا يترجم "ان" و عند ترجمة "يا ابت" لا يقول "اى ميرى جهوتى بيتى" لكنه يكتفى بقوله "اى بيتى". و قد اهتم شاه عبد القادر بالاختصار و السهولة في الترجمة و التطابق اللفظى و المعنوى لكلمات القرآن و لم يكتف فقط بالمعنى اللغوى بل راعى دائماً المغزى الأصلى للآيات و أعطى جل اهتمامه لهذه الترجمة الفريدة التي صارت المثل الاعلى للمترجمين من بعده كماً و كيفاً، فكانت سهلاً ممتنعاً.

و سانكر هنا عدة امثلة تاكيداً لما سبق [١] عند ترجمته لقوله تعالى "بسم اللّه الرحمن الرحيم" طبقاً للتعبيرات الادبية الشائعة في اللغة الاردية نجده يهتم بالوضوح و الاختصار الملائم بطريقة لم نجد مثيلاً لها في الاردية و لما كانت "الرحمن و الرحيم" صيغة مبالغة في العربية ترجمها صيغة مبالغة كما هي في الأردية في حين لم تتعرض التراجم السابقة عليه لصيغة المبالغة عند الترجمة.

[٢] لقد ترجم المترجمون قبل شاه عبد القادر "يوم الدين" بـ"روز جزا" لكن شاه عبد القادر قال: "إننى اترجم في لغة العوام و كلمة "جزا" غير شائعة أو مستعملة في حديث العوام(٣٨)" و لهذا اختار كلمة "انصاف" الشائعة بين الناس خلافاً للمترجمين الآخرين الذين ذكروا كلمة "جزا" أو "حساب".

[٣] عند ترجمة "اهدنا الصراط المستقيم" ترجمها جميع المترجمين بـ "هدايت" و تستعمل هذه الكلمة في الأردية و الفارسية بنفس المعنى و أحياناً تترجم "رسته دكهانى" إلاّ أن شاه عبد القادر

ترجمها بـ"هدايت" لكنه راعى المعنى المحدد و المناسب لـ"هدايت" في كل موضع لأن لها فى العربية معنيان الأول "راسته دكهلا دينا بمعنى "الاراءة" و الثانى "مقصود تك بهنجا دينا" بمعنى "الإيصال" لهذا فإن الآخرين ترجموا "اهدنا" بـ "دكها هم كو"، بينما ترجمها شاه عبد القادر "چلا هم كو" التي تشير إلى معنى "إيصال" و كذلك فى "هدى للمتقين" كان "هدى" تترجم بـ "رهنما" أو "راه دكهاتى" بينما ترجمها شاه عبد القادر بـ "راه بتلاتى هى" لأن الهداية فى قولنا "اهدنا" صفة للحق تعالى لذا أتوا بكلمه "چلانا" في حين أن الهداية في هذه الآية صفة للقرآن و لهذا ترجمها شاه عبد القادر بـ "راه بتاتى" حتى لا تشير فى الحالتين إلى معنى "الإيصال". كذلك في كلمة "متقين" فقد ترجمها جميع المترجمين "پرهيزكارى" بينما فضل شاه عبد القادر برقة طبعه و بعد نظره ترجمتها بـ "در" بمعنى الخوف هو المعنى و الأصلى لكلمة "تقوى" و لهذا ترك الترجمة المعروفه و الظاهرة "راه دكهاتى هى پرهيزكاروں كو" و ترجمها بـ"راه بتلاتى هى در والوں كو" و بهذا دفع خطر إلتباس المعنيين.

[٤] و بالنسبه لترجمه "يؤمنون بالغيب" لو قال "ايمان لاتى هين سانهـ غيب كى" أو "غيب پر" تكون سليمة و مطابقه للمعنى الظاهر، فكلمتا "غيب" و "إيمان" كلتاهما مشهورتان و لا تحتاجان إلى ترجمة إلاّ أن شاه عبد القادر رأى أن معنى كلمة "ايمان" في هده الآية محدد و كلمه "غيب" فيها احتمال فليس معروف بالتحديد أى شيء غائب؟ و لهذه الأسباب ترك شاه عبد القادر الترجمه الظاهرية الصحيحة و اختار أن يترجمها هكذا "يقين كرتى هيں بن ديكهى" و يتضح من هذه الترجمة أن الغيب هو

الأشياء التي لم يراها و التي تغيب عن ادراكه و علمه مثل: جهنم و الجنة و الصراط و عذاب القبر و الملائكة و الجن. إن كلمة "إيمان" ترد في القرآن الكريم كثيراً و في صيغ عديدة و مختلفة في الماضي و المضارع و الأمر و اسم الفاعل و لهذا فإن المترجمين لها يترجمونها حسب الظاهر في أغلب المواضع بـ "إيمان" أو "اسلام" أما شاه عبد القادر فيضيف إليها "يقين مانتا" و يختار المعنى المناسب لكل سياق(٣٩).

إن شاه عبد القادر يعد علامة بارزة في تاريخ الترجمة الأردية للقرآن الكريم و قد اثنى عليه كل من كتب عنه و عن ترجمته التي تعد النموذج الكامل الذي احتذاه من جاء بعده من المترجمين. يقول سيد سليمان الندوي : "إن عظمة ترجمة شاه عبد القادر و جمالها يكمن في اقترابها من النص الأصلي في محاولة فهم القرآن، و من يقرأها يستطيع بجهد بسيط أن يتدبر معاني القرآن"(٤٠). و يقول السيد أحمد خان في كتابه "آثار الصناديد" عن ترجمة شاه عبد القادر "إن ترجمته للقرآن تعتبر وثيقة هامة للمعاجم الأردية"(٤١). و يقول محمد فاروق خان: "إن العلامة أنور شاه كشميري كان ينصح تلاميذه بقراءة ترجمة شاه القادر و عندما كان يستعصي عليهم حل بعض المسائل كانوا يحلونها بهذه الترجمة"(٤٢). و يقول المترجم القدير مولوي فتح محمد جالندهري: "لقد أجمع العلماء على أن ترجمة شاه عبد القادر للقرآن من حيث اللغه في عصره أفضل التعبيرات في كلمات سديدة و جمل قصيرة"(٤٣).

إن عظمة ترجمة شاه عبد القادر تكمن في إنها حوت تعبيرات و جملاً توضيحية لتقريب المعنى لذهن المتلقي و يتشابه أسلوب ترجمة شاه عبد القادر إلى حد التطابق مع ترجمة شاه مراد اللّه الأنصاري"(٤٤).

يقول محمد إكرام: "تعد ترجمة "موضح قرآن" من افضل التراجم التي استخدم فيها المترجم التعبيرات الأدبية الشائعة لأنه لم ينقل تراكيب الجمل العربية مرتبة كما هي في الأردية و أدى المعنى الصحيح بكلمات قليلة"(٤٥).

و نختم هذا الموضوع بقول مولانا عبد الماجد دريابادى(٤٦) في مقدمة ترجمته للقرآن عن أسرة شاه ولي اللّه و شاه عبد القادر و جهودهم في خدمة الدين و القرآن يقول : "لو لم يمهد شاه ولى اللّه و أسرته الطريق لترجمة القرآن في الهند لكانت هناك صعوبات كثيرة ستواجه المترجمين".

[٢] ترجمه "مواهب الرحمن" لمولانا سيد أمير علي مليح آبادى:

أولاً : المترجم: ـ

ولد مولانا سيد أمير علي بن معظم علي في عام ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م و هذا العام له أهمية خاصة في تاريخ الهند حيث أحكمت الحكومة الانجليزية قبضتها على كل أنحاء الهند و ظهر في هذا العهد عدد من أهم الشخصيات السياسية و الأدبية.

و من بين أساتذه مولانا سيد أمير علي الجديرين بالذكر مولانا سيد نذير حسين الدهلوى و مولانا بشيرالدين قنوجى و مولانا حيدرعلي مجاهد. و يعد مولانا سيد أميرعلى من ثقاة علماء القرآن و الحديث و الفقه و التفسير و كانت لديه مهارة كبيرة فى اللغة العربيه و النحو و الصرف. و كان سيد اميرعلي سنياً و حنفياً غير متعصب، واسع النظر و رجع في قضاياه إلى جميع المذاهب الفقهيه و إلى الصحابه و التابعين و يستشهد

بآراء المجتهدين و يسترشد بآراء المحدثين و المتصوفة على اختلاف مشاربهم و رجع إلى "كتاب العرائس" المشهور في التصوف و ترك مؤلفات كثيرة منها ترجمته لكتاب "هدايه" في الفقه الحنفى و كتاب "فتاوى عالمكيرى" و هما دليلان على تبحره في قضايا الفقه.

و قد عمل في بداية حياته مصححاً في مطبعة نول كشور في لكناؤ و سرعان ما توطدت العلاقات بينه و بين نول كشور بنفسه على طباعتها و كانت الطبعة الأولى قد طبعت ما بين عامى ١٣١٤هـ/١٨٩٦م و ١٣٢١هـ/١٩٠٢م و تعد من أوثق التراجم الأردية و مصدراً هاماً و نموذجياً للمترجمين الذين جاءوا بعده.

و بعد أن ترك العمل في مطبعة منشى نول كشور عمل مدرساً في المدرسة العالية بكلكتا التي كانت مقراً للحكومة الانجليزية آنذاك و من أكبر المدن الهندية، ثم رحل إلى جده و عمل في التدريس بها و بعد هذه التجربة الطويلة في التدريس عاد إلى ندوة العلماء بلكناؤ في ١٣٣٤هـ/١٩١٥م و اسندت إليه مهمة الاشراف على العملية التعليمية بها و توفى في عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م و كان في ذلك الوقت مديراً لندوة العلماء(٤٧).

ثانياً: الترجمة: ـ

ترجمة "مواهب الرحمن" هى الترجمة الشهيرة لمولانا أمير علي مليح آبادى و هو تفسير ضخم يصل عدد صفحاته إلى تسعة آلاف صفحة تقريباً. و طبع لاول مرة في مطبعة نولكشور في ثلاثين مجلداً باشارة من منشى نولكشور الذي كان يفتخر بأنه أدى خدمة جليلة للعالم الاسلامي.

و الطبعة التي اطلعت عليها تقع في عشرة مجلدات من القطع الكبير طولها تسع بوصات و نصف و عرضها سبع بوصات و نصف و الناشر المكتبه الرشيدية بلاهور و مجلدة بجلد فاخر و ورق مصقول و بتاريخ محرم١٣٩٧هـ/يناير ١٩٧٧م و في الصفحة الأولى من المجلد الأول كتب الناشر عباره كبيرة يمدح فيها الترجمة يقول: "إن عشرات الصفحات لا تكفى لبيان خصائص هذه الترجمة و مزاياها العديدة"(٤٨).

و في هذه الطبعة موضوع البحث كتب مولانا أمير علي مليح آبادى مقدمة طويلة تقع في مائة و أربع صفحات، تحتوى كل صفحة على سبعة و عشرين سطراً، تناول فيها بالتفصيل كبار المفسرين العرب و بحث فيها مسائل مختلفة رجع فيها إلى عدد كبير من الأحاديث النبوية و حكم المتصوفة الذي ذكر منهم: ذو النون المصرى و معروف الكرخى و أبو يزيد البسطامى و يحتوى هذه الطبعة موضوع الدراسة على عشرة مجلدات مقسمة كما يلى: -

١ ـ الجزء الأول : يضم ترجمة القرآن من سورة الفاتحة حتى قوله تعالى "تلك الرسل" بالجزء الثالث.

٢ ـ الجزء الثاني : يضم ترجمة القرآن من الجزء الرابع "لن تنالوا" حتى الجزء السابع.

٣ ـ الجزء الثالث : يضم ترجمة القرآن من " و لو أننا" في الجزء الثامن حتى "يعتذرون" في الجزء الحادى عشر.

٤ ـ الجزء الرابع: يضم ترجمة القرآن من "و ما من دآبة" بالجزء الثاني عشر حتى "ربما" في الجزء الرابع عشر.

٥ ـ الجزء الخامس : يضم ترجمة القرآن من "سبحان الذي" بالجزء الخامس عشر حتى "اقترب للناس" بالجزء السابع عشر.

٦ ـ الجزء السادس : يضم ترجمة القرآن من "قد افلح المؤمنون" بالجزء الثامن عشر حتى "اتل ما أوحى" بالجزء الحادى و العشرين.

٧ ـ الجزء السابع : يضم ترجمة القرآن من "و من يقنت" بالجزء الثانى و العشرين حتى "فمن أظلم" بالجزء الرابع و العشرين.

٨ ـ الجزء الثامن: يضم ترجمة القرآن من "إليه يرد" بالجزء الخامس و العشرين حتى "قال فما خطبكم" بالجزء السابع و العشرين.

٩ ـ الجزء التاسع : يضم ترجمة القرآن من "قد سمع اللّه" بالجزء الثامن عشر حتى "تبارك الذى" في الجزء التاسع و العشرين.

١٠ ـ الجزء العاشر: يضم ترجمة القرآن "للجزء الثلاثين "جزء عم".

و لغة الترجمة نجدها عادية لا تحمل فصاحة خاصة و لا سلاسة و فيما يلى نموذج لها، يقول تعالى : "قل اللّهم ملك الملك تؤتى الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذل من تشاء بيدك الخير و إنك على كل شىء قدير. تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل و تخرج الحى من الميت و تخرج الميت من الحى و ترزق من تشاء بغير حساب"(٤٩). فقد ترجمها مولانا سيد أمير علي كما يلي : ـ

تو كهه، اى ميرى الله مالك سلطنت كى تو سلطنت ديوى جس كو جاهى اور سلطنت جهين ليوى جس سى جاهى اور عزت ديوى جس كو جاهى اور ذلت ديوى جس كو جاهى، تيرى‌هاتهـ هى سب بهلائى، بى شك تو

هـر جـيـز بر قادر هى. تو لى آوى رات كو دن مين، اور تو لى آوى دن كو رات مـين اور تـو نـكـالـى مـرده جـيتى سى. اور تو رزق ديوى جس كو جاهى بى شمار"(٥٠).

اما من حـيـث الأسـلـوب الـلـغـوى للترحمة فهو قديم كما أن بعض الـكلمات و الافعال و النراكيب و الظروف لم تعد تستعمل اليوم. و فيما يلى عـدة آيات كنموذج بمول معالى: "إذ قالت امرأت عمران رب إنى نذرت لك ما فـي بـطـنى محرراً فتقبل منى إنك انت السميع العليم. فلما وضعتها قالت رب إنـى وضـعـتـهـا أنـثى و اللّه أعلم بما وضعت و ليس الذكر كالانثى، إنى سـمـيـتـهـا مـريـم و إنـى أعـيـذهـا بك و ذريتها من الشيطان الرجيم".(٥١) و الىرحمه هى·

"حـب بـولـى حورو عمران كى اى رب مين نى تيرى نذر كيا جو كچهـ مـيـرى بيب مين آزاد سو نو مجهى سى قبول كر تو هى اصل سننى والا هى. بهر حـب اس كـو حنى بولى كه اى رب مين يه لركى جنى اور الله كو بهتر مـعـلـوم هى حو كحهـ جنى اور بيبا نه هو جيسى وه بيتى، اور مين نى اس كا نام ركـهـى مـريـم اور ميں نىرى بناه مين ديتى هون اس كو اور اس كى اولاد كو شيطان مردود سى"

بقول مولانا عبد الماجد دريا بادى : "إن ترجمة مولانا أمير علي مليح آبادى الـتي تقع في ثلاثين مجلداً من القطع الكبير جامع و مفصل و رجع فيه إلى التفاسير العربية المعروفة إلاّ أن لغته قديمة"(٥٢).

[٣] ترجمة "تفهيم القرآن" لمولانا أبو الاعلى المودودى:

أولاً: المترجم: ـ

ولد أبو الاعلى المودودى في ٢/رجب ١٣٢١هـ/٢٥ سبتمبر١٩٠٣م بمدينة أورنغ آباد في حيدر آباد الدكن و تنتمى عائلته إلى مدينة دهلى و قد أمضى طفولته و تلقى تعليمه الاولى في أورنغ آباد.

و في السابعة عشرة من عمره بدأ حياته الصحفية، فعمل محرراً في صحف دلهى :"تاج جبل بور" و "مسلم" و "الجمعية" و ذلك في عام ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م و في عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م بدأ في نشر "ترجمان القرآن" لأبى الكلام آزاد في حيدر آباد. و في عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م انتقل إلى البنجاب بدعوة من العلامة محمد إقبال.

و يعد أبو الاعلى المودودى من كبار علماء الاسلام في القرن العشرين فهو مفكر و عالم و أديب و خطيب و مناظر و صحفى في آن واحد، لقد أنجبت شبه القارة الهندية في ذلك الوقت اثنين من كبار علماء المسلمين من حيث الشخصية المتكاملة و العمق الفكرى و المقدرة القيادية و يوجد بينهما تشابه كبير فكل منهما ظل مديراً لتحرير عدة صحف و له العديد من المؤلفات و كان كلاهما ثقة في العلوم الدينية و معروف بالكتابة و الخطابة و حصل كلاهما على شهادة في القرآن و الحديث و الفقه و كتب كلاهما ترجمة و تفسيراً للقرآن. هذان العملاقان هما أبو الكلام آزاد و أبو الأعلى المودودى، و رغم هذا التشابه بين شخصيتيهما إلاّ أن لكل واحد منهما طابعه المميز و اسلوبه المختلف.

و أمضى المودودى جزءاً كبيراً من حياته في الكتابة و التأليف و كتب تفسيراً و ترجمة للقرآن هي "تفهيم القرآن" الذي أكمله في اثنين و ثلاثين عاماً. و كتب المودودى في موضوعات عديدة مثل: -

١ - تعاليم الإسلام : رسالة دينيات و خطبات و مسئلة جبر و قدر و اسلام كا نظام حيات وغيرها.

٢ - القانون الاسلامى : اسلامى قانون و اسلامى دستور كى بنيادين و اسلام كا نظربه سياسى و الجهاد في الاسلام.

٣ - الحياة الاجتماعية في الاسلام : جهاد في سبيل الله و مسلمانون كا ماضى حال و مستقبل و تجديد و احيائى دين وغيرها.

٤ - السياسه : مسلمان اور موحوده سياسى كشمكش و اسلامى حكومت كس طرح قائم هوتى هى و مسئلة قوميت.

٥ - المجتمع الاسلامى : برده (الحجاب) و حقوق الزوجين و اسلام اور ضبط ولادت (الاسلام و تحديد النسل (٥٣) وغيرها.

و توفى المودودى في ٢٨ شوال ١٣٩٩هـ/٢٢ سبتمبر ١٩٧٩م. يقول أسعد جيلاني: "لقد كانت لدى المودودى معرفه كاملة بالقرآن و الحديث و هو ماهر في الكتابات الدينيه و له قدره هائلة على الاستنباط و التطبيق".

و يقول عنه مولانا عبد الماجد دريا آبادى: "هو مفكر الأمة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة". و يقول سيد سليمان ندوى: "و في الحقيقة هو عالم دين من الطراز الاول و المتحدث عن الاسلام في هذا العصر. إنه

مفكر في مكانة ابن تيمية له اسلوب بيان رصين و طريقة استدلال منطقية أثرت على طبقات الناس المختلفة".(٥٤)

و نختم موضوعنا عن ابي الاعلى المودودى بقول إمام الهند مولانا أبو الكلام آزاد، يقول : "إن الامة الاسلامية لا يمكن أن تنسى قط الخدمات الجليلة لابي الأعلى المودودى، أن كل فصل أو باب من اعماله البارزة في تاريخ التجديد في الإسلام يعد ثروة و فخراً لنا"(٥٥).

ثانياً : الترجمة :ـ

تعد ترجمة "تفهيم القرآن" للمودودى من أحدث تراجم القرآن في الأردية و نقلة هائلة في التطور التاريخى لتاريخ هذه التراجم من حيث اللغة و المنهج و الأسلوب. و تتميز ترجمته للقرآن بالخصائص التالية:ـ

١ ـ تعد أحدث التراجم الأردية للقرآن من ناحية اللغة و الأسلوب.

٢ ـ أعد المودودى هذه الترجمة للمسلم متوسط التعليم و الثقافة لان هذه الطبقة هي الشريحة الأكبر في المجتمع الاسلامي.

٣ ـ يقدم المودودى أى مسئلة صعبة أو معقدة بطريقة سهلة و اسلوب لغوى بسيط يتناسب مع عوام المسلمين، فهو لم يحاول أن يظهر علمه و تفوقه لأن هدفه هو توصيل رسالة الاسلام بطريقة ميسرة للحميع. يقول في مقدمة "تفهيم القرآن": "لقد وضعت في اعتبارى إننى لا اقدم هذه الترجمة للعلماء و الباحثين أو لحاجة هؤلاء الناس الذين يريدون أن يعمقوا دراساتهم حول القرآن بعد أن انتهوا من تحصيل العلوم الدينية و اللغة العربية بل أريد تقديمها إلى الطبقة المتوسطة المتعلمة ممن لا

يعرفون اللغة العربية بشكل جيد أو الذين من الصعب عليهم الاستفادة من كـنـوز عـلـوم الـقـرآن و لهذا فإننى لم أتناول القضايا التفسيرية التي تخدم قـضـيـة مـا و لـهـا أهمية كبيرة في علم التفسير بل ما يحقق الغرض لهذه الطبقة من الناس"(٥٦).

و رغـم وضـوح رؤيـة الـمـودودى و عرضه لمنهجه في الترجمة إلاّ أن بـعـض الـعـلـمـاء نـقـدوه نقداً شديداً و كان على رأسهم مولانا عبد الماجد دريابادى يقول : "إن تفهيم القرآن لأبى الاعلى المودودى لا يمكن أن نطلق عـلـيـه تـفـسـيـراً، لـقد طل يصدر على حلقات صدر منه حتى الآن ثمانية أجزاء، و فيه بعض المحاسن"(٥٧).

و الـحـقـيـقه أن كثير من سهام النقد التي وجهت للمودودى ترجع في مـعـظـمـها إلى أن كثيراً ممن نقدوه لم يستوعبوا كتاباته جيداً و لم يقرأوا المقدمه التي كتبها المودودى بتعمن فهي كافية للإجابة على الأسئلة التي طرحوها.

تقول صالحة عبد الحكيم: "عندما كتب مولانا عبد الماجد هذا النقد لـم يكن قرأ مقدمه المودودى على الترجمة فقد كتب عبد الماجد نقده في دريـاآباد في ذى الحجة ١٣٦٣هـ/ديسمبر١٩٤٤م بينما كتب المودودى مقدمته لـلـتـرجـمـه فـي السجن المركزى فى الملتان فى ١٧ ذى القعدة ١٣٦٨هـ/١١ ستمبر ١٩٤٩م"(٥٨).

و بعد قراءة المقدمة يتضح لنا رأى المودودى الخاص بأصول و منهج تـرجـمـة الـقـرآن فـقد اختار الترجمة الحرة "آزاد ترجمه" التي تتفق مع مـيـولـه و الـهـدف الـذي تـرجـم من أجـلـه و هـو خـدمـة الطبقة الوسطى المتعلمه.

يقول محمد سالم قدوائى: "يأتى تفهيم القرآن للمودودى محاولة جادة لفهم القرآن و تفسيره و قد تمرد فيه على أسلوب التراجم الأخرى و انتهج طريقة الترجمة الحرة أى غير الملتزمة بالحرفية اللفظية و اجتهد فيّ ترجمته إلى نقل معانى العبارات القرآنية إلى اللغة الأردية و أسلوبه و لغته قريبة لعامة الناس و ذلك بلغة سلسة"(٥٩).

و في هذا الصدد كتب المودودى فيما يتعلق بترجمته: "إننى بدلاً من أن اكسو كلمات القرآن برداء الأردية، حاولت أن أنقل ما ورد في خاطرى و استقر في ذهنى و ترك أثراً على قلبى إلى لغتى بطريقة واضحة قدر الامكان لأنه من الصعوبة بمكان ترجمة أسلوب البيان و لهذا وجدت انه لا مفر من اختيار الترحمة الحرة التي تتيح الخروج عن التقيد الحرفى و تجعل هناك جراة في اداء المعانى و لكن لأنه كلام اللّه فإننى أخشى من الخطأ و ترتعد فرائصى من استخدام هذه الحرية"(٦٠).

بدأ المودودى الترجمة في "تفهيم القرآن" في محرم ١٣٦١هـ/فبراير١٩٤٢م و وصل عام ١٩٤٧م إلى سورة يوسف اى انه قام بترجمة ثلاثة عشر جزءاً ثم انقطع بعدها عن الترجمة لعدة أسباب. و عندما سُجن المودودى في اكتوبر عام ١٩٤٨م استفاد من هذه الخلوة و داوم على الترجمة و في نهاية الأمر و بعد ثلاثين عاماً أى في ٢٤ ربيع الثانى ١٣٩٢هـ/٧ يونيو ١٩٧٢م اكتملت الترجمة و أرسلها للطبع. و يقع "تفهيم القرآن" في ستة مجلدات، يذكر أولاً النص العربي ثم يذكر الترجمة الأردية تحتها ثم يكتب تفسيره في الحاشية و قسم المودودى هذه المجلدات كمايلى: -

١ ـ المجلد الأول : ـ و يبدأ من سورة "الفاتحة" حتى سورة "الانعام" و قد سبقها بتمهيد ثم مقدمة ثم تأتي الترجمة و بعدها التفسير و بحث في بداية كل سورة عن سبب تسميتها و أسباب النزول و زمن النزول و في النهاية فهرس للموضوعات، و الطبعة التي أمامي هي الطبعة الثالثة عشرة في يناير ١٩٧٦م و قام محمد سعيد اللّه صديق بن شيخ محمد قمرالدين بالإشراف على الطباعة في مكتبة تعمير انسانيت بلاهور.

٢ ـ المجلد الثاني : ـ و يبدأ من سورة الاعراف حتى آخر سورة "بنى اسرائيل" و طبعه سيد حسين فاروق المودودى و ثم نشره في "إدارة ترجمان القرآن" باجهره بلاهور في مايو ١٩٧٥م.

٣ ـ المحلد الثالث : ـ من أول سورة الكهف حتى آخر سورة الروم و قام بطبعه محمد سعيد اللّه صديق في مطبعة اردو دائجست بلاهور و نشرته مكتبة "تعمير انسانيت" في ١٣٩٤هـ/سبتمبر١٩٧٤م.

٤ ـ المحلد الرابع ٠ ـ و يبدأ من سورة لقمان حتى سورة الأحقاف و قام على طبعه الدكتور اعجاز حسين قريشى و نشر في لاهور في مكتبة تعمير انسانيت و هو الطبعة الثامنة عشرة في مارس ١٩٧٦م.

٥ ـ المحلد الخامس :ـ و يبدأ من سورة "محمد" حتى سورة "الطلاق" و قام بطبعه سيد حسين فاروق المودودى في مطبعة سرور امين بلاهور و نشرته اداره "ترجمان القرآن" في رجب ١٣٩٦هـ/يوليو ١٩٧٦م.

٦ ـ الجزء السادس : ـ و يبدأ من سورة التحريم حتى سورة النساء و قام بطبعه سيد حسين فاروق المودودى في مطبعة "اللّه والا" بلاهور و نشرته ادارة ترجمان القرآن بلاهور في رجب ١٣٩٥هـ/اغسطس ١٩٧٥م.

و فيما يلى نموذج من ترجمة "تفهيم القرآن" لسورة الفاتحة:-

"الله هى كى ليى هى جو تمام كائنات كا رب هى، نهايت مهربان اور رحم فرمانى والا هى، روز جزا كا مالك هى، هم تيرى هى عبادت كرتى هين، اور تجهى سى مدد مانكتى هين همين سيدها راسته دكهائى ان لوكون كا راسته جن بر تونى انعام فرمايا جو معتوب نهين هوئى جو بهتكى هوئى نهين هين"(٦١).

و النموذج التالى لترجمة الآيات الأولى(٦٢) من سورة يس:-

"يس - قسم هى قرآن حكيم كى كه تم يقيناً رسولون مين سى هو، سيدهى راستى بر هو (اور يه قرآن) غالب اور رحيم هستي كا نازل كرده هى تاكه تم خبردار كرو ايك ايسى قوم كو جس كى باب دادا خبردار نه كيى كئى تهى اور اس وجه سى وه غفلت مين برى هوئى هين"(٦٣).

منهج المودودى في ترجمة القرآن:

انتهج المودودى لنفسه منهجاً جديداً يتناسب مع طبيعة العصر و ضروريات الحياة الحديثة و اختار أن يترجم القرآن ترجمة حرة "آزاد ترجمه" لأن الترجمة الحرفية في رأيه لم تعد تناسب نوق العصر علاوة على أنها أدت الدور المنوطة به كما أن في الأردية الآن كثيراً من التراجم الحرفية مثل تراجم: شاه رفيع الدين و شيخ الهند محمود الحسن و خواجه حسن نظامى وغيرها.

يقول في مقدمة ترجمة القرآن: "إن الجهد الذي بذلته هنا في ترجمة القرآن الهدف منه هو استكمال مسيرة الترجمة و كنت منذ فترة

قد شعرت أن الحاجة ماسة و ملحة لتوضيح الهدف الحقيقى للقرآن و أن تصل روحه و تنتشر بين المتعلمين عندنا و تضاعف هذا الإحساس يوماً بعد يوم، و بالرغم من الجهود العظيمة و الجديرة بالاحترام للمترجمين الأوائل فلازال هناك رغبة في المزيد من التراجم و شعرت أننى استطيع أن اقوم بهذا العمل و في النهاية أجبرني هذه المشاعر على انجاز هذا العمل الذي نجدون ثماره بين أيديكم، و لو تأكد لى أن هديتى المتواضعة ستساعد على فهم القرآن لكان هذا من دواعى سرورى و سعادتى، إن الهدف الذي اضعه نصب عينى في هذا العمل هو أن يصل للناس مفهوم القرآن بمجرد أن يقرأونه و لهذا فإننى نركت أسلوب "الترجمة الحرفية و اخترت طريقة الترجمة الحرة "آزاد ترجمانى" لأن الترجمة الحرفية قام بها علماء افاضل قبلى و لا نرى أى ضروره لمزيد من الجهد و السعى في هذا الباب، حيث قام بها شاه عبد القادر و شاه رفيع الدين و مولانا محمود حسن و مولانا أشرف علي تهانوى و مولوى فتح محمد جالندهرى و قد أدت هذه التراجم الأهداف التى أنجزت من أجلها لذا لا فائدة من التراجم الحرفية بعد ذلك و هناك بعض الأمور التي لم تنجزها الترجمة الحرفية و لن يستطيع أن تنجزها و لهذا فإننى أحاول أن أنجزها عن طريق ترجمتى"(٦٤).

نتائج البحث:

١ - يعد اللغه الأردية أحدث لغات العالم عمراً لكنها تفوق جميعاً من حيث عدد تراجم القرآن الكريم الذي يصل إلى أكثر من تسعين ترجمة كامله غير عشرات التراجم الجزئية و غير الكاملة و المخطوطة التى لم

تطبع و بهذا تكون تراجم القرآن من حيث الكم و الكيف في اللغة الأردية لا تتوافر في لغة أخرى.

٢ ـ ظهرت تراجم شعرية للقرآن باللغة الأردية التي تفوقت على اللغات الأخرى كذلك في التراجم المنظومة و قد جاءت هذه التراجم مقيدة بالمعانى الدقيقة للقرآن إلى جانب التزامها بالشكل الشعرى الذي نظمت فيه، و لكنها أقل من التراجم النثرية.

٣ ـ بدأت جهود العلماء الهنود في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأردية منذ أواخر القرن الأول الهجرى، السابع عشر الميلادى و مازالت هذه الجهود مستمرة حتى اليوم فلا يمر عام إلاّ و طبعت فيه ترجمة أو أكثر للقرآن.

٤ ـ لم يكتف المترجمون للقرآن في اللغة الأردية بمنهج واحد للترجمة فتعددت المناهج مثل: الترجمة الحرفية و ترجمة المعنى و الترجمة الحرة.

٥ ـ يعد القرآن الثالث عشر الهجرى، التاسع عشر الميلادى أهم حقبة في تاريخ التراجم الأردية للقرآن الكريم حيث ترك العلماء فهرساً طويلاً لهذه التراجم من حيث الكم، ببنما حدثت ثورة كببرة في التراجم الأردية للقرآن في القرن الرابع عشر الهجرى، العشربن الميلادى من حيث الكم و الكيف.

٦ ـ استعمل المترجمون أكثر من كلمة للتعبير عن الترجمة مثل: "ترجمة ـ تفسير ـ بيان ـ ترجمان ـ تفهيم ـ مطالب ـ روح ـ تشريح ـ موضح

ـ معارف وغيرها" و كلها تؤدى معنى الترجمة في حين أن البعض الآخر فضل أن يذكر للترجمة اسماً مسجعاً على منهج الكتب و المؤلفات العربية القديمة مثل : توضيح مجيد في تنقيح كلام اللّه الحميد" و "معاملات الأسرار في مكاشفات الأخبار" و "ترجمان القرآن بلطائف البيان".

٧ ـ كانت التراجم جميعها يقوم بها مترجم واحد عدا ترجمة أمانت اللّه الذي شاركه فيه آخرون هم: مير بهادر على و كاظم على وغوث على حافظ.

٨ ـ قدم جميع المترجمين لتراجمهم بتمهيد أو مقدمة وافية ذكروا فيها منهجهم الذي اختاروه و أسلوب الترجمة و الاصطلاحات الخاصة بهم عدا السرسيد احمد خان الذي بدأ تفسيره بدون أى تمهيد أو مقدمة.

٩ ـ استعمل المترجمون كلمتى "ترجمة" و "تفسير" بمعنى واحد على عكس استعمال كلمة "تفسير" في العربية التي تعني شرح معاني القران و لا تعنى ترجمة له

ـــ المصادر و المراجع ـــ

أولا المصادر الاردية ـ

(أ) التراجم. ـ

١ ـ تهانوى (أشرف علي) ، بيان القرآن. ناشر إداره تفسير قرآن. دهلى. ١٣٥٣هـ

٢ ـ جالندهرى(فتحم محمد). ترجمة فتح الحميد. تاج آفس محمد على رود. بمبى

٣ ـ الحسن (محمود) : موضح فرقان. مدينه بك دبو. اردو بازار. جامع مسجد دهلی. ١٩٧٨م

٤ ـ دريابادی(عبد الماجد) : تفسير قرآن. (تفسير ماجدی) صدق جديد بك ايجنسی. لكهنو. ١٩٥٢م

٥ ـ عبد القادر(شاه) : موضح قرآن. تاج كمبنی لميتد. كراجی

٦ ـ مليح آبادی(سيد امير): مواهب الرحمن. مكتبة رشيدية لميتد. بار اول. لاهور. ١٩٧٧م

٧ ـ المودودی(ابوالاعلی): تفهيم القرآن. مكتبة تعمير انسانيت. لاهور. تيرهوان ايديشن. ١٩٧٦م

٨ ـ المودودی(ابوالاعلی): ترجمة قرآن مجيد. اشاعت اسلام ترست. بار پنجم. دهلی. ١٩٨٣م

(ب) الدراسات: ـ

١ ـ الحق (مشير): ترجمه قرآن. مكتبة جامعة لميتد. اردو بازار. پهلی بار. دهلی. ١٩٨٨م

٢ ـ عبد الحكيم (صالحة): قرآن حكيم كی اردو تراجم. شرف الدين الكتبی و أولاده. بومبی. ١٩٨٤م

٣ ـ خان (محمد فاروق): شاه عبد القادر كی قرآن فهمی. مركز مكتبة اسلامی. اول ايديشن. دهلی. ١٩٧٩م

(٤) ديوبندی: جائزه تراجم قرآنی. مطبوعات مجلس معارف القرآن. ديوبند. ١٩٨٣م

٥ ـ رئيس (قمر) : ترجمه كا فن اور روايت. تاج پبلشك هاؤس. بار اول. دهلی. ١٩٧٦م

٦ ـ فاروقی (عماد الحسن آزاد): هندوستان ميں اسلامی علوم و ادبيات. مكتبة جامعة لميتد. اردو بازار. پهلی بار دهلی. ١٩٨٦م

٧ - قاسمی ثناء اللّه): فضلائی دار العلوم اور ان کی قرآنی خدمات. نیشنل بریس. دیوبند. ١٩٨٠

٨ - قدوائی (محمد سالم): علوم اسلامیہ اور هندوستانی علماء. اداره علوم اسلامية علی کره. مسلم یونیورستی. طبع اول. علی کره. ١٩٩١م

ثانياً: المراجع: -

(أ) المراجع الاردية: -

١ - أزاد (أبوالكلام) . تذكره. ساهتيه اكاديمی. نئ دهلی. ١٩٧٦م

٢ - اكرام (محمد): رود كوثر. مينا محل. دهلی. ١٩٨٠م

٣ - حسن (محمد): هندوستانی محاوری. ايجوكيشنل ببلشنك هاؤس. دهلی. ١٩٩٥م

٤ خان (سيد احمد) . اثار الصناديد. علی كره. ١٩٨٣م

٥ - ندوی (أبو الحسن) : تاريخ دعوت و عزيمت. حصه پنجم. بهلا ايديشن. مجلس تحقيقات و نشريات اسلام. لكناؤ ١٩٨٤م

٦ - ندوی (سيد سليمان) .عرب و هند كی تعلقات. هند ١٩٣٧م

(ب) الدوريات و القواميس الاردية:-

- الدوريات . . -

١ - برك كل كراجی - شماره ٥ ١٩٨٢م

٢ - فكر نظر. لاهور. ديسمبر ١٩٨٤م

٣ - ماهانه فاران. بومبی اكتوبر. ١٩٧٥م

٤ - نوای ادب. بومبی مئی. ١٩٦٣م

- القواميس: -

١ - دهلوى (سعيد احمد): فرهنك اصفيه. جلد سوم. ترقى اردو بورو. نئى دهلى. ١٩٩٠م

٢ - فيروز الدين : فرهنك فيروز اللغات. دهلى ١٩٧٩م

(ب) المراجع العربيه:

١ - البلاذرى: فتوح البلدان. بيروت. ١٩٨٣م

٢ - حسين (محمد الخضر): بلاغة القرآن. تحقيق على الرضا التونسى. القاهره.

٣ - ابن قتيبة : كتاب المرطبن. لندن. ١٨٨٩م

الهوامش :

١ - قمر رئيس: ترجمه كا فن اور روايت (مذهبى تصنيفات كى اردو تراجم) تاج ببلشنك هاؤس. ١٩٧٦م. ص:٢٤٣

٢ - برك كل. كراچى. شماره. ٥ ص: ٣٥٦

٣ - فكر و نظر. ماه دسمبر. ١٩٧٤م ص. ٢٣٥

٤ - محمد الخضر حسين: بلاغة القرآن. تحقيق على الرضا التونسى. ص:٣

٥ - سبا: ٢٨

٦ - الاعراف : ١٥٨

٧ - ابراهيم : ٤

٨ - البلاذرى: فتوح البلدان. بيروت. ١٩٨٣م ص: ٢٤٠ - ٢٤١ و ٤٢٥ - ٤٢٦

٩ - سيد سليمان ندوى: عرب و هند كى تعلقات. هند ١٩٣٧م ص:٦

١٠ - ثناء اللّه قاسمى: فضلائى دار العلوم اور ان كى قرآنى خدمات. نيشنل بريس. ديوبند. ١٩٨٠م ص:٩

١١ ـ محمد سالم قدوائی : علوم اسلامیه اور هندوستانی علماء: ٥١

١٢ ـ صالحه عبدالحکیم: قرآن حکیم کی اردو تراجم. شرف الدین الکتبی. اشاعت اول. بومبی. ١٩٨٤م ص: ٦٨

١٣ ـ روز قیامت هر کسی با خویش دارد نامهء

من نیز حاضر میشوم تفسیر قرآن دربغل

١٤ ـ ابن قتیبه . كتاب المرطس. لیدن. ١٨٨٩م ص: ١٧

١٥ ـ مشیر الحق . ترجمهء قرآن مکتبه جامعه لمیتد. اردو بازار. بهلی بار. دهلی. ١٩٨٨م. ص. ١٠ ـ ١١

١٦ ـ العاشیة . ١٧

١٧ ـ النمرة : ١٧٧

١٨ ـ صالحه عبد الحکیم: قرآن حکیم کی اردو تراجم: ٧٢ ـ ٧٣

١٩ ـ عبد الماجد دریابادی. تفسیر قرآن. صدق جدید بك ایجنسی. لکنؤ. ص: ٢

٢٠ ـ اشرف علی تهانوی. بیان القرآن. ناشر اداره تفسیر القرآن. دلهی ١٣٥٣هـ ص: ٥ (المقدمه)

٢١ ـ ثناء الهدی قاسمی: فضلائی دار العلوم اور ان کی قرآنی خدمات:١٧

٢٢ ـ صالحه عبد الحکیم. قرآن حکیم کی اردو تراجم: ٧٥

٢٣ ـ شاه عبد القادر: موضح قرآن. جلد اول مقدمه: ٢

٢٤ ـ دیوبندی : جائزه تراجم قرآنی. مطبوعات مجلس معارف القرآن. دار العلوم دیوبند ص. ١١ ـ ١٢

٢٥ ـ صالحه عبد الحکیم: قرآن حکیم کی اردو تراجم: ٨٢ ـ ٨٣

٢٦ ـ عماد الحسن آزاد فاروقی هندوستان میں اسلامی علوم و ادبیات. مکتبة جامعة لمیتد. اردو بازار. دهلی. ١٩٨٦م ص: ٥٢

٢٧ ـ محمد سالم قدوائى: علوم اسلاميه اور هندوستانى علماء:٣٧

٢٨ ـ محمد اكرام : رود كوثر : ٥٩٦

٢٩ ـ صالحه عبد الحكيم: قرآن حكيم كى اردو تراجم: ٩٥ ـ ٩٧

٣٠ ـ محمد سالم قدوائى : علوم اسلاميه اور هندوستانى علماء :٣٩

٣١ ـ صالحه عبد الحكيم : قرآن حكيم كى اردو تراجم: ١١٧ ـ ١٢٥

٣٢ ـ نواىٔ ادب . بمبى. اكتوبر ١٩٧٥م ص: ٢٥١

٣٣ ـ صالحه عبد الحكيم: قرآن كى اردو تراجم: ١٥٨ ـ ١٦١

٣٤ ـ صالحه عبد الحكيم : المرجع السابق: ٣٨٣ ـ ٣٨٥

٣٥ ـ المحاورة : كلمة عربية تستعمل في الأردية بمعنى الحديث و التحاور بالسؤال و الجواب و استخدم كمصطلح عام للغة الحياة اليومية و المحاورة عبارة عن كلمة أو جملة استعملها اللغويون الثقاة للدلالة على معنى خاص غير المعنى اللغوى القريب. (مولوى سيد أحمد دهلوى: فرهنك آصفيه. جلد سوم. ترقى اردو بيورو. نئ دهلى. ١٩٩٠م ص:٢٠٥٩) و يجب أن تكون المحاورة كلمتان أو أكثر و الكلمات المستعملة في المحاورة تستعمل بمعنى آخر إلى جانب معناها الأصلى و تعنى المحاورة كذلك التعبيرات الأدبية الشائعة. (محمد حسن: هندوستانى محاورى: ايجوكيشنل ببلشنك هاؤس. دهلى ١٩٥٠م ص : ٧٠).

٣٦ ـ محمود الحسن: "موضح الفرقان" شائع كرده مدينه بك ديو. اردو بازار. جامع مسجد. دهلى ص:٣

٣٧ ـ سورة الرعد : ٢٦

٣٨ ـ شاه عبد القادر : موضح قرآن. تاج كمبنى لميتد. كراجى. لاهور. ص:٣

٣٩ ـ صالحه عبد الحكيم: قرآن حكيم كى اردو تراجم: ١٨٥ ـ ١٨٧

٤٠ ـ محمد سالم قدوائى: علوم اسلاميه اور هندوستانى علماء:٣٦

٤١ ـ سيد أحمد خان . اثار الصناديد. علی کرهـ : ٣٦٢

٤٢ ـ محمد فاروق خان : شاه عبد القادر کی قرآن فهمی. مرکزی مکتبه اسلامی. بهلا ابیس دهلی ١٩٧٩م ٧

٤٣ ـ فتح محمد جالندهری فتح الحمید. تاج افس محمد علی رود. بمبی. ص ١٨

٤٤ ـ عماد الحسن ازاد فاروقی: هندوستان مين اسلامی علوم و ادبيات: ٥٢

٤٥ ـ محمد اکرام رود کوثر مينا محل. دهلی ١٩٨٠م ص.٢١٣

٤٦ ـ عبد الماجد دریابادی. تفسیر قران (تفسير ماجدی) صدق جديد بك ايجنسی جلد اول لکناؤ ١٩٥٢م ص٩٠ (المقدمه)

٤٧ ـ صالحه عبد الحکیم قران حکیم کی اردو تراجم. ٤٠٨ ـ ٤١٠

٤٨ ـ سيد أمير علي مليح ابادی مواهب الرحمن. مکتبه رشيديه لمتيد. تار اول لاهور. ١٩٧٧م ج١/١

٤٩ ـ سوره آل عمران ٢٦ ـ ٢٧

٥ ـ سید امیر علی ملیح ابادی المرجع السابق ص. ١٢١

٥١ ـ سوره ال عمران ٣٥ ـ ٣٦

٥٢ ـ عبد الماجد دریابادی تفسير قران (تفسير ماجدی) ج١٢/١ (المقدمة)

٥٣ ـ صالحه عبد الحکیم قران حکیم کی اردو تراجم . ٤٥٥ ـ ٤٥٦

٥٤ ـ ماهانه فاران مئی ١٩٦٣م ص ١٧

٥٥ ـ أبوالكلام ازاد تذكره ساهتيه اكاديمی نئی دلهی ٣٧

٥٦ ـ ابو الأعلى المودودی تفهيم القران مکتبه تعمیر انسانيت اردو بازار لاهور ١٩٧٦م ٥/١ـ٦

٥٧ـ عبد الماجد دريابادي (تفسير ماجدي). ١٧/١

٥٨ـ صالحه عبد الحكيم قرآن حكيم كى اردو تراجم: ٣٥٧

٥٩ـ محمد سالم قدوائي : علوم اسلاميه اور هندوستانى علماء : ٤٤ ـ ٤٥

٦ـ المودودي . تفهيم القرآن: ١٠/١ ـ ١١

٦١ـ المودودي : تفهيم القرآن: ٤٣/١ ـ ٤٥

٦٢ـ سورة يس : ١ ـ ٦

٦٣ـ المودودي : ترجمه قرآن مجيد : اشاعت اسلام ترست. بار ينجم. دهلي. ١٩٨٣م ص:١١١١

٦٤ـ المودودي. ترجمة قرآن مجيد: ٣ ـ ٤

❖❖

الهوية المسلمة في الهند المعاصرة

بقلم : البروفسور رشيد الدين خان

١ ـ سياق لواقع هندي جديد :

منذ فجر إستقلالنا السياسي في عام ١٩٤٧م، قد بدأنا عملية هائلة لبناء أمة ديمقراطيه علمانية فيدرالية في نظام الحكم السياسي في شبه القارة الهنديه. و مما لاشك فيه إنها كانت اكثر من نلك. فجوهريا بدأ بناء حضاره جديدة حول شعب متحرر. فقد كافح شعبنا المتنوع الأشكال و المتعدد الأعراق و المتعدد اللغات و المتعدد الأديان و المتعدد المناطق و المتحرر حديثا من أجل كسر أغلال العبودية الأجنبية و التخلص من الاستغلال الإقطاعي و المذهب المتحجر و عدم تكافؤ الفرص الاجتماعي و الاقتصادي إلى جانب السلطان المستمر من الرواسب المتبقية و العلاقات الإقطاعيه و القبليه المثقلة بالطائفة مما حول التقاليد إلى العبوديه، و كذلك الشكله المثبطة للعزيمه بالفقر المزمن عند الجماهير و عدم التوازن الاقتصادي الإقليمي مع انفجار سكاني غير مكبوح و قلة الموارد و التكنولوجيه غير الكافية. ثم هناك مشكلة مستعصية للتوفيق بين الاشكال العديدة للمطالب القوميه الفرعية و الضرورة الملحة

الأساسية لخلق كيان قومي فيدرالي حيوي. و فوق كل ذلك هناك توترات و نزاعات من خارج الحدود منذ فجر الإستقلال و مما زاد الطين بلة الحصول على اسلحة القوى العظمى التي وصلت احيانا عن طريق تزويدات مفتوحة و تكتيكات ضاغطة دبلوماسية، و أحيانا عن طريق وسائل سرية، و حينا آخر عن طريق استراتيجية عالمية معلنة، الأمر الذي هدد سيادتنا الإقليمية المكتسبة حديثا. فحين النظر إلى الوراء في هذه العقود الأربعة يتحير الإنسان بتأمر الظروف التي كادت أن تحطم شعبنا الحيوي إلى الحياة و البقاء.

إن البحث عن حضارة جديدة في الهند باعتماد أساليب الاقناع بالقيم الديمقراطية مثل الايمان بمبدأ المساواة و حق التصويت لمن يبلغ سن الرشد، و المؤسسات الممثلة، و سيطرة القانون، و النظام السياسي العلماني و العدالة التوزيعية في الاقتصاد، عملية مستمرة.

إن الحل الديمقراطي للمشاكل القومية لا يتطلب موافقة فئة الأغلبية فقط بل يقتضي موافقة و مساهمة الاقليات أيضاً. و مما لاشك فيه أنه في نظام ديمقراطي فقط تحظى الأقلية بالحق في أن تطمح و تطالب بمعاملة الكرامة و الجدية من الأغلبية لأن الديمقراطية في نهاية المطاف تعامل البشر بحيث أنه بشر، و ليس مجرد عضو في مجموعة أو جماعة ينتسب إليها على أساس الولادة و الملكية و العرق و الديانة و اللغة و ما إلى ذلك. فهذه الأمور تنعكس تماما في ديباجة الدستور و نصوصه و اجراءاته و كذلك في تنفيذ نظام الحكم الهندي بنفسه.

و فــي هــذا السياق يلزم للمرء أن يحدد و يدرك ميزة الهوية المسلمة الناهضة في الهند المعاصرة، و هي تتشكل و تنشأ بتفاعل خمسة عناصر:

أولا : المبادئ و القيم الأساسية التى نادى بها الإسلام.

ثانيا : التراث الإسلامى فى الهند.

ثالثاً : الوضع الإجتماعى ـ الثقافي للهند.

رابعاً : الانطباع عن المسلم في الهند.

خامساً : عملية بناء أمة فيدرالية فى الهند.

٢ ـ المبادئ الأساسية و القيم الإجتماعية التى نادى بها الإسلام :

خــلال الــمسيرة الطويلة و المعقدة للتطور البشرى تتجلى مساهمة الإسـلام الــتاريخـيــة كـنـظـام للعلاقات بين الأفراد و المجموعات بصورة واضـحة مع التشديد على خمسة معتقدات أساسية و هي (١) وحدانية اللّه (التوحيد) (٢) و شمولية العقيدة (الدين) (٣) و اخوة بنى الإنسان (٤) الوحدة الـعـضـويــة بـين الـتـزامـات المرء نحو اللّه و التزاماته نحو خلائقه (يعني الـمـزاوجــة بين الحقوق نحو اللّه و الحقوق نحو الإنسان (٥) و العدل كمبدأ مـحـورى لـلـحـكـم و الأمن الإجـتـماعى و النظام المتصف بالرحمة، و هي إحـدى صـفات اللّه الرئيسيه التى تتخطى كل الإعتبارات الأخرى في تسوية الـنـزاعـات و إزالـه الـشـكاوى، و قد حرص الإسلام على اتحاد البشرية عن طـريـق الـركوع أمام اللّه الكامل الغير المتحيزّ و غير المتشخص و القادر عـلــى كـل شــىء و الـمـوجود في كل مكان و في كل زمان و العليم بكل شئ و هـو إلــه العالمين (رب العالمين) و هو ليس ربّ أى قبيلة أو نسل أو شعب

أو أمـة أو بـلد أو دين خاص) و هذا ما أظهر النظرية صلة جديدة للعلاقات الإجتماعية.

و إيـضـاحـاً لـهـذه الفكرة القرآنية هناك أحاديث كثيرة للرسول صلى الله عليه وسلم و منها على سبيل المثال :

"أيـهـا الـنـاس! إن ربّكـم واحد و إن أباكم واحد، كلكم لآدم، و آدم من تـراب، إن أكـرمـكـم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير. و ليس لعربي على أعجمى فضل إلّا بالتقوى".

و هـكـذا يـنـطـوى الاعـتـراف بـوحـدة الـلّـه بصورة ملحوظة التسليم الـمـتـلازم بـالأخـوه و الـمـسـاواة بـين البشر و الذي يعتبر طفرة كبرى فى التاريخ البشري.

يـحـاول مـولانـا أبـو الـكلام آزاد (١٩٥٨م ـ ١٨٨٨م) فى دراسته و شرحه الـهـام لـلـقـرآن الـكـريـم أن يبرهن بكل قوة و جدية على وحدة المعتقدات الـديـنـيـة (وحـدة الـدين) الـتـي فـسـدت بـسـبـب التباين المحتوم للشريعة (الـقـوانـين) للأديان المختلفة في البيئات الإجتماعية الثقافية المتنوعة و بـالأقـسـام الـشـكـلانـيـة و الـمـؤسـسـاتـيه التي خلقها أتباع المعتقدات الـمـخـتـلفه. ففى شرحه المهم للآيات السبع المختصرة في سورة الفاتحة من الـقرآن الكريم (و التى يسميها هو بمقدمة لدراسة القرآن الكريم) يؤكد مـولانـا آزاد عـلـى عـقـيـدة الـربـوبـيـة كجوهر الإسلام في دعوته العالمية و شـرعـيـتها الربوبية كعقيدة تستلزم الإعتراف بالله كربّ العالمين، ربّ كل شيء و ربّ كل موجود و المحيط بكل الخلائق. إن كلمة الربّ تعنى المربّى، الـمغذّى، و الممد ، و المزود بأسباب الحياة لجميع مخلوقاته. و هذا يشمل

إلى حدما الصفات المميزة لبرهما و شيفا و فيشنو بهيكل الآلهة عند الهندوس. إن نظام الربوبية فطرياً يسمو فوق الإنقسامات و الشظايا البشرية المبنية على أى اعتبار من العقيدة، و اللون، و الدين ، و الوطن، و ما إلى ذلك. و من ثم الربّ ليس هو اللّه لشعب واحد و إنما لكافة الشعوب و الأمم. ثم يؤكد مولانا آزاد بأن صفات اللّه الثلاث قد جرى التوكيد عليها بصفة مستمرة في القرآن الكريم. و بناء على ذلك يجب الاعتراف بها كمبدأ اساسي يعني الرحمن (أى من يعطى حتى بدون الطلب) و الرحيم (أى من يستجيب لمن يدعوه و يستغفره) و مالك يوم الدين (مالك يوم الحساب) يعني اليوم الذي يقام فيه العدل.

إذن العناية و الكرم و الرحمة و العدل هي أربع قيم جوهرية متلازمة للّه المدبير و كلى الوجود. و يشدد مولانا آزاد على العقل كأداة للإدراك و تعليل كل الأمور الدينية و الدنيوية. ثم يختتم تفسيره لسورة الفاتحة بالقول انه عندما يهدى مثل هذا الربّ العالمي (ربّ العالمين) إلى الصراط المستقيم (اهدنا الصراط المستقيم) فان ذلك ليس صراطا خاصا بأى جنس أو أمة و إنما هو الصراط الذي عليه اجماع زعماء كل الأديان و كل بنى آدم ذى رأي قويم دون النظر إلى سنه و جنسه. و يرى أن التسليم بالبشرية العالمية بدون شك هو جوهر رسالة القرآن.

٣ ـ تراث الإسلام فى الهند :

الإسلام في الهند ملتقى على الأقل لأربعة تباينات إقليمية و لغوية و ثقافية كبرى ـ للعرب و الفرس و الأفغان و الترك. فهم تجمعوا لوضع أساس لتراث جديد و متميز للإسلام في الهند. و مما يوفر طرافة لروح

الإسلام في هذه الأرض العريقة هى الحقيقة بأن الإسلام لم يواجه مجابهة فـي أى مـكـان آخـر و لـمدة أكثر من ألف سنة مثل هذا، إنه حضارة فريدة جوهريا و ذات مرونـة أكـثـر من نـاحية الوحود، مثل الهندوكية، التي لم تصبح مفتوحة أو مهضومة تماما و كذلك بدورها لم تستطع ان تفتح و تهضم الإسلام. إذن الإسلام في الهند ظاهرة هندية فريدة من نواحيها العديدة.

إن مؤثرا من أكبر المؤثرات المكونة لمزاح المسلم المتميز في الهند هـو "الـتـصوف" فهناك طرق صوفية عديدة فى الهند و هي هندية جوهريا. و كذلك الطرق الأخرى التى تعتبر واردة من الخارج فقد نالت شعبية واسعة فـى الهند فقط. بل الهند اليوم هى مركز أكبر للتصوف فى العالم. و الطرق الصوفية الأربع المشهورة في الهند هي : القادرية و الجشتية و النقشبندية و الـسـهـروردية. و إن الـصوفياء مثل الشيخ معين الدين جشتى الاجميري (١١٤٣ ـ ١٢٣٤) و الـشـيـخ قـطب الدين بختيار كاكى (المتوفى ١٢٣٥) و سيدى فـريـد الـدين كـنـج شكر، المعروف بـ بابا فريد (١١٧٥ ـ ١٢٦٥) و الشيخ نظام الـدين اولـياء (١٢٣٦ ـ ١٣٢٥) و الشيخ نصير الدين جراغ دهلى (المتوفى سنة ١٣٥٦) و مـولاى سـيـد محمد كيسودراز (المتوفى سنة ١٤٢١) فقد كانوا كلهم من مـحبّى الإنـسـانـيـة بـدرجـة بـالـغـه و الذين جذبوا إليهم أناسا من كل الطوائف و المعتقدات و كافحوا ضد الظلم في أزمنتهم دفاعاً عن العدالة و السلام و حقوق البشر دون النظر إلى العقيدة و الطائفة.

تأثر الإسلام في الهند على مستوى الجماهير بطرق الصوفياء بصورة أعـمـق أكـثـر من شريعة العلماء التقليديين. فقد كان هؤلاء المشائخ قدوة حسنة للبشرية في كل أجزاء العالم. فهم أقاموا جسوراً بين المتزمتين في

العقيدة و الخارجين عليه. و بين الأغنياء و الفقراء، و بين المجموعات و الطوائف، و خفّفوا من وطأة العداوة بين الطبقات، و رفعوا البشرية التوفيقية، و عززوا الانتمائية الروحية و وضعوا الإنسان كتعبير إلهى في مركز كل النشاطات و قد انعكس عطفهم المجسم في عقيدتهم الأساسية في وحدة الوجود، و ولعوا بالحب كتعبير اسمي لكل الخلائق و ايضا للمظهر الالهى. و نسجت خيوط المسلم الهندي في نسيج من الكيان القومي الهندي، و هو نسيج مزركش بثقافة غنية بعناصر مختلفة و متشابك بخيوط التصوف الهندي مع التصوف و التقاليد الإسلامية و العادات الإجتماعية الهندية، و التقاليد الاخلاقية التركية ـ الإسلامية للحياه الإجتماعيه و هكذا انه خليط جديد للثقافات تنعكس فيه القيم الإنسانيه و المبادئ الأخلاقيه ـ الإجتماعية في صورة متميزة.

لذلك ليس من المدهش الإدراك بأن الثقافة المشتركة في الهند نشأت في بيئة من التوافق أكثر من التفنيد، و في محيط من التعاون أكثر من المجابهه و في جو من التعايش بدلا من الإبادة المتبادلة.

و يمكن تتبع آثار الجذور التاريخية لتبلور الثقافة المشتركة في الهند في الفتره ما بين القرنين الثاني عشر و السادس عشر للميلاد عندما كانت هناك عملية مستمرة للوصول ثم الاندماج فيما بين الثقافات التي نشأت في مناطق ثقافية محددة جغرافيا ـ و هي العربية ، و الآسيوية الوسطى الممزوجه بالإيرانية و الهندية.

و الفضل في صنع هذه الثقافة المشتركة يرجع إلى التعاليم الرشيده للنساك و المتصوفين و المواطنين المتنورين من الزعماء

و الشعراء و الموسيقيين و الحرفيين و الفنيين و رواة القصص و المصلحين الإجتماعيين و القوميين العلمانيين و القادة السياسيين و رجالة الدولة.

و قد نال تيار الوعي بقيم الثقافة المشتركة التعبير في حياة و اقوال بعض الشخصيات المتنورة، عبر القرون من أمثال بابا فريد (١١٧٥ ـ ١٢٦٥) الذي لم يكن من رواد الادب البنجابي المعترف به فحسب و إنما كان متصوفا كبيرا و ترك آثارا عميقة على المتصوقين، منهم المنصوف "كبير" (١٤٤٠ ـ ١٥١٨) و جرونانك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩) و كان موضع احترام لدى المسلمين و السيخ و الهندوس على السواء، و أمير خسرو (١٢٥٣ ـ ١٣٢٥) العبقرى الذي كان شاعراً و فيلسوفاً و مؤرخاً و موسيقاراً، و صوفياً، و رائداً ممتازاً للثقافة المشتركة، و الامبراطور المغولى "اكبر" (١٥٤٢ ـ ١٦٠٥) الذي بدأ عملية للتوفيق و الانسجام بين الهندوس و المسلمين على المسنوى السياسي و الإجتماعي و الثقافي، و الشاعر المعروف و أحد رجال الحاشية الملكية و رجل الدولة عبد الرحيم خانخانا (١٥٥٦ ـ ١٦٢٧) الذي لم يكن من محبّى كريشنا فحسب و إنما كان رائدا للشعر الهندي أيضاً. و يعتبر شعره رمزاً لقيم الثقافة المشتركة، و مولانا أبو الكلام آزاد (١٨٨٨ ـ ١٩٥٨) المفكر البارع الذي كان مفسّراً للتراث الإسلامي و مؤيداً للقومية و الثقافة المشتركة.

٤ ـ الوضع الإجتماعي ـ الثقافي للهند و مشكلة المسلمين :

إن فسيفساء الوضع الإجتماعي ـ الثقافي الهندي مؤلفة من قطعات مكونة من مجموعات لغوية و لهجات إقليمية، و فئات دينية، و طوائف

مـذهـبـية و طبقات، و تكوينات إقليمية و تشكيلات عرقية و أنماط ثقافية محـددة. و بـامـتـزاج هـذه الـخـيـوط في طرار من التعايش السلمى، عبر القرون، قد بلورت الهند حضاره موحّده .

إذن الـوحـدة بنفسها تصور فيدرالى فى الهند. و إنها ليست أبدا وحدة لـنـظـام سـيـاسـي و حدوى. إنها وحده نشأت نتيجه اعتماد متبادل لكيانات إجتماعية ـ ثقافية متنوعه.

الـهند هي ثاني أكبر دوله من ناحية عدد السكان (٨٤٤ مليون فى ١٩٩١) و يتزايد سكانها بمعدل حوالى ٢٠٪ سنوياً أو ما يساوي سكان استراليا. و إنها سـادس أكـبـر دولـه من نـاحـيه المساحة (٣,٢٧ مليون كيلومتر مربع) و كل الاديـان الـثـمـانـيـة الـكـبـرى فـى الـعالم لها مكان تحت سماء هذا الوطن الحبيب فقد كانت نسبه الفئات الدينيه الكبرى طبقا لإحصائية عام ١٩٨١م كـالـتـالـي: الهندوس ٦١,٢ بالمئه، و المنبوذين ١٤,٦ بالمئة، و المسلمين ١١,٦ بـالـمـئـه، و السيخ ٢ بالمئه، و البوذيين ٧ر بالمئة، و الجينيين ٠,٥ بالمئه، و المجوس ١, بالمئه، و اليهود (٠,١ بالمئة)، و القبائل (٧ بالمئة).

و لـيـسـت الـهـنـد مـجـتمعا متعدد الأديان فقط و إنما هى بلد متعدد اللـغـات أيـضاً فإلى جانب اللغه الانجليزيه (الانجليزيه الهندية) التى هى إحـدى اللـغـات الـكـبـرى لـلإداره، و الـمـانـون، و الـدراسـات و الابـحـاث، و الـصـحـافـه، و الاتـصـالات بـين الاقـاليم و الدول الخارجيه، هناك خمس عـشـرة لـغـه مـعـتـرفاً بها كلغات كبرى للهند، و عدد المتكلمين بها حسب احـصـائـيـه ١٩٨١م كـالـتـالى : الآسامية (٩,٠ مليون نسمة) و الكنارية (٢٦,٨ مليون) و الكشميريه (٣,١ مليون) و الملبالم (٢٥,٩ مليون) و المراثية (٤٩,٦

مليون) و الأورية (٢٢,٨ مليون) و البنجابية (١٨,٥ مليون) و السنسكرتيه (٢٩٤٦) و السندية (١,٩ مليون) و التاميلية (٤٤,٧ مليون) و التلغو (٥٤,٢) و الأردية ٣٥,٣ مليون) و إلى جانب هذه اللغات هناك حوالي ١٨٠٠ لغة و آلاف من اللهجات المحلية. و يشكل المسلمون و الهندوس فئتين كبيرتين في الهند و هما منتشرتان في جميع أنحاء الهند. أما الفئات الدينية الأخرى فكلها إقليمية فرعية في أبعادها. فالمسيحيون متمركزون في ثلاث مناطق: الشمالية ـ الشرقية (ناغالندا، و ميغالايا، و منى فور) و الجنوبية الغربية (كيرالا و جوا) و في اندمان، و السيخ يسكنون البنجاب فقط ، و بنسبة لا بأس بها بمدن شنديكرة و دلهي، و كفئة ثانية في هريانا. و للبوذيين عدد ملحوظ في أرونا شل براديش فقط، و الجينيون يسجلون نسبتهم العليا كائنين بالمئة فقط في راجستان، و الوثنيون فأكبر عددهم في المنطقة الشمالية ـ الشرقية ـ اروناشل براديش، و ميغالايا و ناغالندا، و المجوس منحصرون في الغالب بمدينة بومبائي، و بالأخص بمنطقة فلابه، و بعضهم منتشرون بمدينة حيدر آباد، و برودا، و ناسك، و أحمد آباد و كلكوتا. و لليهود تجمع كبير في كوشين و في أجزاء منطقة كونكن فقط.

و لكن على الرغم من ذلك تتكون الفئات الكبرى من ناحية التعداد، على المستويات الاقليمية و الاقليميه الفرعية من الهندوس و المسلمين. فالمسلمون يشكلون الأغلبية بولاية جاموا و كشمير (٦٥,٨٥ بالمئة) و في جزر لكشاديب و مينكوى و أمين ديفى (٩٤,٣٧ بالمئة) و كاقليه كبرى في ١٢ ولاية.

الولايات	النسبة المئوية
أسام	٢٤,٠٣
البنغال الغربية	٢٠,٤٦
اترا براديش	١٥,٤٨
بيهار	١٣,٤٨
كرناتكا	١٠,٦٣
عجرات	٠٨,٤٢
مهاراسترا	٠٨,٤٠
آندهرا براديش	٠٨,٠٩
راجستان	٠٦,٩٠
تريفوره	٠٦,٦٨
مدهيا براديش	٠٤,٣٦
هماشل براديش	١٠,٤٥

و فـي خـمـس ولايـات أخـرى و ست مناطق مركزية يشكل المسلمون ثاني أكبر فئة نسبة.

الولايات	النسبة المئوية
كيرالا	١٩,٥٠

منى فور	٠٦,٦١
تاميل نادو	٠٥,١١
هريانا	٠٤,٠٤
أوريسة	٠١,٤٩
جزر اندمان	١٠,١٢
دلهي	٠٦,٤٧
بوندبشري	٠٦,١٨
جوا	٠٣,٧٦
شندبكرة	٠١,٤٥
بدرونكر هويلي	٠١,٠٠

و تتجلى السمات الإجتماعية ـ الثقافية المتميزة للسكان المسلمين مع تنوعات إقليمية بطريقة واضحة بما فيها الاختلاف في اللغات و اللهجات و العادات و عادات الأكل، و الفرق المهنية و الفنون و الحرف في حوالى ٢١ منطقة من بين ٥٨ منطقة ثقافية ـ إجتماعبة و هي : (أولاً) وادى كشمير، (ثانياً) مرنفعات كشتوار ـ شيناب ، (ثالثاً) ميوات ـ دلهي، (رابعاً) روهيلكند، (خامساً) أودهـ ، (سادساً) بهوجفور، (سابعاً) مثيلا ـ مغد، (ثامناً) سرمول رار ـ بنغال، (تاسعاً) ديلتا كنكا و كلكوتا، (عاشراً) وادى برهمبترا، (حاديا عشر) كشار ـ تريفورا، (ثانيا عشر) ماروار الغربية، (ثالثا عشر) كش ـ كاتياوار، (رابعا عشر) بروس ـ أحمد آباد، (خامسا عشر)

مـالـوه و خـانـديش، (سادسا عشر) مراتوارا، (سابعا عشر) كرناتكا - ديكن، (ثـامـنـا عـشـر) تـلـنغانا - حيدر آباد، (ناسعا عشر) مالا بار، (عشرون) جزر اندوهان و نكوبار.

و أضـف إلـى ذلـك أن أغـلـبـيـة المسلمين مثل الهندوس و المنبوذين تـسـكـن الـمـنـاطق الريفية النائية من المدن مع فارق بسيط بأنه في حين تـصـل نـسـبـة الـسـكان الريفيين في جميع الهند إلى ٧٧ بالمئة، فإن نسبة السكان الريفيين المسلمين هي ٧٣٪، و بينما تبلغ نسبة السكان الحضريين من غـيـر الـمـسـلـمـين من سكـان جـمـيـع الـهند ٢٣٪، فإن نسبة السكان الـمـسـلمين الحضريين هي ٢٧٪. و من الجدير بالملاحظة بأنه في منطقة حـيـث يـوجـد تـمركز المسلمين بنسبة اعلى، فإن كثافتهم بصورة أساسية ريفية، مثلاً في كشمير (٨٥,٣٪)، و البنغال (٨٥,٨٪) و يوبى (٧٤,٣٪) و كيرالا (٨٢,٦٪). و آسـام (٩٥,٨٪) و بهار (٨٨,٠) و جزر لكشاديب (١٠٠٪). و في بعض الـولايـات حيث يتراوح عدد السكان المسلمين بين ١ و ١٠ بالمئة، فإن كثافة الـمـسـلـمين أعلى نسبياً في المناطق الحضرية، مثلاً في مادهيا براديش، و غجرات، و تاميل نادو، و مهاراشترا، و في ولايات آندهرا براديش و كرناتكا و اوريسه يسكن أكبر تجمع في الارياف.

و لـيـكن واضـحـاً فـي هـذه الـخـلـفـيـة أن مـا يـسـمـى بـ "المشكلة الـمـسـلـمـة"، لها تشعبات عديدة على كل المستويات و القطاعات. فهناك خـمـس مستويات على الأقل تتعلق بهذا الموضوع: و هي المستوى المحلي و مـسـتوى المديرية، و الولاية، و المنطقة، و البلاد. و على كل المستويات، فـان الاخـتـلاف فـي الـتـركـيـب الـديـمـوغـرافـي، و فـي طـبـيعة الـخطورة الإجـتـماعية - السياسية وغيرها، تجعل المشكلة مختلفة و جديدة. و كذلك

هـنـاك نواح حيوية عديدة للمشكلة المسلمه. مثلاً مشكله السكن و العمل و احـراز الـتـعـلـيم و المهارة و التفنية و مشكلة قانون الأحوال الشخصية و الاصـلاح الاجـتـمـاعـى و الحماية و ترقية اللغة الأردوية (للفئة المسلمة الـنـاطقة بالأردوية و التي ربما يبلغ عددها حوالى ٣٥٪ من بين مجموعهم) و مشكلة صيانة الهوية الذاتية الثقافية و مشكلة الأمن للحياة و المعيشة و الـمـمـتـلـكـات و الاشـتـراك فـي الـسـيـاسـة و الـعـمليات العامة لتنفيذ الـديمقراطية و بناء الأمة. إذن من المضحك التكلم عن مشكلة المسلمين كمشكلة مونليثية فقط لعموم الهند.

إن مـشـكـلـه الـمـسـلـمـين مـثل مشكلة الهندوس هي مشكلة الهند و مـشـكـلـة قـومـيـة (و لـيـسـت مـشـكلة طائفة أو مشكلة فئة فقط) لأن الـهندوس و المسلمين فقط طائفتان على مستوى جميع الهند و منتشرتان اقـلـيـمـيـا و لـغـويـا و ثـقـافيا و عرقيا و لمشكلتهما صلة بكل المستويات و جـمـيـع قطاعات الحياة القوميه. و لكن الجدير بالعناية هو أن جزءا من المشكلة ناشئ خاصه بسبب انعدام التساوي بينهما في العدد، و بدون شكل فـان الاخـتـلاف الـنـسـبـى كـبـيـر جـداً. فـإن مشكلة المسلمين، اجتماعيا و ثـقافيا، و حتى سياسيا بمعنى خاص، ليست ظاهرة عمودية بقدر ما هي ظـاهـرة أفقية. إن التنوع الإقليمي كبير لحد لا يمكن التغاضي عنه. فعلى سبيل المثال ليس المسلمون بالأقلية بولاية كشمير بل إنهم يشكلون اغلبية تشيع بينها الأمية و تتعرض للاستغلال. و إن الأسلوب الثقافي في لكشاديب و مـالابـار مـخـتـلـف عما هو في كشارا و مرشد آباد و عما هو عند المسلم الـريـفـي فـي ميروت و بستى بولاية اترا براديش و هناك بعض المماثلة مع الـحـرفيين المسلمين في مراد آباد أو العاملين بمعامل النسيج اليدوية في

فـارانـسـي. و هـنـاك شـيء بسيط جدا مشترك مع مزارع بالاغات في كيرالا أو المدرس في كرنول في آندهرا براديش.

و إذا تـحـدث أحـد عن رابطة الاسلام، فعليه أن يذكر أن تلك الرابطة دينية و روحانية أساسا مثل كل الروابط الدينية. و إنها تعمل عملها بصورة لازمـة عـلـى مستويات العقيدة و العاطفه. و العالم الإسلامي واسع الأرجاء جـغرافيا مع هويات عرقية و ثقافية و لغوية محددة ممتدة إلى ثلاث قارات فـي حوالى ٤٦ دولة ذات سيادة، مما يعطى انطباعا لازما للوحدة الثقافية ـ الاجـتـمـاعية أو السياسية. و مثل العالم المسيحي أنه عالم متعدد الألوان يمـتـد من الـبـانيا و تمبوكتو، عن طريق بلخ و بخارا، عبر شبه قارتنا إلى أمـاكن نائيه مثل سنانج في مالزيا و ناندى في فيجي. و الإسلام دين يتعلق أسـاسـا بـأمـور الـعـقيدة و المبادئ و النواحي المعينة للحياة الاجتماعية. و الـدين رغـم كـونـه عـلـى جـانـب كـبير من الخطورة فإنه لا يوفر المقوم الأسـاسـي لـلـتماسك الإجتماعي ـ السياسي. الدين هو أحد العوامل الكبرى لـلـهـويـه، و لـكـنـه لـيس عاملاً وحيداً، و طبعاً ليس عاملا أكبر للحسم في جميع الظروف في الحياة المدنية و السياسه.

فـي حـين يـحـصـى الـمـسلمون في الهند بحوالي ١٢٪ فإنهم يشكلون مـجموعة ما يقرب من ١٠٠ مليون نسمة، بجانب كونهم ثاني أكبر مجموعة من الـسـكـان الـمـسـلمين في العالم بأجمعه، و يمثلون رقما قياسيا اعلى بـالنسبة لما هو في ١٤٠ دولة من بين ١٦٠ دولة ذات سيادة في العالم و يساوي عـددهـم تقريبا لما هو مجموع السكان المسلمين في باكستان و بنغلاديش بـالـتـوالـي و قـد لـعـب المسلمون دوراً تاريخياً في تشكيل مجتمع القرون الـوسـطى في الهند و في صنع ثقافتها المشتركة في فن العمارة و الكتابة

الـجميلة و رسم الصور على العاج و جلد الرق و الحرف اليدوية و الموسيقى ـ الـصـوتية و الآلات و الشعر و الأدب الإنساني الصوفي و فنون طهو الطعام و خـيـاطة الازياء الحديثة. و إن الشخصيات السياسية الرائدة ـ من الملوك و الـوزراء و الـجـنـرالات و الـمـحـافـظـين و الاداريـين و الصفوة العليا من الـزعـمـاء الاقـطـاعـيين ـ كلها كانت تختار من بين المسلمين من الافغان و الاتـراك و الايـرانيين و التورانيين و المغول لمدة حوالى سبعمائة سنة في مـعـظـم السهول الهندية ـ الجنجية و لمدة حوالى أربعمائة سنة في أجزاء كـثـيـرة من الـدكن. عـلـى هـذا، فـإن الاشـارة إلـى المسلمبن كاقلية فقط لـتـبـسـيـط فـاضـح لـلمشكلة المعقدة. إنهم في النسبة العددية فقط في الاقـلية و لكن من حيث العدد المطلق، و التراث الثقافي ـ الإجتماعي، و ما يـتـعـلـق بـالـسـيـاسة، إنهم يشكلون ثانى أكبر مجموعه في الهند عن نواح عديدة و يشاطرون الاكثرية نفس الشعور و الثقة و الجزم.

إن الـشـيء الـذي قـلـمـا يـنـتـبه إليه المرء هو وجود العامل الطبقى و الاخـتـلاف الـطـبـقـي داخـل كـل فـئـة ـ الـديـنـية و اللغويه و الاقليمية. و الـمسلمون أيضا مثل الهندوس و الفئات. و كذلك يقال إنه بسبب التقسيم الـطـبـقـى عـنـد الهندوس، إن مظاهر النظام الطبقي أو التزاوج بين أفراد عـشـيرة واحدة، توجد عند المسلمين أيضا لأجل تكوين طبقات إجتماعية تـمـيـز بـين الاشـراف و الاجـلاف، تشمل الأولى السادات و الشيوخ و المغول و الـبـتـان، و الـثانية تشمل المهنيين مثل الحائكين و الجزارين و النجارين و الـزيـاتـين و الـحـلاقـين و الـغـسـالين و الدباغين و نحوهم. إلّا أنه بسبب الـتـأكـيـد الـصـريـح لـلاسلام على اخوة المؤمنين و رفض صارم من النبي لـلـنـسـل و الـلـون و الـقبيلة كأساس شرعى للفرق بين الرجل و الرجل. فإن

التشكيلات الطبقية الجامدة لا توجد عند المسلمين. و لكن للأسف إن المبدأ الإسلامي للمساواة ببن اعضاء الاخوة المسلمة يراعى به عند الصلاة فقط في المسجد أو الحج إلى مكة و المدننة. أما الإمتياز الطبقى ببن الأمبر و الففير، و مالك الأرض و المحروم فيها، و الطبقة الممتازة و الطبقات العاملة، فإنه منتشر على نحو غبر مكبوح عند المسلمين كما هو عند الفئات الدينية الأخرى.

على هذا، نظراً للنواحى الإفليمبه و الطبقية سيكون من السهل الادراك بأن المشكلة الكبرى عند معظم المسلمبن في كل منطفة و ولاية لا تختلف كثيرا عما هى عند الفئات المعوزه و المحرومة، مثل المنبوذين عمليا في كل مكان، و الفئات بدون ملكيه الأرض فى جميع المناطق، و البراهمه المحرردين من الثروات في جنوب الهند.

و فى جو من التنافس فى اطار فله العمل و فرص التعليم، توجد لمجموعات الطبقات الاجتماعية العاليه المسيطرة من فئة الاكثرية، افضليه على نحو بين على البقيه، و خاصه على المسلمين الذين لا يملكون ثروه ماديه و لا رعايه سياسية و لا حتى قاعدة متينة للخبرة و المهاره.

و مما لا يمكن الانكار بأنه في كل نوع أساسي من أنواع المؤشرات الإجتماعيه - الاقتصاديه للتنمية - مثل الدخل الفردى و الثقافة و استهلاك الأغذيه و مستوى المعيشه و فرص العمل، و التسهيلات العلاجية و المرافق المدنيه وغيرها - فإن المسلمين معظمهم عند الدرجة السفلى من السلم. و حتى الطبقه المتوسطة و العليا من المسلمين، لها حصة

ضـئيلـة نسبيا في المؤسسات التعليمية العالية و العمل و المناصب ذات الاهمية القومية.

إن عـنـصـرا اجـتـمـاعـيـا و عاطفيا هام حذا مما يؤثر في القرارات الـسـيـاسـيـه للمسلمين المتكلمين بالاردوية و هو مستقبل لغتهم. إن عدد الـمـسـلـمـين فـي الـهـنـد فـي حين يصل إلى حوالى ١٠٠ مليون نسمة، فإن الناطقين بالأردوية كلغة الأم لهم ليس إلّا ٣٥,٣ مليون فقط. على هذا حتى ولـو اعتبرنا بأن الناس المتكلمين بالاردوية هم مسلمون فقط فان الأردوية لـيـسـت لـغـة الام لحوالى ثلثين من المسلمين في الهند. و لكن بالرغم من ذلـك الأردويـة هـي لـغـة الثقافة المشتركة و الشعر و الأدب الدينى الساحر و تـثـيـر ربـاطـا عاطفيا حتى عند المسلمين الذين ليست الأردوية لغة الأم لهم.

إن عددا كبيرا من الهنود، الهندوس و المسلمين و السيخ قلقلون على أن الأردوية كـانـت أكـبـر ضـحـية ثقافية وحيدة لتقسيم البلاد. فإنها ظلت آخـذة فـي الأنـحـطـاط طوال حياة جيل شهد نفوذ *اللغة الأردوية* كوسيلة مـجيدة للثقافة المشتركة و الفكر الفلسفى و الشعر البالغ الخيال و الأدب السياسى القوى و المناظره الدينية، و كوسيلة كاملة للتعليم العالى في كل فـروع الـمـعـرفة و كلغة القانون و الادارة عمليا. و كذلك كانت الأردوية لغة فـئـات و مـجـمـوعـات أخرى من الهندوس مثل كالستا، و ذلك فضل عن أن عـددا كـبيرا جدا من المسلمين في دلهي، و اترا براديش و مادهيا براديش، و راجـسـتـان، و بـيـهـار، و هـريـانـا و كـشـمير، و آندهرا براديش و بومبائي يـتـكلمون بالأردوية كلغة الأم لهم. و باقليم حيدر آباد السابق إنها كانت لغة رسـمـيـة لـحـوالى قرن تقريبا، و لمدة عقود كانت وسيلة التعليم في أجزاء

عـديـدة من الـبـلاد. و فـي الـبنجاب (بمافيها هريانا) و اترابراديش، و بيهار كـانـت تـستخدم على نحو واسع في المناطق الحضرية. و خلال الكفاح من أجـل التحرير الوطنى قد لعبت النشرات و الصحافة الأردوية دورا كبيرا في بناء رأى قومي مناضل.

٥ ـ تصور المسلمين الذاتي عن طائفتهم فى الهند:

من أجـل استيعاب الطبيعة المتميزة لنفسية المسلمبن في الهند قد يـكـون من الـمـنـاسـب الـشروع بتفهم بعض النواحى الخاصة لسيكلوجية الـنـخـبـة المسلمة التي هي، على كل حال شاذة و غريبة في التفكير و في الـواقـع مـتـعـذرة الـدفـاع عـنـهـا و لـكن مـع ذلك تبقى صورة لاستجاباتها و دوافـعـهـا و عن افـعـالـهـا و ردود افـعـالها. و النخبة المسلمة تتألف من شـرفـاء الـقـصـبات و العلماء و المدرسين و رجال الأعمال و ملاك الأراضى و الـضـبـاط في الجيش و الشرطة و الحكام في الخدمات المدنية و نـحـوهـم و هـم كـانـوا صـانـعـى الآراء و الـزعـماء المسيطربن على طائفتهم. إن أية دراسـة سـلـوكـيـة تـكـشـف أنـه من بين كل المكونات المتشعبة للمجتمع الـهـنـدى المبنية على الدين و الثقافية و اللغه، هناك طائفتان فقط (مهما كـان شـانـهـمـا من نـاحـيـة الـتـعداد) تكشفان وعيا موضوعيا لأفضليتهم الـجماعية، و بلاريب مماثلتان لعواطف الآريين الهنود، و المسلمين الهنود. الـهـندوس (كخلفاء للآريين الهنود الاصليين) في جانب، و النخبة المسلمة (الاشـراف) الـغـارقـة فـي أوهـامـهـا لـلـتوكيد الذاتي في جانب آخر و بذلك يقاومون تغييرات بنيوية هادفه إلى التمركز الاجمالي لنظام الحكم الهندي و حـيـاتـهـا الـقـوميه. و الأولى تشدد على الارتباط الطبقى، و الاخيرة على الـشـعـور الـطائفي الحاد. و هكذا نجد الطبقة و الطائفة شكلين تقليديين

أصبحا اليوم أكبر عائفين لعملية الديمقراطية المساواتية للتغيير الاجتماعي.

إن شعور المسلمين بالتفوق الناشيء عن ذكرياتهم الراسخة المتعمقة منذ سبعمائة سنة عن هيمنتهم في وديان الجنج ـ الهندية و في مناطق عديدة من الدكن، يساوى شعور الهندوسى بتفوقهم الطقوسى بتعليمهم العالى و الممتلكات العقارية و السلطة السياسية.

و من حيث التصور الذاتي قد اعتبر المسلمون انفسهم دائماً اكبر طائفة وحيدة منضبطة في نظام الحكم الهندي. و هذا الشعور مبنى على وعيتهم بتضامن الاخوة الإسلامية و نجانسهم المبنى على الدين، على عكس الانقسامات الواسعة للمجتمع الهندوسي إلى أجزاء مختلفة في نظم طائفية و طوائف فرعية لجماعة واحدة.

و إذا كان المنبوذون و القبائليون يعتبرون أناساً واقعين على الحدود الخارجية و حتى غير معترف بهم كمكونين للديانة الهندوسية، فالنسبة و التعداد المطلق للهندوس المنقسمين ليس أكبر من عدد السكان المسلمين الاجمالي. على كل حال أنه من الصحة القول بأن المسلمين لم يشعروا أبداً بأنهم اقلية مسكينة بل اعتبروا أنفسهم على الأقل جزءا كبيرا لنظام الحكم الهندي. و إن كان الهندوس فئة الأغلبية، فالمسلمون تصوروا أنفسهم بأنهم فئة أخرى ينبغى أن يعامل معهم على قدم المساواة حسب مساهمتهم التاريخية و الثقافية في صنع الهند. و هذا التصور الذاتى بأنهم فئة أخرى و لبسوا اقلية ينعكس فى نهج اقوالهم و مطالباتهم منذ قبل الاستقلال و مابعده.

على أي حال اعتبرت النخبة المسلمة نفسها نموذجا رائعا للثقافة الحضرية الممتازة في الهند و اعتزت دائما بأنماط خياطتها للأزياء السائدة و ماكولاتها اللذيذة المتنوعة و طريقة معيشتهما الرافية و المنبسطة و ضيافتها الملزمة و عاداتها و تقاليدها و آدابها المهذبة طبق قواعد الاتيكيت و فخامة تعسرها الإجتماعي ليس أقل من رعايتها و مساهمتها على مدى القرون في الموسيقى الكلاسيكيه و الرسوم المصغرة و فن الكتابة الجمبلة و حرفه الحياكة اليدوية و فن العمارة كمظهر لمساهمتها المتميزة في الحضارة الهندية و علامة الجودة و الاصالة لنفوقها إجتماعيا و ثقافيا كأكبر طائفة متقدمة في هيكل المحتمع الهندي.

كما افتخرت بسذاجه دينها و الطريمة المباشرة لعقيدتها التى حررتها على الاقل، نظريا، من الإنقسامات القبلية و الطبقية و الأساطير و الخرافات و المحرمات و الكهانه و الأمتعة و العادات المتواجدة في نظم المعتمدات الاخرى بأنماطها التوحيديه و انذاراتها الجلية المغطية كل نواحي الحياه الإجتماعية الظاهرة أكثر مباشرة و وضوحا و سذاجة و سهله العمل بها.

٦ ـ عملية بناء أمة فيدرالية :

شرعت الهند عملية عملاقه لبناء أمة فيدرالية. لأنها من حيث تنوعات إجتماعية ـ ثقافيه أكبر من بلد، و أعظم من أمة و أكثر من كونها دولة فقط بل إنها حضارة محددة العالم مع كل تنوعاتها. و إن قرونا من التعايش السلمى للعديد من طوائفها قد منحتها علامة متميزة للوحدة في

التنوع. ففي هذا السياق يجب أن نسمى الهند "أمة اتحادية" مع سمتها المتميزة لوحدة نظام الحكم و تعددية المجتمع. و في هذا النظام الديمقراطي الفيدرالي تبرز الهوية المسلمة.

إن المسلمين في الهند في مازق وحيدة ينهضون بانسجام لتطوير حقيقة الحياة السياسية الهندية.

إن أقلية كبيرة بهذا الحجم و عظيمة ثقافيا بهذا القدر مثل المسلمين في الهند مع قرون من تاريخ مشترك و تقاليد مشتركة تكون خلاقة و مسيطرة بشرط ان يلعب زعماؤها دورا ايجابيا و بناء في ديمقراطية علمانية هي بنفسها في طور التحديث و عندئذ الأصناف الشغّالة تتغير حتما. و بالتالي نقوم ثقافة سياسبة جديدة بإبعاد دور المجموعات المعادية إلى الخلف و تحل محله مجموعات ذات نفوذ وفقا للظروف و إنها ستكون بطبيعتها متعددة الطوائف في تكوينها و مشتركة في مطالباتها و مركبة في وجهة نظرها و مواجهة للأمر الواقع في سياساتها.

و في الهند الحديثة، يواجه المسلمون وضعا جديدا عقائديا و جذريا اجتماعيا. فقد استعرض زعيم مسلم كبير و هو رئيس الجمهورية الراحل الدكتور ذاكر حسين الوضع السياسي الأساسي الذي يواجهه المسلمون بقوله إن المسلمين كانوا في الماضي اما حكاما أو محكومين، و اليوم هم مشتركون في الحكم و أصحاب نصيب مشترك في السيادة القومية في البلاد. و في هذا التناظر يمكن أن يقال إن المشكلة أمام المسلم الهندي على المستوى القومي متشابهة للمشكلة الأساسية كمعيشة عالمية

بنفسها، يعني التعايش السلمي على مستوى الاشتراك و التبادل مع مجموعات و طوائف أخرى من الشعب و الاتحاد في المبادئ ذات الاهتمام المشترك مثل الديمقراطية و العلمانية و انتهاج العدالة الاجتماعية ـ الاقتصادية. و كملة متشتتة اجتماعيا و ثقافيا كما هي الملة الإسلامية في الهند على مستوى حمبع البلاد و كذلك الزيادة في التجزئة في صورة انقسامات في طبقات و مهن و فرق و ما إلى ذلك، إن واقع المسلم في الهند يجب أن يدرك على أساس ذي معنى أكثر كظاهرة متغايرة العناصر، لأن رابطة العقيدة تتواجد فقط على المستوى العاطفى و الروحى فقط و ليس في النواحي الاجتماعية ـ السياسية المحددة و لاسيما لو ذكر أحد في ضوء التنوعات المحلية للعادات الاجتماعية و قوانين الاحوال الشخصية و القصص التاريخيه و التقاليد عند المئات المسلمة (اضيف الجمع قصدا) في شبه القارة الهندية السائفة.

إن هوية مسلمة جديدة تنرر في كل اقليم و في كل منطقة لغوية، و في كل محموعة مهنية و في كل طبقة شعبية، استجابة للعملية الهائلة للتحول الإجتماعي ـ الاقتصادي الذي يحدث في هذه الأرض العريقة لنظام حديد. و إن العمليات المتواصلة للتحديث ـ التصنيع و التحضر و نشر التعليم العلمي العلماني و تطوير الاتصالات و استخدامات آلات زراعية حديثه و أساليب اداريه جديده للتجارة و الحرف و توسع فرص للعمل في المجالات المختلفه من النشاطات و ما إلى ذلك، قد وضعت اساسا لهند حديثة متغايرة مدعمه بالمساندة المستمرة للطبيعة الديمقراطية للسياسات مع كل سماتها الايجابية و السلبية و اخرجت مجتمعا جديدا مابعد الاقطاعية إلى حيز الوجود، و تكافح من أجل خلق رابطة جديدة

لعلاقة بشرية مبنية على حق التصويت على أساس البالغين و المواطنة المشتركة، و القوانين المتساوية و السيادة البرلمانية و سيادة السياسة الحاسمة للمصوتين متخطية كل خطوط الدين و اللغة و المنطقة و الجنس و المهنة و الأيدولوجيا.

في الوقت الحاضر، المسلم العادي الذي يسكن في المناطق الحضرية أو في الارياف مختلف عن أجداده الذين كانوا قبل الاستقلال. لأنه يواجه تأثيرات شديدة من قبل الصحافة و وسائل الاعلام الاليكترونية كبقية المواطنين كما هو يتأثر بنفس الطريقة بمنظمته المهنية الخاصة به.

و كذلك المسلم العادي اليوم متورط في التعبئة السياسية، و الاشتراك في كل الأحزاب السياسية مغطيا المنظور الثقافي السياسي للهند بأسرها، ابتدأ من اليمين مارا بالوسط و انتهاء إلى اليسار. و قد لعب المسلمون في كل الأحزاب القومية الكبرى دورا ممتازا. و ليس من الصحيح القول بأن مجموعة ضخمة من المسلمين منحازة سياسيا نحو حزب اسلامى خاص، أو مجموعة بعينها. و كذلك من الخطأ الظن بأن هناك شيء بسمى بـ "الكتلة المسلمة" للصوت على مستوى جميع الهند، و هناك سماسرة ينظمون أصواب المسلمين، و بنوك أصوات تغطى المسلمين في بعض الدوائر الانتخابية، كما هنا بنوك أصوات تغطى فرقا أخرى. الحقيقة أن اغلبية أصوات المسلمين تكشف استقلالا ملحوظا في القرارات و شعورا بالتمييز العلماني. فقد برهنت ذلك الدراسات الانتخابية على مدى السنين بطريقة مقنعة.

و عـمـلـيـا فـي كـل نـاحية من نواحي الحياة، قد حدث أن كان بعض الـهـنـود الـبـارزين فـي الـعصور المعاصرة من المسلمين: من بين العلماء و الـفـنـيـين و الـمـهـنـدسـين الـمـعـماريبن و المطربين و مؤلفى الروايات الـمـسـرحـبـه، و الـمـمـثـلـدن و الـصـحـافـيين و الناشرين و رجال الاعلام و الـتـربـوبـدن و الـتـعـلـيميبن و الايكاديميين و رجال القانون و المحاميين و الاداريـين و خـبـراء الـصـنـاعـات و الاطـبـاء و الـمـهندسين و الموظفين الـمـدنـبـين و الـدبـلوماسيين و الضباط في قوات الدفاع و اعضاء البرلمان و الـمـجـالـس الـنـشريعية في الولايات و السياسيين و العمال الاجتماعيين و القضاة و قاضي المضاة و نواب رئبس الجمهورية و رؤساء الجمهورية.

إلاّ إنـهـم أـيـضـاً مـثـل المئات الأخرى - الدينية و اللغوية و الاقليمية يـمـرون فـي حـيـاتـهـم الجماعيه بمرحلة الانتقال الذي يتعرض فيه بعض افـتـراضـات حـياتهم الماضية للتحدى و التعديل. و اشكال جديدة لهويتهم بتشكل

عـلـى أي حـال، الـبـحث عن هوية مسلمة موحدة على مستوى جميع الـهـند، بحث عن سيء وهمى و محاولة للبحث في الغموض لو لم يكن عبثاً تماماً كما هو الحال فيما يتعلق بالهندوس. لأنه ليس هناك شيء مكرر على نحو لا يـتـغـيـر لا عـنـد الـمسلمين و لا عند الهندوس. فهم متنوعون على مـسـتـوى الـقـارة، إلـى حـد لا يمكن جعلهم شيئا يتكرر بطريقة متواصلة لـلـوضـعـه نـفـسـهـا. الـمـسلمون، مثل الهندوس، لكونهم متعددى الأقاليم و متعددى اللغات و متعددى الفرق و متعددى المهن هناك تنوعات كثيرة في هـويتهم. إن طائفية الإسلام، مثل طائفية كون شيء هنديا، لا توفر إلاّ بعدا واحـدا و مـره واحدة و سمة واحدة في بناء هوية. و نؤكد مرة أخرى بعبارة

ادق، بأن هناك طوائف مسلمة (الجمع) و ليست هناك طائفة واحدة (واحدة) في الهند. و هذه الطوائف المنتشرة في طول البلاد و عرضها، لها مواصفات و ميزات و تجانسات و تشابهات مع الفئات الدينية الأخرى التي تساهم في بناء هوياتهم المحددة.

ففي سبيل بناء أمة علمانية ـ فيدرالية في الهند، على المسلمين أن يلعبوا دوراً مشروعاً في ترسيخ الأسس ـ الديمقراطية العلمانية الجديدة. و في هذا الصدد تبدو وجهتان معقولتين بنائتين، و هما مع الآخرين في المجالات الجديدة لبناء أمة فيدرالية ـ اقتصادية و اجتماعية و ثقافية، و لكن بحماسة أكبر في سياسات الاجماع القومي، و (ثانيا) تنمية جماعات ـ ضاغطة حماية لمصالحهم و تحقيقا للقضايا الاجتماعية ـ الثقافية المحددة و أغلبها على مستويات الولايات و الدوائر المحلية و لكن ليس على غرار طائفي أبدا و إنما كمجموعات ـ ضاغطة مشتركة متضمنة هنودا كمواطنين دون النظر إلى الطائفة و العقيدة، و بدون شك كأبناء البلد المنتمين إلى الاخوة المشتركة الهندية المعددة الأديان.

و هكذا هناك ضرورة لتنمية هوية مسلمة جديدة في الهند المعاصرة، تمشيا مع التعاليم الإنسانية الإسلامية و استجابة للتحديات في طريق بناء هند حديثة على أسس قيم نظام الحكم الديمقراطي العلماني و الأمة الفيدرالية و العدالة الاجتماعية.

تعريب : د/ شميم الحسن امانة الله

❖❖

"صفحات مجهولة من تاريخ الصحافة المصرية:
تجربة الصحافة الهندية في مصر"
صحيفة "اسلامى دنيا"

بقلم : د/جلال السعيد الحفناوي*

أولاً: النشأة :

فـي عـام ١٩٢٩م صدر في القاهرة أول جريدة أردية أسبوعية مصورة و كـان الـمسئول عن هذه الجريدة و رئيس تحريرها محمود أحمد عرفاني. و طـبـقاً لما صرح به عرفاني فإن الهدف من مجيئه إلى القاهرة هو رغبته فـي تـعـريـف الـعالم الاسلامي بمسلمى الهند عن طريق هذه الجريدة، و قد تـولـى عـرفانى رئاسة تحرير هذه الجريدة، بينما تولى أخوه الأصغر محمد عـرفـانـى مـنـصـب مـديـر الـجريدة و المسئول عنها و عن طباعتها. و كان مـقـرهـا ١٤١ شـارع مـحـمـد عـلـي. و قـام عرفاني إلى جانب إصدار جريدة "اسـلامى دنيا" بافتتاح مؤسسة تجارية اسمها "بيت الهند" حتى يستطيع عن طـريـق هـده الـمؤسسه التجارية الانفاق على جريدته و تنشيط التبادل التجاري بين مصر و الهند.

و قـد عـرفـت معلومات كثيرة عن عرفاني هذا من شخصيات هندية هـاجرت من الهند منذ أكثر من نصف قرن و استقرت بمصر و حصلت على الـجـنـسـيـة الـمـصـريـة و مـارست أنشطة تجارية مختلفة خاصة تجارة البهارات التي اشتهرت بها الهـنـد، بل أن نابليون بونابرت عـنـــد ما جاء إلى

* كاتب هذا المقال مدرس اللغة الأردية - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر

مصر ليحتلها كانت للسيطرة على تجارة البهارات الهندية من أهم الأهداف التي كان يرمي إليها. إلا أن هذه المعلومات لبست كافية للحكم على هذه الجريدة، لذا لم يكن أمامي مفر من الرجوع إلى الاعداد القليلة التي تحت يدي و عمل تحليل مضمون لها لكى أستطيع من خلاله استقاء بعض المعلومات الخاصة بهذه الجريدة و صاحبها.

و عندما قمت بتحليل هذه الاعداد وجدتها على النحو التالي: من العدد الثالث حتى العدد التاسع، ثم الحادي عشر و الرابع عشر و الخامس عشر و بعد ذلك من العدد السابع عشر حتى العدد العشرين. و قد صدر العدد الأول من هذه الجريدة في ١١/مايو ١٩٢٩م، و قد ورد هذا التاريخ أيضاً في جريدة أردية هي "نظام كزت" بحيدر آباد الدكن. و تحتوي جريدة "اسلامى دنيا" على ١٨ صفحة في حين أن الأعداد الأخيرة من هذه الجريدة قد احتوت على ١٦ صفحة، و قد استعمل في طباعتها الخط العربي النسخ مع تغييرات طفيفة لظهور بعض الحروف مثل پ،چ،گ،ژ،ٹ،ڈ،ڑ و هي حروف تتفق و طبيعة الأبجدية الأردية.

و طبعت الجريدة على ورق خفيف ناعم الملمس يميل إلى اللون الاصفر و قد جاء في النصف الاعلى من الصفحة الأولى دائرتان توضحان الكرة الأرضية مكتوبة عليهما إسم الجريدة "اسلامى دنيا" اى العالم الإسلامي بخط النستعليق و يوجد فوق هذا الاسم المصرع الثاني من البيت الأول من قصيدة محمد اقبال المشهورة "ترانه ملى" اى "النشيد الوطنى" "نحن مسلمون و العالم كله وطننا".

ثانياً : سياسة تحرير الجريدة و توجهاتها السياسية :

بسبب ضياع العددين الأول و الثاني من هذه الجريدة لم نستطع أن نتعرف بدقة على الأسباب الخاصة بإصدار هذه الجريدة و لكننا نستطيع أن نستخلص توجهات هذه الجريدة من خلال الاعلانات و نداءات محمود عرفانى في جريدته لحث مواطنبه على شراء هذه الجريدة و هذه النداءات تلقى بعض الضوء على أهداف هذه الجريدة. فتحت عنوان : لماذا ينبغى شراء جريدة "العالم الإسلامي" الذي نشر في الصفحة الأولى من العدد السادس جاء ما يلي : ـ

١ ـ لأن هذه الحريده هي الجريدة الأردية (الهندية) الوحيدة التي تصدر في مصر.

٢ ـ لأنها الجريدة الأربية الوحيدة التى تنشر سبعة صور على الأقل في كل عدد من أعدادها للأماكن المقدسه في التاريخ الإسلامي و للملوك و الأحداث الإسلاميه.

٣ ـ هي الجريدة الوحيدة التي تضطلع بمسئولية نشر أحداث الدول الإسلامنه.

٤ ـ هي الجربدة التي بقوم بمهمة عظيمه و هدف سام للتعريف بين المسلمبن.

٥ ـ و هي كذلك الجربدة الوحيدة التي تنشر موضوعات كتبها كبار الكتاب العرب للهنود بشكل خاص.

٦ ـ أكبر أهداف هذه الجريدة هو الترويج لفكرة الوحدة الإسلامية.

و فـي الـعـدد الـرابـع عـشر يقول عرفانى:"أنه من بين أهداف إصدار جـريـدة الـعـالـم الإسـلامـي في القاهرة نشر الوعي بين المسلمين و القاء الـضـوء عـلى الشعور القومي لمسلمى الهند و محاولة التقريب بينهم و بين الـعالم الإسلامي بالرغم من البعد المكاني و أنا لا أجد حرجاً في ان أقول أن إصدار جريدة باللغة الأردية في دولة عربية تعد أكبر خدمة للغة الأردية".

ثالثاً : موقف الاستعمار الانجليزي و ضغوطه على الجريدة :

حـاول عـرفـانى جاهداً المحافظة على استمرار إصدار جريدته رغم المشاكل و العقبات التي واجهتها من طرف الحكومة الانجليزية من ناحية و من مـواطـنـيـه من جـانـب آخر. يقول في العدد السابع عشر تحت عنوان "جـهـودنا من أجل استمرار إصدار جريدة اسلامى دنيا": ليعلم قراء جريدة "اسـلامـى دنـيـا" انـنـى بإصدار هذه الجريدة أقدمت على مخاطرة كبيرة، فـالـصـحـف تـصـدر و تـتـوقـف فـى الـهـند و يحاول أصحابها الابقاء عليها و يـفـشـلـون في معظم الأحيان. و قد جئت إلى هنا (القاهرة) بعد أن تركت أصـدقـائى و أقاربى و ابتعدت آلاف الأميال و تحملت مصاعب الغربة عندما وضـعـت أقـدامـي عـلـى أرض جـديـدة و مـا أن جـئـت إلى هنا و الحكومة الانـجليزية تنظر إليّ بعين الشك و الريبة و من ناحية أخرى بدأ بعض أبناء وطـني يهاجمون أهدافى، لكننى سوف ألتزم الصمت تجاه الطرفين و سوف أترك الأحداث تكشف عن نفسها بنفسها.

رابعاً: الفن المطبعى فى جريدة "اسلامى دنيا":

طبعت جريدة "اسلامى دنيا" على آلة طبع عربية و يحدد عرفانى أن ذلـك يـرجـع إلـى سـبـبين، الأول: عدم وجود إدارة للطباعة الحجرية خاصة

بـالـلـغـة الأرديـة. و الثاني: أنه لا يمكن طبع الجريدة بالحروف العربية دون تعديل لبعض حروفها، و لهذا رضينا بهذا الوضع مضطرين.

ففى البداية عانى عرفانى كثيراً فى طباعة جريدته و تردد على أكثر من مـطـبـعـة إلى أن استأجر مطبعة و قام باعداد بعض الحروف الخاصة بـالـلـغـة الأردية، و في نهاية الأمر اشترى مطبعة خاصة به ربما تكون هى نفس المطبعه التي طبع عليها فى البداية و هى مطبعة "حليم بك".

و قد نشأ عن طباعة جريدة "اسلامى دنيا" بآلة طباعة عربية أخطاء عـديـدة نـوه عـنـهـا عـرفـانـى كثيراً و قد حصل عرفانى كذلك على تصريح بإصدار طبعة عربية من جريدته باسم "العالم الإسلامي".

و من الـمـلاحـظ أن عـرفانى لم يذكر عدد النسخ التى يصدرها، و قد وضـع تـرويـه الـجـريـده فـى الـصـفحة الثانية من كل عدد أو في الصفحة الأخـيـره و الـتى ذكر من بينها أن تاريخ إصدار الجريدة هو ٧ و ١٤ و ٢١ و ٢٨ من كـل شـهـر و أن بدل الاشتراك السنوى هو ١٠ روبيات (العملة الهندية) مع ارسال حواله بريديه بثلاث روبيات ثم يذكر عنوان المراسلة: (اسلامى دنيا ـ قاهره ـ مصر).

خامساً: موقف السلطه من الصحافه فى تلك الفترة:

فـى الـبـدايه حصل عرفانى على تصريح بإصدار جريدة غير سياسية و فى العدد التاسع عشر حصل على تصريح بأن تكون جريده سياسية، يقول عـلـى حـريـه الـصـحـافه آنذاك: "فى مصر رقابه صارمة جداً على الصحف الـسـيـاسـيـه إلاّ أنـهـا تـتـمتع بامتيازات عديده فقد وفرت لها الحكومة كل الـتـسهيلات الممكنه مثل تذاكر السفر بالقطار و التليفون و أوراق الطباعة وغيرها"

سادساً: علاقة الجريدة بقرائها:

كان معظم قراء "اسلامى دنيا" فى المدن الكبرى فى الهند مثل: حيدرآباد الدكن و بهوبال و راولبندى. و قد قام عرفانى بنشر عدة نداءات في الصحف و المجلات التي كان يصدرها مسلمو الهند مثل : انقلاب و سياست و مدينه و خلافت و همت و حقيقت و سح و رهبر دكن و صحيفة و زميندار و الأمان يطلب منهم العون المادي الذي يساعده في استمرار إصدار جريدته.

و بعد ذكر التفاصيل الخاصه باصدار الجريده و طريقة اخراجها ينبغى علينا أن نحدد مكانة هذه الجريدة من خلال تحليل مضمون الموضوعات التى تناولتها. و كما يتضح من الجريدة فإن أهدافها كانت محصورة فى تعريف مسلمى الهند بشخصيات العالم الإسلامي العظيمه و اطلاعهم على الأحداث التى تجرى فى العالم الاسلامي.

و بعد دراسه هذه الجريدة بشكل جيد و تحليل مضمونها يتضح لنا أن محمود عرفانى قام بجهد كبير فى كتابة معظم موضوعاتها بنفسه سواء كانت مترجمة أو من بنات أفكاره و في هذه المقالات التى تسمى "المقالات الافتتاحيه" تناول حالة المسلمين السيئه و انحطاطهم السياسي و الاجتماعى و الدينى و فى بعض الموضوعات يقدم وصفاً تفصيلياً لمشاهداته و سياحته فى دول عربية و غير عربية مثل : العراق و تركيا و بلجراد، كما كان يقوم بترجمه بعض الموضوعات من الصحف الأخرى و ينشرها فى جريدته.

سابعاً : الفن الصحفى في جريدة "اسلامى دنيا":

أولاً : الاحاديث الصحفية:

قام عرفانى بإجراء عدة أحاديث صحفية مع شخصيات هامة إلتقى بها مثل ذكر ملوك العالم الإسلامي تحت عنوان: "ملوك الإسلام" فذكر منهم: الملك عبد العزيز بن سعود و الملك نادر شاه ملك افغانستان و الشريف عبد اللّه أمير شرق الأردن و رضا شاه بهلوى شاه إيران و الملك فؤاد الاول ملك مصر و ولى عهد نجد و الحجاز الأمير فيصل و الأمير فاروق ولي عهد مصر و من بين الشخصيات الهامة التي ذكرها عرفانى في جريدته "اسلامى دنيا" يذكر سيد عثمان بن أبي بكر و ابنه سيد إبراهيم عثمان من المغرب و المصور المصرى الشهير رياض شحاته آفندى و مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الوفد المصرى و الدكتور عبد الرحمن شاه بندر سياسى سورى و أحمد حامد عطية الصراف مدير المطبوعات العراقي و عبد الرحمن قاسم جميل الأزهري مدير مدرسة كيب تاون في جنوب افريقيا. كما نشر عرفانى موضوعاً عن الأمير عبد الكريم بطل الريف المغربى نقلاً عن مجلة روز اليوسف المصرية.

و قد قام عرفانى بإجراء عدة مقابلات مع شخصيات شهيرة مثل: محمد علي باشا وزير الأوقاف السابق و النقراشي باشا وزير المواصلات في حكومة النحاس و معالي سميعى خان سفير إيران في مصر.

و ما كتبه عرفانى عن الملوك و الشخصيات الهامة كان يخلو من الجانب النقدى و الجملة السياسية لأنه كان يحاول قدر الامكان تقديم محاسن الشخصية و أهم أعمالها.

ثانياً : التقارير الاخبارية:

نشرت جريدة "اسلامى دنيا" عدة تقارير أخبارية كان أهمها و اكثرها تفصيلاً عن جنازة مولانا محمد علي جوهر و هو ثائر هندي و مجاهد شهير ضد الاستعمار الانجليزي و يشبه دوره في الهند دور مصطفى كامل في مصر و ذلك عندما وصلت جنازته إلى مصر في طريقها إلى القدس، لقد وصل خبر وفاة المرحوم محمد علي جوهر إلى القاهرة في ٦ يناير ١٩٣١م و قد وصل جثمانه إلى بورسعيد بالباخرة في ٢١ يناير ١٩٣١م و منها إلى القدس بالقطار حيث أودع الثرى هناك و لم ينشر هذا التقرير الاخبارى في حينه بل نشر في ٧ فبراير ١٩٣١م و قد شارك عرفانى هو و أنصار مولانا محمد علي جوهر في تشييع جنازته و لهذا فإن التقرير حى و مبنى على المشاهدة الشخصية و لهذا فان له أهمية كبيرة في الفن الصحفى.

و في تقرير إخباري آخر ذكر عرفاني حادثة تحطم سفينة باسم "آسيا" كانت تقل الحجيج.

ثالثاً : الكتاب المساهمون في تحرير الجريدة:

١ ـ الكُتاب الهنود:

من اللافت للنظر عند قرأة أعداد جريدة "اسلامى دنيا" قلة عدد الكُتاب الهنود، لذا كان عرفانى يوجه نداءً في الجريدة من عدد إلى آخر يحث فيه الكُتّاب و الشعراء و الأدباء للمشاركة في تحرير جريدته. فأرسل له عبد الحق شوق قصيدة بعنوان "نوحه مسلم" اى أنين مسلم و ارسل له سيد جيلانى مدير تحرير جريدة "رهنما" اى المرشد التي كانت تصدر في

راولـبـنـدي قـصـيـدة بـعنوان "خُلق رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم" فنشر الأولى في العدد الرابع و الثانية في العدد السابع عشر. و في ذلك الوقت كان الاديـب الـهـنـدي الـشهير مولانا غلام سرور مقيماً في مصر فكتب تحقيقاً شـامـلاً بعنوان "الطلاب الهنود و الجامعات المصرية" و قد نشر في عددين الـثـامن و الـتاسع فكان تاريخاً للجامعات المصرية في ذلك العهد. ثم كتب موضوعاً آخراً عن الشيخ محمد عبده.

٢ ـ الكُتّاب المصريون و العرب:

أما الكُتاب المصريون و العرب الذين كتبوا فى جريدة "اسلامى دنيا" بـشـكل خاص فكانت موضوعاتهم تترجم من العربيه إلى الأرديه و هم كما يلي:-

ا ـ الاستاذ محمد عزيز و قد كتب عن المسلمين فى روسيا.

ب ـ سيد غنيم التفتازانى و كتب تحت موضوع "الطرق الصوفية فى مـصـر" و قد ترجمه عرفانى و نشره فى "اسلامى دنيا" فى العددين الثامن عشر و التاسع عشر بنفس العنوان العربى.

جـ ـ سـيـد عـثـمـان أبـوبـكـر الـمـراكشى من المغرب و قام عرفانى بترجمة موضوعه "المسلمون فى المغرب" إلى الأرديه و نشره.

د ـ فـتح اللّه عبد المسيح و كان هذا الصحفى المصرى قد سافر إلى الـهـنـد لـبـحـث أحوال المصريين هناك فقام عرفانى بنشر مشاهداته فى الهند فى عددين بعنوان "الهند فى عيون صحفى مصرى".

هـ - نشر عرفانى قصيدتين لشاعرين عربيين، الأولى للشاعر المصرى الشهير الصاوى شعلان الذي اشتهر في العالم الاسلامى بأنه مترجم أشعار محمد إقبال إلى العربية و منها أغنية أم كلثوم "حديث الروح" الذى ترجمها عن قصيدتى "شكوه" و " جواب شكوه". و فى قصيدته مدح الصاوى شعلان محمود عرفانى و جريدته "اسلامى دنيا" و هذه القصيدة تعطى أهمية عظيمة لهذه الجريدة كمايلي:

"اسلامى دنيا" فى ذرى الاسلام كشفت نور الحق بعد الظـلام

أنوارهـا بالمشرقين تكلمـــت و جلت غموض الشك والابهـام

رفعت لتحرير الشعوب لواءهــا و رهب بسر محبه و وئــام

و جرت بالمكرمـــات سطوره مجرى المنى فى رائق الأحلام

هندية مصريـــة شرقيـــة دبنبـــه الأركان و الأعـــلام

بنيان عرفانى أنار ببانهـــا و جهـاد محمود فتى الإقـدام

و ينهى قصيدته بقوله :

اسلامى دنيا بالسعادة اقبلت و سعـــادة الدنيـا من الاسلام

و القصيده الثانيه قصيده من نظم المؤلف و المؤرخ السورى الشهير خير الدين الزركلى و قد نظم هذه القصيدة متأثراً بوفاة مولانا محمد على جوهر المجاهد الهندى الشهير و قد نشر عرفانى هاتين القصيدتين بدون ترجمة. و بعد ذلك نشرت جريدة "اسلامى دنيا" قصيدة عربية أخرى للشاعر المصرى أبو الوفا محمود رمزي.

٣ ـ طلاب البعثات في مصر :

و قـد قـام الطلاب الهنود المتميزون الذين يدرسون في جامعات مصر بكتابة بعض الموضوعات في جريدة "اسلامى دنيا" و منهم : ـ

ا ـ خـواجـه قطب الدين و كان يدرس في جامعة فؤاد الأول (القاهرة) على منحة من إمارة حيدر آباد الدكن.

ب ـ مولانا صديق البنارسى و كان يدرس في الأزهر.

حـ ـ مـجـيب الرحمن البنغالى و كان يدرس في الأزهر و ينظم الشعر بالعربيه.

ثامناً : الإعلانات فى جريدة "اسلامى دنيا" :

لاشـك أن الإعـلانـات تمثل عنصراً هاماً في نجاح الصحف و لهذا فإن جـريدة "اسلامى دنيا" سعت سعياً حثيثاً للحصول على امتيازات الاعلانات و لـهـذا خـصـص الـصـفـحه الأخيرة من الصحيفة للإعلانات فكان أهمها اعـلان عن "الـمؤسسة الحكومية لسكك حديد العراق" و "الغرفه التجارية الـحـكـومـيـه فـي بـومـباي" و إعلان من جمعيه نشر الاسلام في حيدر آباد الـدكن يـعـلن عن تـوزيع سيرة النبى صلى اللّه عليه وسلم مجاناً لمن يريد. و كـان الـسـيد عرفانى يريد أن يصدر عدداً خاصاً من جريدته عن فلسطين أعـلن عـنـه فـى الغلاف الداخلى من العدد التاسع لجريدته. كما نشر إعلان عن مؤسسته التجاريه "بيت الهند". كما قام بنشر إعلان في بعض الأعداد يـطـلـب فيه الحصول على امتياز الاعلان في جريدته. و قد جاءت فيه هذه العباره : "الإعلان في جريدة "اسلامى دنيا مفتاح النجاح في العالم".

تاسعاً : اللغة المستخدمة في جريدة "اسلامى دنيا" :

هـذه الجريدة كانت تكتب باللغة الاردية و ساهمت بطريقة او بأخرى في إدخال كلمات عربية كثيرة في اللغة الأردية كما يلي : ـ

١ ـ بالنسبة لأسماء الدول استعملت الجريدة الأسماء التي تستعمل فى اللغة العربية مثل : فرنسا، تركيا، المانيا بدلاً من فرانسى و تركى و جرمنى.

٢ ـ استعملت "اسلامى دنيا" الألقاب و المناصب الحكومية دون ترجمة مثل : ياور ـ جلالة الملك ـ معالى ـ حضرة صاحب الفضيلة سمو الأمير ـ وزير المالية ـ عميد ـ رئيس الوزراء و رئيس التحرير.

٣ ـ استخدم عرفانى بعض التراكيب و الكلمات العربية الجديدة التي يصعب على القارئ العادي فهمها مثل : شماتت الاعداء و الفقيد العظيم مغفور له و فرنساوى احتلال و الاقطار الاسلامية و وفد جمعية الأمم المتحدة و الشيوخ (اعضاء البرلمان) و قانون الطيران و تمثال (مجسمة) و عمود (ستون).

و بعد هذه الدراسة التفصيلية للجريدة يمكننا القول أن جريدة محمود عرفانى "اسلامى دنيا" الأسبوعية المصورة تعد أول جريدة أردية بالمعنى لصحيح لهذه الكلمه كما أنها أول جريدة هندية تصدر خارج الهند باللغة الأردية فـي تلك الحقبة الزمنيه و كانت حلقه وصل في العلاقات المصريه الهندية في بداية هذا القرن.

❖❖

جبران خليل جبران:
قضايا دينية اجتماعية في أدبه القصصي

بقلم : البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي
قسم اللغة العربية و آدابها
الجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي

جبران خليل جبران (١٨٨٣ ـ ١٩٣١م) الأديب، القاصّ، الشاعر، المصور، من أركان النهضة الأدبيه الحديثة في المهجر الشمالي الأمريكي و رئيس الرابطة القلمية في نيويورك منذ تأسيسها بنفسه عام ١٩٢٠م و حتى حين وفاته. أدارها بنشاط، إلى جانب اشتغاله في تأليف الكتب و مشاركته في الندوات و مساهماته فى مجله الفنون و جريدتي "السائح و المهاجر". برع في فن التصوير، و تصاويره موجوده في متحف جبران اللبناني القومي، بمسقط رأسه في قرية بشرى، و التي غادرها إلى أمريكا مع عائلته المسيحية سنه ١٨٩٤م حيث قضى ثلاث سنوات، ثم عاد إلى بيروت فالتحق بمدرسة الحكمه حيث درس اللغة العربيه و مبادئ الفرنسية. و فى سنة ١٩٠٢م رافق عائلة أمريكية في رحلة طويلة فى الشرق و الغرب، ثم عاد إلى بوسطن حيث قضى فترة من حياته امتدت حتى سنه ١٩٠٨م ثم أبحر إلى فرنسا ليدرس الفن و يتصل بمشاهير رجاله ثم عاد إلى نيويورك و انصرف إلى الكتابه و الرسم و عكف على دراسة اللغة الانجليزية حتى أتقنها و صار يجيد الكتابة فيها، و قد أنتج في العربية و الانجليزية إنتاجا

ضخما في المقالات، و الخواطر، و المقطعات الحكيمة و الروائع البيانية و الشعر و القصة و مؤلفاته الشهيرة تشمل : "كتاب الموسيقى، عرائس المروج، الأرواح المتمردة، الأجنحة المتكسرة، دمعة و ابتسامة، المواكب، العواصف، البدائع و الطرائف، النبي، مناهل الأدب، يسوع بن الإنسان، و آلهة الأرض".

تجوّل جبران كثيرا و استقى من منابع الشرق و الغرب حاملا في طيات نفسه تقاليد بلاده البالية و عاداتها الاجتماعية المتأخرة و اختبر نوعا جديدا من الحياة فتولد في نفسه صراع بين القديم و الجديد و بين التخلف و المدنية حتى ثارت في نفسه ثورة عارمة على تقاليد بلاده و عاداتها و نظمها فاتخذ القصة أداة لتفريغ ما في نفسه من العواطف، و وسيلة لمحاربة آفات مجتمعه القديم على ضوء ما اختبره في مجتمعه الجديد من ألوان الرقي و الانعتاق، فتقدم إلى القصة و كتبها مستوحيا بطبيعته الشاعرية و طبيعته الإصلاحية الثائرة(١). نشرت له المجموعتان القصصيتان : "عرائس المروج و الأرواح المتمردة". و تضم عرائس المروج ثلاث قصص، هي على التوالي:

١ ـ رماد الأجيال و النار الخالدة

٢ ـ مرتا البانية

٣ ـ يوحنا المجنون

أما "الأرواح المتمردة" فإنها تتكون من أربع قصص تالية:

١ ـ وردة الهاني

٢ ـ صراخ القبور

٣ ـ مضجع العروس

٤ ـ خليل الكافر

بالإضافة إلى ذلك فإنه ألف رواية و هي : "الأجنحة المتكسرة" كأول محاولة و آخر مغامرة له في الفن الروائي. و يستطيع الدارس أن يجد في أغلب القضايا التي أثارتها المجموعتان قضيتين هامتين و هما موقف رجال الديانة المسيحية من الشعب و وضع المرأة الشرقية و ثورة جبران عليهما فإنه نصير دائم للمرأة البائسة المسحوقة في مجتمع لا يعرف منها غير لذائذ جسدها، و هو عدو لدود لرجال الدين الذين يكنزون الذهب و الفضة على حساب الأرواح البريئة و الأجساد المتعبة في رمضاء الأرض(٢). و لذلك عندما ظهرت مجموعته الأرواح المتمردة، هاجمها رجال من الكنيسة متحمسون، و حرقوا نسخها في أسواق بيروت، و عدوا الكتاب خطرا و ثوريا و مسمّما للشباب(٣).

و هكذا في الأجنحة المتكسرة أيضا، يقف جبران أمام التسلط الديني المسيحي مدافعا عن الشعب فلا يصور حاكما عادلا أو كاهنا تقيا أو راهبا في قلبه شيء من الإيمان و الشفقة. و فيما يلي قضايا سنية اجتماعية تتجلى من خلال تجارب جبران المصصبة:

١ ـ عقيدة تناسخ الأرواح و خلود الحب :

الأقصوصة الأولى في مجموعة جبران الأولى "عرائس المروج"(١٩٠٦) هي "رماد الأجيال و النار الخالدة" و تتسم بميسم الطبيعة الشاعرية الممتازة.

و هي تروي قصة ناثان بن حيرام، أحد كهنة هيكل بعلبك في سنة ١١٦ قبل الميلاد، مع حبيبته التي اختطفها الموت منه، فخلفته تائها في البرية البعيدة هائما مع أسراب الغزلان.

و لكن الأجيال التي تمر و تسحق أعمال الإنسان لا تفني أحلامه و لا تضعف عواطفه فالأحلام و العواطف تبقى ببقاء الروح الكلي الخالد و قد

تـتـوارى حينا و تهجع آونة متشبهة بالشمس عند مجيء الليل و بالقمر عند مـجـيء الـصـبـاح. لـذلـك يبعث جبران العاشقين ثانية في ربيع سنة ١٨٩٠م لـمـجـيء يـسـوع الـناصري، و يعودان ليلتقيا ثانية في بعلبك، و لكن بعد أن أمـسـت أطـلالا خـربـة، و رسـوما دوارس. يعود الكاهن فيتقمص روح علي الـحـسيني، و هو بدوي من رعاة البقر الذين كانوا يخيمون في سهول بعلبك فـي ذلـك الـوقـت، و تتقمص هي روح فتاة قروية يلتقي بها علي عند حافة جـدول جـاءت لـتـمـلأ مـنـه جـرتـهـا لقاء حبيب لحبيبه، و يعتنقان اعتناق عاشقين أضناهما الفراق.

و أخيراً "تعانق الحبيبان و شربا من خمرة القبل حتى سكرا و نام كل مـنـهـمـا مـلـتـفـا بـذراعـى الآخـر، إلـى أن مـال الـظل و أيقظتهما حرارة الشمس"(٤).

هـذه خـلاصـة الأقـصـوصـة، و إنـه لمن الجور على هذا الفن و على الـكـاتـب أن يـدعـو هـذه التخيلات الشعرية الجامعة أقصوصة، فما كانت غـاية المؤلف من ورائها أن تكون أقصوصة، بل كتبها لتحمل للناس عقيدة تـناسخ الأرواح و خلود الحب(٥). و قد وجد جبران في هذا العرض التخيلي لـهـذه العقيدة القديمة منفذا لآرائه و مشاعره، فتحدث عن الحب و سحره و جـمـالـه و سـلـطـانه، و تغنى بجمال الطبيعة و تغلغل إلى أعماق الحياة و حـقـق مثله الفنية، فقدم لنا من فنون التشابيه و ألوان الصور، كل مبتكر و طـريـف. و يـبـدو من خلال ذلك تأثر صاحبنا القصاص المسيحي المتحرر بـالديانتين الهندوسية و البوذية و الفلسفات الصوفية القائلة بوحدة الوجود و تناسخ الأرواح.

٢ ـ ثورة على عبث رجال الديانة المسيحية:

"يوحنا المجنون" قصة ثالثة لجبران في مجموعته القصصية "عرائس المروج".

و هي تروي قصة راع اسمه يوحنا اعتدت عجوله على حقول دير اليشاع، فاحتجزها الرهبان حتى يعوض صاحبها على الدير ما رعته من حقوله. و لكن الراعي الفقير كان أعجز من أن يفعل ذلك، و لذا حاول أن يستردها دون تعويض. فأبى الرهبان عليه ذلك. فانفجر أمامهم بخطبة أظهر لهم فيها حدود الدين، و وضح مراميه السامية و لكن كل ذلك لم يجده نفعا، و لم يفكه من إساره سوى قلادة أمه التي وهبتها إياها أمها يوم زواجها.

و لكن قصة يوحنا مع الرهبان لم تنته بعد عند هذا الحد، بل نراه يقف أمامهم ثانية و قد احتمع حوله جمهور مس الناس أمام الهيكل الجديد في بشري، يوم قدم أحد الأساقفة لتكريسه و تقديس مذابحه. و يندفع في خطاب آخر، أطول من سابقة و يتلو على مسامعهم موعظة عميقة تمثل لنا روح جبران الثائرة على رجال الدين، فما كان من رجال الدين إلا أن زجوا بيوحنا في السجن، و لم يطلقوا سراحه إلا عندما شهد والده على جنونه، و هكذا عاد إلى الحقول بعجوله و تأملاته، و لسان حاله يقول:

"و أنتم كثار و أنا وحدي، فقولوا عني و افعلوا بي ما أردتم، فالذئاب تفترس النعجه في ظلمة الليل، و لكن آثار دمائها تبقى على حصباء الوادي حتى يجيء الفجر و تطلع الشمس"(٦).

أليست هذه الأقصوصة مليئة بالمواعظ الدينية الاجتماعية و بنزعات ثورية و إصلاحية نحو رجال الدين، الذين يعبثون بالدين و يبغون في الأرض فسادا؟.

و مع ذلك فإن هناك بعض الاضطرابات في شخصيات جبران القصصية، فهذا الراعي المسكين، ابن الطبيعة الفطري، يقف خطيبا يسحر ببلاغته و عمق تفكيره السامع و القارئ. كما أن الحكاية التي يحوكها حول يوحنا، عادية بسيطة، تظهر آثار الكلفة و الصنعة فيها، و يلمس القارئ أن المؤلف كتبها ليعبر عما يحس به أمام المؤسسات الدينية و رجالها في ذلك الخطاب الطويل.

و يبدو أن الأسلوب الجبراني الرومانسي الشعري الأدبي يستحيل في معظم الأحيان أن يكون مطابقا لمقتضى الحال.

٣ ـ الانتقاد على زواج البنت في الطفولة :

"الأرواح المتمردة" مجموعة قصصية شهيرة أخرى تحتوي على قصص قصيرة أصدرها جبران في نيويورك سنة ١٩٠٨، و هو يحدث فيها عن أرواح تمردت على التقاليد و الشرائع القاسية التي تحد من حرية الفكر و القلب، و التي تسمح لحفنه من الآدميين أن تتحكم في أرزاق الناس و عواطفهم و أعناقهم باسم القانون.

يتحدث المؤلف في أقصوصته الأولى "وردة الهاني" عن الفتاة، وردة التي قدر لها أن تتزوج الوجيه المثرى رشيد بك نعمان، و هو يكبرها بسنين عديدة، حين كانت في سن لا تفهم فيه الزواج. و لما نضجت عاطفتها و بلغت مبلغ الإدراك بدأت تحس بالفارق بينها و بين هذا الزوج الذي

اشـتـراهـا بـماله. و ينتهي بها الأمر أن تهرب من بيته، لترتمي في أحضان شاب فقير، وهبته قلبها، نابذة وراء ظهرها لعنة الهيئة الاجتماعية و نقمة رجال الدين، و هي كما يقول جبران نفسه :

"روايـة مـوجـعـة تـمـثـلها الليالي السوداء بين ضلوع كل امرأة تجد جـسـدهـا مـقيدا بمضجع رجل عرفته زوجا قبل أن تعرف ما هي الزوجية. و تـرى روحـها مرفرفة حول آخر تحبه بكل ما في الروح من المحبة، و بكل مـا فـي الـمـحـبه من الطهر و الجمال. و هو نزاع مخيف قد بدأ منذ ظهور الـضعف فى المرآة و القوه فى الرجل، و لا ينتهى حتى تنقضى أيام عبوديه الـضعف للقوه. هي حرب هائلة بين شرائع الناس الفاسدة و عواطف القلب المقدسه"(٧).

هذه الحكايه، هي أقرب إلى البحث الاجتماعي منها إلى الاقصوصة. و كـان كـاتـبـهـا أراد أن يـعرض هذه المشكلة الاجتماعيه فنصب لها هذه الـرمـور و الـدمـى، و أطـلـق عـلـيها أسماء لتكون الموعظة أوضح و أقوى، و لـيـتـسـنـى لـه غـرضـهـا بـأسلوب مشوق جذاب. و هو ناجح فعلا من هذه الناحيه حيث استطاع أن يبث في نفس القارئ كراهية الزواج في الطفولة و لاسيما للبنت.

و لـكن الـحـيـاة فـيـهـا هـزيـلـه فاترة، يقل فيها التمثيل الذي يبعث الـحـوادث أمـامـنـا حيـه، و يـكثر فيها الكلام، الذي يحيل الأقصوصة إلى خطاب وعظي.

٤ ـ التمرد على التقاليد الشرعية القاسية التي تستعجل في تنفيذ الحدود من غير تفتيش لائق :

"صراخ القبور" أقصوصة أخرى في "الأرواح المتمردة". المتسمة بالأسلوب الجبراني المشرق الجذاب.

و هي حكاية ثلاثة حكم عليهم بالإعدام ظلما، لانهم اتهموا بارتكاب جرائم دانهم بها الأمير، الذي فهم من الجريمة وجهها الظاهر دون أن يستبطن ما في أعماقها، و دون أن يكشف الستار عما يختفي وراء مظاهرها.

أحدهم اتهم بقتل قائد الأمير، و لم يدر الأمر أنه قتل دفاعا عن شرفه، لان قائد الأمير حاول أن يعتدي على خطيبته.

أما المرآة الزانية التي اتهمت بخيانة زوجها فقد زوجت منه قهراً و هي لا تحبه، و كانت تحب فتى من فتيان القرية. و قد فاجأها زوجها معه فى خلوة فاتهمهما بالخيانة، و حكم الأمير عليها بالرجم.

أما الثالث، فهو شيخ اتهم بسرقة أواني الدير الذهبية، و هو في الحقيقة لم يسرق إلا ما يملأ به بطنه و بطون أولاده الذين كانوا يموتون جوعاً، بعد أن استغنى الدير عن خدمته لكبر سنه.

و في ختام الأقصوصة يقول جبران معلقا على الحوادث :

"هذا هو سيفك أيتها الشجاعة فقد أغمد بالتراب. و هذه هي زهورك أيها الحب، فقد لفحتها النيران. و هذا هو صليبك يا يسوع الناصري، فقد غمرته ظلمة الليل"(٨).

الا تتجلى من خلال هذه الخلاصة الوجيزة النزعات الاجتماعية الجبرانية المتحررة و المتمردة ضد التقاليد الشرعية القاسية التي تستعجل كالعاذة في تنفيذ التعزيرات و الحدود من غير تفتيش لائق، على الرغم من تاكيد الشريعة على الفحوص المتكررة عن الأمر قبل تنفيذها.

الحقيقة أن الوضع المضطرب المتكلف لحوادث هذه القصة لا يجذب القلوب كثيرا. و لكنه على كل حال احتفظ بالطابع الجبراني فيها و هو طابع المحاضرة الوعظية. و أبقى لنا هذه الصور الجميلة و الاستعمارات المبتكرة.

٥ ـ لعنة زواج الإكراه و القسر :

الاقصوصة الثالثة من "الارواح المتمردة" هي "مضجع العروس" إنها ماساة يهيىء لها جبران جوا رومانطيقيا و يمعن في المبالغة في وصف العواطف و الحوادث. و هي تحمل من المغزى ما تحمله أقاصيصه الاخرى "كوردة الهاني" و "صراخ القبور".

"و هذه الاقصوصة تروي حكاية فتاة زوجت من رجل لا تحبه بعد أن وهبت قلبها لفتى باد لها حبا بحب. و في ليلة العرس انسلت من بين الحضور، و قابلت حبيبها في حديقة البيت، فحاول أن يردها إلى حفل، و ان يثنيها عن عزمها على الهرب معه ضنا بسمعتها على التلويث، و لذا ادعى أنه مال عنها إلى غيرها. و لكنها لم تصدقه، فاصر على ما قال و اثبته لها بالبراهين، فما كان منها إلا ان استلت خنجرا أعدته لذلك و طعنته به، فباح لها بمكنونات نفسه و أخذ يؤكد لها حبه من جديد. فاخذت تصرخ و تنادي المدعوين، و عندما تجمع حولها نفر منهم ألقت

عـلـيـهم موعظة في الزواج و الحب، و لـما فرغت منها أغمدت الـخنجر في صـدرهـا وخـرجـت صـريـعـة فـوق جـثـة حـبـيـبـهـا. فـتقدم الكاهن الذي ضفربتعاليمه أكاليل ذلك العرس، و اشار إلى الجثتين قائلا:

"مـلـعونة هي الأيدى التي تمد إلى هذين الجسدين الملطخين بدماء الـجريمة و العار" (ص١٥٠).

و مـمـا نـطـقـت الـفـتـاة قـبـل انتحارها على النحو التالي: "انتم لا تـفـهـمـون كـلامـي لأن اللـجة لا تغني أغاني الكواكب. لكنكم سوف تخبرون ابـنـاءكـم عن الـمـرأة الـتـي قـتـلـت حـبـيبها ليلة عرسها. سوف تذكرونني و تـلـعـنـونـنـي بـشـفـاهكم الأثيمة، أما حفدتكم فسوف يباركونني لأن الغد سيكون لأن الغد سيكون للحق و الروح. (ص ١٤٨).

"و انـت أيـهـا الـرجـل الـغبي الذي استخدم الحيلة و المال و الخيانة لـيـصـبـرني له زوجة ـ انت رمز هذه الأمة التعسة التي تبحث عن النور في الـظلمة و تترقب خروج الماء من الصخرة و ظهور الورد من القطرب ـ انت رمـز هـذه الـبلاد المستسلمة لغباوتها استسلام الأعمى إلى قائده الأعمى ـ أنـت مـمثل الرجولة الكاذبة التي تقطع الأعناق و المعاصم توصلا إلى هذا الملخص يدلنا على قضية دينية اجتماعية و هي عبارة عن التنديد بالزواج الـقسري، و استهجان لما تجترحه أيدى الحكام من ظلم أبناء الرعية، و ما يجره عليهم رجال الدين من الجور.

و هـنـا أيضا نلاحظ تكلفا في الحوادث، و نرى أن الشخصيات غريبة عن الـواقـع بـعيدة عن المألوف. و نلاحظ هنا، أن عنصر الكلام يطغى على عـنـصـر الـعمل القصصي، فيحيل القصة سلسلة من الخطب و المواعظ المسبوكة في اسلوب فني جميل.

٦ ـ تنديد بالرهبان الكسالى المنكسببن باسم الدين :

الاقـصـوصـة الأخـيـرة فـي هـذه المجموعة (الأرواح المتمردة) هي "خـليل الكافر" و هي تقص علينا حكاية مترهب نبذه رئيس الدير لأنه أبى أن يكون في يده آلة عمياء خرساء فاقدة الحس.

طـرد خـلـيل من الدير في ليلة تصفر بعواصفها و تتسارع ملعلة من أعالي الجبال نحو المنخفضات حاملة الثلوج لتخزنها في الوهاد، فترتعش لـهـولـهـا الأشـجـار، و تـتـململ أمامها الأرض. و قد ضل سبيله بين الثلوج و كـادت تـغـضـي عـليه، لولا أن سارعت إلى إنقاده "راحيل" أرملة سمعان الرامي و ابنتها مريم، اللتان سمعتا صراخه و استغاثته.

و لا تـلبث عقارب الدير أن تنعه، متهمة إياه بالكفر و الإلحاد، فيجر إلـى المحاكمة أمام أمير القرية الإقطاعي الشيخ عباس و الخوري إلياس، فيقف أمامها وقفة المجاهد الذي ينافح عن الحق. و يتغلب عليهما و يؤلب الـشـعـب عـلـى الأمـير فـيقبض عليه، و يعود خليل إلى بيت راحيل مرفوع الـرأس موفور الكرامة، و يتزوج ابنتها مريم و تنتهي حياة الأمير الإقطاعي الشيخ عباس، على شر ما تنتهي به حياة، إذ يصاب بالجنون و يموت عقب ذلك.

هـذه خـلاصـة "خـلـيـل الـكـافـر" تـعـرض لـنـا أفكار جبران الثائر الـمـتـمـردة، الـذي لا يـتـرك فرصه تتاح له دون أن يهاجم الرهبان الكسالى المنكسبين بالدين.

و إلـيـك قـمـرة من الـقصة على لسان خليل البطل و هي تلقي ضوءاً قويا على نزعة الكاتب الاجتماعية. يتحدث خليل عن نفسه قائلا :

"نعم خرجت مطرودا من الدير لانني لم أستطع ان أحفر قبرى بيدي، لان نفسي ابت أن تنعم بأموال الفقراء و المساكين. لان روحي قد امتنعت التلذذ بخيرات الشعب المستسلم إلى الغباوة" (ص ١٦٢).

بهذا تنتهي المجموعة، و قد لاحظنا أن الفنية القصصية في جميع القصص تكاد تكود واحدة. إلا أن اسلوبه بتطور شيئا فشيئا فيزداد روعة و جمالا، كما أن تفكيره يزداد عمقا و تتسع آفاقه بالمقارنة من مجموعته الاولى(٩).

٧ ـ تظلّم القلبين المتحابين من التقاليد الإجتماعية و سلطة رجال الدين المفرطة :

أصدر جبران روايته الوحيدة "الاجنحة المنكسرة" سنة ١٩١٢، و كانت لونا من البوح الشخصي أرخ فيه جبران حبه الأول في بيروت، في صورة صادقة نمت عما كان يصطرع في نفسه، و هو المراهق آنذاك، من العواطف المكبوته و الإحساسات الخامدة التي تفجرت بقوة عند أول احتكاك عاطفي.

و خلاصة هده القصة أن البطل أحب سلمى كرامة، و كان أبوها فارس كرامة ثريا شريف القلب كريم الصفات، و لكنه كان ضعيف الإرادة يقوده رياء الناس كالاعمى، و توقفه مطامعهم كالاخرس ... أما ابنته فقد كانت تخضع ممتثلة لإرادته الواهنة على الرغم من كل ما في روحها الكبيرة من القوى و المواهب ... و كانت جميلة إلا أن جمالها لا ينطبق على المقاييس التي وضعها البشر للجمال، بل كان غريبا كالحلم أو كالرؤيا أو كفكر علوى لا يقاس و لا يحد و لا بنسج بريشه مصور و لا يتجسم برخام

الحفار ... و كانت "روحية الميول و المذاهب، فهي ترى جميع الأشياء سابحة في عالم النفس"، و قد أحبها منذ التقى بها في بيتها لأول مرة، و ودعها و قلبه يخفق في داخله مثلما ترتعش شفتا العطشان بملامسة حافة الكاس ...

و داما على العهد محافظين، يزورها و يجلس إليها و يتبادلان العواطف السامية، و يتباثان ما في نفسيهما من لواعج الأشواق، إلا أن يد القدر أبت إلا أن تفجعهما في أعز ما عندهما، في حبهما. و قد أتتهما هذه الفجيعة على يد لا ينتظر منها إلا الخير، و هي يد المطران بطرس غالب. و هو رئيس دين في بلاد الأديان و المذاهب تخافه الأرواح و الأجساد، و تخر إليه ساجدة مثلما تنحني رقاب الأنعام أمام الجزار. و لهذا المطران ابن أخ تتصارع في نفسه عناصر المفاسد و المكاره مثلما تتقلب المقارب و الأفاعي على جوانب الكهوف و المستنقعات.

"و قد اختارها المطران زوجة لإبن أخيه لا لجمال وجهها و نبالة روحها بل لأنها غنية موسرة تكفل بأموالها الطائلة مستقبل منصور بك و تساعده بأملاكها الوسيعة على إيجاد مقام رفيع بين الخاصة و الأشراف"(ص ٤٩).

و يتم هذا الزواج، برغم إرادة الأب و الإبنة، و تعيش سلمى مع زوجها في جحيم يزداد استعارا كل يوم. و يموت أبوها و يتركها أمانة بين يدي صديقه و حبيبها، راوية القصة. و يتفقان على الاجتماع مرة في الشهر في هيكل عشتروت الواقع بين البساتين و التلال التي تصل أطراف بيروت بأذيال لبنان. و يتساقيان كاس الحب و الشهوة فترة من الزمان لم تطل. إذ

أن الشكوك ساورت المطران، فبث عيونه يتجسسون على سلمى، و لذا اضطرا أن يوقفا اجتماعاتهما هذه.

و تقضي سلمى مع زوجها خمس سنوات دون أن ترزق منه بولد، و كان جمعهما كجمع الفجر بين أواخر الليل و أوائل النهار. و المرأة العاقر مكروهة في كل مكان لأن الأنانية تصور لأكثر الرجال دوام الحياة في اجساد الأبناء فيطلبون النسل، ليظلوا خالدين على الأرض و قد صلت سلمى متوجعة حتى ملأت الفضاء صلاة و ابتهالا، و ضرعت مستغيثة حتى بدد صراخها الغيوم فسمعت السماء نداءها و بثت في أحشائها نغمة مختمرة بالحلاوة و العذوبة، و أعدتها بعد خمسة أعوام من زواجها لتصير اما، و تمحو ذلها و عارها و تضع سلمى طفلها الأول و الأخير، و يضج البيت بالفرح، و لكن ما طلعت الشمس على الطفل، إلا لتضع حدا لحياته، لأنه زائر راحل ... ولد كالفكرة و مات كالتنهدة و اختفى كالظل، فأذاق سلمى كرامة طعم الأمومة، و لكنه لم يبق ليساعدها و يزيل الموت عن قلبها. فقالت تخاطبه : "قد جئت لتأخذني يا ولدي. جئت لتدلني على الطريق المؤدية إلى الساحل. ها أنذا يا ولدي فسر أمامي لنذهب من هذا الكهف المظلم. و بعد دقيقة دخلت اشعة الشمس من بين ستائر النافذة، و انسكبت على جسدين هامدين منطرحين على مضجع تخفره هيبة الأمومة و تظلله اجنحة الموت و نقلت سلمى إلى مقرها الأخير. و توسعت صدر أبيها، و توسد وليدها صدرها، و فوق الجميع، وضع التراب. "و لما توارى حفار القبور وراء أشجار السرو خانني الصبر و التجلد فارتميت على قبر سلمى أبكيها و أرثيها" (ص ١٢٤).

هذه تجربة جبران الأولى في الحب، في سن المراهقة. و الحكاية بسيطة للغاية. و إن كان منبعها في القلب بعيد الغور، و جانب الكلام فيها يغلب على جانب العمل القصصي، و قد وشاها الكاتب بأوصافه الرائعة و تشبيهاته العذبة المستساغة و كناياته الجميلة البارعة، و حكمه العميقة البالغة، و غير نلك مما يعده نقاد القصة حشوا يقطع أوصال القصة و يعيق تقدم السباق، في حين أن منطق الفن بعده آيات من السحر بينات.

و هذا هو جبران، في كل ما كتب، مولع بالتطويل و التعليق و التكرار، فلا يدع الفرص المؤاتية تفلت من بين يديه، فكثيرا ما ينصب نفسه خطيبا يعظ الناس و يعرض عليهم آراء فيهم و في مجتمعهم، و قد تمتد وقفاته هذه و تطول خطبه و يتراخى حديثه، فيضعف بذلك كله وحدة التأثير في القصه، و يعيق تقدم السياق فتفتر همة القارئ و يخور عزمه دون متابعة تطور القصص.

و الأسلوب هو، أسلوب البلاغة الجبرانيه و على حد تعبير الدكتور يوسف نجم "خيال نشط مجنح، و نسج منمنم دقيق، تمسح عليه يد الحزن العميق و التشاؤم الأسود بيدها السحرية، فتلونه بألوانها القاتمة، و ترسم عليه صورة إنسانية رائعة للقلب البشري، في كل زمان و مكان. و القصة تبدو أنها قصيدة من الشعر تصور نبضات القلوب التي تزحمها العواطف، لا حركات الناس على ظهر الأرض(١١)".

و يقول نعيمه :

"في الأجنحة المتكسره التي صدرت في نيويورك من بعد الأرواح المتمردة بأربع سنوات، يروي جبران رواية حبه الأول يوم كان ما يزال طالبا

في بيروت، و يرويها بأسلوب شعري وجداني مشبع بروح التقديس للحب و كل ما يبعثه في النفس من غبطة سماوية و آلام لا تطاق. و جبران إذا ما تغني بآمال القلب البشري و آلامه أسمعك من الألحان أشجاها و أراك من الألوان أبهاها. فكيف به يتغنى بحبه الأول و بجمال الفتاة التي أيقظته في قلبه.

لقد حاول جبران في "الأجنحة المتكسرة" أن يكتب أكثر من قصة إلا أنه ما استطاع أن يخرج في محاولته هذه عن نطاق محدود. فهنا كذلك قلبان متحابان تحول دون اتحادهما التقاليد الاجتماعية و سلطة رجال الدين: و لكن في ظروف تترك القارئ في حيرة لا في نقمة على التقاليد و رجال الدين. فقد كان في مستطاع الحبيبين بقليل من عناد المحبين و إيمانهم بقدسية الحب أن يتغلبا على العقبات التافهة التي قامت في سبيل اتحادهما و لكنهما آثر الوضوح "للأمر الواقع" على العناد، و آثرا الشكوى و التفجع و النواح على الوقوف بجانب حقهما في الحياة"(١٢).

و هكذا استطاع جبران أن يعرض تطلّم المتحابين من التماليد الاجتماعية و التدخل المفرط لرجال الدين حتى في الأحوال العائلية الشخصية، بالإضافة إلى كشف مفاسد عدم ممارسة حق الخيار الشخصي بين الزوجين.

هذه هي تجارب جبران القصصية و هي في الحقيقة حكايات أدبية و روائع بيانية لا تتقيد بقيود الفن القصصي المعاصر بصورة مضبوطة و دقيقة و ذلك لأنها كان أفكارا اجتماعية إصلاحية تثور في نفسه فيحاول أن يصورها كما يراها هو، ثم يميل إلى تلقين آرائه و عرض أفكاره

و إبـرازهـا فـي قـالـب تقريري، و إثارتها إثارة مباشرة حتى امتلأت أعماله بـأصـواتـه هـو لا بـأصوات مطلوبة من تقنية القصة، فازدحمت بكثرة من الـخـطـب و الـمـواعـظ و الـنـصـائح و أنواع المناجات و الاستطرادات ضد تقاليد المجتمع المتخلف. و مع ان تدخله كان يجعله أحيانا وسيطا مسليا و بـاعـثا على التشويق و الحماس لما حوى من تمرد و إنسانية فإن تدخلاته الـمـسـتـمـرة تـعيق مسير الحادثة و العمليات الفنية و تشكل نقيصة. لأن الحقيقة أن كاتب قصة لا تحتاج إلى حل مشكلات مجتمع ما بشكل مباشر إذ أنـه فـنـان و يكفيه أن يصور مشكلة من المشكلات تصويرا فعالا يحمل القارئ على البحث عن الحلول بصورة تلقائية.

و إذا كـانـت الـقـصـة الجبرانية قد فقدت شكلها الفني. و صاحبها لا يمثل ريادة في القصة فأين إذن تكمن قيمة أعماله القصصية؟ إنها تكمن فـي أنـه اسـتـطـاع أن يـخـلـق له عالما خاصا به، عالما يلعب فيه الخيال و العاطفة الدور الأول(١٣). إنه عالم قلبه و فكره معا، يحظى بأسلوب بياني رنّان و جـذاب يـخـاطـب الـحواس و يخلق جواً ساحراً خاصاً بشاعريته في الألـفـاظ و التراكيب الموسيقية ذات جرس يدغدغ القلوب و الوجدان و يثير العواطف الإنسانية النبيلة.

ـــــ الهوامش ـــــ

١ ـ نادره جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، دار المعارف، القاهره ١٩٥٧م (ملخصا)

٢ ـ محسن يوسف : القصة في الوطن العربي، المنشاة العامة للنشر، طرابلس ١٩٨٥ ص ٢٥٨

٣ ـ نعيم اليافي : التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الادب الشامي الحديث، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٢م ص ٦٩

٤ـ ميخائيل نعيمة : (تحقيق) المحموعة الكاملة لمؤلفات جبران، بيروت (مطبعة المناهل) ١٩٤٩، ص ٧٤

٥ـ محمد يوسف نجم : القصة في الأدب العربي الحديث، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٦، ص ٢٨٦

٦ـ المجموعة الكاملة ج١، صفحة ١٠٤

٧ـ جبران : "الأرواح المتمردة" في المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران الحزء الأول، مطبعة المناهل بيروت، ١٩٤٩/ص ١١٦

٨ـ المصدر نفسه ص ١٣٩

٩ـ محمد يوسف نجم : القصة في الأدب العربي الحديث، دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ ص ٢٩٦

١٠ـ أمين خالد : "محاولات في درس جبران"، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (١٩٣٣) ص ٧

١١ـ محمد يوسف نجم : القصة في الأدب العربي الحديث، بيروت، دار الثمافة، ١٩٦٦ ص ١٤٦

١٢ـ ميخائيل نعيمه : (مقدمة) المحموعة الكاملة لمؤلمات جبران، لبنان، ١٩٤٩، ج١ ، ص ٢٦، ٢٧

١٣ـ نعيم اليافي : *التطور الفني لشكل القصة القصيرة في الأدب الشامي الحديث*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٢ ص ٨٢ (ملخصا)

❖❖

قصة قصيرة:

العقَّار المسجل

بقلم: فقيرموهان سيتا باتي

أصدرت الزوجة أحكاما صارمة منعت فيها الزوج من الخروج من الدار حتى في النهار، دع عنك أوقات المساء. "إن القراءة و الكتابة أو أي عمل آخر بعجبك إنما الدار هي المكان المناسب لمزاولته، و لا ينبغي أن أعثر عليك في أي مكان آخر".

و لكن بعد أن نصرع المسكين راكعاً، رق قلب "سولوشانا" قليلاً، و سمحت له نزهة مختصرة على الشارع الواقع أمام الدار. و لكنه، على كل، كان ممنوعاً بتاتاً من أن يتحول بمنأى عن الأنظار، و لو بالصدفة. "فلو أقدمت عليه، إذن ينزل عليك العقاب الصارم. هل تسمع؟ و من خلال الثقب في الباب أقوم بمراقبتك".

و ذات صباح مبكر، رأى "شاندراماني" من بعيد، و هو في نزهته، ولداً يومي إليه جلسه، فأغمض عينيه و حكهما. "لماذا؟ ليس هذا الولد إلّا من

"بـهـادراك"! "و اهـتـز ببالغ الطرب و الحبور. أومأ إلى الولد بالاقتراب منه، و تـحـرك بـنفسه متثاقلا في اتجاهه، و هو ينظر بنظرة عابرة إلى بابه من فوق كتف الولد. مد يده اليسرى خلفه بحذر، و عينه مسدّدة إلى بيته. فدس الـولـد ورقـة فيها، و استدار إلى الخلف، و لاذ بالفرار. أمسك "شاندرا ماني" الـورقـة فـي كـفه المطبق بإحكام، و رجع على أدراجه إلى بيته، و لمح إلى بـبـتـه مـتأكداً أن زوجته لا تلاحظه. ثم قرأ الكتاب بعجلة، و جعله جذاذا، و ألقاه فى مهب الريح.

و بـعـد قـليل دخل الدار، و نادى زوجته بصوت عذب "هل تسمعين، يا حبيبتي؟ حي هنا للحظة، بفضلك".

ردت عـلـيـه زوجـتـه بـصـوت أجـش: "حـبـيـبتي، حبيبتي! ما أعذب الـكـلمات! ماذا قد فعلت حتى استحقها! يبدو هذا يوم سعيد لي. ماذا تنوي أن تقول لي، بأية حال؟"

"مـنـذ الأيـام الأربـعـة الـمـاضية، يصيب الدوار رأسي، و يألم بطني، و أحس بالوجع و بوخز الإبر في جسمي كله. إنني لفي عذاب".

"مـاهـذا ـ حـيـلة أخرى؟ أنت الذي جلبت هذه المصيبة على نفسك. تـذكر كمية المخدرات و الخمر وجميع تلك الأشياء الكريهة التي التهمتها. انـظـر مـا قـد فعلت بك هذه المسكرات. فقد اشتريت أمراض الدنيا كلها. سـنـحـت لـك ثلاث فرص للعمل، و لكنك لم تستغل واحدة منها. و قد بددت ثـروات طـائـلـة حـتـى لم يعد الناس يحسنوا بك الظن. إني لست أعبأ بأنك خـسرت فرص العمل، و لا اكترث بأنك بددت الأموال، فقد حدث ما كان قدر أن يحدث. كل ما أتمنى أن تعود إليك صحتك. قمت بمراقبتك لأربعة شهور،

و بـما أنك كنت ابتعدت من الـخمور فقد بدت علائم التحسن على صحتك، و لكن الآن تتحرق شوقا للرجوع إلى سيرتك الأولى".

حيّ يا حبيبتي! إنه ليس ذاك. إنني لاقيت "مادها فاشاريا" قبل ثوان. إن الـمـنجم الطاعن في السن قد رسم مواقع نجومي: فالعقرب و السرطان فـي مـواقـع غـيـر سارة، و الزحل معاد لي بصورة أكيدة. و هذه هي النجوم الـتـي جـلـبـت لـي كـل هـذه الـنـوائـب. قومي ببعض الأعمال الدينية التي تستعطف هؤلاء".

"ماذا اقترح المنجم؟"

"عـلـيّ أن أشـد الـرحـال إلـى مـعـابـد "شـيـفا" بأجمعها الواقعة في "بـهـوبـانـيـشـوار" و "خانداجيري" و "اودياجيري" في زيارة تستغرق ثلاثة أيـام، و أن أحـمـل معي بعض المبالغ لأدفع إلى الكهنة لقاء إسكابهم مائة - لا بل ألف ، و هو الصحيح، جرة من المياه على اللورد "شيفا". و بذا ترضى الـنجوم، و تنتهي البلايا ببكرة أبيها، و تزول عني الأمراض بسرعة، و لا أجد الخمر أو أي شيء آخر يغويني أبداً".

خـطـر الـشك ببال زوجته، فسألته: "هل المنجم جاء هنا، لا أحد قال لي ذلك!"

"أوه. لا، لا. لم يجيئ المنجم هنا بنفسه، و لكن جاء ابنه".

"و لكنه لم يرزق ولداً!"

"أوه. لا ، لا. إن خادمه جاء بهذا النبأ".

تـفرست "سولوشانا" وجه زوجها، و علمت أنه كذوب لا يصدق. إن كل ما يود هو أن يتعاطى الخمور مع أصدقائه لثلاثة أيام، و يزور بيوت الدعارة الـواقعة في "تيلنجا بازار". اي شيء لم تفعله هي لإصلاحه شيئاً! دعه من الـمـراقـبة للمحة فيعود إلى عاداته السيئة القديمة، فقالت في صوت يدل على عزمها": لن تذهب إلى اي مكان. و لن تبرح الدار على الإطلاق".

"لـعـلـك عـلـى حق، ما أكثر ثلاثة أيام يقضيها المرء بعيدا عن أهله. أظن من الأفـضـل أن أقوم بزيارة قصيرة لمعبد اللورد "ذاباليشوار". أخرج الآن و أرجع حتى المساء".

"لا ، لا تذهب إلى اي مكان".

"أعـطـني بعض الروبيات سأذهب و أعبد في معابد "شيفا" كلها في مدينة كوتاك".

"حـسـنـاً! قـل للخادم "ماكرا" أن يستأجر عربة. نحن نذهب معا إلى المعابد".

انـصـرف "شـانـدرامـاني"، و تنفس الصعداء. فكر مليا في القضية، و في ثوان خطرته فكرة ثاقبة حملته على أن يهنيء نفسه بصوت عالٍ. قال لـزوجـتـه: "هـل تـسمعين! إنني لست معافى، فلو ذهبت أزور أمكنة كثيرة ربـمـا يـعـاودني الـمـرض. إن الـمـنـجم قد نصحني أيضا أنه، تخلصا من الأمـراض، لا احـتـاج لـلـذهـاب إلـى اي مـكـان. إنه يمكنني أن أعبد اللورد "شيفا" في البيت".

"اي نوع من العبادة؟"

"قال لي المنجم ان استلقي على الأرض على وجهي مسجاً ببطانية كبيرة لمدة ١٥ ساعة كاملة ـ منذ الآن حتى الساعة التاسعة مساء. و أن اقوم بالتامل في آلهة العالم ببكرة أبيهم، و لا أفكر في أي شيء آخر".

"هل هذا يرضي النجوم؟"

"اوه ، نعم. قال لي المنجم إن هذا العمل سوف يسترضي النجوم بصورة اكيدة. و هناك شيء آخر ايضا اخبرني به". عليّ أن أخصّص عشر روبيات للإله، و أن اضع هذا المبلغ تحت راسي حين أشرع في التأمل. و بعد شهر، حينما أعود سلبما، سوف نقدم القرابين للإله بهذا المبلغ، و نطعم البراهمة و أتباع الإله "فشنو".

"الا تأكل اليوم شيئا؟"

"استغفر اللّه! هل يمس الإنسان الطعام و هو يتأمل في الإله؟ إنني أصوم طوال النهار، و لا أتناول و لو قطرة من الماء".

تنفست زوجته الصعداء، و قالت : "كما تودّ. اذهب و اشرع في تأملك".

"و هناك شيء آخر أيضاً" قال "شاندراماني": لا يمكن أن يتم التأمل في هذا البيت. إنه يحتاج إلى محيط مناسب. السمك و اللحم بطبخان دائما في هذا البيت، و قد لوثت رائحتهما المكان. و إني لا أدعو اليوم إلاهاً عادياً، إنما أتوجه بدعواتي إلى اللورد "شيفا" و الإلاهه "بارفاني". إن حجره الانتظار الصغيرة في الجناح الخارجي للدار بمنأى من التلوث، كما هو مكان هادئ ايضا. و لكن تذكري، إذا وصل ظل امراة إلى تلك الحجرة،

أو سمع صوت إمرأة هنا فسيبوء تأملي بالفشل الذريع، و يفسد كل شيء. إني أحذرك: ينبغي الا تقترب إمرأة من ذلك الجناح".

توجهت "سولوشانا" إلى الجناح الداخلي للدار، و كانت كئيبة جدا بمأزق زوجه.

دنا منها الطباخ البراهماني و سألها: "أي الوجبات أعدها اليوم؟"

أجابت: "إن مولاك صائم. فكيف يهنأ لي الطعام؟ لا طبخ اليوم".

غادر الطباخ المكان و هو يبتسم في نفسه. أغْرِبْ بها من هذه الإمرأة، سيدتنا، قالت له نفسه. فحينما توعك صحة رب البيت شيئا تتعهد بأمره ليل نهار، و تنسى طعامها و شرابها. و لكن حينما تغضب تهجم عليه بأي شيء وجدته أمامها، عصا، مكنسة أو شيء آخر، و تشتمه أبشع الشتائم و أشنعها. و بالرغم من ذلك كله إنها إنسانة طيبة، إبنة رجل ثري، و زوجة ابن رجل موسر. و قد وهبت قلبا واسعا، إلا أنها سريعة الغضب و لسانها حاد كموسا الحلاق.

استدعى "شاندراماني" الخادم "ماكرا" إلى الجناح الخارجي، و أخذ يتحدث معه بطريقة حلوة في أسلوب سريّ : "اسمع، يا ماكرا! إنك تفعل لي شيئا. ألا تفعل؟ اذهب و استلق في غرفة الانتظار مسجاً ببطانية. سوف أرجع في المساء. فالبث هناك حتى ذلك الوقت، و لا تغادر المكان على الإطلاق".

"لا ، يا سيدي" أجاب ماكرا: "لا يمكن أن اقوم بهذا، إن السيدة تغضب بي، و تؤبخني".

"أيـهـا الـوغـد، النذل، العفريت! أنت تجرأ على مخالفة أمري؟ سوف اضـربـك ضـربـا موجعا". و هدأ بالفور، و أضاف يقول : "لا ، يا ماكرا! كنت أمـازحـك لا غـيـر. انـصـت لـي. كنت تريد زيارة عمك في "كيندرا بازار"، أما كـنـت تـريـد؟ يمكنك أن تغادر في الصباح. إنى أعطيك إجازة الأربعة أيام. و هاهو ذا خذ هذه الروبيات الأربع فتمتع و آلهْ. و اشتري لك قميصا غدا.

لـم يـحـنـح "ماكرا" إلى مزيد من الإغراء. فقد غطى نفسه ببطانية، و استلقى في حجرة الانتظار.

****

كانت "سولوشانا" كئيبة النفس. فبعد أن اغتسلت، نشرت سريرا في غـرفـة الـنـوم، و جلست عليه تدعو جميع الآلهة و الإلاهات التي يمكنها أن تـتـخـيلهم. و نذرت ألف قربان للورد "دهاباليشوار". و هتفت قائلة: "يا أيتها الأم "كـوتـاك شـاندي"! يا أيتها الإلاهة كالي من كاليجالي! أعد الصحة إلى روجـي. إنـنـي أقـدم إلـيـك سـاريـين (ردائـين) أسـودين، و أذبـح لـك معزين أسودين".

اسـتـمـرت الـدعـوات، و انـصـمـت ٩ ساعات. أخذت "سولوشانا" تفكر فيما يتناوله زوجها بعد الفراغ من التأمل. الأرز مستحيل تماما. إنه لا يأكل إلا الـفـواكــه. و لــذا أعـدت وجـبـة تـتـضـمـن الـمـوز و الـجـبن و اللـبن و الحليب.

أطـلـت إلـى الخارج، و رأت الظلال الممتدة، فشعرت أن النهار يوشك أن يـنـتـهـي، و ضـوء الـشـمس قد رجع إلى السطوح. و بما أنه لم تكن لديها أعمال تقوم بها فصارت تمشي مضطربة فلفة حول الدار.

و لـمـا دنا المساء، اقتربت من غرفة الانتظار بحذر. فعاد إلى ذاكرتها تـحذير زوجها ألا يصل ظل إمرأة في الغرفة. نظرت إلى قدمبها. لا ، إنه لم يـصـل ظـلـهـا إلى الغرفة. و سدت فمها بمؤخر ساريها لكي لا تنفلت كلمة شـفـتـيه. دفعت الباب، فانفتح شيئا. كان الظلام بخيم على الغرفة. و كان زوجـهـا حـتـئـذ مستلقا في التأمل. "واحسرتاه! كم تكون مصيبته؟ يا اللّه! اشـفه من أمراضه، و كرّه إليه جميع المسكرات. با ابنتها الإلاهة كالي! إني أنـذر أن أنبـح مـعـزا أسـود و ديـكـا أسـود عـلـى مـذبحك". و مست الأرض بناصيتها مبتهلة متضرعة مرات عديدة.

و دفـعـت الـبـاب دفعا مزيدا، و دخلت الغرفة، فوقعت قدمها مباشرة عـلـى وجـه زوجها. فعضت لسانها بسرعة، و ارتدت إلى الوراء. "واحسرتاه! أي ذنـب ارتـكـبـتـه!" و انـفـجـرت الدموع من عينيها. و أخذت تدعو بيدين مـطـوقتين طالبة عفو الزوج و الآلهة. ثم مشت ببالغ الحذر و الاحتراس في الـغرفة، و مست قدمي زوجها بناصيتها ثلاث مرات. و حينما فعلت ذلك بدا أن البطانية ترجف بشدة.

"واحـسـرتـاه! واحـسـرتـاه!" تـمتمت في نفسها. "إنه ينضح عرقا". و نـشـفـت بـمـؤخـر ساريها قدميه و ظهره نشفا خفيفا. و لكن إذا بها أمام صـدفـة حينما دنت من وجهه، شارب زوجها. بحثت عنه مرتين أو ثلاث. لم يكن الشارب تماما في مكانه. فازداد شكها، و فتحت الباب على مصراعيه، و طرحت البطانية طرحا إلى جانب. و ما شاهدته جعلها تثب إلى الوراء، و تصيح في عضب: "أيها الخسيس الكربه، يا ماكرا! لماذا تنام هنا؟"

ماذا يمكن أن ينطق به "ماكرا". فقد قام بجانب الجدار بيدين مطوقتين، و هو يرتجف كانه لص ماخوذ.

إن الصياح و الصراخ قد انهكا قوى "سولوشانا" في وقت غير طويل. ففكرت في نفسها أن هذا الصياح لا يجدى شيئا. لابد ان اصل إلى كنه القضية. و لذا من الضروري أن أكسب ود "ماكرا". فقالت متوددة: "يا ماكروا كنت تريد زيارة عمك، اما كنت؟ ارحل غدا. خذ هذه الروبيات الأربع لمصاريفك و الحلاوى. و غدا أهبك طقم مئزر (الدوطي) "مانيباندي"، فتخلعهما على جسمك. لا تنبس ببنت شفة، و اذهب و اجلس بهدوء في ناحية من المطبخ".

كان "ماكرا" يتوقع أن سيدته تضربه ضربا موجعا. و لكن ما هذا؟ فقد منح أربع روبيات، ثم وعد طقما من المئزر، فطار على جناح السرور. إن الروبيات الأربع التي كان أعطاها سيده إياه كان قد وضعها في ثنية مئزره. أخرج تلك الروبيات، و أضاف إليها ما ظفر به الآن. و عد العملات النقدية مرتين أو ثلاث، ثم دس روبياته الثمان في ثنية مئزره بحيطة كاملة. و ذهب، و اختمى في ناحية من المطبخ. و حلت "سولوشانا" محله في حجرة الانتظار.

حول الهزيع الأول من الليل، جاء "شاندرا ماني" بهدوء، و قد بلغ منه السكر كل مبلغ. كانت قدماه غير مستقرتين، و كلامه غير واضح. و دفع الباب فانفتح على مصراعيه، و رأى "ماكرا" مستقلبا على الأرض، ففرح غاية السرور، و شرع يرقص و يغني:

"يا ولد! ما اطيب من لهو هنيئ - تناول المسكر و الأفيون! قم، يا ماكرو، يا أخي! احسنت احسنت يا ماكرو! زميلي م ك روم. قم . قم. الآن من يخاف اخا الزوجة او اخت الزوجة(١)؟ اوه ! ما احسن المتعة التي حظيت بها اليوم! كيف يمكن لي أن أصوغها في الكلمات؟ إن سيدتك ليست افضل من وصيفة. فقد كانت أو ثقتني بحبل منذ شهرين طويلين.

"و حلقومي كان قد جف. و لكن في يوم واحد قد نقت اللذات كلها التي كنت حرمتها منذ شهرين. هل اخبرك عنها؟ عن تلك الغانية؟ إننا لم نلتق اليوم فحسب، بل بدات علاقاتنا قبل ثلاث سنوات، حينما جاءت لترقص في بيت "جوبال بابو". اوه! كم كانت فاتنة! هل تدري اسمها؟ اسمع، إن اسم سيدتك "سولوشانا"، و"سولو" ينبت في البرك، و "شونا" يستخدم في صنع الكعك. اوه! اي اسم مبتذل حقير هذا. و لكن اسم عشيقتي "عثمان تارا". ما اجمل هذا الإسم! عمرت طويلاً ياعشيقتي "عثمان تارا". إن خلقها دمث كما أن إسمها حلو. انظر يا ماكرو! كم هي فطينة و مراعية لشعور الآخرين - إنها لا تنسى أصدقائها القدامى. فقد بعثت في طلبي حالما حلت في مدينة كوتاك بالامس. حينما نظرت إليها هذا المساء، داخلني الشعور اني وجدت خزينتي الضائعة. و هي ايضا غامرها السرور لحد انفجرت ضحكاً و سروراً. بدات مادبة الغانجا و المسكرات حالما استقررت على فراشها. فقد كان كل شيء اعد مسبقا : براعم الغانجا المدقوقة و نارجيلة الافيون و الخمور. فاولا فتحنا زجاجات الخمر. و لم تكن الرم الحقير "آسكا"، بل كانت معتقة مستوردة من الطراز الاول. لو ارتشفت كوباً واحداً من تلك الرم علمت اي نوع كان. نحن معاً افرغنا الزجاجة في وقت غير طويل. و قد شربناها قحة لم تشعشع بقطرة من الماء. إن سيدتك تعد كل يوم وجبات من "بورى" و "سادابهاجى" و "كهير". ما أكره من اكلة

هـذه! و هـي لا تـصلـح إلاّ لـلـقـطـط. أما "عثمان تارا" فقد استضافتني بـالـحـمـص الـمـقـلـي المملح و السمك المشوي. و هذه هي الوجبات التي تـصلـح بـالـرم. فـاكـلـت بنهم ملا بطني. تذكر كيف احتلت على سيدتك، و ظـفـرت مـنـهـا بـعـشر روبيات؟ و هل يذهب إمرؤ صفر الدين إلى مقاصر الـمـلـذات هـذه؟ إن "عـثـمـا تارا" صرفت وجهها عني حينما وضعت عشر روبـيـات بـين يـديـهـا. لست مغفلا مثل سيدتك. إنني إمرؤ ذكي، كما تعلم - أحـسـست أن "عثمان تارا" اعتبرتها مبلغا بخسا بمبعد من القبول. و كيف يـمـكن لـهـا أن تـقـبلها، و هي تكسب مئات الروبيات كل يوم؟ فوعدتها أني سوف آتيها بالمائة روبية غدا. ضحكت و قالت:"وهل أحفل بالمال؟ إنما هو أنـت الـذي أريـده". حـقـاً، و هـل تـكـتـرث حقاً بالمال؟ إن كل ما تبغي هي السرور و اللذة. المال لديها حبة خردل، فقد تملك منه الكثير. و لكنني أنجز وعـدي، و أعـطـيـهـا المائة روبية. إن وعد الشريف و عاج الفيل كلاهما غير قـابلين للانكسار. و هل تعلم من أين أحصل على المائة روبية؟ هو ، هو. إن سـيـدتـك قـد ادخـرت مـبـالـغ ريـع الـعقار مغلقة في صندوق. سوف أفتحه بقضيب من الحديد، و أسرق منه مبلغا كبيرا. و قد سرقت منه فعلا مرتين أو ثـلاث. و لا يـخـطـر هـذا على بال سيدتك، بله أباها و جدها. هناك أموال طـائـلـة في ذلك الصندوق. ليتني ظفرت بها كلها، فأستطيع أن أغرق جزءا كـبـيـرا من مـديـنـه "كـونـاك" في فيضان من السكر و اللذة. كم أتمنى أن يـنـجـرع سـيـدتـك كاسا من الخمر فتستطيع أن تشارك عالم اللذة هذا. إن "عـثـمـان تـارا" هـي الـتـي تـعـرف هـذا الـعـالم. أما سيدتك فهي دمية من الـخـشـب. إن الخليط الفاكهي الشهي الذي ابتلعته اليوم مع المشروبات لم يكن حتى ليذوقه أخو زوجتي أبو سيدتك، في حيواته السبع".

و ثـبـت "سـولـوشانا" على ركبتيها، و طرحت البطانية جانبا. و قالت زائرة: "ماذا قلت؟ ماذا نطقت به، يا أيها السكير؟ أكلتك الغرابيل! هل ابي أخو زوجتك؟ أين كنت طوال النهار، يا أيها الوغد. ثم من هي عثمان تارا؟"

تـجـمد "شاندراماني" خوفاً. و قال متلعثماً : "لا، لا. لم أذهب إلى أي مكان. قبل لحظات ذهبت إلى الخارج للبول. أقسم و يدي على رأسك".

انـفـجـرت زوجته تقول:"يا أيها الكاذب ، هل تمس راسي، هل تتمنى أن أموت؟"

كـانـت مـكـنـسـة مطروحة على الأرض، فالتقطتها، و أخذت تضرب بـهـا إيـاه. وقـعـت الـضـربات على رأسه و ظهره و بدبه ـ على كل عضو من أعـضـائـه. لـم يطق "شاندرا ماني" الألم، فحاول الفرار، و لكنه تعثر و وقع على الأرض، و أمطرت عليه الضربات تترى.

و لـمـا نـهكت قوى "سولوشانا" ذهبت إلى الجناح الداخلي، و سقطت فـجـاة على الأرض، و أخذت تبكي و تدعو بعجز و إلحاح: "يا اللّه! اغفرلي. إنـي أضـرب سـيـدى، زوجـي. ارتـكبت ذنباً رهيباً. اغفرلي، و اَهْدِ زوجي إلى الصراط السوى".

مـضـى الـلـيـل. خرجت "سولوشانا" من الجناح الداخلي، و وجدت أن زوجـهـا لا يـزال مـتـمـددا عـلـى الأرض حيث كانا يتناولان الطعام. إن تأثير الـخـمر كان قد زال عنه، و نسيم الصباح العليل كان أسلمه إلى نوم عميق، فـكـان يـسـمـع لـه خـرير. و لاحظت أن المكنسة قد تركت آثار التورم على جـسـمـه كـلـه، و كان الدم قد تجمع في بعض الجروح. "اوه. ماذا فعلت؟" صـاحـت و هي يتفطر قلبها ألماً. "إني أضرب سيدي، و مولاي بمكنسة! اي

حـظ نـحـس سـيـصـيبني؟" و دعت الآلهة مرة أخرى، و طلبت منهم العفو و الـغـفـران. فـاضـت الدموع على خديها. و جاءت بزيت السمسم في كوب، و أخذت تدلك بلطف مواضع الورم و جسمه كله.

اسـتيقظ "شاندراماني" متأخراً في الصباح. فتح عينيه فرأى زوجته جـالـسة بجنبه، فدخله الذعر. من يدري أنها تضربه بالمكنسة مرى أخرى؟ كان قد استيقظ تماما، و لكنه بقي متمددا مغمض العينين، و هو يتظاهر بـالنوم. ثم اختلس النظر إلى وجهها. فلاحظ أنه لم يكن عليه أثر للغضب. كانت عيونها تطفحان بالدموع، و هي كان تدلك الزيت بلطف على أرجله.

عـلـمـت "سـولـوشـانا" أن زوجه قد استيقظ من النوم، فأمرت بجلب أربع جرات من الماء، و ساعدته على الجلوس، و جعلته يغتسل غسلاً جيداً. كـانت الخمر قد تركت فيه شعورا محرقا، و لكن الماء البارد قد خفف ألمه الآن. و مـافتى جالساً مغمض العينين كتمثال من الحجر. فساعدته زوجته عـلـى تـغـيـيـر ملابسه. و الطباخ نشر الخوان، و ساعدته زوجته على تناول الـطعام، ثم أضجعته بلطف على الفراش. و هي نفسها لم تكن أكلت شيئا من الأمس. و هي كانت تواصل البكاء، و تطلب من الآلهة العفو لذنبها.

لـم يـتـبـادل الـزوجـان أي كلمة طوال النهار. و الـخدمة أيضا التزموا بـالـسـكـوت. كـانـا يستحييان من أن يرى أحدهما في وجه الآخر. فقد كان الـشـعـور بـالـذنـب يـعـذبـهما. فكان يتمنيان أن يصلحا ذات بينهما. أقسم "شـانـدرامـاني" أنه منذ الآن ينظر إلى جميع المسكرات مثيرة للاشمئزاز، كأنها مبرزات الجسم أو دم البقرة.

مضت ستة أشهر. لاحظ الجيران و الأقرباء و الأصدقاء أن دار "شاندراماني" هادئة في هذه الأيام بصورة غير عادية. فلم يتشاجر هو و زوجته كما كانا يتشاجران كل صباح مساء. بل كانا يجلسان. و يتجاذبان أطراف الحديث مسرورين، و يطالعان الكتب. فكانا يقرءان المجلات مثل "اتكال" و "ساهيتا" و "موكور" و ديبكا". كان "شاندراماني" قد استعار في الماضي مبالغ هائلة لقاء سندات إذنية. و الآن كان قد تم اداء نصف قروضه. و لم يكن يتحرك من بيته، و حتى حين كانت زوجته تكرهه عليه، أو حين توجه إليه دعوات المسرحيات و حفلات الرقص. و بين حين و آن كانا يركبان في العربة، و يزوران المدينة.

كان أهالي المدينة يقضون العجب من مجريات الأمور: ماذا حدث! فقد تذكروا أن أبا "شاندرا ماني" الإقطاعي شيام بتانايك كان قد عين مثقفين خصوصيين لإبنه. و كان "شاندراماني" طالباً منتظماً في المدرسة. و لكن ماذا تمخض عنه كل هذا؟ وقع في عشرة أصحاب السوء، و صار سكيرا. كان ذهنه دائماً ملأى بالأفكار الفاحشة، و كان يختلف إلى امكنة الفحشاء. و يصاحب المعربدين و ذوي الخلق الذميم. اشار بعض الناصحين على أبيه أن الزواج قد يغير حاله إلى الأحسن، فعقد الإقطاعي قران ابنه على البنت الوحيدة لـ "رام كرشنا موهاني" "سولوشانا" الجميلة الكيسة. و لكن حتى بعد الزواج لم يعدل ابنه عن طريقته، و استمر يسرق المال من البيت و يبدده. و لم يكن يحفل بتوقيع سندات إذنية لمبالغ اقل بقليل مما كان يستعيره فعلاً. و لم تهمه داره و إقطاعيته شيئا. احس الإقطاعي الطاعن في السن أن ابنه الضائع، و حالته هذه ، سوف يبدد ممتلكاته، فأوصى بها لزوجة ابنه السيدة

"سولوشانا ديفي". و لكن وصية أبيه و نصيحة والد زوجته لم يؤثر أيما تاثير في "شاندراماني". تعجب اهالي المدينة : أي شيء حدث مما جعله شخصا سويا. لاحظ "جوبي بابو" ظريف المدينة ملاحظة بارعة فقال : "قد حدث هذا، لأن زوجته قد صبت عليه ضربات موجعة بالمكنسة في تلك الليلة قبل ستة اشهر. و إن علاج المكنسة يمكن أن تشفي من الامراض مثل الإدمان و الفسوق". فضحك "شيام غانا بابو" و قال : "كيف أن هذا العلاج لم يوصف بالنظام الطبي الهندي او الأجنبي. أجاب "جوبي بابو" :"الا تفهم؟ إن هذا من ابتكار السيدة نفسها - إنه عقارها المسجل".

تعريب: ولي أختر الندوي

---

(١) نوع من الشتيمة و المزاح في اللغات الهندية

❖❖

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٤٩ العدد ٤

١٩٩٨م

المجلس الهندى للعلاقات الثقافية
آزاد بوان، نيو دلهي
الهند

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية انشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء و تنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى، و ضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" و في الانكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" و في الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" و في الاسبانية "Papeles dè la India" و في الالمانية "Indien in der Gegenwart" في الهندية "Gagananchal" و كلها تصدر اربع مرات في السنة.

و المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر توجه إلى:

The Programme Director (Pub.)

Indian Council for Cultural Relations

Azad Bhavan, Indraprastha Estate

New Delhi- 110002 (INDIA)

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس كالآتي :

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤ جنيها

نشرها وطبعها السيد هيمانتشل سوم المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية. آزاد بوان، نيو دلهي ، الهند.

طبعت في مطبعة سانبرآرت انفارميشن برائيويت لميتد

سي ٢، كانو نشامبار، سانول ناغر، نيو دلهي ١١٠٠٤٩.

رئيس التحرير: البروفسور زبير احمد الفاروقي

مجلة ثقافة الهند الفصلية

المجلد ٤٩ العدد ٤

١٩٩٨م

محتويات العدد

كلمة التحرير:

الأدب العربي قديمه و حديثه نثراً و شعراً زاخر بالمعلومات الوافيه عن الهند و الصورة التي تتبلور للهند من خلال هذا الأدب هي صورة بلد عريق غني بالثقافة و الحضارة منذ قديم الأزمان انتقلت منه العلوم و الفنون إلى العالم العربي و جذبت غرائبه و مفاتنه انتباه الكتاب و الشعراء العرب في كل عصر و دهر و قد سبق لنا أن نشرنا في أعداد هذه المجلة مقالات حول هذا الموضوع المهم غير أنها لم تكن شاملة لكل الجوانب، و في المقال الذي يتضمنه هذا العدد تحت عنوان "الهند كما تتجلى من خلال الآداب العربية" قد ألقى صاحبه البروفسور شفيق أحمد خان الندوي الضوء على بعض النواحي الجديدة بصورة تفصيلية.

أما المقالات الأخرى التي يشملها ملف هذا العدد فمنها ما يتعلق بنسخة خطية نادرة لتراجم الصوفية "اختيار الرفيق لطلاب الطريق" و هي من المخطوطات التي تحتفظ بها مكتبة خدابخش الشهيرة في بتنا التي تعد من أكبر ذخائر المخطوطات في العالم. و يعتقد أن هذه هي النسخة الوحيدة للمخطوطة و لاتوجد لها نسخة أخرى في أى مكتبة من مكتبات العالم، و قد ذكر الباحث ميزات هذه المخطوطة و بعض التفاصيل عن صاحبها و سبب تأليفها.

مقال آخر هو ما كتبه "كيشف ملك" تحت عنوان "الفن: الدافع الانساني" يبحث فيه عن أعمال الفنانين البارزين و سماتها المميزة

و الاتجاهات الفنية السائدة لديهم و يرى الكاتب أن الاتجاهات الفنية التجريبية في العالم المعاصر كلها تنعكس في الأعمال الفنية الهندية مع طابع محلي قوى و ملموس.

و من أهم مقالات هذا العدد ما كتبه الأستاذ نقي حسين الجعفري تحت عنوان "تأثير الشعر العربي الاسباني على شعر الحب الانجليزي" أثبت فيه على ضوء آراء المستشرقين ما هناك من تأثير قوى ملموس للأدب العربي الأندلسي على التقاليد الأدبية الاوروبيه الأولى رغم ما هناك من تحفظات شديدة لدى اصحاب نزعه التحرر إلى الانجليز بهذا الصدد. و يرى الكاتب أن هناك تشابها غريبا بين ما يسمى بالتقليد التروبادورى في انشاد الأغاني أمام نخبة من المستمعين و بين انشاد الشعر بسوق عكاظ. كما قارن بين الولادة بنت المستكفي و اليـنور ملكة اقويتين التي احتلت مكان الصدارة على صعيد التقليد التروبادوري خلال الحملة الصليبية الثانية.

هذا العام هو عام الاحتفال بمرور مائتى سنة على ميلاد أكبر شعراء اللغه الأردية الميرزا أسد الله خان غالب الذي يمثل شعره مزيجا رائعا لجمال التعبيرات اللغويه في الأردية و الفارسية و الأفاق الفكرية السامية و بهذه المناسبه نقدم مقالا حول هذا الشاعر كتبه الأستاذ أنيس الرحمان و أبرز فيه ميزاته الشعريه المتميزه.

كما يشمل العدد مقالين هامين آخرين أحدهما يبحث عن تأثير اللغة الانجليزيه على أسلوب الصحافه العربيه الحديثة على مختلف المستويات مثل التعبير و البنيه النحويه و المصطلحات و الكلمات، و قد أورد الكاتب أمثلة وافيه لإثبات هذه الظاهرة الشائعة في الصحافة العربية في العصر الحاضر.

أما المقال الآخر فينوه بالكلمات التي تسربت باشكال مختلفة إلى اللغة التاميلية و هي اللغة المحلية لولاية تاميل نادو في جنوب الهند و إحدى اكثر اللغات تاثراً باللغة العربية.

أما الشخصية التي اخترناها لهذا العدد فهي شخصية في - كيه - كريشنا مينون أحد زملاء جواهر لال نهرو و الذي ترك بصمات لا تمحى على صفحات تاريخ الهند المستقلة و قضى حياته في خضم ردود فعل شديدة من الأصدقاء و الخصوم، و يعتقد أن اسهاماته في الانتاج الدفاعي للهند وضعت بنية للاستعدادات العسكرية للبلاد.

د/ زبير احمد الفاروقي

الهند كما تتجلّى من خلال الآداب العربية

بقلم: الأستاذ الدكتور شفيق أحمد خان الندوي*

الـهند، كما يعرفها الناس في العالم العربي، منذ القرون، هي بلاد البهارات أو الـتـوابـل، و بـلاد الـهـنـدسة و الرياضيات، و بلاد العجائب و الغرائب و السحر و الـشـعـوذة كـذلـك. إنـهـا ظـلـت مـركـزاً لـلـثقافات المنوعة و موئلاً للفلسفات و الملاحم و الديانات، و محلاً للاهتمامات العربية في مجالات الفنون و الآداب.

أمـا بـالـنـسبة إلى كلمة "هند" فإنها شائعة لدى العرب منذ الأيام الغابرة الـتـلـيـدة، يـسـمـون بـها إناثهم في أغلب الأحيان، و نكورهم في بعض الأحيان. و يـسـتـخـدمـونها كاسم لقطيعة من الإبل عددها من نحو مائة إلى نحو مائتين، و تـصـغـيـرهـا هـنـيدة اسم للمائة من الإبل، و هي معرفة لا تنصرف و لا تدخلها الألـف و الـلّام و لا تـجمع و لا واحد لها من جنسها. و الهنيدة تعنى مائة سنة مما تعدون مثلما قال سلمه بن الخرشب طبقاً للمعجم الوسيط(١):

و نصر بن دهمان الهُنَيْدَة عاشهـــــــا

و تسعين عاماً ثم قُوِّم فانصاتـــــــــا

---

* قسم اللغة العربية و آدابها، الجامعة الملية الاسلامية، نيو دلهي

إنـهـا كـفـعـل ثـلاثـي مجرد من باب نصر و ثلاثي مزيد فيه من باب تفعيل لـمعانٍ مختلفة، و لا يهمنا ذلك في هذا الخصوص. إنما المهم هو أن الأصل في الـتـهـنـيـد صـنـاعـة هـنـدية فالمهنّد هو السيف المطبوع من حديد الهند كخير الـحـديـد، فـيـقـال سيـف مهنّد و هندي و هندواني إذا ما تم صنعه في بلاد الهند و أحـكـم عـمـلـه. و الـمراد بالهندى، كما في لسان العرب لابن منظور، هو العود الـطيب الذي ورد من بلاد الهند. أما الهند ككلمة معرفة بالألف و اللّام فإنها دالة عـلـى بـلاديـا الهنديه منذ ابصال العرب بالفرس لأنها في الحقيقة صورة مقلوبة لـكـلـمة سندهـ إذ أن منطقه وادي سندهـ كانت معروفة باسم سندهـ في العصر الـقـديـم. و لـما تمب عليها سيطرة الفرس فإنهم جعلوا يسمونها هند و كانوا قد يضيفون إلى آخرها "ش" فينطقونها هندش، و في اللغة الإيرانية القديمة كانت الـكـاف مـسـتـخدمة للتعبير عن انتماء معين فبدأوا ينادون سكان هندش بكلمة هـنـدك، و هـكـذا وصلت كلمة "الهند" عن طريق إيران إلى العرب، فقال الشاعر كثير (المتوفى ١٢٤هـ) بيتاً ورد فيه:

و مقربة دهم و كمت كأنهـــا طماطم يوفون الوفور هنادكا

و لـمـا وصـل الـيـونانيون مع الأسكندر إلى نهر السند تلقوا أيضا اسم هذه الـمـنـطـقـه من الفرس و لكن الهاء انقلبت عندهم إلى همزة فأصبحت إندس أو إند و بـالـتـالـي حولها الأوربيون إلى إندس أو إنديا. أما في اللغة الفرنسية فإنها بقيت "إند"(٢)

و بـالتالي استخدمها الشعراء العرب في أواخر العصر الجاهلي و في صدر الإسلام في مدح السيوف الهندية، فقال المهلهل (م نحو ١٠٠ قبل الهجرة) :

هزموا العداة بكل أسمـر مارن　　و مهنــــــد مثل الغدير يماني

و في قصيدة بانت سعاد لسيدنا كعب بن زهير:

إن الرسول لسيف يستضاء بــه　　مهنــــــد من سيوف اللّه مســلول

و قال طرفة (م نحو ٦٠ ق هـ):

فآليت لاينفك كشحي بطانــــة　　لعضب رقيق السفرتين مهنــــــد

و ظلم نوي القربى أشد مضاضة　　على المرء من وقع الحسام المهند

هـذا في مجال الصناعة الحديدية الهندية و العود الهندي، و أما ما يخص بالثقافة العربية الإسلامية فإن هناك أعلاما بارزين من الهند و السندهـ من أمثال أبي العطاء، و محمد بن الاعرابي، و تلميذه أبي معشر نجيح صاحب كتاب المغازي، فكان أبو العطاء السندي من خيرة شعراء اللغة العربية أشاد بشعره الأمويون إشادة موفورة، تتواجد في ثنايا كتب التاريخ و السير. و اعترف ابن السكبيت و ثعلب و نحوهما من العلماء العرب من ذوي الاختصاص بأنهم استفادوا من كتاب الأنواء و كتاب أسماء الخيل و أنسابها لمحمد بن الأعرابي السندي استفادة كاملة. و تمّ هذا التبادل الثقافي العربي الهندي عن طريق التجارة و الغزوات و الرحلات، و عامة رجال العلم و المعرفة، و صرّح بذلك أبوعثمان الجاحظ (م ٨٦٨هـ) في البيان و التبيين حيث قال: و اشتهرت الهند بالحساب و علوم النجوم و أسرار الطب و النجر و التصاوير و الصناعات الكثيرة العجيبة. و كذلك فإن المؤرخ جمال الدين القفطي (م ١٢٤٨م) عدّ الهند و الهنود على رأس قائمة الأمم الراقية، و صرّح في تاليفه المعروف بتاريخ الحكماء بأن الأمم الثماني التي عنيت بالعلوم هم الهنود و الفرس و الكلدانيون و اليونانيون

و الروم و أهل مصر و العرب و العبرانيون و هذه الأمم المذكورة هم الذين اعتنوا بالعلوم و الفنون و استخراجها و باقي الأمم لم تعن بشيء من ذلك و لا ظهر لها شيء منه. و يستطرد قائلاً: إن الهند هم الأمة الأولى كثيرة العدد و فخمة الملك. و قديماً قالوا إن الكتاب الموجود في المكتبات العربية حول الرياضيات و الفلك هو ليس إلّا صورة عربية من كتاب سدهانته السنسكريتي الشهيرة الذي تمت ترجمته على يد ابراهيم الفراري حوالي عام ٧٧٠م.

و كتب الجغرافيا و الرحلات و التواريخ العربية مليئة بالأسماء و الأعياد و المفردات و المصطلحات اللغوية الهندية فلنأخذ مثلاً رحلة سليمان التاجر (٢٣٧هـ) المنشورة عام ١٨٤٥م بإسم سلسلة التواريخ وصف فيها سليمان وصفا دقيقا للمناطق الساحلية الهندية و كتاب المسالك و الممالك لابن خورداذبه (م ٣٠٠هـ) الذي كان رئيسا للشئون البريدية في حكومة الخليفة معتمد العباسي و مروج الذهب و معادن الجواهر لأبي الحسن على المسعودي (م ٣٤٥هـ) الذي تمّ تأليفه في الفترة مابين ٣٣٠ ـ ٣٣٢هـ و كتابي الأقاليم و مسالك الممالك لأبي اسحاق ابراهيم بن محمد الاصطخرى الذي زار الهند في حوالي عام ٣٤٠هـ و قابل الرحالة البغدادي ابن حوقل (٣٦٦هـ) صاحب كتاب أشكال البلاد في السند، و أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم لشمس الدين محمد بن أحمد البشاري المقدسي (٣٧٥هـ) و تبدو من خلال هذه المراجع أن العلاقات الهندية العربية قديمة جدا و لها جذور حضارية عريقة ترجع إلى ما قبل الإسلام و تدل على ذلك كلمات هندية عديدة متواجدة في القرآن الكريم نحو مسك (Musk) و زنجبيل (Ginger) و كافور (Camphor) (٣). و إذا رجعنا إلى المؤلفات العربية المذكورة أعلاه لوجدنا كلمات هندية كثيرة لا تعد و لا تحصى من أمثال نارجيل (Coconut) و جزر (Carrots) و صندل (Sandals) و بوذا

(Budha) و زط أو زاط (Jat) و تاكور أو طاغور (Thakur) و ملتان و دابيل (Multan & Dabhel) و بانيه (Baniya) و تنبول (Betel/Pan) و انبه (Mango) و اطريفل (Tirphela) و قرنفل (Kanaka phool/Clove) و ساسم (Shisham wood).

أما المكتبات العربية الإسلامية فإنها مزدهرة بالمؤلفات العربية الإسلامية و التي نتعرف عليها من خلال الموسوعات و المؤلفات التاريخية بمافيها كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون للحاج خليفة، و الثقافة الإسلامية في الهند للشيخ عبد الحي الحسني (من إصدار المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٨م) و معجم المؤلفين لعمر رضا كحآلة. أهمها كتاب العباب الزاخر للعالم اللغوي حسن بن محمد الصغاني اللاهوري (من ابناء القرن السابع الهجري) الذي اعترف بفضله العلامة السيوطي و الإمام الذهبي و الدمياطي في مجالات اللغة و الحديث و الفقه. و له تاليف آخر في الحديث النبوي الشريف - و هو مشارق الانوار.

و كذلك فإن الكتاب كنز العمال للشيخ علي متقي الكجراتي (من القرن العاشر الهجري) الذي نشرته دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، هو كنز ثمين للاحاديث و دليل نافع لموسوعة العلامة جلال الدين السيوطي في الحديث النبوي الشريف المسماة بـ"جمع الجوامع" و قال الشيخ أبو الحسن البكري الشافعي أحد محدثي القرن العاشر في الحجاز: إن العالم الإسلامي مدين للعلامة السيوطي بالشكر لخدمته في علوم الحديث النبوي الشريف. و العلامة السيوطي بنفسه مدين للشيخ علي متقي الهندي بالشكر لتحقيق مجموعته جمع الجوامع باسم كنز العمال.

و مـجمع بحار الأنوار للشيخ محمد طاهر البتني (م ٩٨٦هـ) و كتابه الآخر بـاسـم تـذكـرة الموضوعات كتابان قيّمان لا يستغني عنهما أحد من دارسي علوم الحديث النبوي الشريف.

والـفـتاوى الهندية موسوعة فقهية حنفية و مرجع مهم باللغة العربية، تمّ تـدويـنـهـا بـأمـر من السلطان المغولي أورنك زيب عالم كير (١٦١٨ ـ ١٧٠٧م) تحت إشراف لجنة مكونة من الفقهاء و المتخصّصين في دلهي.

و مسـلـم الثبوت في أصول الفقه للشيخ محب اللّه البيهارى (م ١١١٩هـ) مرجع فـقـهـي آخـر شـرحـه الـفقهاء و المحدثون في عصور مختلفة و ذكر الشيخ عبد الحي الحسني في كتابه: الثقافة الإسلامية في الهند شروحاً يبلغ عددها ١٠.

و كـشـاف اصـطـلاحات الفنون معجم هندي عظيم للمصطلحات العربية و وصـفـه جـرجـى زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٣٥٤/٣) بأنه معجم لغوي فـنـي اصـطـلاحـي جـمـع فـيـه الـمـؤلـف مـصطلحات العلوم و تعريفها و شرح الموضوعات الاصطلاحية حسب العلم و قد يأتي بفذلكة تاريخية عن أسباب تلك الـتـسـمـيـات فـهو من خيرة الكتب التي تقتني للمراجعة و يستعان به في وضع المصطلحات العلمية الحديثة.

و الـشـمـس الـبازغه في الحكمة، و الفرائد شرح الفوائد لصاحبهما الملاّ مـحـمـود الـجونبوري (م ١٠٦٢) الذي قال عنه الشيخ غلام علي آزاد البلكرامي في سـبـحـه المرجان: لا ريب أنه لم يظهر بالهند مثل فاروقيين أحدهما في الحقائق و هـو أحـمد السرهندي و الثاني في العلوم الحكمية و الأدبية و هو الملاّ محمود الجونبوري.

و حجة الله البالغة للإمام ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (م ١١٧٦هـ) كتاب رائع بديع حول أسرار أحكام الشريعة و حكمة الدين و فلسفة الشرع الإسلامي لم يسبق له نظير في آداب الشعوب الإسلامية جمعاء. و طبع في مصر مراراً و تكراراً، أشاد العرب بأسلوبه العربي السليم إشادة بالغة.

و تاج العروس في شرح القاموس للعلامة الشريف مرتضى البلكرامي الزبيدي (م ١٢٠٥هـ) و يحتوي على خمسة آلاف صفحة في عشرة مجلدات ضخمة هو ليس شرحا للقاموس المحيط للعلامة مجد الدين الفيروزآبادي فقط بل و إنه تحقيق و تصحيح و تعديل و إضافات اعترف بفضله العلماء و الملوك من سائر أرجاء العالم.

هذا قليل من كثير و لا يسعني في هذا المجال إلّا أن أذكركم بأن الهند أنجبت أدباء و مؤلفين في القرن الرابع عشر الهجري كذلك و على سبيل المثال و لا الحصر الأمير صديق حسن خان القنوجي البهوبالي (١٣٠٧هـ) صاحب المؤلفات الكثيرة باللغات العربية و الأردية و الفارسية و من ضمنها ٥٦ مؤلفا عربيا نحو أبجد العلوم، و التاج المكلل، و البلغة في أصول اللغة و العلم الخفاق في علم الاشتقاق.

كما خلّف الشيخ عبد الحي الفرنكي محلي (م ١٣٠٤هـ) ٨٦ كتابا باللغة العربية أهمها الفوائد البهية.

و الشيخ أشرف علي التهانوي (م ١٣٦٢هـ) خلّف لنا ١٣ مؤلفا بالعربية من بين مؤلفاته الكثيرة التي يبلغ عددها ٩١٠.

و ألّف الشيخ محمود حسن التونكي (م ١٣٦٦هـ) معجماً للمؤلفين المسلمين باسم معجم المصنفين. إنه يعتبر موسوعة كبيرة محتوية على ٦٠

مـجـلـدا ضـخـمـا مـكونا من عشرين ألف صفحة تتضمن أربعين ألف كاتب من كتاب اللغة العربية، تمّ نشر ٤ مجلدات منها في بيروت على نفقة إمارة حيدرآباد الـمـنصرمة، كما ألف العلامة الشيخ عبد الحي الحسني الراي بريلوي موسوعته الـشـهـيرة نـزهة الـخواطر و بهجة المسامع و المناظر في تراجم علماء الهند و أعـيـانـهـا طـبـع أخـيرا باسم الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام في ثمانية مجـلـدات، إلـى جـانـب مـؤلفيه الشهيرين: الهند في العهد الإسلامي، و الثقافة الإسلامية في الهند.

و مـمـا يـجدر بالذكر أن العلامة شبلي النعماني عندما انتقد على جورجي زيـدان فـي تـاريـخ الـتمدن الإسلامي و نشر نقده في مجلة المنار المصرية على حلقات عام ١٩١٢م فأصدر العلامة رشيد رضا بياناً قال فيه إن المسيحي جورجي زيـدان زيّف الـوقـائـع و الـمـراجع و ذم العرب و روى الإسرائيليات و الروايات غير الصحيحة، فلم يرد عليه أحد من العرب. و إنما قام مجاهد هندي و أدّى فريضة الـكـفـايـة عن الأمة الإسلامية فدافع عن الاسلام و المسلمين، الا و هو المصلح التربوي الكبير شبلي النعماني.

هذا في مجال النثر و أما في مجال الشعر فقد أنجبت الهند شعراء عباقرة باللـغـة الـعـربـيـة من أمثال عبد المقتدر الكندي الدهلوي (م٧٩١هـ) و أحمد بن مـحـمد النهانيسري (م ٨٢٠هـ) و غلام علي آزاد البلكرامي صاحب السبع السيارة (م ١٢٠٠) و صـدر الـدين الـمـفـتـي الـدهـلـوي (م ١٢٨٥) و الـشـيـخ فـيض الحسن سـهـارنـبوري (م ١٣٠٤) و الـشـيـخ ذوالفقارعلي الديوبندي (م ١٣٢٢هـ)(٤)، و الشيخ حميد الدين الفراهي (م ١٩٣٠م).

أما بالنسبة إلى العصر الحاضر فإن اللغة العربية و آدابها مزدهرة للغاية و دراستها على قدم و ساق فيما بين الجامعات و المعاهد الهندية الأهلية منها و الرسمية و في مقدمتهم الشيخ أبو الحسن الندوي صاحب الاسلوب الخاص بالمدرسة الأدبية الإسلامية العربية الهندية، على حد تعبيره بالذات. فإن الهند تتجلى من خلال مؤلفاته العربية بوفرة و عددها يبلغ ١٧٧ مؤلما عربيا بين صغير و كبير، أهمها: المسلمون في الهند و ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، و روائع اقبال، و الطريق إلى المدينة، و أحاديث صريحة مع أخواننا العرب و المسلمين، و الإسلام أثره في الحضارة و فضله على الإنسانية، و رجال الفكر و الدعوة في الإسلام.

و لايخفى على من له إلمام بالتاريخ الطبي أن الطبيب الهندي صالح بهلّة كان متمتعا بالشعبية في بغداد إبان حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد و توجد وصفاته الطبية في الكتب الطبية العربية حتى الآن. و روي عن الجاحظ أنه قال إن الأطباء الهنود كنكا و مانكا و صنغال (Ganga, Manka & Singhal) كانوا يلازمون يحي بن خالد البرمكي مؤدب هارون الرشيد و وزيره (م ٨٠٥هـ)، و ذلك ما أدى إلى تواصل ترجمة كتب خاصة بالطب الشعبي الهندي و العقاقير و اليوغا إلى اللغة العربية حتى سافر إلى الهند الرحالة ابن بطوطة (١٣٠٤ ـ ١٣٧٧) في عصر محمد تغلق و مكث فيها طويلا، و اشغل قاضيا في محكمة دلهي و ألف كتابا بعنوان تحفة الأنظار و غرائب الامصار. و هو تحفة ثمينة للثقافة بالفعل. زار ابن بطوطة معبد كاجوراؤ الكائن في ولاية مدهيا براديش و وصفه وصفا شاملا. ثم زار أبوريحان البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨م) الذي مكث في بلادنا الهندية لمدة ١٠ سنوات كاملة. و تعلّم اللغة السنسكريتية و ألّف كتابه عن الهند باسم:"تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، و نقل

علوما هندية عديدة إلى اللغة العربية(٥). و لذا فإن الطابع الهندي القوي يوجد في مجالات الرياضيات و علم الفلك و علم النجوم و التصوف و الفلسفة العامة، و ذلك استمدادا من الهند بدلا عن اليونان و اعترف بذلك المتصوفون و الفلاسفة العرب بصراحه، أثناء تحاليلهم الصوفية و الفلسفية حول القضايا الاجتماعية المتنوعة و مقارنتهم بين الأفكار الفلسفية و النزعات الصوفية بمافيها فكرة تناسخ الارواح فإنها تتوفر لدى بعض الطوائف العربية في العراق و في أدب المهجر بوجه خاص، و على سبيل المثال قصة جبران خليل جبران (م ١٩٣١م) "في رماد الاجيال الخالدة"، و قصيدة إلياس فرحات "السكرة الخالدة"(٦) و بعض ابياتها كالاتي:

سكرت بعينيك منذ الازل | و ها انا في سكرتي لم ازل
ألا تنكرين الزمان القديم | الا تنكرين العصور الاول
الا تنكرين بانا وجدنا محبين قبل وجود الغزل

—

تحولت في الروض من زهرة | إلى نخلة لا تطيق الكسل
و فاجانا الموت يوما فمتنا | و لكن مماتنا قصير الاجل
فصيرنا اللّه زوجي حمام | نغني الضحى و نغني الطفل

—

أخيراً خلقت بشكل امرئ | يقلب بين نيوب الوجل

—

و بنكر عهداً قديماً مضى | فينكر حباً قديماً رحل (٧)

و الجدير بالذكر أن الشاعر الفلسفي المتشائم أبو العلاء المعري (المتوفى ١٠٥٧م) كان قد تأثر من قبل بفكرة براهامتشارية الهندوسية و آمن بها بعد ما درس الملل و النحل و فلسفة الهند و اليونان في بغداد و عاد إلى مسقط رأسه معرة النعمان في سورية فلزم بيته و لزم الصوم و امتنع عن كل ذي روح رفقا بالحيوان و صار نباتيا ممتنعا عن اللحوم، و لم يتزوج طوال مدة حياته و أوصى أهله و ذويه بكتابة بيت من شعره المتشائم على لوحة قبره و هو:

هذا ما جنـــــــاه أبي عليّ   و ما جنيت على أحـــــــــد

علماً بأنه كانت قد تمت ترجمة أفكار بوذا و ملحمة مهابهارتا إلى العربية في أوائل العصر العباسي طبقا لما رآه العلامة سيد سليمان الندوي في تأليفه العظيم "العلاقات الهندية العربية"، مثلما تمت ترجمة القصص و الأساطير الهندية. و قصص ألف ليلة و ليلة التي أثرت في القصة الأوربية الحديثة أثرا ملموسا هي مستفادة من الجذور القصصية الهندية مع جذورها الإيرانية و العربية. و من المعروف أن الحكيم الهندي بيدبا هو الذي ألف مجموعة قصصية هندية في صالح ملكة دبشليم و زوده بحكم و مواعظ قيمة لتدبير البلاد و إصلاح ذات البين. و نقلها عبد اللّه بن المقفع من الفارسية إلى العربية فنظمها ابن الهباري بأبيات عربية، كما توجد مجموعات أقاصيص بانش تانترا السنسكريتية في شكل كتيبات عربية جميلة بصورة مستقلة بالذات بقلم أحمد نجيب المصري كسلسلة حكايات بابا نجيب، مثلما تتوفر قصص الفليسوف الهندي تشانكيه بين دفتي كتاب سراج الملوك بالعربيه و هي عبارة عن كنز ثمين للحكم و البصائر الهندية في سبيل العدل و تدبير الحكم، و معظم حكايات سندباد البحري هندية نقلت إلى العربية عن طريق الفارسية.

لـقـد تـاثـر بـعـض الشعراء المعاصرين العرب بالديانة البونية و فلسفاتها اللاعنفية و مبادئها السلمية مثل الولوع بالوحدة و العزلة و المراقبة. فهذا شاعر اسـمـه أحمد مخيمر قرض قصيدة طويلة خاصة عن البوذا بعنوان الوحدة: من ملحمة أشواق بوذا، يستهلّها بمايلي:

عانقيني يا وحدتي عانقيني   و ارفعينـــي إلى ذراك قليلا

و كـذلـك الـشـاعـر عبد اللّه فنون تقدم بمنظومة مطولة عن الرامايانيات يصور فيها راما و معاناته من العناء في سبيل استعادة زوجته المختطفة سيتا.

و قـام وديـع الـبـسـتاني بتعريب الملحمة الهندوسية مهابهارتا يصور فيها حـربا دائرة بين الكورو و الباندو و لاسيما الملك الشرير دريودان و زوجة ابن عمه الملكة داروبادي التي جعلها داربودان أمة في قصر الكورو لمدة يسيرة.

و شرح حسان عزب مشاعر الملك دوكمنتا لعشيقته الجميلة شاكنتلا.

و صـور الـشـاعـر الـعربي السعودي علي أبو العلاء التاج محل كقصر للعبر باهي جامعا من الجوامع التي تتسم بروعة الفن و إبداع الصور حيث يقول:

عظة الدهر و تاريخ العبــــر   ما رأت عيني بقصر من حجر

قام في آغرا بباهي جامعـــا   روعة الفن و إبداع الصـــــور

نقش المرآن في جدرانـــــه   سلسلا ينساب من فيض الدرر

هي للاجيـــال ذكرى ما مضى   عظة الدهـــــر و تاريخ العبر

و هـنـاك قـصـيـدة أخرى عن الـتـاج محـل لـلشاعر أحمد سليمان أحمد و عـنـوانـها الشمس على التاج محل. و سجل أديب العربية المعروف الشيخ علي

الطنطاوي ارتساماته و خواطره عن الهند و ذلك في رحلته إلى الهند عندما زارها و أقام في دار العلوم لندوة العلماء، لكهنؤ، و فيها مقالة عن الهند كفردوس مفقود عنوانها: الفردوس الإسلامي في قارة آسيا، و يصف فيها التاج محل كرثاء زوج لزوجة بصورة رائعة جذابة و ممتعة، و منها ما يلي:

و كان لشاهجهان زوجة لا نظير لحسنها في الحسن، و لا مثيل لحبه إياها في الحب هي ممتاز محل، فماتت، فرثاها و لكن لا بقصيدة من الشعر، و خلّدها و لكن لا بصورة و لا تمثال، لقد رثاها فخلدها بقطعة فنية من الرخام ما قال شاعر قصيدة أشعر منها، و لا لحن موسيقي أغنية أعذب منها، و لا صور مصور لوحة أروع منها، فهي شعر، و هي أغنية، و هي صورة، و هي أعظم تحفة في فن العمران هي تاج محل...(٨)

و كذلك الشاعر عمر أبو ريشة تقدم بمنظومة رائعة عن التاج محل و عنوانها حب الأرض، يقول فيه:

ملاك الموت طاف بي الأعالي ... دمشق بها غياهب كل نيه

و ابرز لي النجوم و كل نجم ... ينتبه بما لديه على أخيه

و أنت طويت عمرك في التغني ... بفردوس الجمال و ساكنيه

علماً بأن الشاعر السوري عمر أباريشة (١٩١٠ ـ ١٩٩٠م) كان شاعراً دبلوماسياً شهيراً و معروفاً بشاعر الحب و الجمال أو شاعر الشباب السوري. إنه قضى مدة طويلة في العاصمة الهندية نيو دلهي سفيرا للجمهورية السورية، يتردد علينا مرة بعد مرة، و على فكرة فإنني أتذكره كضيف شرف لنا في إحدى المسابقات الادبية العربية في مبنى كلية الآداب بالجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي، على

دعوة من النادي العربي الادبي للطلاب بإشراف الأستاذين الدكتورين الفاضلين عبد الحليم الندوي و سيد محمد اجتباء الندوي عام ١٩٦٨م فوزع علينا كطلاب جوائز و أوسمة تقدير، و متّعنا بإلقاء قصائده الرائعة بصورة شخصية، بمافيها هذه القصيدة المذكورة أعلاه (التاج محل) و قصيدة أخرى بعنوان:معبد كاجوراؤ. و إنني الآن، على مرور ٣٠ سنة كاملة، إذ أتذكره و أحيي ذكريات عاشق الهند عمر ابي ريشة الشاعر الفنان القدير الموهوب بريشة التصوير الفني الشعري الجميلة، أرى شخصيته الأنيمة الحية و صوته الرنان المدوي في آذاننا حتى الآن، و أشعر ببعض أوجه الشبه بينه و بين شاعرنا الأوردي جوش مليح آبادي القائل:

نام هی میرا تغیر کام هی میرا شباب

میرا نعره انقلاب و انقلاب انقلاب

(إنني لا اسمّي نفسي إلّا بالتغير و الاستبدال. أما الهدف الذي أرمي إليه في حيابي و أنادي به فإنه عبارة عن الشباب و الثورة و الانقلاب)

أتذكره أنيقا في لباسه مثل إناقته في شعره، وسيم الطلعة مثل وسامة أبياته، شامخا في طوله مثل شموخه في أدبه و ثقافته، متواضعا دون تكلف معتزا بنفسه في غير تعال.

و إليكم بعض أبيات قصيدته المعروفة بـ معبد كاجوراؤ الذي يعتبره الشاعر أروع ما شاهده في حياته بين مئات من التماثيل التي تعبر بكل جرأة و وضوح عن الأهواء الجنسية الطبيعية و الشاذة و الخيالية. يقول الشاعر إنه مرّ بإمرأة عجوز فسمعها تقول لنفسها: ما أقذر هذه المناظر و ما أقذر صانعيها، غير أن دهشته كانت بالغة حدها لما رأى تلك المرأة في اليوم التالي تملى من تلك المناظر مستمتعة بتلك المشاهد الخلابة و بيدها منظار مكبر.

و هكذا يكشف الشاعر عن فرار الناس من الواقع كما يصور فراره الشخصي من واقع الحياة في قصيدته المعروفة بـ "عناد" و التي يتكرر فيها مصرع سيار: ماكنت أحسب أنها تتغير.

يشيد الشاعر بالفن المعماري الخاص بالمعبد و خلوده على مر العصور ثم يصور الجمال النسوي الذي يتجلى من خلال التماثيل و الرسوم الخليعة الخلابة. يستهلّ الشاعر هذه القصيدة (المكونة من ٨١ بيتا) بنكر لباقة الفن المعماري الهندي و خلوده على مرّ الدهور:

من منكما وهب الأمـــــان	لأخيه أنت أم الزمـــــان
يا هيكلا نثر الفتـــــون	و رنّح الدنيا افتتــــــان
وثب الخيـــــال إلى لقاك	و ردّ وثبته العيـــــــان
و تكلمت أحجارك الصمـاء	مشرقة البيـــــــــان

ثم يخاطب المعبد فيقول:

شقيت على أعتابك الغارات	و انتحرت هـــــــوان
و تمزقت أملاكهـــــــــا	تاجا و فضت صولجـــان
و بقيت وحدك فوق هــــذا	الصخر وقفة عنفــــوان

ثم يرسم التماثيل و الأصنام الخليعة المنحوتة على جدران المعبد رسما جذابا يستهوي قلوب القارئ استهواء بالغا حيث يقول:

هذان نضوا صبـــــــــوة　　مجنونة يتعانقـــــــان
و على ارتخاء الساعد الرّيان　　تخفـق خصلتـــــــــان
شفة على شفــة تفتــــح　　برعمـــــــــا و تلف بان
و إلى جوارهمـــــا تثنت　　سروة بل سروتــــــــان

ثم يصور الشاعر مشاهد السرور و البهجة و الجمال و مناظر الرقص الني بـشاهدها بداحل المعبد من خلال التماثيل المنحوتة على الجدران تصويرا فنيا بنكرنا شعراء الغزل لدينا في اللغة الأردية من أمثال أسد اللّه خان غالب و أسرار الـحق مجاز. و أحيراً فإن الشاعر بشر إلى دمار القيم الخلقية و انتهاك حرمات المعبد بواسطة هده النماثيل الحليعة فيقول:

كاحراؤ هل من حرمـــــة　　لك عند رائيها تصـــــان
كم رائر أدمـــــــى فؤادك　　ما أســـــر و ما أبــــان
أحمى الرصى و نظاهــرت　　بالسخط عيناه اللتــــان
سحربــــــاں و سهــــلاں　　و نسكـــــران و تحلمـــان
كاجراؤ عموك ليس لـــــي　　مني على حلمي ائتمـــاں
كاحراؤ لولا العحـــــــــز　　و الحرمان ما كان الجبان(٩)

و هـكـذا اسـتـطـاع الـشـاعر أں بوجه كلمه تقدير للفن المعماري الهندي و دوقـه الـنـسـائـي اللطيف مع نحفّظه بفكره الاحتفاظ بحرمة المعبد و تثبيط مطاهر الخلاعه و المجون.

رحم اللّه أباريشه فإنه كان من عشاق بلادنا الهند حقا، تدل على ذلك مقابلة صحفية أخيرة له نُشرت في جريدة الشرق الأوسط. و من ضمنها أن السيد حاتم صادق عندما استفسر الشاعر عمر أباريشه عن النقد و النقاد فإنه أجاب مايلي:

"عاصرت نقادا كثيرين و التقيتهم و أعليهم في الهند التي اعتبرها نقطة الضعف الجمالية عندي فكم زرت و رأيت بلادا و عرفت أماكن لكن الهند تبقى الأجمل و الأعظم، و كم عرفت فلاسفة غربيين كبارا، و عندما اطلعت على الثقافة و الفكر في الهند وجدت هولاء يتقزمون أمام العمالقة من فلاسفة الهند، و اكتشفت أنهم أخذوا أو سرقوا من الفلسفة الهندية و وضعوا مدارسهم التي اعتبرت أساس الثقافة العالمية مثل ديوي و ديكارت وغيرهما و لنأخذ مثلا نهرو فقد فرضت السياسة عليه فرضا لأنه فيلسوف عملاق، و كريشنان أيضا من عباقرة زماننا و فلاسفتهم. و قد توسعت كثيرا في دراسة الفكر و الفلسفة في الهند، و أنا أحافظ على زيارتها في كل عام لأن ما يربطني بها عميق جدا و إعجابي بطبيعتها كبير و خاصة جبال الهملايا"(١٠).

أهم مراجع البحث

١ ـ ابراهيم أنيس و زملاؤه، المعجم الوسيط، دار احياء التراث العربي، القاهرة ١٩٧٢

٢ ـ عبد العليم، "هند و مهند" مجلة المجمع العلمي الهندي، على كره ٢٠١٤ ج١٨ (١٩٩٦م) ص ٥٩

٣ ـ سيد سليمان الندوي: عرب و هند كى تعلقات (العلاقات الهندية العربية) بالاردية، هندوستاني اكادمى اللّه آباد ١٩٢٩م

٤ ـ أبـو الـحـسـن عـلـي الندوي: المسلمون في الهند، مجلس تحقيقات و نشريات اسلام (المجمع الإسلامي العلمي) ندوة العلماء لكهنؤ ١٩٦١م

٥ ـ محمد جمال الدين المندي أبو ريحان البيروني، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م

٦ ـ راجع العدد المنصرم لمجلة "ثقافة الهند" (و فيه مقال عن جبران لكاتب هذه الأسطر).

٧ ـ محمد مصطفى بدوي: مختارات من الشعر العربي الحديث، اوكسفورد.

٨ ـ أبو الحسن علي الندوي: مختارات من أدب العرب ج١، ندوة العلماء لكهنؤ

٩ ـ عمر أبو ريشة: مختارات أبي ريشة، المكتب التجاري، بيروت ١٩٥٩

١٠ ـ جريدة الشرق الأوسط (لندن/جدة) عدد ٤٢٩٥ بتاريخ ١٩٩٠/٩/١م

■■

نسخة خطية نادرة لتراجم الصوفية:
اختيار الرفيق لطلاب الطريق

بقلم : د/ محمد ذاكر حسين

مكتبة خدا بخش ـ بپتنه

إن علـمـاء الـعـرب و كـتّابهم لم يعتنوا بفن التصوف اعتناءً ينكر و لم يهتموا به اهـتـمـاما يُعبأ به كاهتمام علماء العجم و دارسيهم لأن الكتب التي ألفها العرب حـول الـتـصـوف لـيـسـت أكـثـر من الـكـتب الفارسية ـ و لعل السبب في ذلك أن الـتصوف نشأ و ازدهر في العجم كما قال الباحث الأستاذ عبد السلام الندوي "إن هـذا الـمـوضـوع فـي الاسلام اخـتـراع جديد، و لفظ الصوفى أيضا من اختراع الـعـجـم"(١) و فى رأى الشيخ أبى القاسم القشيرى ظهر إسم التصوف في القرن الثانى الهجرى و لم يطهر قبل هذاالقرن.

اعـلـمـوا أن الـمـسـلـمـين بـعـد رسـول الـلّه صلى اللّه عليه وسلم لم يقم أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم اذ لا فـضـيـلـة فوقها ففيل لهم: الصحابة و لما أدركهم أهل العصر الثانى سمى من صحب الصحابة التابعين، ثم اختلف الناس و تباينت المراتب فقيل لخواص الـنـاس لـمن لـهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد و العباد ثم ظهرت البدع و حصل الـتـداعى بين الفرق ـ فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا فانفرد خواص أهل السنة

الـمـراعـون أنـفـسـهـم مع اللّه تعالى الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف ـ و اشتهر هدا الإسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة"(٢).

و قـال حـاجـى خـلـيـفـه: "أول من سمى بالصوفى هو ابو الهاشم الصوفى الكوفى المتوفى ١٥٠ هـ"(٣)

لذلك لا يوجد كتب عربيه حول موضوع التصوف إلاّ بعدد قليل كتبه العرب. أما مكتبات الهند و التجار الشخصية التي توجد في هذه البلاد ففيها كثير من المخطوطات حول التصوف و تراجم الصوفية بالعربية و لاسيما في مكتبة خدا بخش بتنه التي لها شأن كبير و تحتل مكانة عاليه بين مكتبات العالم.

هـده المكتبه العظيمه تحتوي على خزينه كبرى للجواهر النيرة و النوادر الـمـهـمة و نقدم منها نسخه خطيه تنفرد بتراجم الصوفية التي تسمى "باختيار الرفيق لطلاب الطريق"، و هي كتبت في أوائل القرن العاشر من الهجرة، لا توجد لها نسخه أخرى ـ كما نعلم ـ في أي مكتبه من مكتبات العالم.

المؤلف.

إن هـدا الـكـتـاب الذى نتكلم عنه هو تأليف لعالم صوفي و توفي في القرن الـتـاسـع الـهـجـري و هـو أحـمـد بن سـلامه بن رباح بن محمد بن سلامة بن سلم المقدسي، كنيته أبو العباس و لقبه شهاب الدين.

ولـد هـدا الـعـالـم و نـشـأ و ترعرع في مدينه القدس الذي ينتسب إلى بيت الـمقدس(٤) ثم ارتحل الى مصر و توطنها و تحل بشك و صار شيخا بالخانقاه، و خـطـيـبـا بـالـجامع و بعد مده اعتزل عنها، لأن بعض الناس قد تعصبوا عليه فـعوض اللّه جل و علا بجانباه سرياقوس فقام هناك بأعمال جليلة إلى أن مات.

و ألف كتابا في تراجم الصوفية بإسم "اختيار الرفيق لطلاب الطريق" في سنة ٧٤٠ من الهجرة و قبل تأليفه هذا قد ألف غاية المراد في العزلة و الانفراد" في التصوف. و انتقل إلى جوار رحمة اللّه في سنة ٧٦٩ من الهجرة.

قد طالعنا اكثر كتب من التراجم و التصوف و قد تصفحنا معظم الفهارس الخطية و المطبوعة و لكننا لم نجد ترجمة المؤلف إلاّ في الدرر الكامنة لإبن حجر العسقلاني(٥) ثم ذكر بروكلمان(٦) و عمر رضا كحالة(٧) في كتبهما عن المؤلف و لكنهما لم يزيدا شيئا غير أن كحالة كشف عن إسم الكتاب الذي ذكره ابن حجر مبهماً" و ألف كتابا في الصوفية و هو "اختيار الرفيق لطلاب الطريق". يرى أن هذا الكتاب لم يصل إلى يد إبن حجر العسقلانى لذلك ذكره بدون الإسم.

مؤلفاتـــــه:

و يظهر من عبارات المؤرخين أن أحمد بن سلامة المقدسى له كتاب واحد سمّاه "اخنيار الرفيق لطلاب الطربق" ماعدا ذلك لم نجد أى كتاب نسب إليه في أى فهرس من المهارس الخطية و المطبوعة و لكننا لما أمعنا النظر في هذه النسخة التي نتكلم عنها وجدنا كتابه الثانى المسمى"بغاية المراد في العزلة و الانفراد" كما ذكره المؤلف:

"قد جمعت في المعنى جزءًا لطيفاً سميته "غاية المراد في العزلة و الانفراد" فمن وقف عليه رأى من الكلام في ذلك ما يشفيه و لنرجع إلى ذكرما كنا فيه"(٨).

هذا الكتاب لا يوجد في هذه الأيام. لعله فقد منذ زمن طويل و يظهر من إسمه أن له صلة بالتصوف.

وصف النسخة الخطية:

هـذه الـنسخة التي نتكلم عنها، نسخة فريدة، و وحيدة، محفوظة بمكتبة خدا بـخـش بتنه تحت رقم ٢٤٤٠، و المخطوطة تقع في ١١٨ ورقة، و في كل ورقة تـسـعـة عـشـر سطراً، و الصفحة من القطع المتوسط ، و مكتوب بخط النسخ، و اسـتـخـدم الـحـبـر الاحـمـر في كتابة العناوين و خطها محمد بن عبد اللطيف الجوينى الأزهرى الشافعى في سنة ٩١٣ الهجرية كما يظهر من ترقيمة الكاتب:

"و كـان الفراغ من كتابته يوم الأحد المبارك سلخ ذى الحجة الحرام ختام عـام ٩١٣ عـلـى يـد افـقر عبيد اللّه و أحوجهم إلى عفوه و مغفرته محمد بن عبد اللطيف الجوينى الأزهرى الشافعى لطف اللّه تعالى"(٩).

هـذه الـنـسـخـة نـاقـصـة في الوسط، بعد ورقة ٧٨ ورقة ليست بموجودة، و بعص الألماظ في بعض المواضع من ورقة ١٠٩ إلى ورقة ١١٨ قد اندرست بحيث لا يمكن هرائتها.

سبب التأليف:

كـمـا ذكـرنا قبل ذلك ان علماء العرب و كتّابهم لم يعتنوا بالتصوف كعلماء العحم و لذلك الفت كتب كثيرة في الطبقات التي توجد فيها تراجم عن ائمة كل فن و لـكن كـتـب الـتـراجم التي افردت بالصوفية فحسب قليلة نادرة ـ لذلك فان أصـدقاء المؤلف و أحبته التمسوا منه أن يؤلف كتابا في تراجم الصوفية يغنيهم عن الكتب المطوله. يقول المؤلف في مقدمته:

"إن بـعص اخوان الوفا الواردين من الطريقة الصوفية عين الصفا سألنى ـ أكرم اللّه سؤاله و انجح في الصالحات مقاصده و آماله ـ تاليف مختصر اجمع لـه فـيـه من أسـمـاء مـشـائخ السادة الصوفية ما تفرق في كثير من المصنفات

و أودعــه من درر كـلماتهم و غرر اشاراتهم ما يستغنى عن مراجعة غيره في فنه من الكتب المطولة"(١٠).

فـقـام بـتـأليـف هـذا الـكـتاب في سنة ٧٤٠هـ/١٣٤٠م، كما قال الكاتب في ترقيمته و هو يعزوه إلى المؤلف:

"قـال مـؤلـفـه رحمه اللّه تعالى و رضى عنه فرغت عن تأليفه يوم الاثنين غرة شعبان المبارك سنة ٧٤٠ و الحمد اللّه رب العالمين"(١١).

منهج المؤلف في تأليفه:

رتـب الـمـؤلف كتابه "اختيار الرفيق لطلاب الطريق" على حروف المعجم ليسهل على الناظرين و الباحثين الاستفادة من الكتاب و بدأ بترجمة ابراهيم بن ادهم و وصل في النهاية إلى ترجمة يوسف بن حسين الرازى:

"رتـبـت أسـمـاءهـم عـلـى حروف المعجم ليسهل على الناظر فيه حصول المقصود"(١٢).

و إنــه بـدأ بـإسـم الـصـوفـيـة و نسبهم و كنيتهم و لقبهم و نسبتهم و الذين صـحبوهم، ثم ذكر كلامهم و تاريخ وفاتهم. و ههنا نذكر عبارة المؤلف في ترجمة أحمد بن محمد الرونبارى لتكون مثالا و نمونجا لمنهج المؤلف في تأليفه:

"أحـمـد بن مـحمد الرونبارى هكذا ذكره السلمى و القشيرى رحمهما اللّه تـعـالـى و صـحـحـاه و قـال فيه الـخطيب محمد بن أحمد و الأول اشهر، يكنا ابا عـلـي، بـغـدادى الأصـل، اقـام بمصر و توفى فيها، صحب الجنيد و النورى و إبن الجلاء وغيرهم، كان أظرف المشائخ و أعلم بالطريقة، كبير الشأن. من كلامه:

من الاغـتـرار أن تـسـئ فـيـحـسن إلـيـك فتترك الانابة و التوبة توهما إنك تـسـامـح فـي الـهـفـوات و تـرى أن ذلـك من بـسـط الـحق لك ..... توفى أبو علي الـرونـبـارى بـمـصـر سـنـة اثـنـين و عشرين و قال السمعانى سنة ثلاث و عشرين و ثـلاثـمـائـة رحـمـه الـلّه تـعالى و رضى عنه. و الرونبارى بضم الراء المهملة و سـكون الواو و فتح الذال المعجمة و الباء المؤحدة و بعد الالف راء مهملة أيضا، هـذا يـقـال لمواضع عند الانهار الكبار يقال لها الرونبارى و هو موضع عند طوس ينسب إليه جماعة منهم ابو علي الرونبارى هكذا ذكره السمعانى و قال الطلخى رودبار قرية من قرى بغداد"(١٣).

هذه العبارة المذكورة تلقى ضوءا على منهج المؤلف على أحسن وجه.

المصادر و المراجع:

إن الـمـؤلـف قـد بـذل في تأليفه أقصى جهوده و قد اطلع على أكثر الكتب من الـمـراجـع الـتـي كـانـت مـتداولة في عصره ـ و استفاد بها ـ و قد اعترف بها المؤلف أيضا:

"مـا اخـل بـه من صنف في هذا الفن ..... بذلت في تحصيلها من مظانها غاية المجهود؟(١٤).

و نـحن نـوّد أن نـذكـر الـمصادر و المراجع التي استفاد بها المؤلف و لكنه اكـتـفـى بـذكـر بـعـض الـمـصـادر، لذلك يصعب علينا أن نشير إلى كل المصادر و الـمـراجـع الـتـي اعتمد عليها المؤلف في تأليفه هذا ـ أما مصادر الكتاب فهي كمايلي:

نسخة خطبة نادرة لتراجم الصوفية:

١ ـ ابن أبى حاتم ـــ كتاب الجرح و التعديل

٢ ـ ابن حبان ـــ كتاب الثقات

٣ ـ ابن خميس ـــ مناقب الأبرار

٤ ـ ابن عساكر ـــ التاريخ الكبير و تاريخ مدينة دمشق

٥ ـ ابن ماكولا ـــ الاكمال في أسماء الرجال

٦ ـ ابن نجار ـــ نيل تاريخ بغداد

٧ ـ ابن نقطة ـــ تكملة الاكمال

٨ ـ ابن الجوزى ـــ صفة الصفوه و المنتظم، و مناقب بشر بن الحارث الحافي، و مناقب الفضيل بن عياض، و مناقب معروف الكرخي.

٩ ـ أبو القاسم القشيرى ـــ الرسالة القشيرية

١٠ ـ أبو نعيم الاصبهانى ـــ حلية الأولياء

١١ ـ البخارى ـــ التاريخ الكبير و الصغير

١٢ ـ الخطيب البغدادى

١٣ ـ السلمى ـــ طبقات الصوفية

١٤ ـ السمعانى ـــ الأنساب

١٥ ـ الطلحى ـــ سير السلف

١٦ ـ محمد بن خفيف ـــ أسامى المشائخ

هـذه الـنـسـخـة تحتوى على نكر مائة و سبعة و عشرين صوفيا و هم كما يلي:

١ـ ابراهيم بن ادهم م ١٦١هـ

٢ ـ ابراهيم بن أحمد الخواص م ٢٩١هـ

٣ ـ ابراهيم بن سعد العلوى م القرن الثالث

٤ ـ ابراهبم الصياد م الفرن الثالث

٥ ـ ابراهيم بن شبيان القرميسنى م ٣٣٠هـ

٦ ـ ابراهيم بن محمد النصرا باذى م ٣٦٧هـ

٧ ـ ابراهبم بن داؤد الرقى م ٣٢٦هـ

٨ ـ أبوبكر الطمسنانى م ٣٤٠هـ

٩ ـ أحمد بن أبى الحوارى م ٢٣٠/٢٤٦هـ

١٠ ـ أحمد بن حصروبه البلخى م ٢٤٠هـ

١١ ـ أحمد بن عبسى الحزاز م ٢٧٧هـ

١٢ ـ أحمد بن عاصم الانطاكى م القرن الثالث

١٣ ـ أحمد بن حمداں م ٣١١هـ

١٤ ـ أحمد بن محمد الروذبارى م ٣٢٢هـ

١٥ ـ أحمد بن محمد بن سهل الآدمى م ٣٠٩هـ

١٦ ـ أحمد بن عطا الرونبارى م ٣٦٩هـ

١٧ ـ أحمد بن محمد النورى م ٢٩٥هـ

١٨ ـ أحمد بن محمد الجريرى م ٣١١هـ

١٩ ـ أحمد بن محمد بن زياد البصرى ابن الاعرابى م ٣٤٠هـ

٢٠ ـ أحمد بن محمد الدينورى م ٣٤٠هـ

٢١ ـ أحمد بن يحي الجلاء م ٣٠٦هـ

٢٢ ـ أحمد بن محمد بن مسروق م ٢٩٩هـ

٢٣ ـ أحمد بن نصر الزقاق الكبير م القرن الثالث

٢٤ ـ أحمد بن أبى الحسين على ابن الرفاعى م ٥٧٨هـ

٢٥ ـ أحمد بن محمد الغزالى الطوسى م ٥٢٠هـ

٢٦ ـ اسحاق بن محمد النهرجورى م ٣٣٠هـ

٢٧ ـ اسماعيل بن نجيد السلمى م ٣٦٣هـ

٢٨ ـ بشر بن الحارث الحافى م ٢٧٧هـ

٢٩ ـ بندار بن الحسين الشيرازى م ٣٥٣هـ

٣٠ ـ بنان بن محمد الحمال م ٣١٧هـ

٣١ ـ ثقيف بن عبد اللّه الحبشى م ٣٨٣هـ

٣٢ ـ الجنيد بن محمد الخزاز القواريرى م ٢٩٧/٢٩٨هـ

٣٣ ـ جعفر الحذاء م ٣٤٠هـ

٣٤ ـ جعفر بن محمد الرازى م ٣٧٨هـ

٣٥ ـ جعفر بن محمد الخلدى م ٣٤٨هـ

٣٦ ـ الحارث بن اسد المحاسبى م ٢٤٣هـ

٣٧ ـ حبيب بن عيسى العجمى م ١١٧هـ

٣٨ ـ حماد بن عبد اللّه الاقطع اليتنانى م ٣٤٩هـ

٣٩ ـ حاتم الاحم م ٢٣٧هـ

٤٠ ـ الحسن بن أحمد الكاتب المصرى م ٣٤٠هـ

٤١ ـ حمدون بن أحمد القصار م ٢٧١هـ

٤٢ ـ الحسين بن محمد بن موسى م القرن الرابع

٤٣ ـ الحسين بن علي بن يزدانيار

٤٤ ـ خير بن عبد اللّه النساج م ٣٢٢هـ

٤٥ ـ حافان م ٢٧٩هـ

٤٦ ـ داؤد بن نصير الطائى م ١٦٦هـ

٤٧ ـ دلف بن جحدر الشبلى م ٣٣٤هـ

٤٨ ـ ذوالنون بن ابراهيم المصرى م ٢٤٦هـ

٤٩ ـ رويم بن أحمد م ٣٠٣هـ

٥٠ ـ زرقان بن محمد الصوفى

٥١ ـ زيد بن بندار النجار م ٢٧٣هـ

٥٢ ـ سرى بن المغلس السقطى م ٢٥٣هـ

٥٣ ـ سهل بن عبد اللّه التسترى م ٢٧٣/٢٨٣هـ

٥٤ ـ سعيد بن سلام المغربى م ٣٧٣هـ

٥٥ ـ سعيد بن عثمان الحيرى م ٣٤٦هـ

٥٦ ـ سعيد بن بريد النباجى م القرن الثالث

٥٧ ـ سليمان الخواص م ١٦٠هـ

٥٨ ـ سحنون بن حمزه م ٢٧٨هـ

٥٩ ـ شقيق بن ابراهيم البلخى م ١٥٣هـ

٦٠ ـ شاه بن شجاع الكرمانى م ٢٩٩هـ

٦١ ـ صالح بن عبد اللّه الجليل م ٢٠٨هـ

٦٢ ـ طيفور بن عيسى البسطامى م ٢٦٤/٢٦١هـ

٦٣ ـ ظالم بن محمد السائح

٦٤ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن عطيه العسبى الدارنى م ٢١٥هـ

٦٥ ـ عبد اللّه بن خبيق م القرن الثالث

٦٦ ـ عسكر بن حصين النخشبى م ٢٤٥هـ

٦٧ ـ عبد اللّه بن طاهر الابهرى م ٣٧١هـ

٦٨ ـ علي بن ابراهيم الحصرى م ٣٧١هـ

٦٩ ـ علي بن محمد المزين م ٣٢٨هـ

٧٠ ـ عمرو بن سلم الحداد م ٢٦٤هـ

٧١ ـ علي بن احمد البوشنجى م ٣٤٨هـ

٧٢ ـ عبد اللّه بن محمد المرتعش النبسابورى م ٣٢٨هـ

٧٣ ـ علي بن بندار م ٣٥٩هـ

٧٤ ـ علي بن الموفق م ٢٦٥هـ

٧٥ ـ عبد اللّه بن محمد الشعرانى م ٣٥٣هـ

٧٦ ـ عمر بن سنان المنبجى م القرن الثالث

٧٧ ـ عبد اللّه بن بن ابراهيم الاصفهانى ابن ابرويه م ٣٤٦هـ

٧٨ ـ عمرو بن عثمان المكى ٢٩١هـ

٧٩ ـ عبد اللّه بن محمد بن منازل م ٣٢٧هـ

٨٠ ـ عبد السلام بن محمد البغدادى المحزمى م القرن الثالث

٨١ ـ عبد الكريم بن هوازن القشيرى م ٤٦٥هـ

٨٢ ـ عمر بن محمد بن عمويه السهروردى م ٣٣٢هـ

٨٣ ـ غنيمه بن المفضل م ٥٩٣هـ

٨٤ ـ غيلان السمرقندى

٨٥ ـ فضيل بن عياض م ١٧٨هـ

٨٦ ـ الفيض بن خضر الاولاسى م ٢٩٧هـ

٨٧ ـ فتح بن شخرف الكستى م ٢٧٣هـ

٨٨ ـ فتح بن سعيد الموصلى م ٢٢٠هـ

٨٩ ـ القاسم بن عثمان الجوعى م ٢٤٨هـ

٩٠ ـ القاسم بن القاسم السيارى م ٣٤٢هـ

٩١ ـ كامل بن سالم التكريتى م ٥٤٨هـ

٩٢ ـ لبيب بن عبد اللّه الرومى العابد م ٣١٢هـ

٩٣ ـ معروف بن فيروز الكرخى م ٢٠٠/٢٠١هـ

٩٤ ـ منصور بن عمار الواعظ م ٢٢٥هـ

٩٥ ـ ممشاد الدينورى م ١٩٩هـ

٩٦ ـ محمد بن موسى الواسطى م القرن الرابع

٩٧ ـ محمد بن على الكتانى م ٣٢٢هـ

٩٨ ـ محمد بن على القصاب م ٢٧٥هـ

٩٩ ـ محمد بن على الترمذى م القرن الرابع

١٠٠ ـ محمد بن ابراهيم البغدادى البزار م ٢٨٩هـ

١٠١ ـ محمد بن خفيف الشيرازى م ٣٧١هـ

١٠٢ ـ محمد بن على الهمذانى العلوى م ٣٩٣هـ

١٠٣ ـ محمد بن عبد الوهاب الثقفى م ٣٢٨هـ

١٠٤ ـ محمد بن الفضل البلخى م ٣١٩هـ

١٠٥ ـ محمد بن ابراهيم الرجاجى م ٣٤٨هـ

١٠٦ ـ مطفر الفرميسنى م القرن الرابع

١٠٧ ـ محمد س اسماعيل المرغانى م ٣٣١هـ

١٠٨ ـ محمد بن حسان البرى م ٢٣٨هـ

١٠٩ ـ محمد س داؤد الدينورى الدقى م ٣٦٠هـ

١١٠ ـ محمد بن سليمان الصعلوكى الحنفى ٣٦٩هـ

١١١ ـ محمد بن عمر الوراق م القرن الثالث

١١٢ ـ محمد بن اسماعيل المغربى م ٢٩٩هـ

١١٣ ـ محمد بن عبد اللّه الزفاق م ٢٩٠هـ

١١٤ ـ محمد بن يوسف البنا م ٢٨٦هـ

١١٥ ـ محمد بن حسن السلمى م ٤١٢هـ

١١٦ ـ محمد بن محمد الغرالى م ٥٠٥هـ

١١٧ ـ محمد بن طاهر المقدسى م ٥٠٧هـ

١١٨ ـ ناصر بن فضل اللّه م ٤٩٠هـ

١١٩ ـ نصر بن الحمامى

١٢٠ ـ نعمان الحديثى م القرن الرابع

١٢١ ـ هشام بن محمد الطليطلى

١٢٢ ـ هشام بن مطيع الدمشقى

١٢٣ ـ وليد السقام م ٣٢٠هـ

١٢٤ ـ لاحق بن أبى الفضل بن على الخباز م ٦٠٠هـ

١٢٥ ـ يحيى بن معاذ الرازى م ٢٥٨هـ

١٢٦ ـ يحيى الجلاء م ٢٥٨هـ

١٢٧ ـ يوسف بن الحسين الرازى م ٣٠٤هـ

هـذا الكـتـاب يتضمن أيضا على تراجم بعض الصوفية التى ترجمت في ذيل التراجم الأساسية:

١ ـ الحسين بن ابراهيم الفرميسينى

٢ ـ عبد اللّه بن أحمد بن أبى الحوارى

٣ ـ محمد بن أبى الحوارى

٤ ـ رابعة بنت اسماعيل زوجة أحمد بن أبى الحوارى

٥ ـ أخت أبى على الرونبارى والدة أحمد بن عطا الرونبارى

٦ ـ أحمد بن سعيد بن عثمان الحيرى

٧ ـ داؤد بن أحمد بن عطية العبسى الدارانى

٨ ـ على الرازى المنبوح

٩ ـ عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى

١٠ ـ القاسم الجوعى الكبير

١١ ـ أبو حمزه الخراسانى

كتاب "اخبار الرفيق لطلاب الطريق"، نسخة فريدة، و يظهر أن النسخة الاصليه قد فقدت مع ما فقدت من التراث الإسلامى ـ جميع كتب التراجم و أحوال العلماء و سوانح أفكارهم و مواعظهم تعتبر من المصادر القيمة لدى الباحثين في تطور الحياة العقليه فى مختلف العصور الإسلامية و هي ليست بأقل فائده من كتب التواريخ ـ و لاشك أن كتب التراجم و المجموعات و مواعظهم و حيانهم اليومية التي انتشرت في العالم تعد من أهم المصادر الاصليه و إن كانت تتفاوت قيمة و أهمية ـ و لكن هذه الكتب ـ رغم التفاوت بينها ـ كان لها رواج عظيم في عصور هؤلاء المؤلفين.

هذا الكتاب الذي نتكلم عنه يعد من هذه المصادر و هو من هذه المجموعات المهمه التي يمكن بها الاطلاع على نبذه حياة خبرة الشخصيات من أصحاب الصوفيه منذ ظهور التصوف حتى أواخر القرن الثامن من الهجرة.

إن معرفه الصوفيه و مناقبهم و الاطلاع على أحوالهم و أعمالهم خير دليل على اسهامات هؤلاء المربين و المرشدين في نشر الاسلام و نصرة الدين الحنيف بعد الصحابه و التابعين و أتباع التابعين ـ رضى اللّه عنهم أجمعين ـ

فـهـم الـذين جـاهـدوا بـأموالهم و أنفسهم و ضـحوا بنفوسهم و نفاسهم في سبيل الـتـربـيـة و الارشـاد و حـافظوا على كتاب اللّه و سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم و اقتدوا بسير الصحابة و التابعين و أتباع التابعين.

فـاذا لابـد لـكـل مـسـلـم أن يـعرف أخبارهم و أحوالهم و لقد اهتم العلماء و الـبـاحـثون في كل عصر من العصور بذكر العلماء المرشدبن و المربين و ألفوا حول هذا الموضوع كتبا لا تعد بالآلاف ـ بهذا الصدد تقدر قيمة هذا الكتاب الذي نتكلم عنه و أهميته.

■■

الفن : الدافع الانساني

بقلم : كيشف ملك

الفن الهندي في حاضره كالفن في آية بقعة أخرى من العالم، مثله مثل غابة خصبة بثمار منوعة و بكثرة كاثرة، لكل منها طعم خاص.الاتجاهات الفنيه التجريبه في العالم المعاصر كلها نجد نظائر لها في المشهد الهندي و لو منطبعه بطابع محلي قوي. المصطلحات العامة التي تستخدم لوصف الفن التشكيلي المعاصر، قابلة للتطبيق على دولة مثل الهند بحجم قارة، و لبيان حساسياتها المختلفه ذلك أن الهند على وحدتها لا يمكن أن تكون في غنى عن التعددات الثقافية

الفن الهندي في معظمه كان و لا يزال يعبر عن افراح الحياة. و لنأخذ على سبيل المثال منظمه راجستان التي تمارس الرسم المصغر حتى الآن. القديم من الافاريز الهندية المنحوتة يبدو مغمورا بروح الرقص و الموسيقي. الميول السائده كهذه تأتي دائما مقترنه بموهبة خاصة. موهبة الألوان و الحركات. و كحال الفن فان الرقص و الموسيقى الهنديين أيضا يعبران ـ بصورة متساويه و تكاملية ـ عن رصانه نحتية.. عن هدوء و سكون .. عن شعور بالتناغم مع الطبيعه أو عن طاقات روحية متجسدة ـ الطاقات التي تكون لها أهميه أساسيه بالنسبه للكائن البشري الاسمى.

الـفـنـان الـتـشكيلي العصري رغم كونه وليد مختلف الأنواع من الثقافات و الـقوى التاريخية الغير متناغمة، يسعه أن يمثل السلف و نزعاتهم العريقة في صـور جـديـدة، و بـاسـتخدام اللون و الصورة كأدوات عصرية مادية، يستطيع أن يـجـعـل من عمله الابداعي معبرا عن الأفراح و عن جمال الحياة. الفنان الراحل جـ . سـوامـي نـاثان كان أحد الفنانين من هذه الفئة.. و حتى الآن تواصل شوبها بـروتـا و غـلام رسـول سـانـتـوش فـي الـتعبير عن نزعات هندية أخرى لكي يجدا الاتـحاد من خلال الطاقات السحرية. ثم هناك فنانون من أمثال في . آس. توندبه من الـمـدرسـة الـطـبيعية الجديدة، إنهم يختلفون بالشكل و الصياغة و النموذج و التصميم على طريق الأنسجة الهندية الشهيرة.. و هناك أيضا آخرون يحرصون عـلـى الـتـوصـل إلـى أغـوار العقل الانساني، و منهم ـ على سبيل المثال ـ الفنان بيكاش بتاشارجي الذي يمارس تلك التجارب من خلال الرموز و التشبيهات.

بـيـد أن الـمعارض التي أقيمت في الأونة الأخيرة، من خلالها تعمد ـ على الأقـل ـ عـدد غـيـر قـلـيـل من الـمـصـورين الـهنود إراءة تأمل الانسان في نفسه و تـفـكـيـره في الذات و الذي يكون مـخجلا و مؤلما و محدثا نفسه بنفسه في آن واحـد. مـتـى مـا تكون الملكة العقلية الكامنة لدى الفنانين تمتلك من الطاقات الـنظرية ما فيها كفاية، يكون فنهم حيويا. الفنانون في هذا البلد ليسوا بوعاظ، إلا أن دوافـعـهـم الـخـلقية أو تساؤلاتهم الروحانية يمكن أن تكون قوية.. و يمكن أيـضـا أن تبوأت أذهانهم هموم العصر الحاضر ـ الهموم التي تلاحق الانسان في زمـنـنـا. هـذا هـو الـسبب الذي يمنعهم عن الانشغال بالاعمال بصفاء الموسيقى و الرقص و التي كانت في صميم التراث الثقافي الهندي لحقب طويلة، و تستمر حـتـى الآن مـشـروعـة بـاعـتبارها تعابير اصيلة للحياة. و انهم استجابة لتجربة مكونة صورها في المخيلة، يندفعون بحدة و إن لم يكونوا قد فقدوا التوازن في

ممارسة العمل الفني.

فـي مـعرض الحديث عن أعمال الفنانين من مدارس موضوع البحث، من الـمـمـكن ان نـأتـي ـ مثلا ـ إلى الحديث عن روائع انتاجات الفنانة ناليني مالاني الـتـي تـدمـى الـقـلـوب. هذه الفنانة عرفتنا على دخائل الكوائن البشرية التالفة أو الـسـلبية ـ الدخائل المجسدة تجسيدا كاملا و الممزقة للروح. فن ناليني ليس مـجـرد ممارسة شكلية، و إنما هو تعبير عن الأوضاع الانسانية الدراماتيكية من خـلال ادوات مـعروفة. ناليني مالاني رسامة لم يتقدم بها السن بعد، و من المؤكد ان فـنـهـا سـيـتـطـور اكـثـر فـأكثر. و بالرغم منه فانه يجوز القول بأنه في اطار الامكانيات المتاحة انها مارست تجارب مثيرة حقا.

رأبـنـا أن الانـتـاج الـفـنـي على غزارته و جودته، لا يشمل إلا أقل قليل من الـقـطـع التي تنطوي على نوع من اللزوم و العجلة و يكون لها ايقاع في انسجة الـذات. انـتاجات ناليني مالاني و أربنا كور و من هم على مشاكلتهما ليست متعة لـذوق الـجـمـال أو الـطـرب فقط، و انمالها جاذبية كبيرة للروح أيضا. هذه الروح عـبارة عن موجود مشحون إما بالاندماج العاطفي أو بالمشاركة الوجدانية. و في هـذا الـسـيـاق لا نـقـصـد بـه كـائـنـاً مـغـلـوبا فـي أمـره بعواطف الحنان كمثل بـرومـيـثـيـوس، و لا كـمـثـل فـاوسـت، كـما لا نريد به حالة اضطراب سماوية أو الانـدفـاع بـدوافـع سـامية.. و إنما هو عبارة ـ ببساطة ـ عن قوة تدفع المرء ليعد بـفـسـه مـع الـضـعفاء أو المسحوقين على وجه الأرض. الـحنان فضيلة عظيمة حـقـا.. قـلـب بـتـمـرق للمعاناة الانسانية، خاصة المعاناة التي يصنعها الانسان بأيديه.. و التي لاتساويه عند الفنان آفة سماوية مهما كبرت.

افـضـل هـذه الاعـمـال بـسـيطة خالية من العاطفية، و أبعد ما تكون عن

الـفن الـدعائي.. لأن عملا كهذا يكون إما انعكاسيا وراء الضرورة أو عاميا و قليل الـقـيـمـة. الـوجدان ـ دون الضمير بمعناه البسيط ـ هو الذي تمسه هذه القطع بدلالاتها البصرية الفتاكة. الفنان ـ أي فنان ـ الذي يقدر على دق الأجراس داخل الأذهان، مفروض أن يتحلى بالاصالة من نوع ما.

الـمـسـافـة الـتـي قـطعها الرسم الهندي يكون قد اتضحت ملامحها الآن. بـانـقـطـاع كـل صـلـة مع الماضى فان هوية الفنانين من الجيل الجديد قد مرت بـمـراحل تطور عدة. هناك قطع فنية ظهرت أخيرا، نتلمس فيها بدون شك بوادر الـتـراجع عن العصرية، إلا أن مثل هذه المحاولات تهدف إلى التوصل إلى المواد من خـلال الـتـمـعن في تراقيد الماضى الثقافية أكثر منها إلى متابعة الأساليب القديمة المحققة منذ زمن.

لـلـبـيـئات العقلية و الاجتماعية الحديثة تأثيرات بفعلها تغيرت شخصية الفنان ـ ذكرا كان أو انثى ـ و معها تغير أسلوب التعبير أو اعادة صياغته. الحياة الـتـي عـاشـهـا الـفـنان من جيل قبل الجيل الحالى، كانت حياة مستقرة نسبيا.. و الـعـالـم عـنـدئـذ كـان ـ فـيـمـا يبدو ـ عالما لا تشوبه الشكوك و التساؤلات و لا الـتـوترات أو التعقيمات الفكرية. و لهذا السبب فان الرسام في ظل تلك الظروف نـادرا مـا اتـخـذ من نفسه موضوعا لفنه، و إنما ظل يصور العالم كما بدا له في ظـاهـره تـصويرا دقيما متحررا من تأثيرات ألم مصاحب. إلا أنه و بمرور الوقت فإن الفنان ـ شان الفنانين الذين تحدثنا عنهم في هذا المقال ـ تحول إلى موجود اجـتـمـاعـي أو انـسـان مـفكر.. و تلاصقت بمغامراته الالغاز التي تلازم المسعى الفنى.. و ثمة شكوك معرفية تضابقه دائماً.

الـفـنـان في شـخـص أكـبر دمسى كثيرا ما يتحدث عن نفسه في صورة

رسوم ساكنة.. الرسوم التي تضئ حالة هم مكبوت حالة بلبلة و حبس في رسومه لا نجد شيئا من قبيل الوهم أو الشذوذ أو الخراقة بل انها تكون تعابير صادقة و مخلصة للتجربة.. الخصيصة التي يمكن أن تسمى بالاستقامة الجمالية، تكون بحد ذاتها هامة و كافية بالنسبة لشخصية الفنان، و صاحبها يكون قادرا على اخضاع مشاعره لعقلية التحليل. شخصية الفنان بدمسى شخصية محكمة رصينة.. إنه يقدر على النظر في العالم حوله بهدوء و أناة.

لقد حاولت الفنانة أربينا سينغ أن تعبر عن شعورها التحليلي لأوضاع الانسان في المدن في الوقت الحاضر.. و بهذا الطريق انها استجابت لواقع الحياة المدنية بما عليه أمره من الفطاعة. انتاجها الفنى مطبوع بمحاولة عقلية لإظهار دخائل النفس، و شخوصها عبارة عن تصاميم رمزية للحياة الشاردة.

انتاجات الفنان ك. خوسا مثلت ـ منذ وقت ـ حركات الألوان و اعلامها الرفرافة، تخيله اتسم بالقوة و الحيوية و الجانبية.. الأعين تقبلت انتاجاته منهم.. و رسومه الخطبه نبدت في غليان و تدفق له أعمال أخرى ممتلئة بأسرار طفسية، فيما يكون تخطيطه اللوني متنوعا تنوع الفن التشكيلي.

لقد استطاع خوسا أن يبنى بينات سحرية مقتنعة للألباب. و له انتاجات يبدو الفنان فيها رشيدا و أبعد ما يكون عن الفضول. ألوانه فيها تنساب بعيدة عن صرخة.. إنها تبدو متحكمة في أمرها بهدوء سرمدي. إلا أن قطعه المنتجة أخيرا توحى بأنه ينحى إلى كميه أخرى ـ كيفية التفكير الذاتي. نظرة فاحصة في أعماله هذه ترشد بنا إلى الاستنتاج بأن الفنان اكتسب وعيا جديدا لمقادير

الانسان. هذا التحول منعش بالنسبة لخوسا.

الـفـنـان بـاريـتوش سين في لوحته بعنوان "غلام علي خان" يعيد إلى هذا الـمـطـرب الـهندي العظيم روحه و قوته. في هذه القطعة يستعمل سين خبرته التقنية ليس فقط لانتاج صورة عادية و إنما يحاول أن يجعل منها صورة متسقة مـع اسـتـجـابـاته العميقة لذلك المطرب الراحل أيضا. و بدون مزاح يتعمده أنه يـرسـم عـلـى خان عملاقا هائجا متطايرا و ممتلئا بريح سحري يجعله بتصاعد و يسبح في الآفاق المترامية سبحا.

هـناك قطع أخرى للفنان سين تتناول نفس الموضوعات الروحانية، إلا أنها تـبـدو مناقضة تماما للوحته هذه ـ غلام علي خان . ففى "أطلق النار على راكب الـدراجـة" ـ عـلـى سبيل المثال ـ إنه يتعرض لعصر السرعة و للعنف الذي كثيرا مـا يـاتـى مـفنرنا به، و منطلقا من ثقافة الاعلانات و الملصقات التي يعايشها، يعبر عن انطباعاته حول نزعات الانتحار.

ثـمـة أنـاس يـبـلـغ الـحرج بهم مبلغا عندما يقال لهم إن الرسم في الوقت الـحـاضـر يـمـيـل إلى الرتابة و البرودة، و يغدو ملتزما بنزعة دولية بدلا من كونه ذاتـيـا و مـحـليا و مثيرا ردا على هذه التهمة ـ اذا جاز تسميتها بالتهمة ـ يمكن الـقول إن انتاج فنان تجريدي قابل للتمييز عن انتاج الآخر، عليه فانه لا يجوز أن يـعـبـر الـمنهج الدولي منهجا مماثلا.. بالقاء محاضرة وجيزة حيال أمور متصلة بـأنواق الـلـون وغيرها يسعك أن تجعل الكفة ترجح لصالح الدفاع. عندما تتغلب الـمـوضـة عـلـى الـمـسـارات، يغدو من المزعج حقا أن يحاول المرء ـ أي إمرأ ـ اسـقـاط عـمـالـقة الفن عن مكانتهم الدولية أو وصفهم بالعادية. من الظاهر أن

صورة ما اذا ما تختار لتكون في خلفبة الاعلانات التجارية جميعها ـ للسجاجيد و الأقـمـشـة و الأثـاث الـخ ـ فـعـنـدئـذ يصبح نلك فن العصر أو الموضة السائدة. و هذا الفن بطبيعة الحال ينبغى أن يعتبر فنا غير ضار.

و من الـغـبـاوة أن يقلق المرء نفسه حيال وضع يكون وضعا تاريخيا عاديا كـهـذا. و لـعـل الشئ الوحيد الذي يثير على الحيرة من نوع ما هو أن الرسم الذي يـمـارسـه ـ مـثـلاً الـفـنـان راميشورا بروتا لا يحفز دعاة الفكرة القائلة بضرورة اضـفـاء طـابـع انـسـانـي على الرسم التجريدي على اعادة النظر في حساباتهم. الرسام بروتا ـ أحد القلائل من الفنانين الدين يشتغلون بهذا النوع من الرسم على الـمـسـرح الـفـنـي الهندي ـ فد استطاع أن يسلط الأضواء على الصورة الانسانية بـطـريـق مثير على الذعر. عندما شاهد الناس لوحات بروتا و أمثاله من الفنانين مـنـذ وقـت، حـبـل إلـيـهم أنها تصلح أن تحترق التحصينات الفلسفية و التقنية و تـهـزمـهـا.. دلك لأنه من غبر المتصور أن امرءا ينظر مباشرا إلى ماهو تجسيد شـبـه واقـعـى للروح ـ في حالة فساد أو نقاء و طهارة ـ أن يتخذ لغة مغبرة بشأن احـاسـيـسـه تـجـاه الـلـون وغـيـره من الامور. أن لوحات بروتا بدون شك تتصف بـالـجـدارة فـي النعبير الفني، و لهذا السبب فانها عامة تبدو صورا و أشباحا من شأنها أن تقلق الميول التبسيطية.

من خـلال رسومه الروائيه يحاول بروتا أن يطلق بيانا يهز الأذهان.. و شأنه فـي نلـك شـأن الـقـاص أو الكاتب الهجائي. إنه يستعمل صوره الغريبة الأشكال لـرسـم الـمـهـارل الـذاتـية المضحكه. و فنه ينبش نقائص اجتماعية، و مهارته دائـمـا تـصـنـع الأشـياء معرّفة بوجه موضوعي. إنه يدبر التفاصيل تدبيرا دقيقا و بـتناغم بين الألوان و الشخوص. رسومه تبدو في وحدة كاملة، و صوره المهزلة

أبعد ما يكون عن التفاهة المملة. على هذا فانه يمكن القول بأن رسوم بروتا هي كنثر مرسوم.

الرسام جيف باتيل هو الآخر يهجو - كمثل بروتا - الحقائق (انظر لوحته: السياسي الميت) و يضحك على الناس. إنه يأتينا بفن مفاجئ. الفن الذي ينطوي على طرائف البذخ الانساني و طرائفه.. على دراما الرموز المتشابكة و الجثث المحنطة لما هو محترم. و على ذلك كله يبدو الفنان و كأنه يضع نقاطا بجانب ملاحظاته بين الأسطر همومه تتركز على الوضع الانساني البدائي - حبه لـــــــــــقـــــــــــــــوة و السلطة. الفنان باتيل، الطبيب الجراحي مهنيا، يعرف الرسم معرفته لمهنته.. إنه يقطع القرحة و يفتح أورامها الزائدة.. يعالج الأنانية المسكينة و سلوكها الغريب في انتاجاته الفنية تبدو الاشياء كلها كجثث أجريت عليها عملية المحص. لوحته: السياسي الميت، بسيطة و مؤثرة و متزنة في جميع التفاصيل الصورية.

و انتاج الفنان راماتشاندران مثقل و عديم الجمال، و تأثيره على الناظر كتأثير حبة دواء يبتلعها المريض بأمر الطبيب. و بما أن الموت هو الموضوع الرئيسي لرسوم تشاندران، عليه فان لوحاته عامة تجعل الناظر يثب و ينتبه إليها.. أعماله ترعب القلوب لأن فيها جثثا ملتوية و متعمدة كجذوع الأشجار، و أجواءها كأجواء طاولة التشريح. و في بعض الأحيان أنها تكون عبارة عن دراسة بسيطة للجوارح و الأعضاء الانسانية المرسومة بأقصى تدقيق، و المتضمنة رسالة لا يفوتها المرء عند النظر إليها. هذا الفنان في رسالته و أسلوبه يبدو قاسياً إنه ينظم التفاصيل بجهد، و يجعل من صوره صلبة كالنحات.

لـوحـة رامـا تـشـانـدران ـ اسـتشهاد الانسان ـ ليست مجرد صورة عاطفة أو طـقـس لـتـضـحـيـة الذات، و إنما الواقع أن هذا الرسام يصور روح الانسانية تـضـحـيـة لـمـجتمع منزوع عن انسانيته تصويرا قويا.. يرى الجموع الغوغائية تجن و تنتشر، فيعود إلى رمز المصلوب.

و عـلـى طـرف آخـر هناك الرسام لاكسما جود الذي يحدد أرجحياته ـ على الاقل فـي بـعـض الأعـمـال ـ مـستمدا إما من لوحة الكساندر يوب: الانسان هو الـمـوضـوع الـمـنـاسـب لـدراسة الانسان، أو من لوحة بروتا غورا: الانسان معيار لـلأشياء كلها.. و صوره لوحوه مقنعة كئيبة على خلفية خاوية، و مرسومة رسما بابحاء و معنى أسوة بالرسام صمويل بيكيت، تبدو كأنها تنتظر لآله غير موجود، و واعـيـة بـلا شيء. فد نكون هده الأمور لم تحظر ببال جود عندما قام برسم تلك الـصـور، إلا أنـنـا نـلـحـظ في لوحاته جمالا غريباً.. في أعماله العدة يبدو العالم مـسـرحـا فسيحا حاويا فوقه افنعة انسانية.. أو وجدت نفسها وجها لوجه غيلان خلقتها المخيلة المريضة ـ مفترة الدماغ.

من خـصـائـص الـرسـم الـذي يمارسه جود أنه يصعب تنحيته عن حوافز الـلاوعـي مـهـمـا تـبـدو غـير مألوفة في بادئ النظر. إلا أنه بالرغم من الصياغة الـداخـلـي لـلأصـغات، إنه يكون حرا طيلة انشغاله بعملية الابداع.. العمل الذي لايـكـون هـيـنـا لكونه ينبعث من جوانب الشخصية الشاردة للغاية. الفن في هذا الـطـور لا يـعـبـر عن الـشـهـوانـية، و إنما يكون اظهار التشنجات الغوطية التي تتململ في أسافل المخيلة.. هذا النوع من الفن يجذب الأذهان بقوته المتناثرة. مـخـيـلـة الـفـنـان جود، مخيلة متركبة و متعاقدة و متمركزة في متاهات تحت الـوعـي، و لـنـفـس السبب فان انتاجه الفني الملغز و المبهم، يتعسر على الفهم.

بالرغم من ذلك كله فان فنه ـ كاى فن آخر مؤثر ـ يغزو شخصيته المرء. عالم خياله عالم كامل، و فيه جميع ما يتطلبه الفن من أدوات و انتظام و قوة. هذا العالم حقيق به أن يصنع بعدا بنفسه.

و الرسام أس. آر. بهوشان من خلال لوحاته يبدو غضبانا و متشائما من أعماق نفسه. الانطباع الرئيسي الذي تخلقه انتاجاته هو أن الفنان يستخدم فرشاته كالسيف، و ايقاعاتها لا تترك وراءها سوى الفظاظة و الخشونة باقسى أشكالها.. مشهده الرسمي العام يتكون من أعين ميتة فاغرة و معبرة عن مشاعر الخوف.. هناك هالة من العنف.. الخطر .. الذعر.. الهالة التي تكون قبيحة في لغة العوام. إلا أن هذا الرسام الهندي يتمتع بقدرة فائقة على تحويل ذلك الشغب إلى رمز التوافق و التناغم، و هو بحد ذاته أمر ليس بهين.

و سلطان علي فنان يرسم أعماله ـ إذا جاز القول ـ رسما حديديا.. موضوعه نفسه لاينثنى كمثل الحديد، و شخوصه الملحمية تبدو شرسة و خشنة بمعنى الكلمة، أو ـ بتعبير أخر ـ تخفى في نظرانها الوفحة انعدام وعي الذات. إنه يعطى الأسطورة الشعبية شكلا و منظرا كريها.. أسنان مكشوفة، الألسن متدلية خارج الأفواه، الاعين جاحظة و الارجل منفصلة. و مع ذلك كله فان فن سلطان علي ليس مخيفا و مرعبا.. و إنما هو فن موجه إلى العقاب، أو يثير الفضول.. كانه نوع من تمثيل هزلي يقام لطرد الشياطين.

سلطان علي يعطي من خلال رسمه أيضا احساسا مباشرا للزمن.. إنه يأخذ بنا إلى داخل متحف، و رغم استعماله الصور الشعبية ـ كالسحر الأسود و الشعارات الطوطمية ـ إنه يخلق ارسالا جليا و شفافا.

و لوحات غلام شيخ تكون عبارة عن السيرة الذاتية، و تعكس مزيجا للفكر و الوجدان و لكن بمراعاة دقة التوازن بينهما.. قدرته كبيرة على كسب تناغم بين التفكر و الخيال.. صوره منحكمة في أمرها تماما بالوعي و لكن بدون خنق اللاوعي أو كبح تحفيزاته. و مشاهده عامة نكون باطنية. و عن أسلوبه فانه يستمد من الرسم الهندي المصغر. هناك شجر يستخدمه الفنان رمزا مسيطرا في انتاجاته كلها. التركيبات تبدو بلبلة منعشة و منظمة تنظيما مناسبا رغم تنافر عناصرها و كونها كالحان اللاوعي بمعنى الكلمة. و له أعمال عدة تعطينا شعورا بالسمو.

إنتاج جانين داس عباره عن حطوط منسابة بسهولة لدى رسم الأشكال الانسانية، هذه الحطوط نبدو كأنها تسيل بسرعة و بدون مجهود و بريئة من الزلل. و أفضل انتاجات داس، أعمال مرسومة بالحبر و الفحم. كل ما يشاهده هذا الفنان بعين العقل، يطبعه باتقان من خلال الوسيطين المذكورين ـ أثناء رسم الصور كما هي في مخيلته، إنه يجعلها رحلات مضبوطة في جملتها، و خالية من جوانب نقص من نوع ما. جانين داس رسام بمهارة عالية.

للفنان داس عدة لوحات جميلة أروعها "عبناه".. فيها يدور الكاميرا المتحرك بسرعة و يجعلنا نرى حركة خاطفة فقط، و يفوتنا موضوع في حالة سكون. فورات حركات دائرية و انسحابات صور خاطفة تصنع رسما لعمل خاطف.

هذا الرسم سريع و جاف، و ليس رطبا أو حلوا بالرغم من تعددية الألوان.. و لهجته موضوعية و حادة. و بما أن العمل عبارة عن ممارسة توازن لطيف، عليه فان الميزان يتأنى في خطوطه. في أعمال داس نتلمس نوعا من الشهوانية.. المرسام أو المرشاة تتأمل في الصورة الإنسانية كيف تكون في آخر

الأمر.. كيف تبدو في شكلها الكامل. الفنان داس لا يمارس التجريد بصورة كاملة أبدا. و جملة ما في الأمر أننا نجد هنا و هناك عناصر السطوح الهندسية أو تنظيمات الخطوط المتوازية. إلا أن الأشكال الإنسانية دائما تكرر نفسها من عمل لآخر. و حيثما تكون تلميحات العين أو الأذن بليغة، العمل يزداد قوة و التزاما. ففي رسم داس ايضا هناك عالم مركزه الانسان و لكنه معبر خلال مسلمات العمل.. من خلال التصميم الابتكارى. و وراءه يد صاحبها يجيد صناعة الرسم و يقتصد فيها.

و ختاما اننا نتعرض لأعمال بيرين ديه التي تبدو مختلفة تماما عن أعمال الرسامين من المدرسة الرمزية و الذين تناولناهم في هذا المقال.. و ذلك لغرضين: أولا لإلمام القارئ باهتمامات الرسامين الهنود من خارج المدرسة الرمزية، و ثانيا لأنه يسلط الأضواء على مجمل عالم الفن في الهند، و يكشف مدى معرفته بأفق الطبيعة أو اللون الذي يتنفس الانسان في ظله. و لنا أن نقول إن هذا العالم المتعالي ليس عالم صراع أو نزاع و لا عالم حب تأثري.. بل إنه يمثل معرفة عملية و واقعية للانسانية اليقظة. الرسامون من أمثال بيرين ديه ينقلون موسيقى التعبير الفني الهندي إلى نقطة الانتهاء.. إنهم ينعشون القوة التي تسحب روح الانسان و تجرها بعيدا عن الاقفاص الضيقة.

عمل ديه عبارة عن حب الدوران ـ الحركة الشعرية لنجم في دورة دولابية.. الشعاع المنبثق عن حجر كريم.. اكليل الشمس الذي يضع الابتسامة على وجه زهرة. النظر إلى لوحاته يخلق احساسا بجلالة عمل الابداع، و منه ينبعث احساس آخر ـ احساس بالعظمة الكونية. الفنان ديه من خلال أعماله يساعدنا في دمج العناصر الشاردة للذات.. إنه يتحدث إلينا بوسيط رموز غير

تـقـلـيـديـة قـد تـكون مثقلة على السذج، إلا أنه اذا لم يكن للمرء أن يتساءل عن نظرك إلى الـنجوم، فانن لا بكون له الـحق في اثارة أسئلة عن أعمال ديه.

أعـمـال بـيرين ديه في طياتها تجمع الـخيال و الاحساس و الـفكر، و حقيق بها أن توضع في معبد في محل الصنم.. فالأنوار المنبثقة عنها تخلق لدى الزائر نـفـس الاحـسـاس الـذي يـخـلـقـه الـصنم المعبود.. إنها أعمال تلازمك بأنوارها الوضاءة و قوتها المتدفقة.. إنها قائمة بنفسها متمركزة و منفردة.

تعريب: فريد الزمان

■■

تأثير الشعر العربي الأسباني
على شعر الحب الإنجليزي

بقلم: الأستاذ د/نقي حسين الجعفرى*

تفتن سلسلة السونيتات أو القصائد المتسلسلة من العهد الآلزبيتى طلاب العربية و الفارسية و الأربية لتمجبدها الحب البشري و نقاء الأسلوب و قوة الروح الشعرية رغم الرتابة في الخيال و المعالجة. و يلمس الدارس بسهولة أصداء تقليد الشرق في كثير من القصائد التي نشرت في الربع الأخير من القرن السادس عشر الميلادي، أجدرها بالذكر "استروفل" و "ستيلا" لسدنى" و "أموريتى" لإسبنسر و قصائد شيكسبير و بصفة أخص منها ما خاطب بها "السيدة السوداء" و طائفة آخرى من القصائد السوننتية المعروفة و المغمورة ـ كما أن "ترايلس" و "كريسيديا" لتشاؤسر، و هو من أجمل شعر الحب في اللغة الإنجليزية ـ يتناول الحب في أسلوب رفيع.

و كان رائد نظم السونيتيات و يات و سورت، و تاريخها يرجع إلى "كينزون بيترآرج" في الإطالية في الفرن الرابع عشر الميلادى. و هناك سؤال. هل كان بيترآرج منشئ هذه الطريقة و مؤسس تمجبد الحب البشري؟ و هل كان يشاطر هذه النزعات مع الشعراء الأيطاليين الآخرين من أمثال كافل كانتى و دانتى؟

---

*أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية و اللغات الأوربية الحديثة بالجامعة الملية الإسلامية ـ نيو دلهي

و هل الولع بالمراة و الشغف الزائد بها فكرة مسيحية، و هل هو تراث التقليد الإغريقى اللاتينى أو من تأثير الشعر العربي الأندلسي؟ و هل هو أوفيدينى في المحتوي و المعالجة أو يمكن عزوه إلى مصادر أو بحوث محتملة أخرى في الحب - إن هذه الدراسة تتناول هذه الأسئلة و تبحث فيها.

قبل كل شيء يبدو من الضرورى أن أسلّم بأنه رغم أن المستشرقين كانوا نبلاء في إعترافهم بتاثير الادب العربي الأندلسي على التقاليد الأدبية الأوربية الأولى التي نشأت في القرنين الثالث و الرابع عشر الميلادي، فإن نقاد الأدب و خاصه أصحاب نزعة التحيز إلى الإنجليز قد أبدوا تحفظا شديدا بشأن تأثير تقاليد الأدب العربي الأسبانى على الإنجليزيه و اللغات الأوربية الأخرى. و التروبادوريون الذين عرفوا كذلك بالشعراء البروفانسيين في جنوبي فرنسا أنشاؤا نزعة الحب المتحرر في الشعر خلال القرن الحادي عشر.

و هؤلاء الشعراء المتطوفون داموا في النقطة المركزية في المشهد الأدبي بجنوب أوربا على مدار قرنين و بنهاية القرن الثالث عشر تواروا من المنصة بصفه غامضة مثلما ظهر سلفهم في القرن الحادي عشر. و خلفوا وراءهم تأثيرا عميقا في نظرة الناس إلى العالم و الجمال كما أثروا في اللغات الأوربيه الإقليميه الناشئه.

و رغم أنه لا خلاف بين المؤرخين و النقاد حول تأثير التقليد التروبادورى في تطوير النمط الأدبي اللطيف في الإنجليزية و اللغات الأوربية الأخرى، فإن قضية الفحص عن أصل التقليد و سر جماله لاتزال تشغل بال النقاد و تجذب إنتباههم. و أثبت أنتوني باونر" أن التروبادوريين نظموا شعرا رائعا و لذلك يستحقون منا دراسه أدبية جاده" و كانت هذه الفكرة إنما اقترحت للجماهير

الـنـاطـقـة بـالإنـجليزية من قبل الناقدين شايتور و إيزراباوند اللذان ألفا "أغاني التروبادورين، ١٩٧٢" في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى و التي تلتها مباشرة.

و الـعـلـمـاء الـذين سـبـقـوا إزرابـاوند تحدثوا عموما عن الأصل المحتمل لـلـنـمـط الـتـروبـادوري، لـكنه بقى شغله الشاغل و شغفه على مدى الحياة، فإن مـقـالاتـه فـي روح الـغرام و ترجماته لأرنات دايال في كتابه "ترجمة إزراباوند" و أخـرى فـي "بـرسـونـا ـ شـخـصـيـات ـ و إسـنـاده المتكرر إلى التروبادورين في "كـيـتـاوز" ـ الأنـاشـيـد ـ تـحـتـوي على اللازمة المتكررة التي تؤكد على أهمية و مـحـوريـة الـنـوامـيـس التروبادوريه في فهم الحضارة الأوربية ـ و بهذا الصدد تـجـدر الإشارة إلى مقاله "علم النفس و التروبادورين" في كتابه " روح الغرام" و الذي يتوخى به تفسير أغاني هولاء الشعراء و المغنين المتطوفين ببصيرة نفاذة و أسلوب مبتكر تماما.

قـبل أن نخوض غمار الحديث عن أغاني التروبادوريين بإيجاز يجدر بنا أن نـلـقـى نـظـرة عجلي على الآراء و الوجهات التي توجد حول نشأة هذه الظاهرة. فيرى بعض الباحثين أن هذه الأغانى إنشعبت عن الشعر الشعبي السائد في ذلك الـزمـان، فـي حـين يـؤكـد الآخـرون على أن جذورها ضاربة في الثقافة اللاتينية الـكـنيسية، كما ذهب البعض إلى أنها نشأت عند المسلمين في أسبانيا. و حيث أنـه لـم يـوجـد مـا يـدل عـلـى تـواجد نواميس أدبية قبل التروبادوريين في أوربا، فـلانـسـتـطـيع إلا أن نرجح كفة أحد الإحتمالين و نعزو الظاهرة إما إلى التأثير اللاتينى أو العربي و الدراسة عادة تنحصر في هذين الجانبين.

بينما يتحرز سى ايس ليوس (في كتابه "أليفرى آف لف" ـ قصة حب ـ أوكسفورد ١٩٣٩م) و ايه جيه دينومى (في كتابه "دراسات في القرون الوسطى ١٩٤٤م) و أى. آر نائكل (في "الشعر العربي الأسبانى و علاقته بالتروبادورين البروفانسيين، بالتيمور ١٩٤٦م) و من نحا نحوهم بوجود صلة محتملة بين شعر الحب الرقيق بالإنجلبزبة و بين التقاليد العربية الأندلسية، و عبر ثيودور سلورسيتن و رابرت سن جونير عن تحفظهما حول صلة الأغانى التروبادورية بالشرق و اعتبراها ظاهرة طبيعية متأصلة في التقاليد المسيحية الأسبانية و السلتية، و لا نعدو سياقنا إذا ذكرنا هنا أبحاث ساموئيل هلكوس إسترن في كتابه "الشعر العربي الأسباني" (تحقيق أيل بى هاروى، أكسفورد ١٩٧٤م) التي تتناول أشكال القطعات الشعرية الأندلسية المختلفة من الموشحات و الزجل بالتحليل و تبحث في علاقتها مع الأغاني الشعبية للشعراء البروفانسيين و مما يلفت النظر انه لم يهتم أحد من هولاء بكتابات إزراباوند التي تبدو نافذة البصيرة و تدل على رؤية عميقة و تفسير للأدب البروفانسي. و لا نكون مبالغين إذا قلنا إنها تشحذ الأذهان و تثير الفكر و تستحثه.

هناك قرابه ألفى تأليف تروبادورى لاتزال باقية إلى الآن بإختلاف نظام القوافى و المقاطع الشعرية ـ و كانت العادة في الإنشاد أن يجتمع الجمهور بما فيهم الأشراف و التروبادوريون الرفقاء و المنافسون و الخصوم المحتملون، و يقف الشاعر تحدق به نظرات الأصدقاء و الحضور، الأصدقاء يطالبونه بإنشاد أغنية فيقرر أن ينشد أغنية يعبر بها عن قلة رغبة في الغناء. و كانت الطريقة الوحيدة لحفظ الأغنية من الإخفاق و اللائمة هي الإلتفات إلى كافة جماعة الحضور ـ و توجيهها إلى الأصدقاء الذين يرحبون و ينوهون بها، و إلى المنافسين الذين يبغون تشويهها و النيل منها. و نحاكى تلك الأغانى نموذجا مماثلا تقريبا

فـتـحـتوى على توسل و ضراعة إلى العشيقة بأن تصدق بأن الشاعر الواله صادق فـي جـمـيع ما يبوح به من لواعج الحب و بنات الصدر. و النتيجة المحتومة أنه حين يـتـقـدم بـهذه الضراعة فإن المحب المخلص وحده ينجح في إبداء نفسه كـالـمـحـب الـخـادع تـمـامـا ـ لأن ذلك من وجهة نظرة شيء تافه لا يؤبه به مما يـفترض أن يتهمه به أحد، و أما السيدات فكلهن حسناوات شقراوات محترمات لـدى الـجـمـيـع لـكـنـهن غير جديرات بالثقة لتجافيهن و تباعدهن. و المحبون ـ الـشـعـراء ـ جـمـيـعـهـم مـخـلـصون لكنهم غير أكفياء في المكانة الإجتماعية. و تـواتـرت هـذه الـتـقـالـيـد الـشـعـريـة إلى المتسلسلات السونيتية خلال العهد الألـزبيـتـي. و سـمـة الإعـتـداء بالذات فيها تماثل العجب بالمنزلة الإجتماعية، و يـتـنـقـل الـشـاعـر الـمـغـنـى من دور إلـى آخـر و أغـنـيـته تكون مثالا لإنتحال الشخصيات.

و كـانـت الأعـداء و جـحـودهم المتكرر خير وقاء ضد هجوم الحياة العادية و لـصـيـانـة هـذه الـمـسرحية الأدبية من الفشل. و كان الشاعر يشغل قلة إدراك الـخـصـوم بـالـتـلـمـيـح بـالنظام الشفرى و الكتابة بالقلم السحرى (تروباكلس) و حـسـب رائـى فـريـدرك جـولـدين فإن قضية الصدق غير متصل بالموضوع من وجهة علم الجمال (أغانى تروبادورين و تراورسز ١٩٧٣م).

و يـمـكـن أن نـذكـر هـنا السوق السنوى بعكاظ التي كانت تقام في الحجاز قـبـل الإسـلام ـ كـنـمـوذج لـمهرجان أدبي كان يحتفل به في الأدب العربي، حيث كـانـت روائـع القصائد تنشد و تتلقى الحفاوة و التكريم، و كانت القصيدة فخمة مـفـعـمـة بـجذوة العاطفة المنبعثة و اللغة قوية و موجزة مع أنها كانت ضئيلة القيمة في الأفكار الأصيلة المبتكرة و في التخيلات المثيرة للفكر و بالتالى كان يـنـقـصـهـا إعـجاب الجماهير الشامل، و يرى "فلب كى حتى" أنه كانت الإشادة

و الـهـتـاف بـالـشاعر و ليس بالشعر في أكثر الأحيان، و هنا كان المجال مفتوحا للشاعر إما أن يكسب إسما فيطير صيته في انحاء الجزيرة أو ينس في دياجير الـخـمـول، و كـانـت سـوق عـكاظ قبل الإسلام بمثابة المجمع الفنى و الادبي في الـجـزيـرة العربية (تاريخ العرب ١٩٧٠م). و هناك تشابه غريب و ممتع بين التقليد الـتـروبادورى في إنشاد الأغاني أمام نخبة من المستمعين كما أسلفنا آنفاً و بين إنشاد الشعر بسوق عكاظ.

و يمكن وصف الادب البروفانسى بالأدب الفروسى للتمييز بينه و بين الأدب الـتـقـلـيدى أو الكلاسيكى، و يلاحظ انه تزامن إزدهار الفروسية في جنوبى أوربا مـع تـطور التقليد البروفانسى، و من الاهمية بمكان أن التروبادورين ظهروا على هامش الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦م) و بعد حملة البيجزين الصليبية الفاشلة (١٢٠٨ـ ١٢٢٩م) بـتـقـدم الـزمان دون أن نسمع عنهم شيئا أو نطلع على نشاطاتهم، و لـم يـشـتـرك مـنـهـم إلاّ عـدد ضئيل في المعارك الصليبية، و يبدو أن الذين لم يـسـاهـمـوا فـي الـمـعارك كانت لهم رابطة ولاء وثيق مع الشخصيات الهامة في الـحـمـلات، و بصفه أحص مع أسرة أقتين. و غلامى التاسع من الأسرة نفسها كان أول تروبادورى معروف قاد حملة صليبية مشؤمة إلى أرض القدس المقدسة فـي عـام ١١٠١م و هـو يـعـرف كـذلـك بمساعدته ملك أراغون في حرب ظافرة ضد المسلمين في ١١٢٠م.

و يـعـتـمـد أن جافرى رودبل ـ أمير بلائيا ـ و أحد التروبادورين في[٨١] منتصف الـقـرن الـثـانـى عشر ـ و قد نوه به كثير من الشعراء بمافيهم ببترآرك لغرامياته الـبـارعـة ـ كان قد شارك في حملة صليبيه في ١١٤٧م و غيرات دى بورنله (١١٦٥ ـ ١٢١١م) من الـتـروبادورين، إصطحب أمامار الـخامس ملك ليموجيس إلى القدس،

و ريمبات دى و اقيروس كان من التروبادورين كذلك، و قد اثر تاثيرا عميقا في الأدب الايطالي و لقى مصرعه في ١٢٠٧م خلال الحملة الصليبية الرابعة، و تغنى بي في وايدل (١١٨٠ ـ ١٢٠٥م) بأناشيد الحب و الحرب و اقام بالقدس ـ و بعد برنارت دى فينتا دورن (١١٥٠ ـ ١١٨٠م) من أفضل التروبادورين و قد مجده إزراباوند و عرف عنه أنه كان عاشق آلينور ملكة أقويتين. و كان كل من أرنات دانيل، و برتران دى بورن و فلوكيت دى مارسيلى (١٢٣١م) كذلك معروفين لدى أعضاء الأسرة الحاكمة و خاصة أسرة أقويتين و كانوا يتمتعون بالرعاية و العناية الملكية. و تبقى الملكة آلينور ملكة أقويتين و حفيدة التروبادورى الأول وليم التاسع ـ الشخصية الساحرة الفاتنة خلال ذلك العصر، إنها تزوجت في البداية مع لويس السابع ملك فرنسا و بعد أن تم الفصل بينهما زفت إلى هنرى الثانى ملك إنكلترة و أصبح إبناها جون و رينتشارد ملكا انكلترة تباعا ـ و هكذا ملكة فرنسا هي شاركت في الحملة الصليبية الثانية و زارت مدينة بيزنطة حيث إطلعت على الثقافة العالمية المتنوعة ببلاط مانويل كومنينوس، مما لم يكن لمدينة باريس عهد بمثله أيام لويس السابع. و قامت برعاية التروبادورين و المغنين المترحلين في إنكلترا كما رعت التروفيرين الفرنسيين و كان بين هولاء برنارت دى فينترادون، و يقول بيترماكن "إن تصور إليور يبعث على البهجة حيث كانت شخصيتها نموذجا لملكة مماثلة لشهر أبريل في الإحتيال و اللعب، و كانت ـ حسب ما أشار إليه باوند في إحدى القطعات الشعرية البروفانسية ـ تعبث بزوجها المزعج" و استشهد هيلين بأيسيشلوس و وصف إلينور "بمدمرة الرجال و مدمرة السفن و مدمرة المدن" (النشيد الثاني). و لم تنج إلينور من تهمة الفضائح، كما هو شأن الشخصيات البارزة، فقد كان يرتاب زوجها لويس بأن لها علاقة غرامية مع

صلاح الـدين الأيوبـي ـ الـشخصية الجذابة الرائعة الأخرى في عصر الحملات الـصليبية، التي عرفت و لو بحقد و ضغينة "بمثال الشهامة" في أوربا ذلك العهد و يلمح إزراباوند إلى تلك الفضيحة ـ على حد إعتقاده ـ في النشيد السادس.(١)

و لا يـخـلـو من فـائـدة إذا ذكرنا هنا شخصية الولادة بنت المستكفى فقد كـانـت كـذلـك شهيرة لجمالها الفاتن و براعة موهبتها الادبية، و بتعبير "قلب كى حتـى" إنـها كانت سافو (Sappho) الأسبانية و يظهر أن نساء العرب أبدين ذوقا و ذكـاء خـاصـا لـلـشعر و الادب و كما ذكر "حتى" أن المقرى خصص بابا كاملا لأولئك النسوة اللاتى جبلن على الفصاحة (تاريخ العرب ١٩٧٠م).

و كـان مـنزل الولادة بقرطبة ملتقى العلماء الافاضل و الشعراء، و لعل إبن زيـدون كـان أشهر الجموع الحاشده من المعجبين و الشعراء الذين كانوا يرتادون قـصـرهـا، و الـمـقـارنة بين الولادة أميرة قرطبة و إلينور ملكة أقويتين ـ المرأة الـتـي احـتـلـت الـنـقـطة المركزية من التقليد التروبادورى الأدبى خلال الحملة الـصـلـيـبـيـة الـثـانـية ـ شيء معرٍ و مثير حقا، و قد وجد الأدباء و كتاب الأغانى الـفـروسـيـة في أوربا في شخصية الملكة إلينور نموذجا يوفر لهم مثالا و صورة لأميرة قرطبة الشهيرة.

و هنا نود أن نشير إلى بعض كتابات النقاد التي تعقد عملية تقدير التراث الـتروبادورى، كما أنها في الوقت نفسه تسلط الاضواء عليه. و إذا قمنا بمحاولة تحليل الأغانى التروبادورية يترأى لنا أن الشاعر يجذب إنتباهنا إلى علاقة الشعر بـالـتـاريـخ و هـذه الـفـكرة وثيقة الصلة بالمشكلة التي نتوخى البحث فيها فقد اثـارت قـصـيـده "قـرب بـيـرى غـورد" سـلـسلة من الاسئلة التي تتعلق بقصيدة "الـحـبـيـبـة الـمـسـتـعـارة". و يـتـسـاءل بيتر عما إذا كان برتران يحاول تحويل

مـونـتـغـين، الشخصية الاساسية في إستراتيجيته بإثارة غيرة النساء الأخريات ضـد مـانـيت؟ و لكن أ كان برتران يحبها حقا؟ و بالتقدير الإستقرائى للتخمينات كانت الاغنية محاولة لإحداث نوع من التحالف مع كافة هذه القلاع، (بروفانس و بـاونـد ١٩٧٨) و قـراة الـقـصـيـدة بـإعتبارها على المستوى الخفى أساس لتفسير "تروباركلس" في مقالة باوند المعروفة "علم النفس و النروبادوريون".

الحبيبة المستعارة

حبيبتى! حبث أنك لا ترغبين في

تجافيت و تناهيت عني

من غير أى سبب

أنا حائر لا ادرى إلى أين أنوجه

و حيث أن من المستحيل أن أجد إمرأة تساويك

حسنا و روعة

أو تكون شخصبتها الأنيقة

تضاهيك لباقة و ابتهاجا

أو تماثلك في الملابس المشيبة الفاخرة

أو تداينك بشخصيتها الخلابة في بهاءك و جمالك الباهر

إذاً ساخرج متكففا متطوفا في كل مكان

ا ستجدى من كل حسناء من مظهرها الخلاب

حتى أصنع بمجموعها إمرأة مستعارة

او أن أحظى باستردادك إلى

استعير منك نضارة لونك الزاهى

و منك كذلك

و منظرك الحلو الفاتن

أعمل باقصى حيطة و اتحاشى إغفال شيء ما

فلا أغادر صغيرة و لا كبيرة منك إلّا أحصيها

لانه لم ينقصك من خصال الجمال شيء

اطلب من السيدة النبيلة هيلبس

أن تعيرنى حديثها اللبق البارع

حتى لا تكون "الحبيبة المستعارة" مبتذلة خرساء

ا ستجدى "أدرياب" رغم أنها تضمر لي الضغينة

أن تعطينى شيئا من حسن هندامها

فالملابس تزيدها جمالا و رشاقة

و لانها سليمة و كاملة

و لان حبها لم يحطم و لم ينحرف و لم بنعطف قط

اسنسلف مں غنجتی فامنها الممدودة و جسمها الثمل الفاتن

الدي بتمنى الرائى إلبه، لو تمكن من الإمساك به مجردا من الثياب

ربتى الحسناء لا أطلب منك سوى

أن تجلعينى أشنهى هذه المرأة المستعارة كما أتوق إليك

و حبث أن حبا جشعا ينبثق منى

و يسبب خواء و فراغا في جسمى

فلا يسعنى إلاّ أن أتوسل منك و أستاذنك

في تقبيل إمرأة اخرى

فلماذا ترفض سيدتى طلبى

رغم معرفتها أنني أحبها حباً جماً

(برتران دى بورن)

قرب بيرى غورد

مانيت! أنا أحبك و أنت تطردينني

لو جمع صوت مون فورت و شعر السيدة أجنبس

و تمثال بيل مرال و حنجرة فسكاؤنتيسه

و ركب كل ذلك إلي بعض لتتشكل إمرأة بارعة الجمال

ما كانت لتصبح مثلك حسنا و بهاء

أ هذه قصيدة حب؟ و هل تتغنى بالحرب

أم هى خديعة و مكيدة للإنقضاء ببراعة

وليدة لسان شاعر مترحل

تجتاز الأرض حرة طليقة

داخل البلاد و خارجها و من أدناها إلى أقصاها

ميزه كفنان بارع التخطيط

يا هذا هناك تقليد قانونى سابق

و هو

التغنى بشيء برغم أن أغنيتك ترمي إلى معنى آخر

و بخصوص هذه الفقرة يقول إزراباوند "لا يشك الباحث في ذلك العصر أن الاشكال و القوالب الملتفة الدلالات في "ترو باركلس" إنبعثت من ظروف الحياة السائدة في ذلك الزمان، و أن هذه الأغانى مثلت دورا واقعيا في علاقات الحب و الغرام و في دس الدسائس التي تسبق الحروب، إن مشاكسة التوتر بين الأخلاق و نزعات الحب حسب المبادئ التروبادورية متسترة في لغة المجاز في اغلب الاحيان، و ليس من الميسور شرحها. و يقول باوند في قصيدة "قرب بيرى غورد":

اهذه قصيدة حب؟ و هي ترن بأصداء الحرب

ام هي مكيدة للإنطلاق إلى الآفاق ببراعة

وليدة لسان شاعر نجتاز الأرض حرة طليقة

داخل البلاد و خارجها و من ادناها إلى أقصاها

مبزّة كمباں بارع التخطيط

(لقد فعل القديس ليدر مثل بول هوناك بأن تغنى مقطعا شعريا و لكن في نفس الغموض و الخفاء) يا هذا هناك تقلبد شرعى سابق

و هو التغنى بشيء برغم أن أغنيتك ترمي إلى معنى آخر.

و بهذا الصدد تزداد أهمية دراسة إزرا باوند حول "علم النفس و التروبادوريون" فإنه يقدم فيها إفتراضا علميا بأن الحب الفروسى المغامر الذي عبر عنه في القصائد الغنائية بالعواطف الجياشة لم يكن سوى دين و دستور حجبه تروبادوربو فرنسا الجنوبية في لغة المجاز الخيالية. و يعتبر باوند نوعا من المماثلة بين التروبادورين و الدين الإغريقى الوثنى، حيث كانوا

مـضـطرين ـ خوفا من إستهجان الكنيسة ـ إلى الإخفاء في نظام شفرى و تقنية يـتعذر فهمها لغير الأعضاء و يقول إن كلمة "السيدة" و "وجه السيدة" تدل على الـديانـة الـسـريـة الـتـي كـانـوا يعتنقونها بكل صدق و إخلاص و كثيرا ما تكون مـلاحـظـات بـاونـد جـارفـة مـثـلا يـقـول "كـانـت الـروح الإغـريـقية تتمشى في الـبـروفـانـسيين و هي حقيقة يدركها بكل بساطة كل من يقارن بين المقتطفات الأدبيـة الـمـخـتـارة من الأدب الإغـريقي و بين أعمال التروبادورين، فإنهم فقط فقدوا أسماء الآلهة و احتفظوا بأسماء المحبين (روح الرومانس ١٩٦٧م).

لا يتنازع أحد في المكانة المتفردة التي يحتلها التروبادوريون في علاقتهم مـع الـتـاريـخ، لـكن هـنـاك مجالا للتأمل إذا نظرنا إلى القضية من عدة زوايا في ضـوء الـمـراجـع المتوفرة لدينا، فإن دراسة أى ، آر، نأيكل الريادية حول "الشعر الـعـربـى الأسـبانى و علاقته مع التروبادورين البروفانسين القدماء" تقدم بصيرة نـفاذة مثل أعمال إزراباوند. و يذكر نايكل طوق الحمامة لإبن حزم (١٠٢٠م) بصفة خـاصـة، و هـي رسالة مهمة في اللغة العربية تتناول طرق و أساليب الحب الحر بـالـمعالجة و التحليل، كانت صنفت بقرطبة في أسبانيا و تم ترجمتها إلى كافة اللغات الأوربية.(٢)

يميز إبن حزم بين العشق و بين أنواع الحب الأخرى، يقول في الباب الأول:

"و مـحـبـة الـمـتـحابين لسر يجتمعان عليه يلزمههما ستره، و محبة بلوغ الـلـذة و قـضـاء الـوطـر، و مـحـبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من إتصال النفوس، فكل هذه الأجناس منقضية مع إنقضاء عللها و زائدة بزيادتها و ناقصة بنقصانها، متاكدة بدنوها فاترة ببعدها حاشا محبة العشق الصحيح الممكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت"(٣).

و لا يحصر إبن حزم نفسه في حدود المفاهيم الفكرية فقط و إنما يوضح مفترضاته ببيان الأمثلة من واقع الأشخاص الذين يعرفهم أو من قصص العشاق التي سمعها أو قرأها، و تحتوى الرسالة على الاغانى و القصائد القصيرة حول أحوال الحب المختلفة و ما إلى ذلك، فيصف نكبة العاشق الذي يقاسى آلام البين:

ارعى النجوم كاننى كلفت أن	أرعى جميع ثبوتها و الخنس
فكانها و الليل نيران الجوى	قد أضرمت في فكرتى من حندس
و كاننى امسيت حارس روضة	خضراء و شح بنتها بالنرجس
لو عاش بطليموس أيقن أننى	أقوى الورى في رصد جرى الكنس (٤)

و مطاوعة المحب لحبيبه ميزة هامة لتقليد الحب اللطيف، و قد تناول إبن حزم هذا الموضوع بالدراسة و التحليل يقول: "و من عجيب ما يقع في الحب طاعة المحب لمحبوبه و صرف طباعه قسرا إلى طباع من يحبه، و ربما يكون المرء شرس الخلق، صعب الشكيمة، جموح القيادة، ماضى العزيمة، حمى الأنف، أبى الخسف، فماهو إلا أن ينسم نسيم الحب، و يتورط غمره، و يعوم في بحره، فتعود الشراسة ليانا، و الصعوبة سهلة و المضاء كلالة و الحمية استنسلاما"(٥) و يستشهد إبن حزم بأبياته لإثبات هذه النقطة فيقول:

لبس التذلل في الهوى يستنكر	فالحب فيه يخضع المستكبر
لا تعجبوا من ذلنى في حالة	قد ذل فيها قبلى المستبصر(٦)

هناك عدد لا يحصى من الاغانى في الأدب الأندلسى من القرن الثامن فصاعدا ـ التي تعالج عاطفه الحب البشرى في المواضيع المختلفة و الأشكال

المتنوعة و التي بلغت ذروتها في قوالب الموشحات و الأزجال، خلال القرن الحادى عشر، و يمكن وصف كلا الضربين من الشعر الغنائى بأنهما منحدران من تربة الاندلس بمعالمها الواضحة المميزة رغم أواصرهما الوثيقة مع انماط الشعر العربي التقليدى. و يخاطب الشاعر حبيبته أحيانا في هذين النوعين من الشعر "بسيدتى" و مولاتى" و هي عادة كانت شائعة لدى التروبادورين كذلك.

إن دراسة أغانى التروبادورين القدماء و خاصة أغانى وليم الاقويتينى التاسع تكشف عن مدى تأثير المواضيع و الصور البلاغية التي تكرر استعمالها لدى شعراء الشعر الغنائى العربي الأندلسى و التي جمعها إبن حزم في طوق الحمامة، و يمكن فهم الإلماع إلى الخصم أو المنافس في الأغانى التروبادورية في ضوء التقليد الشعرى العربى الذي درج على الإحالة المتكررة إلى ذلك، و القطعة التالية لوليم التاسع تصور هذه الميزة بوضوح:

إذا منحتنى سيدتى حبها

أنا متأهب لأتلقاه مقرا لها بالجميل

أحفظ أسرارها، و أخدمها

و أقول و أفعل ما يرضيها و يروقها

أعز و اقدر قيمها و مثلها

اسهب و أترسل في تمجيدها

لا اتجاسر على الإرسال إليها بشيء بواسطة أحد

خوفا من أن تسخط علي

و لا اتجرا على ان أبوح عندها شخصيا بحبى إياها

أنا شديد الفرق من إرتكاب الخطايا

لكن يجب عليها أن تختار لي الأفضل

لأنها تعرف أن غلتى لا تشفى دونها

و ملاحظة إبن خلدون في المقدمة حول نشأة الشعر الغنائى مثيرة للفكر و الإنتباه في تقدير تطور و إزدهار "السونيتية" في اللغة الأيطالية و بالتالى في الإنجليزية، يقول: لما بلغ جمال الشعر قمة روعته في الأندلس، أبدع الشعراء نوعا جديدا أسموه "الموشح" فرتبوا السمط بالسمط و الغصن مع الغصن جنبا إلى جنب، و كانوا غزير الإنتاج من هذا النوع، كما ابتكروا في الأوزان و زاولها بكثرة و اطراد في قريضهم، و يسمون عدة "أغصان" منظمة على هذا المنوال "بيتا". و يلزم على الشاعر أن يراعى نفس القافية و البحر ـ على التتابع ـ إلى نهاية القصيدة، و العادة أن لا يعدو عدد الأبيات السبع على الأكثر، و يتضمن كل بيت من عدد الأغصان حسب مغزى الشاعر و غرضه و طريقته.

تتناول الموشحات مواضيع الحب و المديح شأن القصيدة العربية التقليدية، و قد بلغ الأندلسيون في إجادة هذا النوع و تهذيبه شأوا بعيدا، و أولع به الخاصه و العامة على السواء لسهولة حفظه و فهمه، و كان مخترع هذا النوع في الأندلس هو مقدم بن معافر الفرقى.

و إنما إستهدفنا من ذكر المقتطمات من طوق الحمامة لنستدل بها على أهمية الثقافة الإنسانية المزدهرة في الأندلس التي كانت ـ حسب رأى إليزابيث سالنر ـ مدنية عالمية (في كتابه "عالم العهود الوسطى" تحقيق داياشيس، ط١٩٧٣).

إن تأثير الحضارة العربية الأندلسية في حضارة أوربا الغربية في مجالات

الفلسفة و الفلك و الجغرافية و الطبيعة و الطب و العلوم التطبيقية و تخطيط المدن و الهندسة حقيقة ثابتة لا تحتاج إلى الإعادة و التكرير، لكن موضوع مدى تأثيرها على الأدب الأوربى لم يتلق العناية الكافية، و التربادوريون يوفرون الرابطة الأساسية بين الشعر الأندلسى و بين شعر الحب الحر في لغات أوربا الغربية من القرن الثالث عشر إلى الأمام. و التخبط حول خضوع الحب للنظام الإقطاعى، و الإرتباك حول غموض الرقة و التلطف ينشأ أساسا بسبب الفهم الناقص للشعر العربي الأندلسى.

كانت بيزنطة ـ إستنبول ـ في شرق بروفانس، و الأندلس على التخوم الجنوبية منها، و بذلك كان المجتمعان العالميان في متناول يد البروفانس فاستفادت من كليهما، فمن جهة وفرت الحملات الصليبية القوة الدافعة اللازمة و على الصعيد الآخر كانت المرأة الساحرة الملكة إلينور تلهب النضال و تلهم الشعر معا، و ابنها الباسل ريتشارد "قلب الأسد" في النقطة المركزية خلال تلك الفترة ـ كل ذلك كان له تأثير عميق في كشف خبايا و زوايا أوربا الغربية أمام الشرق، كما ضمن لها رؤية قريبة في الشرق، و كان هناك إحتكاك لم يسبق له نظير على شتى المستويات من الفكر و الشعور، و سبب نوعا من الصراع الحضارى، و الغرض من هذه المناقشة ليست سوى محاولة لإعادة النظر و التقييم و التقدير من جديد، و كتابات إزراباوند تأخذ بأيدينا بأسلوبه الفذ في استكشاف العلاقة بين التاريخ و الشعر و اجتياز مختلف الشعاب الضيقة و إدراك شتى المشاهد المطروحة من التاريخ و الثقافة.

الهوامش :

١ ـ لم يكن لويس هرناح النال في تلك البلدة

و لم يكن قرير العين في الارض

عندما حرجت راكبه إلى بستان النخيل

و وشاحها ملتف بقبضة سيف صلاح الدين

٢ ـ مرجعي في هده الدراسه ترجمتها الإنجليزية التي قام بها أى آر، آربري، و الكتاب مقسم على ثلاثين بابا، و الأبواب كما يلي. بوطئه في ماهيه الحب، علامات الحب، الحب في النوم، الحب بالوصف، الحب من نظرة واحدة، من لا يحب إلا مع المطاولة، من أحب صفه لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها، التعريض بالقول، الإشارة بالعين، المراسله، السفير، طي السر، الإداعة، الطاعه، المخالفه، العاذل، المساعد من الإخوان، الرقيب الواشي، الوصل، الهجر، الوفاء، الغدر، البين، القنوع ، الضنى، السلو، الموت، قبح المعصيه، فضل التعفف، يقول إبن حزم في الكلام في ماهيه الحب "و لا يعرض في شيء من هده الاجناس المذكوره، و من شغل البال و الخبل و الوسواس، و تبدل الغرائز المركبة، و استحالة السجايا المطبوعه و النحول و الزفير، و سائر دلائل الشجا ما يعرض في العشق" (طوق الحمامه في الالفه و الالاف تحقيق فاروق سعد، بيروت دار مكتبه الحياه ط/١٩٩٢م ص ٦٣).

٣ ـ طوق الحمامه ص/٦٢

٤ ـ طوق الحمامه ص/٧٦

٥ ـ نفس المصدر ص/١٣٦

٦ ـ نفس المصدر السابق ص/١٢٩

تعريب: د/ عبد الماجد الكشميري

■■

الشاعر الأردى : غالب

بقلم: البروفيسور أنيس الرحمن

قـرض الـشـعـر لـيـس عـمـلاً سـهـلاً حـتى بالنسبة لمن هو شاعر بالمعنى الـحـقـيـقـي لـلـكـلـمـة و كـذلك فان القارئ أيضاً لا يستطيع أن يفهم الشعر إلاّ بـصـعـوبـة. بـالـنـسبة للشاعر الأردى المعروف بالميرزا أسد الله خان غالب فقد عـاش زمن الاضـطراب و الفوضى و عبر عن خلجات نفسه بطريقة لم تشر فيها اشـارة مـبـاشرة إلى ما قاساه من معاناة بل و قد ترك للقارئ أن يبذل جهدا كبيرا فـي اسـتـخـلاص مـا يقصده الشاعر. و الاهتمام الذي بدأ منذ عهده و حتى لدى مـعـاصـريـه تـجـاه اكتشاف ميزاته و مازال يزداد بمرّ الوقت إنما يؤكد عبقريته النادرة و صحة لقبه الشعرى "غالب" حيث فاق غيره من الشعراء.

و من الـحـقـائق المعروفة لدى الجميع أن الشعراء يشكون كثيراً و لم يكن شـاعرنا غالب من المستثنيات فظل في موقف المدعى في محكمة الحياة حيث لـم يـكـن نـصـيـبه إلاّ الفشل و الخيبة و لكن شعره كانتاج فني ممتاز مازال يزداد قـيـمـة حـيـث يـتـمـيز بجمال الأسلوب و رفعة المضمون. كان تركى الأصل من الـسـلالـة الـحـاكمة "أيبك" التي كان ينتمى إليها الملك افراسياب و لكن قدر له العيش، لسوء الحظ، في خضم المشاكل و المصاعب المتعاقبة.

جـاء جـده إلـى الـهـند و انضم إلى جيش الملك المغولى شاه عالم الثانى، و تـوفـى أبـوه و هـو إبن خـمس سنوات فقط، فنما و نشأ تحت رعاية عمه الذي كـان جـنديا في الـجيش الانكليزى و لكنه أيضاً توفى عندما كان غالب قد بلغ من الـعمر تسع سنوات، فبدأت حياة تعاسته و هى قصة طويلة للكفاح و الصبر على ما أصابه من مصيبة.

و بـعـد مـصـادرة أراضـى عـمه تمت الموافقة على مساعدة مالية قدرها عـشـرة الاف روبـيـة لورثته و لكن الـحاكم نواب أحمد بخش خان لم يكن يدفع إلاّ ثـلثا منها و لم يكن نصيب غالب من تلك المساعدة يزيد عن سبعمائة و خمسين روبـيـة سـنويا و ازدادت حياته صعوبة عندما رفض الحاكم الانكليزى التماساته الـعديدة لمنحه معاشات التقاعد و ظل غالب يتابع الموضوع لمدة ١٦ سنة و لكن لـم يكن نصيبه إلاّ خيبة الأمل. و كان المصدر الوحيد لدخله عبارة عن المعونات الـتـي كـان يـتـلـقـاه من آخر امبراطور مغولي و حاكم رامبور. كان ارستقراطيا بنسبه و مزاجه و أبقى على هذه الميزة حتى في حالة الفقر و ضيق العيش و لم يـتـقـبـل أبـدا بتبرعات و تـحاشى عن الاختلاط مع الناس بحرية. لم يكن له بيت يـدعى بملكيته أو كتب تعتبر ثروته الشخصية أو أبناء يرافقونه و لكنه بدون شك حـظـى باكـرام و تـعـظـيم و نال سبيله إلى البلاط الملكى بمجرد فضل مكانته الـمـمـيـزة فـي الـشـعـر و الأدب فـصـار مـنـاطاً بتأليف تاريخ الحكم المغولي و مـراجـعـة شـعـر الملك نفسه و اعترافاً بمكانته الأدبية منح غالب وسام "دبير الملك" (شرف البلاد) و "نجم الدولة".

تـلـقـى غالب تعليمه الابتدائى بمدينة آجره حيث ولد عام ١٧٩٧م و لا توجد لـديـنا معلومات دقيقه كثيرة عن حياته التعليمية. و لكن المعلم الذي يعود إليه الـفـضـل فـي تـطـوير قدرته باللغة الفارسية كان عالماً سياحا زردشتيا جاء من

إيران و اعتنق الاسلام فأصبح يعرف باسم ملا عبد الصمد. فالفضل في معرفته العميقة عن الدقائق اللغوية و القواعد النحوية و الأدب الكلاسيكى و التاريخ و الفلسفة و الاخلاق يعود لحد كبير إلى صحبة الملا عبد الصمد و تلمذه عليه. ثم انتقل إلى دلهي حيث قضى المدة المتبقية لحياته و وجد أمامه مجالاً أوسع فازداد معرفة و ثقافة و خبرة في مجال الحياة.

كان غالب شاهد عيان لسقوط الامبراطورية المغولية و قيام الحكم البريطانى في محلها فكان ممن عانوا من عذاب تلك الفترة و لاحظوا غروب ثقافة و طلوع ثقافة أخرى في اعقاب الاضطرابات المروعة و شعر بقلق عميق تجاه التغييرات المأسوية التي كانت تطرأ على نمط الحياة، و إن ثورة عام ١٨٥٧م التي أدت إلى دمار مدينة دلهى جعلته كئيب الخاطر فسجل مشاعره بصراحة في رسائله العديدة، ففي عام ١٨٥٩م كتب عن دلهي التي كانت معروفة بجمالها الفريد و هو يندب على حالها "أين دلهي الآن: نعم كانت هناك مدينة بهذا الاسم على أرض الهند" و بما أنه نال المساعدة من كل من الامبراطورية المغولية و الحكم البريطانى فان تكافؤ الضدين في موقفه تجاه بريطانيا هو أمر مفهوم فنذكر في مفكرته "إن قراء هذا الكتاب يجب أن يدركوا أننى قد أكلت الرزق من مائدة بريطانيا التي فتحت العالم كله" و له مواقف مختلفة في رسائله و مفكرته. فبينما تمثل مفكرته مغامرة سياسية حذرة فان رسائله الموجهة إلى أصدقائه المقربين تعبر تعبيرا صادقا عن ألمه و كربه.

كانت شخصيته متعددة الجوانب في مجال العلم و الأدب فكان شاعرا و كاتبا له أسلوب متميز في كتابة الرسائل و المفكرات اليومية و معجميا و مناظرا و ناقدا و مؤرخا، و بالاضافة إلى هذا كان مولعاً بمطالعة الكتب و يحب الأدب الكلاسيكى و ينزع إلى الاحتفاظ بالمجد الزائل للماضى. و إن

اكتسابه للمعرفة يعود إلى تأملاته و ملاحظاته الشخصية أكثر من غربلة النصوص، و بدأ الكتابة و هو ابن تسع سنوات فقط و كان قد انتج القسط الأكبر من روائع شعره حتى بلوغه ١٩ سنة من العمر. و أكمل ديوان شعره باللغة الأردية عندما ناهز ٢٥ سنة، و حتى ذلك الوقت كان قد ازداد اهتماما بقرض الشعر باللغة الفارسية و إن ديوانه الفارسى هو خير شاهد لذلك. و إن غالب من كل ناحية مثال لعبقرية سريعة النمو ابهرت معاصريه و مازالت مصدرا للدراسة لا ينضب أبدا.

لم يتمسك غالب كليا بالتقاليد الراسخة في النثر أو الشعر و لكنه عالجهما بأسلوبه المتميز بما اضفى على نثره و شعره جدة و اناقة لا تأتى إلّا من عبقرى يهاجم التقاليد المبتذلة و تتمثل هذه فى غزله و قصائده و كتاباته المتنوعة و لاسيما مفكرته التي سرد فيها أحداث عام ١٨٥٧م و رسائله الفريدة التي كتبها إلى أصدقائه. و له كتابات أخرى تعكس ألوانا مختلفة من عبقريته المتعددة الجوانب و منها كتاب تحت عنوان "مهر نيم روز" (شمس نصف النهار) سجل فيه الأحداث التاريخية حتى عهد الامبراطور همايون و كتاب في النقد تحت عنوان "قاطع برهان" انتقد فيه معجما فارسيا ألفه المولوى محمد حسين تبريزى و "تيغ تيز" (السيف الحاد).

و في غالب الأحيان تنمو عبقرية الشعراء الكبار وسط التعقيدات، و عند استعراض آثار شاعرنا أسد اللّه خان غالب نكتشف ميزتين بارزتين و هما أولاً : إنه يملك قدرة فريدة لاستيعاب تأثيرات مختلفة و متباينة فيمزج بين الذكريات الخاصة بنسبه و الأحداث التي هو شاهد عيان لها و يوجد لديه مزيج رائع و منسجم لحمال الشعر الفارسي و الأردى و هو لا يمثل تقليدا واحدا و لكن عظمته الفنية تعتمد على أنه تمكن من المزج بين الثقافات الأدبية المختلفة

بصورة تتميز بالانسجام، و ثروته الادبية تتمثل في الحساسية التي تنجم عن تداخل مختلف الثقافاتِ و اللغات و الفترات التاريخية. و لذا فان قراءة غالب تمثل تجربة لاكتشاف افق جديد للروعة الفنية. ثانياً: إنه متميز بذكائه و الاعتزاز بالنفس و الحنو و هذه الميزات كثيرا ما تنعكس في شعره و نثره و لا يضاهيه أحد بهذا الصدد. فيعتز غالب كثيرا بما لديه من رفعة الخيال و الفكر، فسواء كان في حالة الابتهاج و النشوة أو الحزن و الالم أو الفراغ أو المزاح نلمس لديه دائما نزعة شعرية فريدة.

و كثيرا ما يخلق غالب انطباعا لكونه فنانا مازحا ففى حالة نفسية خاصة يقول:

بازیچہء اطفال ہے دنیا مرے آگے　　　ہوتا ہے شب و روز تماشا مرے آگے

(هذا العالم بالنسبة لى هو ملعب للأطفال أشاهد اللعب يستمر ليل نهار)

إنه مثل طفل لعوب يلعب بتعابير متنوعة و متباينة حيث تكون بسيطة حينا و معقدة حينا آخر و يبدو أنه يستخدم تلك التعابير حسبما يشاء و ليس من السهل في كثير من الأحيان تحديد مفهوم لشعره حيث تكون له مفاهيم محتملة فهو يتجنب الشكل المعروف للفن لكى يخلق نوعا فريدا غير معروف للفن و يخلط بين الاستعارات و يتحاشى الزخرفة و يؤثر الابتكارات اللغوية. و هو لا يتأثر بالمذاق الشعرى السائد في عصره و إنما يهتم بخلق معايير خاصة له لنقد و تقييم الشعر. و يطبق هذه المعايير على شعره حول الموضوعات الخاصة بالحياة و الموت و الحب و الله و بينما نجد أن كثيرا من الشعراء لا يتجنبون الغلو و التجريد عند معالجة هذه الموضوعات فان شاعرنا غالب يأتى بتعابير دقيقة تكون في غاية من البساطة حينا و معقدة حينا آخر. إنه يستخدم الاستعارات و التماثيل و لكن يعطيها ابعادا جديدة و فيمايلى أمثلة من أبياته:

بسکہ دشوار ہے ہر کام کا آساں ہونا آدمی کو بھی میسر نہیں انساں ہونا

(إنه من الصعب أن تصبح كافة الأمور سهلة و حتى ان الانسان أيضا لا يتيسر له ان يعيش كانسان)

عشرت قطرہ ہے دریا میں فنا ہو جانا درد کا حد سے گزرنا ہے دوا ہو جانا

(القطرة تشعر بالراحة عندما تمنى في النهر و الداء يصبح الدواء عندما يجاوز حده)

سب کہاں کچھ لالہ و گل میں نمایاں ہو گئیں خاک میں کیا صورتیں ہوں گی کہ پنہاں ہو گئیں

(بعض الوجوه و لبس كلها قد ظهرت في الزهور و دعنا نمكر في جمال تلك التي احتجبت تحت التراب (١)

الحقيقة أن شعر غالب يظهر مدى القمة التي يمكن أن يرتفع إليه الانسان في فكره و خياله و أن شعره أتاح له مجالا واسعا لاختبار قدرته الخيالية و اثبات أنه يصونه من التجريد. و بما أن الشعر يتيح مجالا فكريا غير محدود استخدمه غالب استخداما تاما بما أضفى على شعره جمالا و روعة.

و يقال حقا أنه اذا أراد المرء أن يعبر عن نفسه في النثر فان هذا المجال الفكرى يصبح محدودا للغاية. و نظراً إلى ما حققه غالب في نثره، خاصة في رسائله نعتقد أن النثر يمكن أن ينال بعدا جديدا كل الجدة في حالة معالجته بصورة ابتكارية. فأسلوب رسائله حوارى و سهل القراءة و الفهم و سريع التأثير و تفضى بسرها إلى الشخص الموجهة إليه على الفور، و تعكس هذه الرسائل الشخصيه الادبيه لاسد الله خان غالب و سعة آفاقه الفكرية، و يمكن قراءتها باعتبارها تاريخا ابتكاريا و استعراضا شخصيا لعصره الذي يمر بأزمة

و ينعكس فيها سيناريو خاص اذا قرأناها مع بعض أبياته. و الحقيقة أن شعره و نثره كليهما يعكسان القلق الانسانى العميق بالصدق و الصحة. و لاشك أن غالب ابو عذرة ذلك الأسلوب الذي تتميز به رسائله، فكان بعيدا عن تصور اسلافه و مدى استطاعة أخلافه. و إن نثره مثل شعره يجمع بين أفضل التقاليد الفارسية العربية و النمط اللغوى للغة الأردية.

و على الرغم من مضى أكثر من مائة سنة على وفاته في عام ١٨٦٩م إلاّ أن غالب مازال عصريا أكثر من غيره من بين الشخصيات الأدبية المعاصرة و هو في آن واحد يمثل التقليد الكلاسيكى و يتميز بأكبر درجة من الحداثة. و نجد تفسيرات متنوعة لشعره الذي ترجم إلى عدة لغات و لكن الترجمة لا تكاد أن تصل إلى ما يقصده الشاعر. و مازالت آثار غالب تجدر بمزيد من البحث و الدراسة باعتبارها عنصرا مهما للآثار الأدبية في الأردية و الفارسية.

هوامش:

١ـ فيمايلى مجموعه من الابيات الاخرى للشاعر غالب ترجمها إلى العربيه شعرا الاستاد ابو محفوظ الكريم معصومى (ثقافه الهند ج٢٠ عدد ١ ـ ٢)

پنہاں تھا دام سخت قریب آشیانے کے　　اڑنے نہ پائے تھے کہ گرفتار ہم ہوئے

(لقد كتموا لي دون وكرى حبالة　　فلم استطر إلا وقعت اسيرا)

نظر لگے نہ کہیں ان کے دست و بازو کو　　یہ لوگ کیوں مرے زخم جگر کو دیکھتے ہیں

(رمى فسدد لا عيبت سواعده　　ما بالهم قد تراءوا جرح احشائى)

ہوں گرمیِ نشاط تصور سے نغمہ سنج　　میں عندلیب گلشن نا آفریدہ ہوں

(اغانين انغامى عليها بحثنى　　نوهج افكار كما اتقد الجمر)

(انا البلبل الصداح لكن روضى　　إلى الكون لم تظهر خمائلها الخضر)

ناکردہ گناہوں کی بھی حسرت کی ملے داد　　یارب اگر ان کردہ گناہوں کی سزا ہے

(اذا كان تعذيبي على ما اقترفته　　فكم من ذنوب غير مقترفات

اثبنی بها یا رب حیث حرمتها　　و فاصت علیها النفس بالحسرات

آتا ہے داغ حسرت دل کا شمار یاد　　مجھ سے مرے گنہ کا حساب اے خدا نہ مانگ

(يعاودني لهمي على كل فائت　　فيا رب دعني من حساب ذنوبي)

تعريب : د/ زبير احمد الفاروقي

■■

تأثير اللغة الإنجليزية على أسلوب
الصحافة العربية الحديثة (١)

بقلم: د/ مجيب الرحمان*

لقد تركت اللغة الإنجليزية اثراً عميقاً و كبيراً على اللغة العربية الحديثة و أدت دورها في صياغة القوالب و الأساليب و المصطلحات و قد ظهر هذا التاثير خاصة على لغة الصحافة. يتجلى هذا التاثر على مستوى الاسلوب و التركيب البنيوى للجمل كما يتجلى على مستوى التعابير و المصطلحات و المفردات. و بفعل هذا التأثير اكتسبت الكتابة الصحفية في اللغة العربية طابعا مميزا بحيث أصبحت في مظهرها العام أقرب إلى أسلوب الصحافة الإنجليزية و في بعض الأحيان ترد استعمالات خارجة على القواعد النحوية المألوفة و القواعد التي وضعتها المجامع اللغوية العربية بخصوص التعريب. و لكنها تاتى انطلاقاً من ضرورة تبسيط اللغة و تقريب الأسلوب الصحفى العربي إلى الأسلوب الصحفي الدولي. و المعروف أن الصحافة الإنجليزية هي التي تصول و تجول و تفرض سيطرتها اليوم على العالم كله.

لقد عرفت اللغة العربية منذ قديم الزمان بايجازها و قصرها و مرونتها و قيل إن جمال العربية يكمن في بلاغتها و قدرتها على أداء المعانى الكثيرة في

---

*جامعه سلشر، ولايه اسام

كلمات قليلة و قديما قالت العرب: " خير الكلام ما قلّ وَ دلّ" و القرآن الكريم خير شاهد على ذلك و لكن لغة الصحافة العربية اليوم تتسم بالوضوح و البساطة و ذلك بحكم اتصالها بالحياة الشعبية و السرعة الهائلة التي يتميز بها العمل الصحفي و كذلك بتأثير من أسلوب اللغة الإنجليزية التي تتميز بالوضوح مقارنة باللغات الأخرى. و في هذا السياق تبلور أسلوب الصحافة العربية واضحاً كل الوضوح مؤدياً وظيفته نحو نقل الأحداث و المعلومات إلى جمهور الناس. و دور الانجليزية في تبسيط أسلوب الصحافة العربية مهم جدا لا يُستهان به قط.

إن ظاهرة تأثر لغة الصحافة العربية باللغات الغربية إنما هي جزء من الظاهرة الشاملة: و هي ظاهرة التعصير و التحديث و التغريب التي بدأت في العالم العربي في القرن الماضي بعد الاحتكاك بالغرب و أدت ضرورة مسايرة الركب الحضارى إلى نقل الأفكار و العلوم و الفنون الغربية إلى العربية و من الطبيعي أن يكون في هذه العربية هذا اللون من الجديد الذي يتناول أبنيتها كما يتناول أصواتها و قد يتجاوز هذا القدر فيؤثر في طبيعتها من حيث قبول بعض الطرائق الغربية في اطلاق المصطلح و بناء الجملة. يقول الدكتور ابراهيم السامرائي: "ذلك أن التغريب في لغتنا العربية الحديثة بل قل في ثقافتنا العربية المعاصرة قد تجاوز الألفاظ إلى غيرها، فشمل طرائق التعبير مما يدخل في باب الأساليب و من عيرشك أن هذا يرجع إلى أن طريقة التفكير و تناول المسائل و الموضوعات العلمبة لدى الباحثين العرب في عصرنا قد تأثرت بالأساليب الغربية و من هنا كان لمصطلح "التغريب" مكانه في ثقافتنا العربية بله اللغة المعاصرة"(١) و من هذا المنطلق نستطيع أن نقول إن هذه الظاهرة ظاهرة حضارية أكثر مما يكون ظاهرة لغوية حيث تم اخضاع اللغة

العربية للمفاهيم الحضارية الغربية و من جراء ذلك خضعت اللغة العربية لتطور كبير من حيث الشكل و الدلالة.

إن الصحف و الجرائد العربية تفيض اليوم بآلاف من المصطلحات و التعابير و الاستعمالات الغربية و على الأخص الإنجليزية، و بهذا أصبح أسلوب الصحافة العربية مختلفا كثير الاختلاف من الأسلوب العربي القديم، و في هذه المقالة نحاول رصد تأثير اللغة الإنجليزية على اسلوب الصحافة العربية أولاً عن طريق التعابير و الاستعمالات المترجمة من الإنجليزية و ثانياً عن طريق التغير في البنية النحوية و ثالثاً عن طريق المصطلحات و الالفاظ التي شاع استخدامها في الصحف و الجرائد. و لا يمكن لي قط استيفاء المواد و استيعاب الأمثلة في هذا المقال الوجيز. فأدرج هنا بعض الأمثلة كنماذج لعمق هذه الظاهرة.

التأثير على مستوى التعابير:

أدرج فيما يلي جزءاً من التعابير المعربة من اللغات الغربية و على الأخص الإنجليزية التي تحفل بها الصحف و الجرائد اليوم. و لا نجد هذه التعابير عند القدماء فهي أسلوب جديد طرأ على الصحافة العربية الحديثة من جراء احتكاكها بالثقافة الغربية، و هي تبدو مترجمة من الانكليزية. و قد انتقيت هذه التعابير من الجرائد العربية مثل "الأنباء" و "الوطن" و "البعث" و "الاهرام" و "الشرق الأوسط" و "مجلة العربي" و ما إلى ذلك.و قد وضعت خطا تحت التعابير الأجنبية في النص العربي. و إن كثيراً من هذه التعابير أيضاً ترد في كتاب الدكتور ابراهيم السامرائى "العربية تواجه العصر" و كتاب

الـدكتور ستتكيفيتش "العربية الفصحى: بحوث في تطور الألفاظ و الأساليب" في ضمن التعابير الأجنبية التي دخلت اللغة العامة.

تَمّ اغلاق ملف القضية بصورة عاجلة (٢)

The file of the issue was abruptly closed

لكن العرب انفسهم كسروا القاعدة (٣)

But the Arabs themselves broke the rule

The counter was closed و اغلق الكونتر(٤)

To highlight the events (٥) تسليط الضوء على الأحداث

إن فكرة التجمع فكرة حان وقتها و يجب اعطاءها الفرصة (٦)

The time for the idea of coming together has arrived and it should be given an opportunity.

Giving green signal (٧) اعطاء الضوء الأخضر

إن ميزان القوة في الشرق الأوسط مال لصالح اسرائيل (٨)

The balance of power in the Middle East has tilted in favour of Israel

إن أمريكا و اسرائيل تطالبان برأس إيران (٩)

America and Israel are clamouring for Iran's head

بينما ابناء الشعب عاطلون عن العمل و ليس لهم حظ من الكعكة الكويتية المتلاشية (١٠)

Where as the sons of the nation are Jobless, and they don't have their share of the diminishing Kuwaiti Cake.

يُنهي صفحة الحرب الباردة (١١)

Closing the chapter of the cold war

هامش ربح (١٢) Profit margin

الخروج بالاستنتاجات (١٣) To come out with conclusions.

أما ما يبقى فلا يعد و كونه مسالة وقت (١٤)

What remains now is Just a matter of time.

لابد لنا من وضع نهاية للمأساة (١٥)

We must put an end to the tragedy.

مشروع الحزام الأخضر (١٦) Green belt project

الأسعار الخيالية (١٧) Imaginary prices

السيولة المالية (١٨) Fiscal flow

بدأ العد التنازلي للانتخابات (١٩)

The countdown for Parliamentary polls has begun.

اعطاء القيمة للعمل (٢٠) To give value to work

و تم طرح الموضوع مفتوحاً للمناقشة (٢١)

The topic was thrown wide open for discussion

التصويت بالريموت كنترول (٢٢) Voting by remote control

إن الارهاب يسرق الاضواء في أوربا (٢٣)

The terrorism is stealing light in Europe

الجيوب الانفصالية (٢٤) Secessionist pocket

صب الزيت على النار (٢٥) Adding fuel to the fire

إن نقاط لقائنا مع ايران أكثر من نقاط الخلافات (٢٦)

Our meeting points with Iran are more than the points of difference.

إن هذه الخطورة ترتدى طابعاً دفاعياً (٢٧)

This danger is wearing/acquiring a defensive character.

لتاخذ مكانها تحت الشمس (٢٨) To take its place under the Sun

انفاق الوقت على أمور هامشية (٢٩)

Spending time on marginal issues

لا بُدّ من متابعة القضية من خلال القنوات الصحية (٣٠)

The issue must be pursued through healthy/proper channels

هامش الوقت محدود (٣١) Time margin

إن هذا تكتيك سياسي ميكافيلي (٣٢)

This is a Machiavallian Political tactic

تأتى هذه الانباء في ظل الشكوك و علامات الاستفهام (٣٣)

These reports are coming in the shadow of doubts and question marks

محطة ترانزيت (٣٤) Transit station

إن عملية السلام قد ماتت اكلينكيا (٣٥)

The peace process has died clinically

قد حطم الرقم القياسى العالمى (٣٦)

He has broken the world record

قد أصبحت الوجبات السريعة موضة (٣٧)

Fast foods have become a fashion

لا يجوز وضع الصالح و الطالح في سلة واحدة (٣٨)

It would be unfair to put the good and the bad in a single basket.

إنهم يحاولون ركوب الموجة السياسية (٣٩)

They are trying to ride on the political wave

إن هذا بمثابة أسلة من جليد (٤٠)

This is Just a tip of an iceberg.

إنها أقرب إلى صك غفران (٤١)

This is like a cheque of pardon.

اعطاء الانطباع للآخرين (٤٢) To give impression to others.

و هولاء علينا أن نفلترهم (٤٣) We have to filter them.

هذه المناورات ليست إلاّ لإبراز العضلات (٤٤)

These maoueverse are only meant to flexing the muscles

اللعب على التيار الطائفى (٤٥) Playing on communal current

المسألة أصبحت كالكرة في الملعب بين الفريقين (٤٦)

The issue has become like a ball in the play ground between the two sides.

إن هولاء يحاولون أن يلعبوا بطاقة العلمية (٤٧)

These people are tryıng to play the secular card.

إنه في نظرى مجرد نظام له ميكانيكيته الخاصة به (٤٨)

These my vıew thıs is just a system whıch has ıts own mechanıcs.

إن غبار الجدل الساخن الذي يثور حول تلك القضايا (٤٩)

The dust of hot debate beıng raısed around those ıssues.

السؤال الكبير المعلق اليوم فوق رؤوس كل المسلمين (٥٠)

The bıg questıon hangıng on the heads of all Muslıms.

زيادة حجم الخدمات العامة (٥١)

Increase ın the volume of General servıces.

الغطاء الذهبى (٥٢) Gold cover

امتصاص الانكماش الاقتصادى

Absorptıon of economıc recessıon

و لكن على حساب ايقاف النمو (٥٣)

But at the cost of stallıng growth

الاثر الكبير الذي تركته اللغة العربية في اللغة المالطية (٥٤)

The great ımpact which the Arabıc language has left on the language of Malte

الأحداث الدرامية (٥٥) Dramatıc events

Strategic position (٥٦) الموقع الاستراتيجية

لقد أصبح حقلا للتجارب الغربية (٥٧)

It has become a field for western experiments.

إن القارئ لا يذهب بعيداً عندما يفكر (٥٨)

The reader does not go far when he thinks.

Plays an inmportant role (٥٩) يلعب دوراً هاماً

لعله كان يشابه في تكنيكه تكنيك طبيب أمريكى (٦٠)

Perhaps his technique was like the technique of an American doctor.

لم يستمر ذلك المناخ الصحى طويلاً (٦١)

That healthy atmosphere did not last long.

و كانوا مدفوعين بنفس الفكرة (٦٢)

They were driven by the same idea.

He led a Bohemian life (٦٣) عاش عيشة البوهيمين

تأثر بالنحت الاركايكى (٦٤)

He was influenced by the archaic sculpture

Decor designer (٦٥) مصمم الديكور

Romantic cliches (٦٦) الكليشهات الرومانتيكية

Defence mechanisms (٦٧) الميكانيزمات الدفاعية

شهد العالم خلال السبعينات و الثمانينات عدة هزات اقتصادية (٦٨)

The world witnessed during 70's and 80's a number of economic upheavals.

To absord the shock (٦٩) امتصاص الصدمة

Media coverage (٧٠) التغطية الاعلامية

و إذ لم يكن في استطاعتنا أن نسوى حساباتنا مع الغرب (٧١)

If we are not capable of settling our accounts with the west

كان الوقت مناسبا لتقوم كوريا بترتيب بيتها و تنظيمه (٧٢)

It was high time for Korea to put her house in order

دفع الاثمان الباهظة لاتخاذ المبادرة (٧٣)

To pay heavy price for taking initiative

Climbing the social ladder (٧٤) تسلق السلم الاجتماعي

تبريد شامل في العلاقات الاجتماعية (٧٥)

Comprehensive cooling of the social relations

قوبلت معارضه باستحسان النقاد و الجمهور (٧٦)

His shows met with the appreciation of the critics and the people

To conduct a mechanical test (٧٧) اجراء فحص ميكانيكى

Pragmatic process (٧٨) العملية البراغماتية

أجاب بدبلوماسية (٧٩) He replied diplomatically

تهميش دور المرأة في العمل السياسى المعاصر (٨٠)

Marginalisation of the role of women in the contemporary ploitics

الدراسات الميدانية (٨١) Field studies

ما الذى حدث بحق الجحيم؟ (٨٢) What the hell happened here?

كسر الحاجز (٨٣) Breaking the barrier

فكان هذا بمثابة زوبعة في فنجان قهوة (٨٤)

This was like a storm in a cup of tea.

مشهد بانورامى رائع (٨٥) Wonderful panormic view

تغطية النفقات (٨٦) To cover the expenses

قتل الأبرياء بدم بارد (٨٧) Killing the innocents in cold blood.

كسر للروتنينة و الملل (٨٨) Breaking the routine and monoting.

فقد ثبت أن للسيخ يدا في حادثة انفجار الطائرة الهندية (٨٩)

It was proved that Sikhs had a hand in the blast of indian aeroplane.

ثقافة البندقية (٩٠) Gun culture

الايديولوجيا الناعمة موجة جديدة في الغرب (٩١)

Soft ideology is a new wave in the west

إن الدين الداخلى وَصَل إلى أرقام فلكية (٩٢)

The internal debt reached astronomical figures.

هو عدوى رقم واحد (٩٣) He is my number one enemy.

ترجمة القوة إلى قوة حقيقة (٩٤) Transtatıng the power into real power.

ضخ الأموال في الاقتصاد (٩٥) Pumping funds in the economy.

قد تم وضع خطوط حرب (٩٦) Battle lınes have been drawn

وضع اللمسات الأخيرة (٩٧) Giving finishing touches.

املاء الشروط (٩٨) Dıctating terms.

من أجل وضع حد للآلام (٩٩) In order to put an end to the pains.

هناك قفزات جنونية في الأسعار (١٠٠) There are mad leaps in the prıces.

إنه عاش أكذوبة كبرى في حياته (١٠١) He lıved a bıggest lıe ın his lıfe.

و من ثم أضحت الطاقة أوراقا للعب على موائد السياسة (١٠٢)

Hence power became cards to play on the tables of polıtıcs

لكى يحتوى الأزمة (١٠٣) To contaın the crısis.

إنه أعطانا دفعا لمواصلة الرحلة (١٠٤)

He provıded us a momentum/push to continue the Journey.

المدن الكوسموبولوتينية (١٠٥) Cosmopolitan cities.

الحالة السيسكوفسيولوجية (١٠٦) Psychophysiological condıtion.

وضع النقاط على الحروف (١٠٧) To put the points on ınitials.

إن الذين يعيشون تحت خط الفقر (١٠٨) Those who are living under the poverty line.

نرجسية القادة السياسيين (١٠٩) Nargissım of political leaders.

رجل الشارع (١١٠) Man of the street.

و هو يؤفر دليلاً مادياً (١١١) He ıs supplyıng materıal proof.

السخاء الانتقائى (١١٢) Selective generosity.

و هو يبكى بدموع التماسيح (١١٣) He ıs shedding crocodile tears.

ذر الرماد في العيون (١١٤) To throw dust ın the eye.

قتل الوقت (١١٥) To kill the tıme

اعطى وعداً بهذا الخصوص (١١٦) He gave a promise ın thıs regard.

اعطى صوته (١١٧) He gave his vote.

و لعب ورقته الأخيرة (١١٨) He played his last card.

هم يلعبون بالنار (١١٩) They are playıng wıth fire.

و من عادته أن يصطاد بالماء العكر (١٢٠) It ıs ın hıs habıt to fish in troubled water.

إن هذا ليسم الرأى العام (١٢١) Thıs ıs poısonıng the public opinion.

خنق الحريات (١٢٢) To strangle the libertıes.

إن لم تخنينى ذاكرتى (١٢٣) It my memory does not ditch me.

قد جرح شعوره (١٢٤) He has wounded his feeling.

اتبعوا سياسة القاء القفاز (١٢٥) They practıced the policy of throwıng down the gauntlet

يمر بتجربة قاسية (١٢٦) He ıs passing through a tough experıence.

إن المدير يعلق أهمية على القضية (١٢٧) The director is attaching importance to the issue.

إنه يعلق أملاً كبيراً (١٢٨) He is attaching a big hope.

إن المسألة تعكس الحالة الاجتماعية (١٢٩)

The issue reflects the social condition

أعرني اذنيك (١٣٠) Lend me your ear.

الماكنة الحكومية (١٣١) Govt. machinery.

قد اعتنق فكرة جميلة (١٣٢) He embraced a good idea

و قال بصفته مدير اللحنة (١٣٣) In his capacity as the director of the board he said.

هو موضوع على طاولة البحث (١٣٤) This topic is on the table of discussion

و تلقى الرئيس عاصفة من التصفيق (١٣٥)

The president recieved a storm of applause.

و لا جديد تحت الشمس (١٣٦) There is nothing new under the sun.

هو رجل الساعة (١٣٧) He is the man of the hour

إن المسألة نحت الدرس (١٣٨) The issue is under study

الجنس اللطيف يجذب الانتباه (١٣٩) The fair sex attracts the attention.

لقد تم التطبيق على نطاق واسع (١٤٠) It was applied on a wider scale

إن هذا بمثابة حجر عثرة على الطريق (١٤١)

This is like a stumbling block in the way.

الحل الذي تصل إليه (١٤١) The solution you are reaching.

أرجو أن تكون رجلا عمليا (١٤٢) I wish you were a practical man.

في المقام الاول (١٤٣) In the first place

إنـه غني لا يحتاج أن يكسب حياته (١٤٤) He does not require to earn his living

و كلل مساعيهم بالنجاح (١٤٥) Their efforts were crowned with success

إنه ليحرق السفن من ورائه (١٤٦) He is burning his boats

لا يستطيع إلاّ أن يرفع قبعته اجلالاً له (١٤٧)

He can only raise his hat in his respect

أنا مديون له في هذا الأمر (١٤٨) I am indebted to him in this matter.

إنهم ينشرون من هذه القصص الذي لا رأس له و لا ذيل (١٤٩)

They are spreading stories which have neither head nor tail

أنا شاكر لك هذا (١٥٠) I am thankful to you for this

التأثير على مستوى البنية النحوية:

(الف) تقديم الحال على الفعل و الفاعل:

حسب القواعد النحوية يجوز تقديم الحال على ذى الحال و لكن الأفضل أن يأتى الحال بعد ذى الحال. و لكن كثيراً ما نجد أن الحال يرد قبل ذى الحال و ذلك تقليداً للأسلوب الانجليزى و مثاله :

١ ـ "و ردًا على سؤال حول الوضع في زائير أكد كلينتون أن الموقف الأمريكى واضح" (١٥١)

Translation: "Replying to a question about the situation in Zaire, Mr. Clinton reiterated that American stand was clear

٢ ـ "و توضيحاً للمسالة التي تمت مناقشته في اجتماع أمس قال المدير: نحن مستعدون لمواجهة أى احتمال" (١٥٢)

Translation: "Explaining the problem which was discussed in yesterday's meeting, the director said· we are ready to face any eventuality".

في المثالين السابقين تم استعمال الحال قبل ذى الحال على غرار الاسلوب الانجليزي (رداً في المثال الاول و توضيحاً في المثال الثانى حال).

(ب) جمع المصادر·

المصادر في العربية لا تجمع لانها تدل على الحدث و قد أجاز الاقدمون جمع المصدر إذا أفاد النوعية المختلفة و إذا انتقل من الحدث إلى الإسمية (١٥٣) و لكن الضرورة الصحفية أدت إلى صياغة جموع للمصادر بتأثير من اللغة الانجليزية و الفرنسية. فلا نجد استعمال "نجاحات" أو "فشلات" أو "ارتفاعات" أو "ارسابات" في الاستعمال العربي القديم و لكن الجموع مثل هذه تتضافر في الصحف و الجرائد اليوم لأن المقابلات الانجليزية و هي "Successes", "Failures", "Hieghts", Precipitations" كلها جموع و هي تحوج إلى صياغة جموع عربية. و على هذا النحو يوجد عدد كبير من جموع المصادر التي تستعمل اليوم و لا نجد استعمالها في العربية القديمة.

(ج) تقديم الضمير على مرجعه:

رغم أنه لا يجوز تقديم الضمير على مرجعه حسب القواعد النحوية ولكننا نلاحظ أن هذا شائع في الجرائد العربية و ذلك على النمط الانجليزى مثاله:

"فى تصريح له أدلى به عقب انتهاء الاجتماع قال الرئيس إن الوقت غيرمناسب للحديث عن المصلحة العربية مع العراق." (١٥٤)

Translation "In his statement issued at the end of the meeting Mr President said that the time was not suitable for talking about Arab compromise with Iraq."

في المثال السابق تم تقديم الضمير (له) على مرجعه (الرئيس) خلافاً للقاعدة النحوية.

(د) استعمال "جاء" و "يأتى" و "بالنسبة لـ" و "في حين" و "إنى جانب ذلك" و "في الوقت الذي" و "من جانبه" كثيراً. بعض الأمثلة·

(١) "جاءت مباراة القادسية ساخنة" (١٥٥)

Translation "Qadsia's match came as a hot one".

(٢) "في حين يذهب معظم وقت التدريب للمحاضرات" (١٥٦)

Translation· "Where as much of the training time goes to lectures".

(٣) "و من جانبه صرّح عبد السلام للأهرام". (١٥٧)

Translation· "On his part, Mr. Abdussalam explained Al-Ahram".

(٥) الاختصار من خلال التبويب:

الاشـتـقـاق من خـصـائـص اللغة العربية و فيه مرونة بالغة. إلاّ أن بعض الـكـلـمـات الانـجـلـيـزيـة مـثـل "Globalization" و "Internationalization" و "Computerization" و "Automation" وغـيـرهـا من الكلمات التي لم تكن لها مقابلات عربية أدت إلى ضرورة صياغة مقابلات عربية فدخلت كلمات كثيرة فـي الـعربية عن هذا الطريق مثل "العولمة" و "تدويل" و" حوسبة" و "الاتمتة" وغيرها من الكلمات الكثيرة فأدى هذا إلى الاقتصاد في اللغة.

هـذه طـائـفة من الامثلة تبين لنا مدى تأثير اللغة الانجليزية على أسلوب الصحافة العربية الحديثة.

التأثير على مستوى المصطلحات و الألفاظ:

الصحف العربية تحفل بألاف من المصطلحات الانجليزية التى تم تعريبها أو تـغـريـبـهـا. و أدرج فـي هـذا المقام طرفاً من هذه المصطلحات الشائعة في الصحف و الجرائد. و سأجتنب ذكر المصطلحات العلمية فإن ذلك باب آخر.

و يـلاحـظ أنـه فـي بـعـض الأحيان توجد كلمات عربية الأصل و لكنه بدلاً منها يتم استعمال المصطلحات الانجليزية أو الفرنسية.

مـيـكـانـيـة (Mechanism) فـيـدرالـيـة (Federalism) الاكـاديـمـيـة (Academic) كـمـبـيـوتـر (Computer) كـنـسـل (Cancellation) فـبـرك (Fabrication) الـفـونـولـوجـي (Phonology) تـلـفـزيون (Television) فيديو (Video) الـسـيـنـما (Cinema) الفيلم (Film) المغناطيسية (Magnetism) تـكـنـيـك (Technique) تـكـتـيـك (Tactic) هـيـسـتـيـريا (Hysteria) الكوادر

(Cadres) الاوتوماتيكية (Autometic) البلاستيكية (Plastic) اليكترونية (Electronic) الميتافيزيقية (Metaphysical) الكليشهات (Cliches) الديناميه (Dynamism) انتلجنشيا (Intelligentia) الامبريالية (Imperialism) الدبلوماسية (Diplomatic) الفولكلور (Folklore) الموتورات (Motors) الايقونات (Icons) الديموغراف (Demograph) البورتريه (Portrait) هلوسة (Hallucination) الروبوت (Robot) الريموت كنترول (Remote control) البراغماتية (Paragmatism) كبسولة (Capsule) الفنتازيا (Fantasy) الميدالية (Medal) شوكولاته (Chocolate) الارثونكسية (Orthodoxy) الترانزستور (Transistor) الجمنازيوم (Gymnasims) الصورة الكاريكاتورية (Caricature) ساندويتشات (Sandwitches) الكولونيل (Colonel) البرجماتيون (Paragmatists) الديكورات (decors) البوليس (Police) الايس كريم (Icecream) التاقلم (acclimatization) الفيتو (Veto) التكنوقراطيون (Technocrats) البانوراما (Panorama) المركنتيلية (Merchantalism) كومونويلث (Commonwealth) قراءة البروفات (Proof reading) روتين (Routine) كونفرس (Conference) البيرة (Bear) السيجارة (Ciggarate) انثروبولوجية (Anthropology) الايتمولوجيا (Etymmology) التكنولوجيا (Technology) الكاميرا (Camera) الجاكيت (Jacket) الكوسميتكس (Cosmetics) الفيلات (Villas) السيناريو (Scenario) السيناتور (Senator) نوستالجيا (Nostalgia) الكونسوريتوم (Consortium) ميكروفون (Microphone) رايكالية (Radicalism) الكولاج (Collage) مونولوج (Monologue) السيمنار (Seminar) الكونفدرالية (Confedration)

المناورات (Maneourers) البسكويت (Biscuit) الهاردوير و السوفت وير (Hardware & software) الموبيل (Model) الكاروتين (Carotine) الكوميكس (Comics) مافيا (Mafia) الكوسموبولوتينية (Cosmopolitanism) كارتل (Cartel).

إن هذه ليست قائمة مستوعبة قط. قد أوردنا بعض الأمثلة لتدل على ظاهرة التغريب في اللغة العربية و مدى تاثير اللغات الغربية و على الأخص الانجليزية على أسلوب و مصطلحات الصحافة العربية الحديثة.

المراجع:

١ ـ "العربيه يواجه العصر" ص ٣٧ للدكتور ابراهيم السامرائي

٢ ـ المدس (٩٦/٥/١٨)

٣ ـ الوطن (٩٦/٥/٣)

٤ ـ الوطن (٩٦/٥/٣)

٥ ـ الانباء (٩٦/٥/٣)

٦ ـ الرأى العام (٩٦/٥/٣)

٧ ـ الوطن (٩٦/٥/١٧)

٨ ـ العرب (٩٧/٥/١٢)

٩ ـ المدس (٩٧/٥/١٢)

١٠ ـ المدس (٩٧/٥/١٢)

١١ ـ البعث (٩٧/٥/١٥)

١٢ ـ البعث (٩٧/٥/١٥)

١٣ ـ الثورة (٩٧/٥/١٥)

١٤ ـ الشعب (٩٧/٥/١٦)

١٥ ـ البعث (٩٧/٥/١٦)

١٦ ـ البعث (٩٧/٥/١٥)

١٧ ـ البعث (٩٧/٥/١٦)

١٨ ـ البعث (٩٦/٩/١٨)

١٩ ـ القبس (٩٧/٥/١٥)

٢٠ ـ الطليعة (٩٧/٥/١٥)

٢١ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

٢٢ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

٢٣ ـ الطليعة (٩٥/٢/٥)

٢٤ ـ الطليعة (٩٥/٢/٥)

٢٥ ـ الطليعة (٩٥/٢/٥)

٢٦ ـ الطليعة (٩٥/٢/٥)

٢٧ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

٢٨ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

٢٩ ـ الطليعة (٩٥/٢/٥)

٣٠ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

٣١ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

٣٢ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

٣٣ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

٣٤ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

٣٥ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

٣٦ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

٣٧ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

٣٨ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

٣٩ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

٤٠ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

٤١ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

٤٢ ـ السياسة (٩٦/٥/١٨)

٤٣ ـ السياسة (٩٦/٥/١٨)

٤٤ ـ السياسة (٩٦/٥/١٨)

٤٥ ـ السياسة (٩٦/٥/٣)

٤٦ ـ السياسه (٩٦/٥/٣)

٤٧ ـ مجلة العربي (عدد يناير ١٩٨٨م)

٤٨ ـ نفس العدد

٤٩ ـ نفس العدد

٥٠ ـ نفس العدد

٥١ ـ نفس العدد

٥٢ ـ نفس العدد

٥٣ ـ نفس العدد

٥٤ ـ نفس العدد

٥٥ ـ نفس العدد

٥٦ ـ نفس العدد

٥٧ ـ نفس العدد

٥٨ ـ نفس العدد

٥٩ ـ نفس العدد

٦٠ ـ نفس العدد

٦١ ـ نفس العدد

٦٢ ـ نفس العدد

٦٣ ـ نفس العدد

٦٤ ـ نفس العدد

٦٥ ـ نفس العدد

٦٦ ـ نفس العدد

٦٧ ـ نفس العدد

٦٨ ـ نفس العدد

٦٩ ـ نفس العدد

٧٠ ـ مجلة العربي (عدد فبراير ١٩٨٨م)

٧١ ـ نفس العدد

٧٢ ـ نفس العدد

٧٣ ـ نفس العدد

٧٤ ـ نفس العدد

٧٥ ـ نفس العدد

٧٦ ـ نفس العدد

٧٧ ـ مجلة العربي (عدد مارس ١٩٨٨م)

٧٨ ـ نفس العدد

٧٩ ـ نفس العدد

٨٠ ـ نفس العدد

٨١ ـ نفس العدد

٨٢ ـ نفس العدد

٨٣ ـ مجلة العربي (عدد ابريل ١٩٨٨م)

٨٤ ـ نفس العدد

٨٥ ـ نفس العدد

٨٦ ـ نفس العدد

٨٧ ـ نفس العدد

٨٨ ـ نفس العدد

٨٩ ـ نفس العدد

٩٠ ـ مجلة العربي (عدد مايو ١٩٨٨م)

٩١ ـ مجلة العربي (عدد يوليو ١٩٨٨م)

٩٢ ـ نفس العدد

٩٣ ـ نفس العدد

٩٤ ـ نفس العدد

٩٥ ـ مجلة العربي (عدد اغسطس ١٩٨٨م)

٩٦ ـ نفس العدد

٩٧ ـ نفس العدد

٩٨ ـ نفس العدد

٩٩ ـ مجلة العربي (عدد سبتمبر ١٩٨٨م)

١٠٠ ـ مجلة العربي (عدد نوفمبر ١٩٨٨م)

١٠١ ـ نفس العدد

١٠٢ ـ مجلة العربي (عدد ديسمبر ١٩٨٨م)

١٠٣ ـ نفس العدد

١٠٤ ـ نفس العدد

١٠٥ ـ نفس العدد

١٠٦ ـ نفس العدد

١ ٧ ـ نفس العدد

١٠٨ ـ نفس العدد

١٠٩ ـ نفس العدد

١١ ـ نفس العدد

١١١ ـ نفس العدد

١١٢ ـ الأهرام (٩٧/٤/٥)

١١٣ ـ الأهرام (٩٧/٤/٥)

١١٤ ـ الشرق الأوسط (٩٧/٥/٥)

١١٥ ـ الشرق الأوسط (٩٧/٥/٥)

١١٦ ـ البعث (٩٧/٥/١٧)

١١٧ ـ القبس (٩٧/٤/٢٧)

١١٨ ـ القبس (٩٧/٤/٢٧)

١١٩ ـ الأهرام (٩٧/٤/٥)

١٢٠ ـ الأهرام (٩٧/٤/٥)

١٢١ ـ الأهرام (٩٧/٤/٥)

١٢٢ ـ القبس (٩٧/٤/٢٧)

١٢٣ ـ الرأى العام (٩٦/١٢/١٧)

١٢٤ ـ الرأى العام (٩٦/١٢/١٧)

١٢٥ ـ السياسة (٩٦/٥/١٨)

١٢٦ ـ السياسة (٩٦/٥/١٨)

١٢٧ ـ القبس (٩٧/٤/٢٧)

١٢٨ ـ السياسة ٩٦/٥/١٨)

١٢٩ ـ السياسة (٩٦/٥/١٨)

ثقافةالهند

١٣٠ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

١٣١ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

١٣٢ ـ الطليعة (٩٥/٢/٥)

١٣٣ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

١٣٤ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

١٣٥ ـ الطليعة (٩٥/٢/٥)

١٣٦ ـ الطليعة (٩٥/٢/٥)

١٣٧ ـ الطلعية (٩٥/٢/٥)

١٣٨ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

١٣٩ ـ البعث (٩٧/١٢/١٥)

١٤٠ ـ البعث (٩٧/١٢/١٥)

١٤١ ـ البعث (٩٧/١٢/١٥)

١٤٢ ـ البعث (٩٧/١٢/١٥)

١٤٣ ـ البعث (٩٧/١٢/١٥)

١٤٤ ـ السياسة (٩٧/١٢/١٥)

١٤٥ ـ السياسه (٩٧/١٢/١٥)

١٤٦ ـ السياسه (٩٧/١٢/١٥)

١٤٧ ـ الثورة (٩٧/١٢/١٧)

١٤٨ ـ الثورة (٩٧/١٢/١٧)

١٤٩ ـ الثورة (٩٧/١٢/١٧)

١٥٠ ـ الثورة (٩٧/١٢/١٧)

١٥١ ـ الوطن (١٧ /٩٧/٥)

١٥٢ ـ الوطن (٩٧/٥/١٧)

١٥٣ ـ القبس (٩٦/٩/١٨)

١٥٤ ـ الطليعة (٩٥/٢/٥)

١٥٥ ـ الثورة (٩٧/١٢/١٧)

١٥٦ ـ الثورة (٩٧/١٢/١٧)

١٥٧ ـ الرأى العام (٩٦/٥/٣)

الكلمات العربية الدخيلة في التاميلية

بقلم: الدكتور بشير أحمد*

إن تاثير لغة على لغة أخرى لا يحدث فجأة من فضاء بل يتقدمه تعامل طويل و تواصل مستمر بين ناطقى اللغتين أى المؤثرة و المؤثرة عليها. و مشيراً إلى تاثير اللغات الاحرى على لغاتنا يقول المؤرخ أس. كيه. تشاترجى: "إذا أخذنا في نظرنا لغات الهند يجب علينا الا نترك الفارسية و العربية و الإنجليزية لأن هذه اللغات الثلاث مع كونها أجنبية قد اثرت تاثيراً عظيماً في كل لغه من لغاتنا المحلية"(١)

و فيما يتعلق بالفارسية و الإنجليزية فلا صعوبه لنا في فهم نفوذها لأن أهلهما حكموا بلادنا و تعايشوا معنا و فينا و تولوا إدارتنا و اقتصادنا لقرون عديده. فاثرهما على لغاتنا نظراً إلى طول الصلة بين اللغتين مفهوم لنا و معقول لدينا.

أما اثر العربية مع كونه أمراً قد وقع بالفعل على لغاتنا فلا يظهر علينا سببه بموجب القياس المذكور آنفاً لأن العرب لم يؤسسوا قط دولة في الهند كما فعل الفرس و ما عاشوا معنا و ما قاموا بإدارتنا و اقتصادنا لمدة طويلة حتى يؤثر أثر لسانهم على ألسنتنا. نعم، أتى محمد قاسم يحمل لواء الإسلام إلى الهند

---

*أستاذ مساعد بجامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

في ٧١١م و لكنه كان كعابر سبيل لأنه لم يمكث هنا زمناً يذكر و سرعان ما رجع إلى بلاده ليلقى منيته فلم تكن لغزوه و فتحه في الهند أى أثر ملموس يذكر و فائدة ملحوظة تسجل ناهيك عن تأثير لغته على لغاتنا.

إذن أثر العربية على لغاتنا أمر غريب. فقد أثرت على لغاتنا دون سيطرة أهلها علينا و دون معيشتهم معنا في أى عصر من عصور تاريخنا. فوقع أثرها علينا بصورة صامتة و بطريقة غير مباشرة. فالفضل له يرجع إلى الفارسية لأنها كانت اللغة الرسمية في الهند منذ أكثر من ثمانية قرون حتى عام ١٨٣٧م و أنها قبل دخولها إلى الهند كانت متصلة بالعربية منذ أن بدأ الإسلام و كانت تتأثر بها كثيرا. فلما دخلت الفارسية إلى شبه قارة الهند فهي قد أصبحت غنية مليئة بالألفاظ العربية فهذه هي اللغة التي نقلها الملوك الفرس إلى الهند و فرضوها على رعينهم من طريق إدارتهم و هي التي أثرت على مر الأيام على لغاتنا قدر إمكانها و هي التي أثرت على التاميلية أيضاً.

إن التاميلية هي أقدم اللغات الدرافيدية و أنها مثل العربية لغة محافظة و قوية لا تتأثر بسهولة من أي نفوذ خارجي. فلذا لم تستطع حتى اللغات المحلية بما فيها السنسكريتية أن تؤثر عليها إلاّ قليلا جدا و أهل هذه اللغة فخورون بتراثهم اللغوي القوي العميق الذي تمتد جذوره إلى ماقبل الميلادى و بآدابهم الواسعة الغنية التي لا يحصى عددها و لا يوجد مثلها في غيرها و أن أهلها لاكتفائهم بما لديهم من التراث القوي العميق و الأدب الخصب كانوا و لايزالون يقاومون تأثير أية لغة أجنبية عليها.

لذا نرى أن العربية لم تقدر بطريقة مباشرة على أن تؤثر على التاميلية رغم أن العرب كانوا على اتصال بسكان تاميل نادو و يتجرون معهم خاصة مع

ملوك دولة باندیا منذ قديم الزمن إلى مابعد الإسلام و رغم أن هناك استيطانا لبعض العرب في سواحل كيرالا و تاميل نادو و سرى لانكا في عصر ما بعد الإسلام كما اتفق عليه مؤرخو ولاية تامل نادو(٢).

إنما وقع أثر العربية في التاميلية فقط خلال قرون من الحكم الاسلامى في الهند ـ لا قبله و لا بعده. و مع أن حدود الدولة الإسلامية في الهند لم تتجاوز "دكان" في الجنوب و لم تبلغ فط حدود مدراس (تشيناي الآن) إلّا أن السلطة الإسلامية و لاسيما السلطة المغولية كانت معترفا بها لدى حكماء الولاية يومئذ. فهيمنه الحكم الإسلامى مع إدارته الفارسية كانت منتشرة في كل أنحاء الهند بما فيها إقليم مدراس. و لما استخدمت حكومة دلهي بعض الكلمات الفارسية و هي من عربية الأصل بين شعوب الهند تسهيلا لإدارتها العامة فالناس أخذوا يقبلونها طوعاً أو كرهاً و يستعملونها بطريقة تدريجية في معاملاتهم الإدارية مع الحكومة بما فيها تصرفاتهم المالية و القضائية و لذلك نرى أن نكون معطم هذه الكلماب إدارية و رسمية في مضمونها و استعمالها.

يذكر الدكتور منور نبنار(٣) في أطروحته بعنوان "الكلمات الدخيلة في الهندية و الأرديه و التاميلية" ٢٥ كلمة عربية دخيلة في التاميلية و أضاف كاتب هذه السطور بعد ذلك من خلال بحث مستقل ١٧ كلمة أخرى فيبلغ مجموعها ٤٢ كلمة. و اللغه، مهما كانت، إدا استعارت من لغة أخرى فلابد أن تتعرض الكلمات المستعارة للتغير في نطقها حتى تلائم أصوات الحروف الأبجدية الكائنه في اللغة المستعيرة. و بما أن التاميلية و العربية تنتميان إلى عائلتين مستقلتين نجد في نطق هذه الكلمات اختلافا كثيرا، و فيما يتعلق بمعاني هذه الكلمات فنصفها قد أبقت دلالتها العربية كما هي في التاميلية أيضاً و لكن بقيتها قد تغيرت بمرور الزمن تغيراً قليلاً أو كثيراً.

أما الكلمات التي تغيرت نطقاً و لم تتغير معنى فهي كما نراها في القائمة التالية:

الكلمة العربية	نطقها التاميلي	المعنى في التاميلية
حاضر	Ajar	Present
جيب	Jep	Pocket
آفة	Afatth	Danger
أصل	Asl	Original
خال	Kali	Empty
وغيره	Vahaira	Etc.
قرطاس	Kadudhasi	Paper
صفر	Saifar	Zero
شرف	Sırappu	Best, Excellent
كافور	Karpuram	Camphor
معاف	Mappu	Pardon
لائق	Layakku	Suitable
نفر	Nabar	Person
قسط	Kasthu	Installment
باق	Bakki	Balance
وارث	Varısu	Heir

Side	Tharappu	طرف
Ground	Maidhan	ميدان
Place of residence	Mahal	محل
Speedily	Surukka	سرعة
Wall	Suvar	سور
Sweet	Halva	حلوي
Cake, Pastry	Kek	كعك
Bail	Jaamın	ضمين
Sugar	Sakkaraı	سكر
Stay	Muham	مقام

أما الكلمات العربية الدخيلة التي تغيرت نطقاً و معناً في التاميلية فهي كما ترد في القائمة التالية:

معناها التاميلي المتغير	نطقها التاميلي	الكلمة العربية
Mınıstry (وزارة)	Ilaka	علاقة
Taluk (فرع مديرية)	Taluka	تعلقة
Collection (جمع ضرائب)	Vasul	وصول
Implementation (تنفيذ)	Amul	عمل
Challenge (تحد)	Saval	سؤال

Answer (جواب)	Badhil	بدل
Copy (صورة لنسخة أصلية)	Nahal	نقل
Fixed (ثابت/محدد)	Karar	قرار
Legıslative (مشروع قانون)	Masodah	مسودة
Prisoner (سجين)	Kaıdhi	قيد
Very much (كثير جدا)	Aladhi	علاحدة
Claim (ادعاء/زعم)	Dhava	دعوة
Dıstrict (مديرية)	Jılla	ظلع
Crop Season (موسم زراعي)	Pasal	فصل
Settlement (قرار،تسوية قضية، حل)	Paisal	فيصل
Agrı Output (انتاج زراعي)	Mahasul	محصول
Quickly (بسرعة)	Jaldhı	جلد
Tahsıldar (حاكم فرع مديرية)	Tasıldhar	تحصيل دار
Lawyer (محامي في المحكمة)	Vakıl	وكيل
Sponsorship (كفالة)	Vakkalat	وكالة
Confiscate (مصادرة/قبض)	Jabthı	ضبط
Commission, bribery (رشوة/عمولة)	Mamul	معمول
Repair (إصلاح)	Maramathu	مرامة

منصف	Munsippu	Judge, Magistrate (قاض)
قصاب	Kasappu	Meat,Meat shop (دكان جزار / لحم)
صاحب	Sahib	(كلمة لاحقة باسم رجل احتراماً له) Word suffixed to a person's name as respect

---

و هـذه الـكـلـمـات كـلـهـا تستعمل في الهندية و الأردية أيضاً و كذا يمكن إيـجـاد كـلـهـا أو معظمها في بقية اللغات الهندية أيضاً أهي الأسامية في الشرق أم الكاشميرية في الشمال دالة على أن هذه كلها ترد من مصدر واحد فحسب.

و مـع أن هـذه الكلمات تستعمل فيما يبدو في جميع اللغات الهندية إلاّ أن مـعـانـيـهـا قد تغيرت من لغة إلى لغة أخرى و على سبيل المثال يمكن لنا أن نرى أن الـتـامـيلية قد غيرت معنى بعض الكلمات السابقة تغييرا كليا بحيث لا نجد مثل هذه المعاني لنفس الكلمات المتوفرة في بقية اللغات الهندية. و على سبيل المثال تستعمل كلمة "سؤال" في التاميلية لمعنى تحد كما يقال:

"Ennidam saval vıttan"(Tamıl)

(هو تحداني) He challenged me

و كـلـمـة "الـقرار" أيضاً كلمة خصوصية تستعمل في دكاكين تاميل نادو مـع كلمة "السعر" (Kara Vılaı) لبيان أن سعر السلع و البضائع ثابت/محدد لا مـسـاومـة فـيـه. و كـذا تـسـتـعـمل كلمة "مسودة" فقط في البرلمان و مجلس التشريع للدلالة على "مشروع قانون" و هذه لا تستعمل في أي مكان آخر. فيقال:

Masodah niraıveriadhu (Tamıl)

[وافق (البرلمان) على مشروع القانون]

لقد استقرت هذه المفردات العربية السابقة استقرارا ثابتا في التاميلية بل و أنها اضمحلت فيها و أصبحت جزء لا يتجزأ من التاميلية الحديثة لأن معظم هذه الدخائل يلفظها المثقفون من الناس في مداولاتهم اليومية الرسمية في دوائر الحكومة و غير الحكومة و يكتبها رجال الصحف في جرائدهم و مجلاتهم. فلا شك في أن هذه الكلمات المستعارة قد نالت للتاميلية قسطا من ليونة التركيب و حداثة التعبير و سلامة الأسلوب فلابد من إجراء مثل هذه المباحث المستقلة من قبل طلاب علم اللغة و علمائه في بقية اللغات الدرافيدية أيضاً حتى يتبين مدى تاثر هذه اللغات بالعربية.

الهوامش:

(1) S K.Chanttergı "Lınguıstıc Survey of Indıa-the cultural herıtage of Indıa "Culcutta (1978)

(2) Dr Tayka Shuaib Alım "Arabıc, Arwı and Persıan in Sarandıb and Tamilnadu"-Imamul Arus Trust, Madras (1996)

(3) Dr. M. Munawwar Naınar-"Arabıc Loanwords ın Hındı, Urdu and Tamıl" A Ph d thesıs (1981) A Ph d thesıs, JNU, New Delhi (unpublıshed)

■■

في. ك. كريشنامينون

بقلم: سوهاش شاكرافارتي

في صباح ممطر من شهر يونيو ١٩٢٤م وصل فينغاليل كريشنان كونجي كريشنامينون إلى لندن، حاضرة الامبراطورية البريطانية مترامية الأكناف. و عند وصوله إلى لندن، في أولى رحلة لدولة أجنبية كان مينون في السن الثامن و العشرين من عمره.. مينون المولود في أسرة على قدر واف من الغنى بمنطقة مالابار النائية، كان رشيقا و حادا و متمنعا بشخصية تجنب الاهتمامات. وطأت قدماه أرض العاصمة البريطانية و هو لابس بذلة متواضعة و لكن أنيقة. شخصيته تميزت بعدة سمات: عينان نافذتان، و جبهة مفتوحة تحت شعر غزير و شعث دائما . و ذكاءه الغير عادي اكتسب المزيد من أنفه الصقرى و صوته المثقل و شفتيه الممتلئتين و أصابعه الطويلة المتحركة دوما بايماءات لإيضاح فكرة مرة و لبيان حالة مرة أخرى. و من حين لآخر أنه لجأ لفكاهة، لابتسامة مستهزءة، لنكتة ساخرة لاطلاق ما بذهنه من فكرة حادة. خلاصة القول إن هذه الخصائص جعلته يقف بارزا وسط جمع من الأناس.

لقد حاز مينون على شهادة لبسانس من جامعة مدراس، ثم التحق بالجامعة الوطنية في ادبار أولا كطالب و بعده كمعلم تاركا دراسة الحقوق قبل اكمالها، ذلك من جراء تأثره بالحركة الوطنية التي تعاظمت بانطلاق منظمة

الـحـكـم الذاتي بقيادة الدكتورة إيني بيسانت، و التي بلغت ذروتها نتيجة وقوعها فـي الاعـتقال.. قبل مينون عضوا في حركة الكشافة للفنيان التي اسسها اخوان بـيـسـانـت، و بـعـدئـذ عين مأمورا لمنطقتي مالابار و كوتشين. إنه قدم إلى لندن بـرفقة جورج سيدني أرونديل، أحد أبرز الأكاديميين بجامعة أبار، للمشاركة في مـؤتـمـر تـعـلـيمي في ليتشوورت (Letchworth) . كريشنا كوروب، و الدمينون، صـنـع أحـلامـا بأن ابنه يكون حقوقيا بارزا مثله، و بعد الحصول على شهادة من كـلـيـة حقوق بريطانية يخلفه في مهنة محاماة في تيليشرى، و ينتقل بعده إلى كـالـيـكـوت و مـدراس. إلا أن مـينون كان اتخذ من دراسة التاريخ شغلا شاغلاله. و قـرر منذ سنوات أن ينذر نفسه لقضية الاستقلال. الحرية عنده كانت غير قابلة لـلـتـقـسـيـم، و عـالـم خـيـالـه كان عالماً كلا و غير مجزأ. إنه أراد أن يجعل من الـمـثـابـرة و الـتـكـريس وسيلة للتعلم، و أن يكافح في سبيل قضية الحرية بدون الانـضـمـام لـمـدرسـة فـكـرية معينة و بدون أية تصنيفات و تـحـديدات.. مينون، الـتـلـمـيـذ الـشـاب من تـلامـيذ الدكتورة ايني بيسانت، العاقل المفكر و الفاهم لـلأشـيـاء، عقد العزم على أن يربى نفسه غير معتمد على دعائم التصوف. روحه سـارت في حياته سيرا طليقا و لكن مختلفا تماما عن سير الشاذ عديم الاتجاه. نـضـالـه لاسـتـقـلال الـهـنـد كان جزءا غير قابل للانفكاك من الكفاح لأجل حرية الانـسـان.. رؤيـتـه لـم تـكن عـبارة عن غواية منعزلة. طيلة سنوات متعاقبة بات مـيـنـون يـنـاقـش و يـكـتـب و يفتش، يعد التقارير و يتولى مهام الاذاعة و النشر، يـدرس و يـقـيـم الوضع و يلقى المحاضرات، و يدون نقاطا للمفاوضات، و ينظم مختلف مراكز النشر في سائر انحاء بريطانيا تنظيما دقيقا.

اتـخـذ مـيـنـون عـلـى عـاتـقـه مـهمة، و بارادته القوية استطاع أن يحول مـجـمـوعـة تـصـوف مـهـلهلة إلى جهاز مناضل مهيب. المشاكل المالية لم تكد

تـفـارقـه طـيلة هذه الأعوام، إلا ان مقدرته على احتمال المشاق كانت عظيمة، و الـنـاس حوله دائما على استعداد للتجاوب معه و العمل له. الأموال كانت تأتى عن طـريـق تـبرعات صغيرة، و لتغطية العجز المالي فقد توافرت لديهم مشاعر الوداد و المرح و خفة الروح.

الـجـهـود الـتـي بذلها مينون و رفاقه اثمرت، و صوت الهند للاستقلال وجد طـريـقـه إلـى قـلـب تـلـك الامـبـراطـوريـة الـقاهرة، رمز الاستكبار و الغطرسة و الاحتيال. إنه فرض على نفسه واجبا تاريخيا و واصل أداءه بالرغم من تعرضه للاحراج من قبل السلطات البريطانية و للمراقبات من قبل جهاز أم ١٥، و بالرغم من كـونـه مـطـعـونا من قبل الأعداء و الأصدقاء و من تناسى النقاد دوره في تلك الـظـروف الـصـعـبـة. كرهه بعض الناس فاتخذوه هدفا عاطفيا لحياتهم، إلا أن مـيـنـون اعـتـزم على القذف بنفسه و بطاقاته جلها وسط مضمار الحياة.. و في هـذا الـطـور حـدث أكـثـر من مـرة أن الـدم سال من جسده.. إنه تململ و تألم.. تـراءت لـه سـاعـات من الـعظمة.. و ظهرت آمال جديدة في الـحياة حين أشرقت شمسها.. و بهجته و سعادته بلغت ذروتها عندما أحرزت الهند استقلالها.

لـلـجـمـاعـه كان دور قد أحاط النشاط السياسي من جميع النواحي.. إنها باتت تقنع الرأى العام البريطاني بالتجاوب مع القضية الهندية.. إنها استطاعت أن تـبـنـى فـي البرلمان البريطاني لوبيا قويا متعاطفا مع الهند، و أقامت صلات خـاصـه مـع مـجـموعة من قادة حزب العمل، و بقيادة مينون تحولت إلى حركة جذبت اهتمامات العقلاء و المثقفين في بريطانيا و أوربا و الولايات المتحدة إلى قـضـيـة الاستقلال على ما قام حزب المؤتمر الوطني بصياغتها.. ثم و إنها ركزت على مشاكل الفاشية، و قدرت الطموحات الديمقراطية التي تبناها الشعوب في عـالـم مـغـلـوب عـلى أمره بالعسكرية و الدكتاتورية. لقد أصبحت هذه الجماعة

منتدى نشيطا في بريطانيا، على ساحته كانت تناقش مواضيع متصلة باستقلال الهند، و تطرح مشاكل على صلة بالظلم الاجتماعي و بالكفاح ضد الأيدولوجيات الظلامية، و تدمج المؤسسات في مسعى جماعي موجه إلى التأثير على الأدمغة و الوقفات و الحساسيات و استدارجها للاتجاه العلمي. كان مينون قائد هذه الجماعة الهندية بعد أن استعادت حيويتها بدون منافس انطلاقا من ايمانه بالمساواة عمل على تقريب الجماعة من حزب المؤتمر الوطنى، و تحمسه الوطني استطاع أن يحول الجماعة الهندية من لوبي هامد في ظل النظام البرلماني البريطاني إلى آليه نشيطة من آليات حركة التحرير. خلال الفترة ١٩٢٤ـ ١٩٤٧م كان كريشنامينون قد نذر حباته لقضية النضال الدؤب ضد الامبريالية.

كانت للجماعة اهتمامات منوعة بالقضايا السياسية الدولية، و اتصالات حيوية مع مختلف الحركات السياسية و الاجتماعية، مما جعلها محط انظار الدوائر ـ في الهند و بريطانيا معا ـ التي تحلت بالتنوير و تميزت بقدرات على معرفة الأمور و ايصالها للغير.. و بفضل الانتماء إلى الحركات الديمقراطية في أوروبا و افريقيا و الشرق الأدنى، تمكنت هذه الجماعة من ابراز بنية الحركة الوطنية الهندية كقوة عالمية.

بمضى السنين نضج مينون فاصبح من اعلام المنطق و الكلام موهوبا بملكة عجيبة في اطلاق نكت لاذعة. و إنه كان نحريرا موسوعيا يسحر العقول.. و أسلوبه في الخطاب، العسير على التعريف، كان أسلوبا صلصا لا يتغير و يتكيف مع متطلبات الظرف، زاخرا بوفرة من لطائف إلا ظلال التعبيرية، و خصائصه انعكست في لغات التراكيب المتناغمة و المنورة. الأسلوب البليغ الطبيعى الرزين و لكن دائما غيرعامي. و حتى في طور تناول الأحداث العادية

المتكررة يوميا لوحظ أنه تمتع بقدرة فائقة على مواجهة حقائق الحياة القاسية.

في أوائل حياته العملية اندهش مينون عندما رأى أن بعض الأناس حوله قد تزايدوا تحمسا في مضايقته و احراجه.. إنهم كانوا يجتمعون من حين لآخر، و يطرحون اسئلة صارخة، و يحاولون استثارته للرد بالقطع على تلميحاتهم المتكررة بأنه شبوعي. لكنه في استجابته لتلك التلميحات اعتمد على الاقناع.. و كان عاطفيا في التركيز على ايمانه بالديمقراطية و التزاماته تجاه الطبقات المحرومة و تصوراته عن نظام دولي يسوده السلام و الرخاء. عقيدته في حرية الانسان و العدالة و المساواة استمرت خالية من الشوائب.. و فكاهته احتفظت بحبوبنها و بساطتها. وسط المناقشات لما بلغت ذروة الحدة، انه مال إلى الاستهراء و التهكم و حتى أظهر غضبا. و في وجه خصم عنيد ميال إلى الاعاقة، أحيانا لوحظ أنه يصرخ لاسكاته خاصة عندما تلمس بوادر عدم الثقة و التعنت في تصرفات المعاندين الذبن احتمعوا و تعمدوا لازعاجه من موقف العداد البحت.. لكنه لم يلبث و أن شعر بضيق الصدر فبادر للاعتذار على تلك السقطة الآنية، و للمرة الأخرى عاد إلى صوابه و صار يناقش الموضوع باختيار كلمات و جمل باقصى عناية. خطابه في هذه المرحلة كان يكتسب مزيدا من الحدة، و نحاحه في استعاده الوضع أعطاه شعورا بالاطمئنان. إلا أن ساعات طويلة ضاعت في جدال كلامي فارغ، حعلته قلقا و غير مرتاح. من الظاهر أن حياته كمناصل لمصية الهند في بيئة سياسية معادية عامة، لم تكن حياة سهلة و مريحة. إلا أنه لم يسعه أن يؤجل المهمه، و ينتظر لساعات سعيدة. العمل كان في غاية الأهمية و يطلب الانحاز.. و مينون كان حريصا على مواصلته و دائما على الاستعداد للوقوف صامدا في وجه الأوضاع و تحويل شرها إلى ما فيه خير

لـه و لـمهمته. إنه عرف أن الرياح تجرى بما لا تشتهي السمن، و أن للعمل قيمة لابد من دفـعـها. و من معاصريه من استنشعر بقلق أن مينون قد علم لوقته كيف تـكـون حـيـاتـه فـي جـهـاده لـحـق الـهـنـد فـي تـقـريـر الـمـصـيـر و هـو يـحـب عـلى البسكويت و أكواب من الشاي. مبنون، باكبافه المثقلة باعباء الـعـمل، و في بطنه ما يسد الرمق، عاش حياة ملأها النشاط و الطاقات. إنه لم يكن يـكـتـرث بـجـوانـب السعادة في الحياة، و في مطلع الشباب أصبح بطريق غـريب - منعزلا وسط جمع من أنصاره اليساريين من مدارس مختلفة. إنه دخل مـعـترك الحياة العامة على جميع ما به من صراعات و صدامات و اضطرابات، و أصبح أولا هدفا للامبريالية البريطانية و بعده للامبريالية العالمية.

الـرؤيـا الـذي صـاغـه جواهر لال نهرو و كريشنا مبنون عن النظام العالمي شـكـل - خـاصـة فـي الـمـرحـلـة بـعـد الـحـرب العالمية - أهم مساهمة نظرية و نمونجية في السياسة الدولية و في كفاح الشعوب من أجل حرية الانسان، هذه الـرؤيـة كـانت عبارة عن حلم في خلق عالم متحرر من الجوع و الفقر و المرض و الـخـوف و الـرعـب و الـحـرب.. و دعـت لـوضـع أدنـى مـقـاييس كونية للعيشة و الـراحة و توفير فرص غير محدودة للموهوبين و المتخصصين بغية تمكينهم من مـمـارسة الكفاءات في حقول الفن و التقنية و التجاره وغيرها من الأنشطة الابـداعـية. إنها كانت محاولة لتثقيف الانسان و ابماط وعيه على مستوى العالم، و استـهـدفـت ابـراز مـكامن المجتمع العالمي مؤسسة على العقلانية و الاتجاه الـعـلمي. علاوة على ذلك فان المجتمعات في نمط التغيير كانت ستوفر - حسب رؤيـا نهرو و مينون - نطاقا واسعا للمعارضة و الخلاف و عدم الاقتناع. التفاعلات بـين هـذه الـشـخصيات البارزة و بينها و بين الحقائق العالمية أثمرت عن حركة الـتـنمية الديمقراطية و عدم الانحياز. الهند على اثر الاستقلال جنبت عددا غير

قليل من الدول التي تقاسمت معها ماضيا امبرياليا، و شاركت في رؤية للتنمية الاقتصادية و كرامة الانسان، و إنها كلها قد اجتمعت فاكتشفت ان المجال يتوافر لبذل مجهود انساني في سبيل خلق عالم أفضل. و أثناء الفترة التي كانت فيها الحرب الباردة قد بلغت أشدها، قد اكتسبت حركة عدم الانحياز شعبية و ديناميكية و أصبحت قوة مادية.. و عن طريق جهوده المتواصلة في كوريا و الصين و السويس وغيرها من بقاع العالم و بتدخلاته الايجابية في السياسة الدولية استطاع مينون أن يعلم المجتمعات النامية طرق تحويل الأمم المتحدة إلى اداة للتغيير.

شخصية مينون كانت مجموعة تناقضات عدة.. و ظلت طيلة الحياة لغزا.. إنه كان يجذب الأناس و يدفعهم عنه.. إنه حاز على التقديرات، و تعرض للتهكم. في أوائل الثلاثينات من القرن العشرين قام مينون بتنظيم مساعدات طبية للصين التي سقطت عندئذ ضحية للاعداء الامبريالي الياباني. ثم و إن حياته السياسية لفظت آخر انفاسها من جراء العمليات العسكرية التي شنتها الصين في عام ١٩٦٢م. بعد استمراره أقرب الناس لدى نهرو لمدة ثلاثين سنة امتنع حزب المؤتمر عن ترشيحه للبرلمان، و ألقى عليه مسئولية النكسة في عام ١٩٦٢م. و من المفارقات العجيبة أن مساهمات مينون في الانتاج العسكرى أصبحت بمثابة الأساس بالنسبة للاستعدادات الهندية في مجال الدفاع فيمابعد. الصفوة المسيطرة في العالم الراسمالي لم تكن تثق بمينون، و بالرغم منه فان الملايين من سكان آسيا و افريقيا و أمريكا اللاتينية و معهم الملايين الآخرون من سكان العالم الذين عاشوا تحت مستوى تلك النبذة المختارة، أحبوه من اعماق قلوبهم.. مينون عاش وسط الخلافات و النزاعات و نهايته أتت و هو محاط بنفس الظروف، إلا أنه وجد متعة في خصائصه المتضاربة جميعها.. في

ذكـاءه و مـزاحـه.. فـي شـعـوره ازاء الـواجب الاجتماعي.. و ذلك كله بالرغم من العزلة التي اكتنفته خاصة في آخريات أيام حياته.

تعريب: فريد الزمان

■■

استعراض الكتب:

مقارنة بين النحو العربي و الانجليزى

تأليف: د/ بشير أحمد جمالي

عرض: الأستاذ شميم الحسن أمانة اللّه

(جامعة جواهر لال نهرو نيو دلهي)

الكتاب الذي بين أيدينا هو في الأصل رسالة علمية كتبها الدكتور بشير أحمد جمالي، أستاذ اللغة العربية بجامعة جواهر لال نهرو، بنيو دلهي، لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية. و نظراً لأهمية هذا البحث القيم قام الدكتور بشير بطبعه لتعميم فائدته. فانه قد بذل في إعداده جهدا كبيرا و وقتا طويلا حتى برز إلى حيز الوجود في صورة أنيقة و جميلة. إنه استعان في إعداده بكتب و بحوث و مقالات كثيرة. و مما لاشك فيه أن هذا الكتاب إضافة جيدة في المكتبه العربية حيث أنه يفي بحاجة يحسها المترجمون و خاصة من العربية إلى الإنجلزية و بالعكس. و لما نتجول في صفحات هذا الكتاب و نمعن النظر في مقارنة الجمل الإنجليزية و العربية في ضوء النحو في اللغتين نرى أن الباحث يتذوق بلطافة هاتين اللغتين و له مقدرة في فهم دقائق الجمل في اللغتين.

إن المترجم لما يجلس ليترجم عملا أدبياً بصورة خاصة يواجه صعوبات عديدة أهمها هي أن اللغة الإنجليزية لا تعرف (عامة) إلاّ نوعاً واحداً من الجملة

و هو الـجـمـلـة الإسـمـية في حين أن اللغة العربية تعرف أنواعا عديدة للجمل و تـخـتـلـف مـعـانـيـها باختلاف و تغيير مكان الكلمات في جملة واحدة. و لكن الأستاذ بـشـير أحـمـد يـهدف بطريقه رئيسية إلى تبسيط قواعد اللغة العربية و جـمـلـها لأن الـوقت الراهن في حاجة ماسة إلى مثل هذا العمل. و نظراً لقلة مـدة دراسـة اللـغـة الـعـربية و ثقافتها بالكليات و الجامعات العصرية و المواد الـوفـيـرة الـمكثفة فإن الطلبة في حاجة إلى تبسيط القواعد النحوية و خاصة لأنـهـم يـأتـون من الـمـدارس الـحكومية و هم لا يعرفون شيئا عن اللغة العربية. فـيـواجـهـون مـشاكل و متاعب جمة في تعلم اللغة العربية و إتقانها بمدة ثلاث سـنـين حـتـى يـحصلوا على شهادة ليسانس و يواجهوا الحياة في الخارج لكسب الـعـيـش. و الـمـهمة التي تنتظرهم في الخارج هي الترجمه من الإنجليزية إلى الـعـربـيـة و بـالعكس. و أن الترجمة كما قلنا عمليه صعبة فليس المطلوب من الـمـتـرجـم أن يـتـرجم حرفيا و خاصة في الترجمات الأدبيه فالمطلوب منه أن يـنـقـل نـفس المشاعر و الأحاسيس التي أحسها الكاتب. و هذا لا يتسنى أبدا إلّا لـمن لـه قـدرة كـبيرة في تشكيل الجمل بدون أن يكون هناك أخطاء في القواعد الـنحوية و الصرفية. و أن جامعتنا، جامعة جواهر لال نهرو لم نأخذ على عاتقها فـهـم و دراسـة الـلـغـات العالميه الكبرى فقط بل ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية و مـنـهـا إلـى الـلغات الأجنبيه الأخرى أيضا و ذلك لتوثيق العلاقات بين الشعوب و خاصة الشعوب الآسيوية و الأفريقية.

و لـيـس هـنـاك أدنـى شـك فـي أن الـعـقول المثقفه في الهند لا تزال تفكر و تـكـتـب بـالإنـجـلـيزية. و العرب لا يعرفون الهند كما يجب مع أن العلاقات بين الـهـنـد و الـعـالـم الـعـربـي مـوغـلـة في القدم. فالهند تنتج اليوم، كما فعلت في الـمـاضـي، أعـدادا كـبـيرة من الكتب بالإنجليزية كل سنه في موضوعات علمية

****************و أدبية وغيرها و نحن في حاجة إلى أن نقوم بترجمة أعمال كتّابنا البارزين إلى العربية و كذلك بنقل الكتب العربية إلى الإنجليزية.

ولما كان الهدف الأساسي لهذا الكتاب هو مقارنة القواعد النحوية العربية بالقواعد النحوية الإنجليزية، فالنتيجة التي توصل إليها الباحث هي أنه قد وجد تشابهات عديدة في الجمل النحوية باللغتين ثم أنه وجد الاختلاف فيهما فحاول تضييق الفجوة و تبسيط عملية الترجمة و إزالة العوائق التي تعوق سبيل المترجم. إنه لم يذكر هذا فقط بل أتى بأمثلة واضحة مع رسوم توضيحية لكي يتضح ذلك في أذهان المترجمين و خاصة أولائك الذين يقومون بدراسة اللغة العربية بعد نيل شهادة المتوسطة من المدارس الحكومية كما يقول المؤلف نفسه: "إن دراسة الأقسام النحوية الإنجليزية و مقارنتها بنظائرها العربية، لابد في اعتقادي، أن يسقط و تزيل عدة أمور غير ضرورية من النحو العربي القديم و نترك لنا فقط تلك التي نحتاج إليها و نكتفي بها لتعلم العربية الحديثة التي قد تطورت تطورا ملموسا في هذا العصر المعاصر و أصبحت أخف و ألين من العربية القديمة الشاقة بفضل تأثرها باللغات الغربية الحديثة" ثم يقول: "استهدفت أن تكون محتويات هذه الدراسة موارد إرشادية لتدريس العربية (و الإنجليزية أيضاً) و الترجمة بأن أذكر مثالين لكل وحدة من الوحدات النحوية، أهي موافقة أم مخالفة بين اللغتين حتى تكون مسائل النقاش في كل منها أكثر وضوحاً و رسوخاً و وضعت الأمثلة كلها أو معظمها في جمل بسيطة عادية (وقليل منها في شبه جملة) و إنني أخذت هذه الأمثلة من كتب النحو و الأطروحات و المطبوعات الأخرى التي ألفها ناطقوا الإنجليزية و العربية و وضعتها كما هي بحيث أن تكون هذه الأمثلة موثوقاً بها و معتمداً عليها و أتيت بآيات القرآن الكريم أيضاً هنا و هناك لدلائل عربية".

من هدا نسنطيع أن نقول أن هذا الكتاب مفبد جداً حبث انه كنب على نهج جديد لفهم اللغة العربية و لتسهيل عملية الترجمة من الانجلبزيه إلى العربية و بالعكس.

■■